



احکام السقیفة

احکام السقیفة

وَلَوْ أَنَّ شُعْلَةً مِّنَ الْحَرِّ لَأَحْاطَ بِهَا وَالْأَنْبَاءُ بِمَعْرِفَةِ النَّبِيِّ أَكْثَرُ

الْعَلَامَةُ أَيْتَةُ اللَّهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(١٣٥٠-١٤٣١ هـ)

العلامة أيتة الله الشيخ محمد رضا الخجيري



محاضرات في المعارف الجعفرية
بحوث حول الإمامة

أحداث السقيفة

قراءة شمولية لما تحكيه الأحاديث أو الآثار عما بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ

تقريباً للأبحاث:

العلامة آية الله الشيخ محمدرضا الجعفري

١٣٥٠ - ١٤٣١ هـ

إعداد وتحقيق:

السيد نصر الله الموسوي

سرشناسه: جعفری، محمدرضا، ۱۳۱۰ - ۱۳۸۹

عنوان قراردادی:

عنوان و نام پدیدآور: أحداث السقیفة: العلامة آية الله الشيخ محمدرضا الجعفری (۱۳۵۰ - ۱۴۳۱ هـ)

إعداد و تحقیق: السيد نصر الله الموسوي

مشخصات نشر:

مشخصات ظاهري:

فروست:

شابك:

وضعیة فهرست نویسی:

یادداشت:

موضوع:

موضوع:

شناسه افزوده: جعفری، محمد رضا، ۱۳۱۰ - ۱۳۸۹

شناسه افزوده: موسوی منش، سید نصر الله، ۱۳۶۱، تحقیق و تدوین

شناسه افزوده: بنیاد فرهنگ جعفری

رده بندي كنكره:

رده بندي ديويي:

شماره كتابشناسي ملي:

أحداث السقیفة: العلامة الشيخ محمد رضا الجعفری

الناشر: الطبعة: تاريخ النشر:

الشابك: الكمية:

جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز الثقافة الجعفرية للبحوث والدراسات

قم المقدسة، الهاتف: ۰۲۵-۳۲۹۱۷۶۱۱ الفاكس: ۰۲۵-۳۲۹۱۷۶۱۰

البريد الالكتروني: info@bjafari.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المركز

مع اتّساع الآفاق الفكرية وتشعبها في زمن الثورة المعلوماتية الهائلة التي ألقت ظلالها على الفكر الإنسانيّ، كان لابدّ لكلّ صاحب تراث من أن يتحرّك للحفاظ على تراثه من العبث العلميّ الذي ربما يعصف بموروثه الفكري والإنسانيّ، واللازم على كلّ ذي تراث أن يسعى للمحافظة على ما وصل إليه من السابقين كي ينقله إلى الجيل الذي يليه، محاولاً بذلك أن يبقّي تراثه نقيّاً من فكرة فاسدة أو رأي سقيم مستولد عن فكر غير سويّ يُخاف منه على تراثه، نتيجة الفاصل الزمني الطويل في مراحل النقل.

والتراث الشيعيّ أحد هذه الموروثات ليس خارجاً عن هذه المعادلة، بل الاهتمام بالفكر الشيعيّ من حيث سلم الأولوية يقع بالصدارة، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الموروث الشيعيّ كان منذ القدم مستهدفاً من أعدائه أيما استهداف لما يُشكّل من قوّة فكرية ومنطقية وعقلية يهابها المزيّفون للتاريخ.

هؤلاء الذين لم يدخروا وسعاً في استهداف كلّ ما هو أصيل فحاولوا تشويه بُنى المذهب ومحاربته وطمس معالمه ظناً منهم أنّهم قادرون على إخفاء الحقائق الجليّة. ومن هذا المنطلق شكّلت سياسة المعاداة في ضمن لغة التخريب والكذب المدروس وفبركة لقلب الحقائق لإعطائها طابعاً واقعياً كي تنطلي الحيلة على

البسطاء من الناس، فاستأجروا الأقلام الرخيصة والأنفس الضالة لهذه المهمة القذرة حتى نسبوا إلى الطائفة الشيعية أموراً مقبحة.

والقارئ لتاريخنا الإسلامي يجد في كثير من المواضع أنه قد ابتلي بالأهواء النفسية والنزعات الشخصية إلى الحد الذي ابتعد فيه عن جادة الموضوعية، وهذا مثل خطراً على الأمة ونقلها إلى منطقة الصراعات والتناحرات، حتى صار المتبع للتاريخ يسير بخطى سريعة إلى مجهول مظلم لا تعرف عواقبه وصار العثور على الحقيقة ضرباً من الإستحالة.

إنها جريمة الاعتداء على الأمانة التاريخية، فمسخوا صورتها، وشوهوا حقيقتها، ورفعوا الذين من شأنهم أن يكونوا في أسفل سافلين، فلمّعوا صورهم، ونسبوا إليهم كلّ عظيم، ووجهوا أخطاءهم التي غصّت بها بطون الكتب لتصل إلى اللاحقين ناصعة بيضاء مشرفة، وهذا ما فعلوه مع الشخصيات الرسالية التي كانت تدأب جاهدة في إثراء التاريخ بكلّ ما من شأنه أن يجعل التاريخ تاريخاً مشرفاً يفتخر المرء بأنه أحد المنتسبين إليه، فشوهوا صورهم الناصعة لتصل إلى اللاحقين صوراً مشوهة مزيفة.

إنّ هذه الأيدي التي استأجرت لتقلب الحقائق بقلمها المرتزق إنّما فعلت ذلك بعد ما باعت آخرتها بدنيا غيرها، وبعد ما باعت طاقاتها بحفنة من الدراهم المعدودة، وبعد ما قبرت ضمائرهما لتخلق من أقلامها وحوشاً تنهش الأمانة التي يجب أن تكون موجودة عند كلّ صاحب قلم وعند كلّ ذي مادة علمية، فرفعت الداني، وأنزلت العالي، ونسبت وقالت ووضعت... حتى أصبح تاريخ المسلمين في كثير من المواضع موضع ريب وتوقف.

ناهيك عن التقيّة التي كان يعيش معها الشيعة خوفاً من التنكيل وهرباً من ألوان العذاب الذي كان ينتظرهم، لا لأجل جريمة اقترفوها هنا أو جريمة عمدوا إليها هناك، بل كان لأجل موالاتهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فاعتبروا موالاته عليّ جريمة تستحق القتل وهم بذلك يريدون أن يقتلوا فكر عليّ في كلّ نفس شيعية.

فلم يقف أعداء المذهب عند هذا الحدّ، بل استخدموا الكذب طريقاً للوصول إلى تحقيق مآربهم حتى في عصرنا الحاضر، والشيعة مع كلّ هذا لم يألوا جهداً للردّ على هذه الفئة بالطرق العلمية ليخرسوا ألسنتهم ويلزموهم بالحجّة بعد ما كان دأب القوم الفرار من المنازلات العلمية والاكتفاء بإلقاء التهم من بعيد! ومن هنا نرى تصدي علماء الطائفة - رحم الله الماضين منهم ووفق الباقين - لمثل هذه الأصوات الناشزة وردّ كيد الأعداء إلى نحورهم، ولكن تبقى خفافيش الظلام ساعيةً إلى حجب ضياء الحقّ عن عيون الناس، فهؤلاء الذين يقتاتون الكذب سرعان ما تراهم في زاوية مظلمة من زوايا التاريخ لا يذكرهم الذاكر إلّا وذكر الكذب والزيف معهم، ويبقى الفكر الشيعي متألّقا على مدى العصور والدهور، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^١.

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس ومن واقع المسؤولية الملقاة على عاتقنا اتجاه تراثنا الشيعيّ وبتوفيق من الله تبارك وتعالى ومن إمامنا الحجّة المهديّ المنتظر ﷺ قمنا بالتالي:

- ١ - قد تمّ - بحمد الله وتوفيقه وبمساندة بعض المؤمنين المهتمين بنشر معارف أهل البيت (عليه السلام) - تأسيس صرح علمي يهتم بنشر معارف الفكر الجعفري والذب عن حياض المذهب أمام الهجمة الشرسة التي تواجهها الطائفة اليوم والمتمثلة بالشبهات والافتراءات، خصوصاً في مجالي العقائد والتاريخ، تحت اسم «مركز الثقافة الجعفرية للبحوث والدراسات» والذي بدأ نشاطه عام ١٤٢٢هـ، ولم تكن فكرة إنشاء هذا المركز إلاّ إيماناً مناّ بالدور الفاعل الذي تلعبه المؤسسات العلميّة في وقتنا الحاضر، إذ أخذنا على عاتقنا أن نضيف لبنة إلى تلك المسيرة العلميّة الظافرة وأن نشارك في بناء عقيدة الفرد الشيعيّ وحمايته من جميع الشبهات، لما نراه من تكليف شرعي ملقى على عاتقنا وتلبية لنداء الضمير الديني، فإننا لم ندّخر وسعاً في إنجاز هذا المشروع بأكمله وجه سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبّل أعمالنا بأحسن القبول.
- ٢ - تمّ الاستعانة بالعالم الجليل العلامة الشيخ محمدرضا الجعفري (١٣٥٠ - ١٤٣١هـ) (رضوان الله تعالى عليه) للمساهمة في إثراء مجال البحوث والدراسات والنهوض بالمركز من الجهة العلميّة والإشراف على الحركة العقديّة المتواصلة، وذلك لما كان يحمله سماحته من علمٍ وافر وآراء دقيقة سديدة، خصوصاً وأنّه قد صرف عمره الشريف في التحقيق وتقديم الدراسات والنظريات خدمة للمذهب.
- وتلبية لهذا النداء قام سماحته مشكوراً بالانتقال إلى مدينة قم المقدسة، ليكون مشرفاً مباشراً على المؤسسة، فكان وجوده الرصيد الأكبر للمؤسسة، مما حفّز كثيرين للعمل بجدّ والتساوق لتقديم الأفضل للمذهب، خصوصاً أنّ سماحة الشيخ قد قام متفضّلاً بنقل مكتبته العامرة للمركز ليخلق بذلك حافزاً آخر للنهوض بالمسيرة والخروج بنتائج عملية مشرّفة.

٣ - طباعة مجموعة من المدونات التي تخدم المذهب في مواضيع متعددة، إحداها وهي التي بين يديك المسماة بـ «أحداث السقيفة»، وهي عبارة عن جمع وشرح العلامة الجعفري عليه السلام لأحاديث أهل السنة في أمر السقيفة وتحليل ودراسة الأبعاد المهمة لهذا الحدث ومناقشته بنظريات جديدة.

٤ - ومن توفيقات المولى عز وجل تصدي سماحة السيد نصر الله الموسوي مشكوراً لهذه المجموعة، فقام بإعدادها وتحقيقها الأمر الذي جعل الكتاب قابلاً للعرض والاستفادة.

وفي الختام لا بدّ أن نقدّم شكرنا الجزيل لكلّ من ساهم في تهيئة وتقديم هذه المجموعة القيّمة في مراحلها المختلفة.

مركز الثقافة الجعفرية

للبحوث والدراسات

قم المشرّفة ١٤٤٢ هـ

مقدمة الإعداد

أهمية الموضوع

السقيفة حدث وتيار تغير فيه مسار الخلافة في الإسلام، والخلافة التي كانت من حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والنبى ﷺ قد أعلنها للجميع مرّات عديدة وفي مناسبات مختلفة وأبرزها غدير خم، تمّ تحريفها وتسليمها إلى أشخاص آخرين، وبما أنّ هذه الحادثة - بحسب نظر الإمامية - غيرت مسار المجتمع فيما يتعلق بالدين الإلهي ورسالة النبى ﷺ، فإنّ معرفة مبدأ هذا الجريان وحقائقه ستكون مهمة وحاسمة للغاية في اختيار مسار الرشد والهداية. ومع الأسف مناقشة هذا الموضوع غير سار للبعض، ولهذا السبب يحاولون منع التحقيق في وقائع تغيير مسير الخلافة بذرائع مختلفة وإثارة بعض القضايا.

الأحداث التي وقعت قرب وفاة الرسول الأعظم ﷺ - ك: تجهيز جيش أسامة، وحديث القلم والقرطاس، ومحاولة أبي بكر للصلاة بدلاً من النبى ﷺ - تظهر أنّ هناك مجموعة كانت تخطط للتسلط على الخلافة بعد النبى ﷺ.

ناهيك عمّا جرى فيها من النزاع بين الأنصار والفئة الخاصّة من المهاجرين على الإمرة لا على الخلافة، ومن التوافق الابتدائي على أن يكون المهاجرون الأمراء والأنصار هم الوزراء ثمّ انقلبوا على ما وافقوا عليه، بحيث أنّ الأنصار همّشوا

أسوأ تهмыш وأقصوا عن المراكز القيادية أسوأ وأشدّ إقصاء، ومن انعقاد البيعة لأبي بكر بواحد أو اثنين وذلك بحسد فتية خاصة من الخزرج ومنافسة من الأوس، وبحجة صيغت بأن العرب لا تخضع إلا لقريش وهي الحجة الوحيدة التي احتج بها على الأنصار يوم السقيفة، وتمت ومشت تلك البيعة بعد ما بايعت الأوس وانكسر على سعد وعلى الخزرج أمرهم.

ومن هذا المنطلق سعى العلامة الجعفري رحمته الله بإشرافه العلمي على أحاديث أهل السنة بجمع كلّما ذكر في أمر السقيفة، ومن خلال سلسلة محاضراته حول موضوع الإمامة، في ضمن شرح أغلب الأحاديث الهامة في هذا الباب، والتي تمّ نقلها في كتب العامة المعتمدة والموثوقة، قام بتحليل ودراسة الأبعاد المهمة لهذا الحدث المرير ومناقشته بنظريات جديدة.

ولموضوعية هذه الدراسات قام مكتب حفظ، تدوين ونشر آثار العلامة الشيخ محمدرضا الجعفري رحمته الله، من أجل إحياء آثار هذا العلم الجليل، هذا المبحث على جدول الأعمال، وفي التالي نشير إلى بعض الخصائص والميزات لهذا البحث والإجراءات المتخذة في هذا الصدد:

خصائص وميزات كتاب «أحداث السقيفة»

يمكن اعتبار ميزات هامة لهذا العمل القيم، منها:

- ١- استخدام أحاديث أهل السنة من كتبهم المعتبرة والموثوقة: قام العلامة الجعفري رحمته الله بمناقشة الجوانب الهامة لهذا الحادث بناء على أحاديث أهل السنة أو آثارهم من كتبهم المعتبرة والموثوقة فقدّم نظرياته وفقاً لتلك الأحاديث أو الآثار.

٢- استقراء الأحاديث والنصوص وتحليلها: بما أنّ موضوع السقيفة يتعلق بقضايا تاريخية وكلامية، قام العلامة الجعفري عليه السلام بمعرفة وإشراف علمي كامل بهذا العمل، حيث أنّه عليه السلام ابتداءً باستقراء وجمع وتسجيل جميع الأحاديث والنصوص المتعلقة بهذا الحدث، ثمّ تحليل الأحاديث والنصوص الهامة لهذا الموضوع.

٣- نقل الأحاديث أو الآثار عن الصحابة والتابعين ومناقشتها: قد نقل العلامة الجعفري عليه السلام الأحاديث أو الآثار المتعلقة بهذا الجريان من الصحابة والتابعين، وكان لكلّ حديث وخبر مناقشة رجالي أو تاريخي أو دلالي أو... لتناقضه في نفسه أو مع خبر وحديث آخر، وفي معظمها أعرب عن تحليله، ويمكن القول بجرأة أنّ تحليله كان فريداً من نوعه.

٤- العلاقة بين النصوص: فقد حاول العلامة الجعفري عليه السلام بالإضافة إلى نقل ومناقشة وتحليل النصوص الهامة، تبين الصلة بين هذه الأحاديث أيضاً.

عملية التحضير وتحقيق الكتاب

تمّ اتخاذ العديد من الخطوات لإعداد هذا العمل القيم، وفي التالي نشير إلى بعضها:

- ١- تنزيل الأشرطة وتصنيفها
- ٢- تحرير المباحث المطروحة
- ٣- اختيار عناوين للمباحث
- ٤- مقابلة نصّ الأحاديث مع المصادر الأصلية وتخريجها
- ٥- تخريج الآيات الكريمة الواردة في النصوص
- ٦- ذكر التوضيحات اللازمة في الهوامش

وتجدر الإشارة هنا إلى عدّة نقاط:

- ١- المجموعة الحاضرة هي مجموعة ٧٤ محاضرة (من تاريخ: ١٦/شعبان/١٤٢٦ إلى ١٠/ذي القعدة/١٤٢٨) في ضمن سلسلة محاضرات العلامة الجعفري رحمته الله حول موضوع الإمامة.
- ٢- قام العلامة رحمته الله بدراسة أحاديث هذه المجموعة حسب ما اقتضاه الوقت ورعاية حال المستمعين، ولذا قد تعرّض لبعضها بالتفصيل خلافاً لغيرها، وللأسف لم يوفق رحمته الله إلى شرح وتحليل كلّ ما أحصاه حول السقيفة.
- ٣- في مرحلة البحث عن المصادر - باستثناء موارد قليلة - تمّ ذكر العديد من المصادر بالنسبة لمواضيع مختلفة ودرجها في الهوامش.
- ٤- بما أنّ العلامة الجعفري رحمته الله كان عند القائه الدرس يقرأ بعض النص ثمّ يبدأ بشرحه وتحليله أو نقضه تاريخياً أو رجالياً أو دلالياً ثمّ يستمر في قراءة النص وعنده كذلك يقوم بالشرح، فلذا بيّنا نصوص الأحاديث بلون غامض لسهولة المراجعة وتمييزها عن كلام العلامة رحمته الله.
- ٥- جميع الموارد المذكورة في الهامش التي لم يذكر لها اسم «العلامة الجعفري رحمته الله» هي مرتبطة بعمل المحقق.
- ٦- لا بدّ من الإشارة إلى أنّ العلامة رحمته الله قد عرض أحاديثه بترتيب خاص، ولكن نظراً لبعض الملاحظات فقد تغيّر الترتيب قليلاً وتمّ اتباع عملية الإعداد بناءً على الراوي.

وفي الختام نتقدم بوافر الشكر والامتنان لجميع الإخوة الأفاضل الذين آزرنا وساهموا في تهيئة هذه المجموعة القيّمة، كما ونقدّم شكرنا الجزيل لأستاذنا الجليل سماحة السيد علي الروحاني - حفظه الله - الذي أرشدنا إلى هذا البحث وحثنا على إعداده وتحقيقه وأتحفنا بإرشاداته الهامّة والقيّمة التي كان لها فضل كبير في تقديم هذا الأثر بشكل أفضل وتيسير العمل فيه، ونرجو أيضاً من القراء الكرام أن يتفضّلوا علينا بإرسال الملاحظات والتذكير بالأخطاء.

نتضرّع إلى الباري عزّ وجلّ أن يوفّقنا وجميع العاملين لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام، إنّه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّين الطاهرين.

قم المقدّسة - السيد نصر الله الموسوي

مركز الثقافة الجعفرية للبحوث والدراسات

قسم التحقيق ونشر التراث

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد رسله وخاتم أنبيائه وأفضل خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين الأئمة الهداة المعصومين، لاسيما أولهم مولانا أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه في غيبته وظهوره والعن اللهم أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا

تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

اللهم صل على فاطمة بنت نبيك اللهم صل عليها وعلى أبيها وكفوها وبنيتها عدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك اللهم وال من والها وعاد من عادها وانصر من نصرها واخذل من خذلها والعن من آذاها وأغضبها وأغضب بذلك أباهها وكفوها وأبنائها المعصومين أجمعين اللهم العنهم لعنا وببيلاء وعذبهم عذابا أليما.

تمهيد

الكلام حول الأحاديث التي تخبر عن حادثة السقيفة وما جاء فيها، لأنّ السقيفة تشكّلت وأقيمت بعد وفاة رسول الله ﷺ في يوم الاثنين مباشرةً، وما عمله العاملون من غسل النبي ﷺ وكفنه والصلاة عليه ودفنه حدث فيما بعد. بالإضافة إلى أنّ السقيفة محك لآراء وأحاديث كثيرة من الصحابة وعلى هذا الأساس نستطيع أن نحكم بصحة أو بعدم صحة هذه الأقوال المختلفة.

حديث السقيفة حديثٌ تجاوز المائة بل المائة والخمسين وأحصينا كلّما ذكر في أمر السقيفة وأحصينا الذين أسند إليهم هذا الحديث وهم أربعة وثمانون بين صحابي وتابعي.

١. حينما نقول بعد وفاته ﷺ نغفل أو نتغافل عن أنّ الصحيح عند الجماعة أنّ رسول الله ﷺ استشهد ولكنهم لا يذكرون سبب الإستشهاد وإنّما يقولون بأنّ تلك المرأة اليهوديّة سمّته عام خير [أبوداود السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الديات (باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه)، ١٧٣/٤ - ١٧٥ = ٤٥٠٨ - ٤٥١٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١١/٢٠٤ = ١١٥٠٣]. وأيضاً عند ما نقول بأنّ رسول الله ﷺ ذهب أو ارتحل إلى لقاء ربّه إنّما نهاشي الدارج في هذا المقام لا أنّنا نريد أن نبين رأياً في قبال ما يذكّره أولئك، وإلاّ الصحيح أنّ رسول الله ﷺ كان أوّل الشهداء من العترة الطاهرة وبعده الصديقة الطاهرة ﷺ وبعدهما الأئمة الأحد عشر ﷺ. (العلامة الجعفري ﷺ)

وما يمكن أن يُستنتج أو يستخلص من قراءة هذه الأحاديث - كما يتضح عند قراءتها تفصيلاً -، نقاط عدة:

- ١- الأحاديث المذكورة في البحث هي من الأثر لا من السنة، لأن العامة اصطَلَحوا على أن ما كان لعمل الصحابة بعد النبي ﷺ يُسمى بالأثر وما كان للصحابة زمن رسول الله ﷺ بحيث يكشف عن رضى الرسول يسمّى بالسنة.
- ٢- الذين كانوا يعيشون في المدينة المنورة كانوا على قسمين: قسم آمن برسول الله ﷺ فإن كان مسلماً مدنياً سُمي بالأنصاري وإن كان مهاجراً من خارج المدينة المنورة كان يُسمى بالمهاجر، وقسم كان ينحاز إلى عبدالله بن أبي.
- ٣- المدينة المنورة كان وجهها البارز قبيلة الخزرج وكان سيّد المجتمع المدني سعد بن عباد وأما غيرهم فكانوا إما مغمورين أو من فئة أخرى.
- ٤- الخزرج كانوا أكثر عدداً من الأوس وكانت فيهم السيادة لكثرة عددهم ولأجل هذا وجد الأوس في نصب سعد بن عباد نوعاً من الهوان والذل لأنفسهم فصنعوا بالخزرج ما صنعوا.
- ٥- بلا شك أن سعد بن عباد كان أميراً وورثه ابنه وكرمه المتدقق قيس بن سعد الذي كان من شيعة أمير المؤمنين ﷺ وكان كريماً جداً وقضاياه كثيرة.
- ٦- أن السقيفة تشكّلت وأقيمت بعد وفاة رسول الله ﷺ في يوم الاثنين مباشرة، وما عمله العاملون من غسل النبي ﷺ وكفنه والصلاة عليه ودفنه حدث فيما بعد.
- ٧- الخزرج اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لكثرة عددهم ولكي يؤلّوا عليهم سعد بن عباد كأمر لهم.

٨- سقيفة بني ساعدة على أكثر التقادير ما كانت تسع إلا لأربعين أو خمسين شخص لا أكثر، لأنها سقيفة لم تُصنع ليوم السقيفة حتى تكون مستعدة أو مهيئة لاستقبال الذين يقدمون إلى بيعة أبي بكر، بل كانت سقيفة قد هُيئت بجريد نخل وسعف لاجتماع بني ساعدة وهم فخذٌ من الخزرج.

٩- المفاجئة بالنسبة إلى الفئة الخاصة من المهاجرين هو أنه لم يكن يدور في خلدِهم أن الأنصار يسبقونهم بشيء وإنما كانوا يريدون أن تكون الأنصار من جهات عديدة تبعاً لقريش.

١٠- أن الأنصار بشهادة أبي حفص كان موقفهم موقفاً انفعالياً، لأنهم علموا بأن فئة من المهاجرين يريدون أن يقلعوه من جذورهم وأن لا يكون لهم من الأمر شيء، فأقدموا على أن يكون لهم أمير من تلقاء أنفسهم.

١١- اتفق أهل السنة على أن بيعة أبي بكر بن أبي قحافة انعقدت بواحد أو اثنين.

١٢- أن بيعة أبي بكر في رأي صاحبه أبي حفص كانت فلتة ووقى الله شرّها.

١٣- أبوبكر في رأي أبي حفص بالإضافة إلى حدة كلامه، كان حاد المزاج.

١٤- البيعة إنما تكون تعهداً والتزاماً بأداء الحق لمن له حق الطاعة والولاية لا أنها توجد هذا الحق ولم يكن بعد للمبايع له الحق.

١٥- كلمة «أهل الحل والعقد» لم تكن موجودة يوم السقيفة وإنما افتُعلت في ما بعد كي تتناسب مع واقع الأمة يومذاك.

١٦- المؤامرة على غصب الخلافة كانت من عهد رسول الله ﷺ.

١٧- أبوحفص يُقرّ بأن أمير المؤمنين عليه السلام والزبير كان لهما رأي آخر غير الرأي الذي طرحه هؤلاء الثلاثة في السقيفة.

١٨- أساس النزاع بين الأنصار والفئة الخاصة من المهاجرين (أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجراح) في السقيفة كان قائماً على الإمرة لا على الخلافة، فموضوع الخلافة لم يكن وارداً في أصل البحث وإنما الوارد هو «وحدة الأمراء أو تعددهم».

١٩- لا شك في أنّ الإمرة تحتلّ التعدد كما أنّها حصلت في حياة رسول الله ﷺ، أمّا كلمة «ال خليفة» لا تحتلّ إلاّ شخصاً واحداً يحلّ محلّ المستخلف، لأنّ الخليفة يُقصد منه أن يخلف رسول الله ﷺ في مقامه.

٢٠- كلمة «ال خليفة» سُرقت حتى يصحّحوا بها ولكي يحلّ الأوّل محلّ رسول الله ﷺ في كلّ ما له من الشأن والمقام، وفيما بعد أيضاً سُرقت الألقاب التي كانت تصحّ في موردٍ، فصحّحوا بها ما لا يكون صحيحاً وزيّفوا بها ما كان صحيحاً.

٢١- الحجة الوحيدة التي احتجّ بها الفئة الخاصة من المهاجرين على الأنصار يوم السقيفة هو أنّ العرب لا تخضع إلاّ لقريش، وسائر الحجج التي وردت في أحاديث السقيفة هي مفتعلة.

٢٢- الأنصار وعدوا بأن يكونوا وزراء ولكنهم إلى آخر الأمر كانوا هم السواد الأعظم الذي أهمل.

٢٣- قبيلة أسلم من القبائل التي كانت في أطراف المدينة وكانت معروفة بالنفاق وهي التي أجرت دوراً مهماً في تثبيت البيعة لأبي بكر.

٢٤- إنّ النزاع والشجار الذي وقع بين الصحابة حرّمتنا الكثير من الأحكام، منها: الطرح الذي كان الله سبحانه وتعالى قد أقرّه وكان رسول الله ﷺ هو الذي يعمل به ويؤكّده، هو أنّ المركزية لم تكن في السلطة وإنّما كانت في الجهة القيادية التشريعية.

الفصل الأول

ما روي عن الصحابة في أحداث السقيفة

حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب

نبدأ بالحديث الذي اتفق عليه كلّ المحدثين وأخرجوه في صحاحهم ومسانيدهم وهو حديث عبدالله بن عباس، هذا الحديث فيه نقاط توضح ما جرى في السقيفة ممّا يحتاج إلى دراسة مستوعبة، والحديث ينتهي فيه حكاية الخليفة عمر بن الخطاب أبو حفص، وقُدّم هذا الحديث لأنّ فيه أشياء لم تذكر في غيره وهو جزء من شخص يكون المدافع والمحامي الأوّل والذي كان سيفاً للخليفة الأوّل، سيفاً يشهره في وجه خصومه وهو أبو حفص عمر بن الخطاب.^١

وهنا يجب أن ننبه بأنّ هذا الحديث من الأثر لا من السنّة، لأنّ أبا حفص يحكي عملهم بعد رسول الله ﷺ وقد اصطلحوا عليه بأنّ ما كان لعمل الصحابة بعد

١. جاء في أحاديث السقيفة: إنّ وفداً وفدوا على أبي بكر، فقالوا: إنّنا وفدنا على رسول الله ﷺ فوعدنا بوعده وهل أنت موف لنا بذلك؟ قال: نعم، وكتب لهم كتاباً، فلما خرجوا لقوا سيف أبي بكر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب، فأقرأوه الكتاب فأخذه فمزّقه فرجعوا إلى أبي بكر، فقالوا: أنت الخليفة أم عمر؟ قال: أنا الخليفة، ولكن عمر هو النافذ في كلّ ما يقول ويفعل. [انظر: الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ١٥٢/٢ - ١٥٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٩/ ١٩٥ - ١٩٦]. (العلامة الجعفري ﷺ)

النبي ﷺ يسمّونه الأثر^١ وما كان للصحابة زمن رسول الله ﷺ بحيث يكشف عن رضى الرسول ﷺ يسمّونه بالسنة.

يقول ابن عباس في قصّة: كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف، ثم يقول: جاءه عبدالرحمن، وقال: ليتك كنت حاضراً فتسمع الخليفة أبا حفص حينما بلغه قول قائل يقول: لو قد مات فلان - أي: الخليفة عمر بن الخطّاب - لبايعت فلاناً وإن بيعه أبي بكر كانت فلتة فتمّت، ومن ثم يروي عن الخليفة عمر بن الخطّاب ويحكى عن خطبته، كما يلي:

عمر في آخر حجة

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أَقْرَأُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - الَّذِي كَانَ عَمْرُهُ يَوْمَ ذَاكَ مَا يَقْرُبُ مِنَ السِّتِينَ وَابْنُ عَبَّاسٍ حِينَما تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَانَ عَمْرُهُ حَدُودَ الرَّابِعِ عَشَرَ وَحَيْثُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، أَيْ: فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ فَكَانَ عَمْرُهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ بِلِ الْحَفِيدِ

١. انظر: ابن حجر العسقلاني، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر/ ٦٤ - ٦٧؛ ابن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي/ ٤٠؛ الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح، ٤١٧/١ - ٤١٨؛ السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ٢٠٢/١ - ٢٠٣؛ الكحلاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ٢٣٧/١.

لعبدالرحمن بن عوف. قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف، وإذا تنبها إلى أن هولاء المهاجرين كلهم هاجروا بهجرة النبي ﷺ لم يكن فيهم من مهاجرة الفتح لأن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: لا هجرة بعد اليوم، فحينما يقول ابن عباس: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين يقصد بهم المهاجرين الذين سبقت هجرتهم عام الفتح وأغلبهم ممن هاجر بهجرة رسول الله ﷺ.

ثم قال: فَبَيَّنَّا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمَنَى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا - أي: بينما أنا كنت في خيمة عبدالرحمن بمنى وكان هو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها وهي الحجة التي طعن بعدها بأيام - إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلَنَةً^١ فَتَمَّتْ - أحد القائلين هو عمار بن ياسر الذي كان ينادي في أواخر خلافة عمر «لو قد مات عمر لبايعت علياً»، المعارضة كانت معروفة لأن عمر عُيِّنَ بتعيين أبي بكر لا أنه انتُخِبَ حتى يكون هناك مناقصة في الخليفة والاستخلاف - فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ، فَمَحَذَّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ - أي: إني أخطب هذه العشيّة في عرفات خطبة في الناس وأحذرهم أمر هولاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم -.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاةَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ - الموسم يجمع كل طائفة وفئة ومن أسقاط الناس وغوغائهم - فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ - أي: هؤلاء هم الذين يحيطون بك ويقربون إليك حين تقوم، وأما الذين يعون فهم بعيدون عنك وعن سماع قولك - وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا، وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا - أي: أنا أخشى أن تقول شيئاً لا يفهمه بوجهه فيُحَرِّفه وينقله عنك - فَأَمْهَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعْبِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ - وأول ما أتى إلى المدينة خطب بها خطبته في أول جمعة بعد رجوعه إلى المدينة -.

رجوع عمر إلى المدينة وخطبته فيها

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي الْحِجَّةِ - أي: في القسم الثاني من شهر ذي الحجة - فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فلما رجع أبو حفص إلى المدينة وهذا كان في يوم الجمعة، أي: اليوم الثالث والعشرين من ذي الحجة، وطعن أبو حفص في يوم الاثنين السادس والعشرين من ذي الحجة، وتوفي بعد يومين في اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة، واستخلف عثمان في أول محرم من سنة ٢٤ من الهجرة - عَجَّلْنَا الرُّوَا حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ - حتى نكون بقرب من أبي حفص فنسمع ونعي ما يقول - حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ - وهو بمعنى ابن عم الخليفة - جَالِسًا إِلَى رُكْنِ الْمَنْبَرِ - أي: مستنداً إلى المنبر - فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ

- لَأنَّه كَانَ مُسْتَنْدًا وَاضِعًا قَفَاهُ (ظَهَرَهُ) إِلَى الْمَنْبَرِ وَرَكِبْتَهُ أَمَامَهُ فَتَمَسَّ رَكْبَتِي رَكْبَتَهُ -
 فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - أَي: أَوَّلُ مَا جَلَسْتُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ زَمَنٌ إِلَّا
 وَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ:
 لَيَقُولَنَّ الْعَشِيَّةَ - وَهِيَ هُنَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى الْمُنْتَصَفِ مِنَ اللَّيْلِ حَسَبَ الْمَنْهَجِ الْغَرْبِيِّ فِي
 السَّاعَاتِ الزَّوَالِيَةِ، بَلْ بِمَعْنَى مَا بَعْدَ الظُّهْرِ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ الصَّبَاحُ وَمَا بَعْدَهُ تَكُونُ
 الْعَشِيَّةَ - مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، فَأَنْكَرَ عَلَيَّ، وَقَالَ: مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ
 يَقُلْ قَبْلَهُ - مَا أَكْثَرَ مَا قَالَ وَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا إِلَّا قَالَهُ -.

فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ، فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ
 قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لَا أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيَّ
 أَجَلِي - وَصَدَقَ أَبُو حَفْصٍ وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيَّ أَجَلُهُ، لِأَنَّهُ طَعَنَ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ
 مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، أَي: سَنَةِ ٢٣ مِنْ الْهِجْرَةِ، وَتَوَفَّيَ فِي الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ
 وَالْعِشْرِينَ، وَاسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ فِي أَوَّلِ مُحَرَّمٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ. هُنَاكَ آرَاءُ
 وَأَصَحُّ الْأَرْأَاءِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ بِأَنَّ هُنَاكَ مُؤَامَرَةً تَحَاوَلَ
 اغْتِيَالُهُ وَلَا أَدْرِي هَلْ كَانَ يَعْلَمُ فَلَا يَجْرَأُ أَنْ يَكْشِفَهَا أَمْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ إِلَّا مَبْهَمًا، هُنَاكَ
 كَثِيرٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي قَالَهَا أَبُو حَفْصٍ حِينَمَا طَعَنَ، مِنْهَا قَوْلُهُ هَذَا: «لَا أَدْرِي لَعَلَّهَا
 بَيْنَ يَدَيَّ أَجَلِي» يَعْنِي: فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يَنْتَهِي فِيهَا عُمْرِي - فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاَهَا
 فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ - إِنْ كَانَ الشَّخْصُ عَقَلَهَا وَوَعَاَهَا فَلْيَتَحَدَّثْ

بها إلى أي مكان بلغ - وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقِلَهَا فَلَا أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ -
والحال أن رسول الله ﷺ يكذب عليه^١ ولم يكن هناك فئة تتأثر له -.

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ
مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وآله] وَسَلَّم وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى أَنْ تَطَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا
نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ
حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبْلُ أَوْ
الْإِعْتِرَافُ.

هناك أحاديث متواترة عن رأي أبي حفص أن مما أنزل من القرآن آية الرجم وقد
اختلفت الصيغة التي حُكيَت عنه وإن شاء الله الآن نمهد وفيما بعد سنأتي إلى هذه
الأقوال^٢، لأن هذه الأقوال تكشف عن نوع من الحديث الذي نحن بحاجة إلى
استيعابه، هناك آية الجلد: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^٣
ولكن آية الرجم ليست موجودة في قرآننا هذا.

١. «...وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ
كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ...».

(الكليني، الكافي، كتاب فضل العلم «باب اختلاف الحديث»، ١/٦٢ = ١)

٢. وللأسف لم يتعرض العلامة ﷺ إلى هذه الأقوال.

٣. النور (٢٤)/٢.

ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيهَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: «أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كُفِّرَ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ» أَوْ «إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ»^١.

هذه آية يدعيها عمر بن الخطاب فيما يُسند إليه أنه مما أنزل من القرآن قول الله عز وجل: «أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفِّرَ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ» أَوْ «إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ»، ولا ندري أن هذا الترديد من ابن عباس أو من الخليفة نفسه فإنه نسي الآية الثانية التي يدعي بأنها كان مما يقرأها زمن رسول الله ﷺ. وعلى هذا الأساس، حينما دَوَّن الدواوين جعل القبائل كما كانوا يدعون وأمير المؤمنين عليه السلام كان له رأي في أن هؤلاء كثيرٌ منهم أَدْعَاءٌ في النسب، ولكن الدواوين دَوَّنت زمن عمر بن الخطاب^٢ وصُنِعَ فيها ما صُنِعَ ولا نقول ما صَنَعَ.

أَلَا تَنْتَظِرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ.

١. الراوي مرددٌ في الآية التي حَفِظَهَا أبو حفص من كتاب الله هل هي: «فإنه كفرٌ بكم» أو «إن كفرًا بكم».

(العلامة الجعفري رحمه الله)

٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ٢٣هـ - [عمر بن الخطاب] حمله الدرة وتدوينه الدواوين، ١ - ٤ / ٢٧٤٩ - ٢٧٥٠ (طبعة دار المعارف: ٤ / ٢٠٩)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٥ / ١٢.

رأي أبي حفص بالنسبة إلى بيعة أبي بكر

ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ [قَدْ] مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا - يَذْكُرُ أَنَّ الْقَائِلِينَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ (رَضَوَانِ اللَّهُ عَلَيْهِ) الَّذِي كَانَ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ عَلِيًّا عليه السلام فَإِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً فَتَمَّتْ يَعْنِي: تَمَّ مَشِيهَا وَرَضَخُوا بِهَا، فَأَنَا الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنَ الَّذِي بَايَعَ أَبَابَكْرَ وَعَلِيٌّ عليه السلام أَقْوَى مِنَ الَّذِي بَوَّعَ لَهُ، وَيَذْكُرُ أَيْضًا أَنَّ الْمَقُولَ اثْنَانِ - فَلَا يَغْتَرِّزَنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ - أَيْ: لَا يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَتَمَّتْ - أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَفَى شَرَّهَا - هُنَا أَبُو حَفْصٍ لَمْ يَصْرَحْ بِالْمَفْعُولِ بِهِ وَلَا نَدْرِي وَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهَا؟ أَوْ وَفَى اللَّهُ الْيَهُودَ أَوْ النَّصَارَى؟! ثُمَّ يُثْنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَيَقُولُ: - وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقَطِّعُ الْأَعْنَاقَ إِلَيْهِ - أَيْ: تُمَدُّ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ - مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ.

هذا رأي أبي حفص في مَنْ استخلفه ولا يهْمُنَا صحته أو عدم صحته، يَعْنِي: أَنَّ أَبَابَكْرَ لَوْ كَانَ فِي جَمْعٍ يَحْضُرُهُمْ لَشَرِبَتْ وَمَدَّتْ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقَ لِأَنَّهُ كَانَ يَمْتَازُ بَيْنَهُمْ، وَلَا نَفْسٌ مَنْ تُقَطِّعُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقَ بِـ «مَنْ تَضْرِبُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقَ»، وَإِنْ كَانَ لِهَذَا التفسير وجه يشير إليه كثير من القضايا التي دارت بين أبي بكر وعمر أو التصريح الذي كان يُصرِّح به أبو حفص بعد وفاة أبي بكر.

مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَبَايِعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ، تَغَرَّةٌ أَنْ يُقْتَلَ.

يقول أبو حفص: أَنَّ مَنْ بَايَعَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ، أَيْ: تَفَرَّدَ بْبَيْعَةِ شَخْصٍ حِينَما بَوَّعَ فَلَمْ يَسْتَشِرْ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَبَايِعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغَرَّةٌ أَنْ يُقْتَلَ، وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ «المبايع» و«المبايع له» جزاها أن يقتلا، أَيْ: وَجْزَاهُمَا أَنْ

يقتلها المسلمون أينما وجدوها، لا أئهما يتحاكمون في أمرهما إلى القضاة فإن أفتى القضاة بفتوى القتل يقتل المبايع والمبايع له، بل جزاهما أن يقتلها المسلمون أينما وجدوها.

وقفه قصيرة

أولاً: الحديث الذي يتكلم عن الرجم وأن رسول الله ﷺ رجم، لا شك فيه، أما أن الرجم هل أنزل فيه آية أم سنه رسول الله ﷺ لا نقول فيه شيء! هناك أحاديث في طرق الإمامية أيضاً تشير إلى هذا ولا نتكلم عنها. وعلى هذا فالخليفة عمر بن الخطاب يتفق في ما أسند إليه بصورة متواترة أن «آية الرجم» كانت في كتاب الله. ثانياً: في قوله: «أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم» أو «إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم»، هذا أساسه أنه خطب الخليفة عمر بن الخطاب يوماً، فقال: لا تطعنوا في أنسابكم فإنه إن طعنتم لا يخلصوا منكم أحد. فقال له قائل: وأنت؟ فلا نقول ماذا قال. ١ أساسه أن أنساب الجاهلية يجب أن تحفظ

١. «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، قَالَ: مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رض) عَلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَحْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي حَيْشٍ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ النَّسَبَ، فَجَاءَ عُمَرُ (رض) حَتَّى سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ جَاوَزَهُمْ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَظَنْنَا أَنَّهُ سَيَتَكَلَّمُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْفُوا الطَّحِينَ وَأَمْلِكُوا الْعَجِينَ، وَخَيْرُ الطَّحِينَ مِلْكُ الْعَجِينَ، وَلَا تَأْكُلُوا الْبَيْضَ فَإِنَّمَا الْبَيْضُ لِقَمَّةٍ، فَإِذَا تَرَكْتُمْ كَانَتْ دَجَاجَةً ثَمَنَ دِرْهَمٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ فِي النَّسَبِ، اعْرِفُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ وَتَأْخُذُونَ بِهِ وَتَقْطَعُونَ بِهِ، وَاتْرُكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ، لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ وَرَاءَ الْخُطَابِ، فَإِنَّهُ لَوْ قِيلَ لَا يُخْرَجُ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ إِلَّا بِهِمْ بَنُ هُبُوبٍ مَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَقَالَ مَحْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: إِذْنُ أَخْرَجُ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ: إِذْنُ أُمْسِكَ لِمَا قِيلَ فِيكَ وَمَا

كما كانت، ولا ندري أي أثر في هذه الأنساب بعد الإسلام؟! وأثرها كبير، يكفيكم أن عمار بن ياسر يوم صفين انضم إلى بني مخزوم لأنه كان حليفاً لهم.^١

ثالثاً: ما الذي يقصده من «الفلته» في قوله: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وتمت؟» «الفلته» يعني: فلت الأمر من يد الأمر أو الذي يكون هو المجري فلت منه فلتة لم تكن مقصودة وكانت على خلاف القواعد التي يجب أن تراعى، هذا أخف ما قيل في معنى «الفلته»^٢، وأما الذي يقوله المحدثون والذي يقوله علماء فقه الحديث وغيرهم في معناها، فذاك أسوء من هذا المعنى. نحن لا نحتاج إلى أن نبحت في كتب اللغة عن معنى «الفلته» وكيفينا أن أبا حفص فسرها بوضوح، «كانت بيعة أبي بكر فلتة ولكن الله وقى شرها» يعني: أن بيعة أبي بكر كانت في حد ذاتها شراً أو جالبة للشر، ولكن وقى الله المسلمين شرها، فمعنى «الفلته» الشر، ولا يهمننا أي تفسير فسرت الكلمة لأن هذه الكلمات تُفسر حسب الأهواء لا حسب التفسير الذي ينسجم مع الواقع، والنص يكفي، إن أبا حفص يرى أن «الفلته» هي التي تجلب الشر، ولا ندري هل يقصد من «الفلته» التي تجلب الشر، الشر المتعمد وحده

فِي قَوْلِكَ، قَالَ: فَكَأَنَّ عُمَرَ (رض) سَرَّهُ ذَلِكَ.

وَيُرْوَى فِي غَيْرِ هَذَا الْإِسْنَادِ: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَاطِبٍ قَالَ: إِذْ نَ حَرَجْتُ مِنْهُ أَنَا وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عُمَرُ (رض): لَوْ رُمْتَ ذَلِكَ آخِذاً بِثَوْبِكَ، وَقِيلَ اجْلِسْ حَارِ. (ابن شبة، تاريخ المدينة، ٧٩٦-٧٩٧/٢)

١. انظر ترجمته: البلاذري، أنساب الأشراف «عمار بن ياسر»، ١٥٦/١ - ١٧٥ = ٣٤١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب «باب عمار»، ١١٣٥ - ١١٤١ = ١٨٦٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٤٥ - ٢٦٠ = ٨٩.

٢. انظر معنى الفلته في: الجوهري، الصحاح، ١/٢٦٠؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/١٥٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ٥/٢٦ - ٣٣؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ١٤/٢٠٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/٦٧ - ٦٨؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ٢/٦٩٩.

أو الشر سواء كان الفاعل للفلتة يعلم بسوء عمله - أي: يعلم بأن عمله يجلب الشر - أم لا يعلم؟! ولنفرض بالتنازل أن الشر كما يفسره أبو حفص، يعني: أنه شر لا يختص بالفاعل الذي يفعل كي يجلب الشر ولا يقصد ولا يختص بالشر المتعمد، الشر سواء كان متعمداً أم غير متعمد ولكن وقى الله المسلمين شرّها - أي: بيعة أبي بكر -.

وهنا سؤال يطرح نفسه على أبي حفص وهو إن كانت بيعة أبي بكر فلتة فما الذي جاز لابن الخطّاب أن يكون خليفة بتعيين أبي بكر؟ ولماذا لم يرجع في هذا الأمر إلى المسلمين؟ فلنفرض أن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله المسلمين شرّها وأعاد إليهم خيرها، ولكن لماذا لم يشر أبو حفص ولم يستشر المسلمين في أنهم هل يرضون بخلافته أم لا؟

رابعاً: في قوله: «من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا»، يقول الخليفة أبو حفص: إن الأمر شورى بين المسلمين، فمن بايع رجلاً بغير مشورة من المسلمين جزاؤه أن يقتل البايع والمبايع، يعني أتمها في معرض أن يقتلها المسلمون لأنهما استأثرا بأن حسما الأمر بينهما من غير أن يُشاورا المسلمين.

نحن لم نحضر يوم السقيفة ولم نحضر خطبة أبي حفص في السنة الثالثة والعشرين في آخر جمعة من ذي الحجة كي نسأله! ونرجوا أن يمكننا الله من مُسائلته يوم القيامة بأن المشورة بماذا تكون؟ هل تكون بالمسلمين بمن يمثلهم أهل المدينة؟ أو بمن يمثلهم أهل الحل والعقد؟ يعني «الذين يحلون ويربطون» كما في المصطلح العراقي، أي: الذين إن كانت هناك مشكلة بإمكانهم أن يحلوها فتحلّ العقدة

وبإمكانهم أن يعقدوها فتكون مشكلة لا تنحل إلا إذا غيروا رأيهم، لا ندري ما الذي يقصده أبو حفص؟!!

فمهما كان فإن كان قصد أبي حفص من قوله: «أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ولكن وقى الله المسلمين شرّها» [أن بيعة صاحبه كانت شرّاً وأن الله وقى المسلمين هذا الشرّ] فلماذا سعى إلى أن يستخلفه أبو بكر، بحيث أنه إنما كان خليفة باستخلاف أبي بكر له؟! فالفلتة إن صحّت وقد اعترف بها أبو حفص فلماذا رتب آثار الخلافة على استخلاف أبي بكر من غير مشورة بين المسلمين؟! فإن كانت بيعة أبي بكر فلتة فما الذي حدى بعمر أن يرضى باستخلاف أبي بكر من غير أن يرجع إلى مشورة من المسلمين؟! نعم، لأنّه لم يكن يخشى سيفاً كان غيره يخشاه إن مدّ إليه.

خامساً: يقول المؤرخون بما فيهم كتب الحديث المعتمدة عند إخواننا غير الإمامية: إن المسلمون كانوا في مسجد رسول الله ﷺ فدخل أبو حفص عمر بن الخطاب وبيده جريد نخل يضرب به رؤوس الناس، ويقول اسمعوا لخليفة رسول الله وأطيعوه وخلفه «يرفع» - حاجب أبي بكر وغلّامه الخاص -، فوقف أبو حفص عمر أمام المنبر وصعد «يرفع» في الدرجة الأولى وقرأ وصيّة أبي بكر لعمر بن الخطاب^١.

١. * «حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُثْمَانَ الْقُرْقُسَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَجْلِسُ وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَبِيَدِهِ جَرِيدَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، إِنَّهُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَكُفُّمْ نَصْحًا. قَالَ: وَمَعَهُ مَوْلًى لِأَبِي بَكْرٍ يُقَالُ لَهُ: شَدِيدٌ، مَعَهُ الصَّحِيفَةُ الَّتِي فِيهَا اسْتِخْلَافُ عُمَرَ». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٣ هـ «ذكر استخلافه عمر بن الخطاب».

والقصة خلفيتها أن أبا بكر أراد أن يوصي وكان الذي يكتب عثمان، في حين الكتابة أغمي على أبي بكر - ولا نقول أنه كان في موضع يهجر لأن من صالح أبي حفص أن لا يهجر الخليفة الأول، نعم رسول الله ﷺ مع أنه كان صاحباً قبيلاً بأنه قد غلبه الوجع، وقيل بأنه يهجر، وأما الخليفة الأول بعد ما أغمي عليه... - فكتب عثمان من تلقاء نفسه «وأن الخليفة بعدي عمر بن الخطاب» - وهذا متفق عليه بين المؤرخين -، فلما ارتفع الإغماء عن الخليفة الأول وأفاق قرأ عثمان عليه ما كتبه، فقال أبو بكر: يا أبا الله ورسوله والمؤمنون إلا ابن الخطاب.^١

* «حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَبِيَدِهِ عَسِيبٌ نَخْلٌ، وَهُوَ يُجْلِسُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: أَسْمَعُوا لِقَوْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: فَجَاءَ مَوْلَى لِأَبِي بَكْرٍ يُقَالُ لَهُ شَدِيدٌ بِصَحِيفَةٍ، فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِمَنْ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَوَاللَّهِ مَا أَلُوْثُكُمْ. قَالَ قَيْسٌ: فَرَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ. (ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي «ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب»، ١٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤ =

١٨٩٠٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٩٦ = ٢٣٩٢)

١. «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: دَعَا أَبُو بَكْرٍ عُمَانَ خَالِيًا، فَقَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهْدَ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ، قَالَ: ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَلَمْ أَلِكُمْ خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَكَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَرَأَيْكَ خِفْتُ أَنْ يَخْتَلِفَ النَّاسُ إِنْ أَفْتَلَتَ نَفْسِي فِي عَشِيَّتِي! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَقْرَهَا أَبُو بَكْرٍ (رض) مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٣هـ «ذكر استخلافه عمر بن الخطاب»، ١ - ٤/ ٢١٣٨ - ٢١٣٩ «طبعة دار المعارف: ٣/ ٤٢٩»؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٩٦ -

٣٩٨ = ٢٣٩٣ و ٣٩٩ = ٢٣٩٧)

«يأبى الله ورسوله» من أين اتصل؟! هل نزل على أبي بكر الوحي في اغمائه؟! نعم، إن كان أحسّ بأنّ المسلمين يرضون بعمر فكيف علم رأي الله ورأي رسوله حينما قال: يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلّا ابن الخطّاب؟! لا ندري، إن شاء الله في اغمائه نزل عليه الوحي؟! باتفاق جميع المؤرخين كان رسول الله ﷺ في صحوة ولكن قيل له: «إنّ الرجل ليهجر»^١، «قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله»^٢، ولكن الخليفة الأوّل الذي باتفاق جميع المحدثين والمؤرخين يغمى عليه، يقول بعد افاقته: يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلّا ابن الخطّاب [ولم يكن فيه شيء]؟!!

اجتماع الأنصار في السقيفة

ثمّ يستمر الحديث فيقول حاكياً عن الخليفة عمر بن الخطّاب:
وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَيْرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم إِلَّا أَنْ
الْأَنْصَارَ خَالَفُونَا، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ.

١. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته)، ١١/٦؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الهبات (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه)، ٣/١٢٥٧ - ١٢٥٨ = ٢٠ - ٢١ (١٦٣٧)؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتبه لأُمّته في مرضه الذي مات فيه)، ٢ - ٢/٣٦ و ٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٢٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته)، ١٢/٦؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الهبات (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه)، ٣/١٢٥٩ = ٢٢ (١٦٣٧)؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتبه لأُمّته في مرضه الذي مات فيه)، ٢ - ٢/٣٧؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١/٣٢٤ - ٣٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٢٤.

هنا يفرض أن المهاجرين أصحاب حق وأن الأنصار هم الذين خالفوهم^١ واجتمعوا لتأخير شخص آخر غير الذي كان المهاجرون ينوون تأخيرهم.

السؤال هنا: أن هذا الحق من أين جاء للمهاجرين؟! يدعون بأن رسول الله ﷺ ترك الأمر همتلاً ولم يُعَيِّن أحداً ولو بإشارة. إن قالوا: أنه أشار، نقول: إن إشارته لم تتم، لأنه ذكرنا في صلاة أبي بكر أن الذي يتفق عليه أحاديث عائشة كلها هو: أن رسول الله ﷺ في صلاة الغداة - أي: صلاة الصبح - توضأ وهب أن يذهب إلى الصلاة فأغمي عليه، حينما أفاق، قال: أصلى الناس؟ قالوا: هم ينتظرونك يا رسول الله. فدعا بالمخضب - أي: الإناء الذي كان يتوضأ فيه - فتوضأ فأغمي عليه، فأفاق، قال: أصلى الناس؟ قالوا: هم ينتظرونك يا رسول الله. فدعا بالمخضب فتوضأ فأغمي عليه. وحصل هناك شجاراً أو شيء آخر غير الشجار بين السيدة عائشة والسيدة حفصة فأرادت عائشة أن يُقدَّم أبوبكر وأرادت حفصة أن لا يُقدَّم، والنتيجة: أن أبابكر قُدِّم للصلاة بلا إذن من رسول الله ﷺ، فأفاق النبي ﷺ، فقال: أصلى الناس؟ قالوا: صلى بهم أبوبكر. فخرج يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطآن الأرض، فجاء ونحى أبوبكر (أو تنحى)، فجلس رسول الله ﷺ في المحراب وأمَّ الناس، وكانت عائشة تقول: فصلّى أبوبكر بصلاة النبي ﷺ وصلّى الناس بصلاة أبي بكر.^٢

١. سيأتي أن الأنصار لم يجتمعوا كلهم في سقيفة بني ساعدة وإنما اجتمع فئة من الخزرج قد التفوا بزعيمهم سعد بن عباد في ذلك المكان. (العلامة الجعفري)

٢. انظر: كتاب «أحداث مرض النبي ﷺ» للعلامة الجعفري، وقد بحث هذا الموضوع مفصلاً.

إذا حذفنا بعض الصُّور التي تُوحي بالعمل الخاطيء معنى ذلك: أنَّ المسلمين كانوا لا يعلمون بعملِ رسول الله ﷺ لأنَّه كان من جلوسٍ ولا يمكنهم رؤيته، فمن عمل أبي بكر الذي كان يقف خلف النبي ﷺ يكشفون عن ركوع وسجود رسول الله ﷺ. فالنتيجة أنَّ إشارة النبي ﷺ على مبنا هؤلاء لم تتم.

وقفة قصيرة

تعبير «أهل الحل والعقد» ومكانة الخرج في المدينة

تعارف من القرن الثالث أو الرابع الهجري التعبير بـ «أهل الحل والعقد»^١ بعد ما اتفقوا على أنَّ الخليفة الأوَّل وهو أبو بكر بن أبي قُحافة انعقدت بيعته بواحد - وهو أبو حفص - أو اثنين، لأنَّه تنازع ثلاثة (وهم أبو بكر وعمر بن الخطَّاب وأبو عبيدة بن الجراح) فكلُّ منهم أراد أن يُحمِّل صاحبه الخلافة.^٢

١. لعلَّ من أوَّل من استعمل هذا التعبير أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ)، ثمَّ أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة (٤٠٣هـ)، ثمَّ استعمله فيما بعد أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ) وأبو يعلى الفراء المتوفى سنة (٤٥٨هـ) وهما متعاصران، ثمَّ شاع هذا التعبير فيما بعد. (انظر: الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة/ ٢٥٨؛ الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل/ ٤٦٧ - ٤٧٠، ٤٨٠، ٥١٤ و ٥٢٧؛ الماوردي، الأحكام السلطانية/ ٢٢ - ٢٣، ٣٤؛ الفراء، الأحكام السلطانية/ ٢٣ - ٢٦)

٢. ويقصدون في لهجتنا العراقية: «إليَّ ايشدُّون وإليَّ ايجلُّون» عيناً مثل الدابة التي تنشدُّ إلى صارية أو عمود، أو تنحل حينها يريدون يحملوها ائثالاً ما حملوهم. (العلامة الجعفري ﷺ)

٣. وجاء في الحديث رأي أبي حفص بالنسبة إلى الخليفة الذي سبقه؛ يذكر: أنَّ شخصاً كان يحاوره وقال: إنَّ أبا بكر لم نجد فيه حسداً، لأنَّه في بادئ الأمر اقترح عليك أنت أو على أبي عبيدة أن يبايعكما. فقال: أحسد الناس في قريش أبو بكر، أراد أن يمتحنني ويمتحن أبا عبيدة بأننا هل نطمع في أن نسبقه بالخلافة أم لا؟ [انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٠ - ٣٤].

(العلامة الجعفري ﷺ)

لتوضيح هذه النقطة نقول: إنّ سقيفة بني ساعدة كان فيها فخذٌ من الأنصار وهم الخزرج. نعم، الخزرج وإن كانوا أكثر عدداً من الأوس وكانت فيهم السيادة لكثرة عددهم، ولكنّ هذا إنّما كان لكي ينصبوا أميراً على أنفسهم، ولأجل هذا وجد الأوس في نصب سعد بن عبادة نوعاً من الهوان والذلّ لأنفسهم - لا الإهانة - فصنّعوا بالخزرج ما صنعوا.

وبلا شك أنّ سعد بن عبادة كان أميراً وورثه ابنه وكرمه المتدفق قيس بن سعد الذي كان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان كريماً جداً وقضاياه كثيرة، من يرجع إلى تاريخ قيس بن سعد بن عبادة يجد أنّه كان كريماً جداً، وهذا الكرم ورثه من أبيه سعد بن عبادة، فالكرم أساسُ المشيخة في الخزرج.

نعم كان سيّد المنافقين في التاريخ الإسلامي - كما يقولون - عبدالله بن أبيّ بن سلول وهو الذي يذكر المؤرخون أنّ الخزرج كانوا يجمعون الخرز كي يتوجّوه بها، لأنّ يومذاك لم يكن عندهم الذهب والفضّة حتى يصوغون منها تاجهم، قبل أن يهاجر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل وقبل أن يتصل بهم، فلما هاجر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن أسلموا في العقبة الأولى والثانية سقط ما في يد عبدالله بن أبيّ بحيث أصبح مضطراً إلى أن يُجامل رسول الله (صلى الله عليه وآله). فعبدالله بن أبيّ - إن صدق ما قال هؤلاء - كان

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ٦هـ (ذكر غزوة بني المصطلق)، ١ - ٣/١٥١٣ (طبعة دار المعارف: ٢/٦٠٦)؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢٣٤، ٣/٣٠٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢/٢٦٥؛ سير أعلام النبلاء، ١/٤٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٧٧؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ٣/٤١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/٢٨٣؛ الطبرسي، مجمع البيان، ١٠/٢٢؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٧/٩٠.

يَتَرَأْسُ المنافقين لا برباط القبيلة وإنَّما برباط الفكر. نعم، عبدالله بن أبيّ كان شخصيّة بارزة فاجتمع إليه فئة من المنافقين، لأنّ فكرتهم كانت كِفكرته، وإن كان هو يُجَاهِر بها وغيره كان أضعف شخصيّة من أن يُجَاهِر بفكرته غير المؤمنة، أمّا الأوس لم يكن فيهم شخصٌ بارز.

فالذين كانوا يعيشون في المدينة المنورة كانوا على قسمين: قسم آمن برسول الله ﷺ فإن كان مسلماً مدنيّاً سُمّي بالأنصاري وإن كان مهاجراً من خارج يثرب - أي: المدينة المنورة - كان يُسمّى بالمهاجر، وقسم كان ينحاز إلى عبدالله بن أبيّ والذي كان ينحاز إليه كان يختلف مع المسلمين في أصل العقيدة، يعني: لم يكن يعتقد بها آمن به المسلمون أو بما تظاهر به فئة منهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾^١، وهذا كان واقع الحال.

والنتيجة، أنّ قبيلة الأنصار كانت تنقسم إلى خزرج وأوس، والخزرج كانوا أكثر عدداً من الأوس وكانت قبيلتهم يحكمها سعد بن عبادَة والدليل على ذلك أنّه كان مأوى لقبيلته بل كان كرمه يتجاوز قبيلته، كما أنّ كرم ابنه قيس بن سعد كان يتجاوز القبيلة، بل كان يشمل أهل المدينة، بل كان يشمل كلّ من كان يأتيه ولو من بعيد - سواء أكان ينتسب إليه برباط قبلي أم لا -، فأساس شخصيّة سعد بن عبادَة كانت شخصيّة مرموغة تجود على غيرها بما لا يجود غيرها على البقية، فكانت له

السيادة، وعلى هذا الأساس لا زال التركيب القبلي قائم على هذا النوع من الإجادة أو الجود.^١

فإذاً الخزرج اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لكثرة عددهم ولكي يؤلوا عليهم سعد بن عباد كأمير لهم وجاءهم المهاجرون الثلاثة - أي: أبوبكر وعمر وأبو عبيدة - وناقشوا فخدعهم أو أفنعهم فانتصروا عليهم أو افترتوا على الرأي العام في المجلس يومذاك، وكلهم فازوا لأنهم جعلوا الأوس تنتصر لهم نكايَةً للخزرج كما يذكر المؤرخون، فأين كان تعبير «أهل الحل والعقد» يومذاك؟! وأشبه شيء بأهل الحل والعقد «الذين يحملون الدابة أو يربطونها»، أهل الحل والعقد أو الذين يحملون أو يربطون ويشبهون الأمة بالحمار مربوط:

إنّ الهوان حمار الأهل يعرفه والحر ينكره والرسلة الاجد
ولن يقوم على ضيم يراد به إلّا الأذلان غير الحي والوتد

١. وأنا حَضَرْتُ مُضَيِّفَ آلِ فُتَيْلَةَ، وَحَضَرْتُ مُضَيِّفَ آلِ بَنِي حَسَنٍ، وَغَيْرَهُمَا، وَرَحِمَ اللَّهُ «حاج عبدالواحد آل سكر» الذي كان مُضَيِّفَهُ مِنْ أَشْهُرِ مُضَيِّفِي آلِ فُتَيْلَةَ وَابْنَهُ «راهي» كَانَ مِنْ زُعَمَاءِ الشَّيْعَةِ الَّذِينَ أُعْذِمُوا. وَالْحَاجُّ عَبْدُ الْوَاحِدِ هُوَ الَّذِي بَنَى «الطارمة العسكرية» فِي سَامِرَاءَ أَيَّامَ الَّذِي كَانَ مُبْعَدًا فِيهَا، لِأَنَّهُ اشْتَرَكَ فِي ثَوْرَةِ «خَيْوَنَ آلِ أُعْبِيدَ»، وَهَذِهِ الطَّارِمَةُ - أَيُّ: الْبِنَاءِ الَّذِي بَنَاهُ الْحَاجُّ عَبْدُ الْوَاحِدِ آلِ سَكْرٍ فِي سَامِرَاءَ عَلَى الْحَضْرَةِ الْمَادَوِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ (ع) - كَانَتْ مَعْرُوفَةً، وَأَنَا أَذْكَرُ الْهُوسِيَّةَ الَّتِي كَانُوا يَهْوِسُونَ بِهَا، أَتَمَّ كَانُوا يَقُولُونَ: «هَذَا الَّذِي انْطَاكَ التَّاجُ، اسْمِعْ يَا امْتَوَجُ» يَعْنِي: أَنَّ التَّاجَ كَانَ مَلِكًا لِلْحَاجِّ عَبْدِ الْوَاحِدِ آلِ سَكْرٍ، فَاعْطَاهُ لَكَ يَا مَلِكُ فَيَصِلُ، اسْمِعْ يَا امْتَوَجُ. وَهَذِهِ الْقَضَايَا إِنَّمَا أَذْكَرُهَا مِنَ الْخَاطِرِ وَإِلَّا أَنَا عَشْتُهَا. فَالْوَاقِعُ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَجُودُ كَانَ يَتَزَعَّمُ، وَلِأَجْلِ هَذَا كَانَ نَيْمٌ وَعَدِيٌّ أَذَلَّ قَرِيشٍ حَسَبًا وَنَسَبًا. (العلامة الجعفري ع)

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشجّ فلا يبيكي له أحد^١
يعني: الذي يتحمل الذلّ في الأحياء ليس إلّا الأذلان، غير الحي، أي: الحمار
الذي يحمل عليه الحيّ أمتعتهم، فلا يرضون بالركوب لأنّهم يمتهنونه فلا يرضون
بركوبه وعلى هذا لا يسرجون له، والوتد، يعني: المسار من خشب لأنّ ذلك اليوم
لم تكن المسامير من حديد، مسارّ من خشب كان يُنحت فيدق ويشدّ به وتد الخيمة.
فالحمار لا يطلق ولا يرسل، لأنّه ذليل لا يشتكي شيئاً إنّ ظامه الضائمون الذين
يضمّون الحيوانات، والوتد يدقّ على رأسه فلا يبيكي له أحد. وقد تمثّل بهذه
الآيات أبوسفیان حينما جاء المدينة ولم يحضر السقيفة.

فهذا كان أصله الاجتماع القبلي لكي يكون شخص يتولّى أمرهم، أمّا كلمة «أهل
الحلّ والعقد» افتعلت في ما بعد كي تتناسب مع واقع الأمة يومذاك الذي شبّه
بالحيوان الذي يُربط حينما يُراد منه أن يستقرّ في مكانه ويحلّ حينما يُراد منه أن يحمل
أثقالاً إلى بلد لم يكن بالغيه إلّا بشقّ الأنفس: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا
بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾^٢.

تحليل الآيات الذي تمثّل بها يزيد بن معاوية

قلنا: إنّ المدينة المنورة كان وجهها البارز قبيلة الخزرج وكان سيّد المجتمع المدني
سعد بن عباد، وأمّا غيرهم فكانوا إمّا مغمورين أو من فئة أخرى، وهنا بالمناسبة

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤ / ١٨٢٨ (طبعة دار

المعارف: ٣ / ٢١٠)، وفيه: «معكوس برمته».

٢. النحل (١٦) / ٧.

نذكر الأبيات الذي تمثّل بها يزيد بن معاوية حينما كان منحنيّاً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ينكتها بمخصرته، وفيها أشياء نذكرها. ممّا قاله في مجلسه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^١

أولاً: ماذا كان يطلب يزيد - لعنه الله - حينما كان يُقلّب بمخصرته ثنايا سيّد الشهداء عليه السلام ويقلّب شفاهه عليه السلام، ويقول: «إنّ حسيناً كان حسن الثغر»^٢، فهل كان يزيد كأشياخه ومن جاء بعده من خلفاء بني أميّة «بخر» - أي: تترنّ رائحة الفم؟- هناك في خلفاء بني أميّة من هو معروفٌ بالبخر كعبد الملك بن مروان^٣، وهشام بن عبد الملك، ومنهم يزيد. وقد نُقل: أنّ يزيد يوماً ما عضّ تفاحةً فأعطائها إلى جارية من جواريه فأكلت من غير المكان الذي أكل قَصماً منها، فقال لها: لماذا

١. انظر: الأميني، الغدير، ٣/ ٢٦٠ - ٢٦١؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٦١٦؛ السيد بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف/ ١٠٥؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ٢٦١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٢٨٤هـ)، ٣ - ١٣/ ٢١٧٤ (طبعة دار المعارف: ١٠/ ٦٠)؛ القندوزي، ينابيع المودة، ٣/ ٣١ - ٣٢.

٢. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٦١٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١١٨.

٣. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩/ ١٤٠، ٢١/ ١٣٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٧/ ١٥٣؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ٤/ ٦١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٤١.

هكذا صَنَعْتِي؟! قالت: كي أُزِيل عنها البَخَرُ^١. فالظاهر أن الإِراث الذي كان ينتقل مع بني أُمَيَّة وهو «بخر الفم» كان موجود فيهم بكثرة.

ثانياً: هذا الشعر يُنسب إلى «ابن الزُبَيْر» - الشاعر المشرك المعروف الذي له مراثي في قتلى بدر -، وهو يُرثى في قتلى المشركين الذين رماهم رسول الله ﷺ يوم بدر في «قلب بدر» وكان يخاطبهم: «كذَّبْتُمُونِي وفعلتم بي ما فعلتم فهل وجدتم صدقَ قولي وكذب قولكم؟ فقال له ابن الخطَّاب: يا رسول الله أتحاطبهم وهم أموات؟ فقال له: إنَّهم يسمعون ما تسمعون ولكن لا تسمعون ما يقولونه»^٢.

ثالثاً: ماذا يقصد ابن الزُبَيْر من «ليت أشياخي ببدر شهدوا»؟ فهل يقصد عن لسان أبي سفيان؟ حيث أن أبا سفيان حينما رجع مُتصراً من أُحُد بحسب رأيه، قال: «يوم بيوم بدر»، ولأنَّ الذين قُتلوا من أشياخه يوم بدر هو «أبوهند»، ولكن من البعيد أن يقول ابن الزُبَيْر هذا الشعر على لسان أبي سفيان، ومن البعيد أن يقوله على لسان يزيد بن معاوية لأنَّه لم يُدرك عصر يزيد ولم يُسلم أصلاً حتى في عام الفتح. والظاهر أنه يقول هذا الشعر عن لسان معاوية حيث أن أمير المؤمنين عليه السلام

١. لم نعثر على هذه القصَّة وإنَّما تُنقل شبيهه هذه القصَّة في عبد الملك بن مروان. (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢١/٩؛ ابن قتيبة، المعارف/٢٠٧؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٣/٢٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣٢/٢١)

٢. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب قتل أبي جهل)، ٩٧/٥؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه)، ٤/٢٢٠٣ = ٧٧ (٢٨٧٤)؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٩٦/٥ = ٤٧٠١؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٢٩/٤.

يخاطب معاوية، ويقول: « وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ - أي: أبو أمه هند - وَخَالِكَ وَأَخِيكَ »^١، فيزيد الذي قال «ابن الزبعرى» هذا الشعر على لسان أبيه، من الطبيعي أن يكون لسانه لسان أبيه.

رابعاً: حينما يقول: «جزع الخزرج من وقع الأسل» معنى ذلك أن المدينة المنورة كان سادتها الخزرج، لأن الأوس لقلّة عددهم لم يكن لهم وجود في المجتمع المدني فكانوا ينظّمون إلى الخزرج حيث أن الوجود القبلي في المجتمع المدني كان للخزرج وسادتهم، ولأجل هذا يقول «جزع الخزرج من وقع الأسل». والشاهد على ذلك: قول أبي حفص في خطبته الشهيرة - كما سيأتي -: «فَلَقِينَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ»^٢، فهذان الرجلان الصالحان اللذان خرجا من سقيفة بني ساعدة وأتيا أبابكر وعمر وأبا عبيدة، هما اللذان ذكرا أنه أدركوا فإن هذا الحي قد فتحوا باب فتنة! لأنهما كانا من الجماعة التي كانت ضعيفة ليس لها كيان، وكانت من الذين حاضروهم شبه المنافقين.^٣

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧/٢٥٠؛ الأميني، الغدير، ١٠/١٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/٩١.

٢. «...فلقينا رجلاً صالحاً، قال الزهري: قال عروة: أحدهما: عويم بن ساعدة، زاد البرقاني في تاريخه والآخر: معن بن عدي». (ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٦/١٩١ = ٨١٦٤؛ والمصادر المذكورة في هامشه).

٣. أنا كلما تتبعت في تراجم الصحابة لم أجد شخصية بارزة في الأوس، حتى الذين شايعوا بني أمية كالنعمان بن بشير وأبوه كانوا من الخزرج، نعم كان بشير ينفس على سعد بن عباد محله في القبيلة - أي: قبيلة الخزرج - فانحاز إلى أبي بكر وبعده إلى عمر وبعده إلى عثمان، وابنه نعمان بن بشير كان والياً لمعاوية وبعده ليزيد بن معاوية، وحتى الأيام التي دخل فيها مسلم بن عقيل عليه السلام إلى

فالنتيجة: أن سادة المدينة كانوا هم الخزرج، بحيث أن السادة سواء كانوا سادة المؤمنين - بحسب الظاهر - أم سادة المنافقين كانوا من الخزرج لأنَّ عبدالله بن أبيّ أيضاً كان من الخزرج، ولكنَّ الأوس لم يوجد لهم شخصيّة بارزة، ولأجل هذا كانت المدينة المنورة تسودها قبيلة الخزرج، ولأجل هذا يقول ابن الزبيري على لسان معاوية:

ليست أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فالمجتمع المدني كان مجتمعُ أسياده الخزرج، وأمّا الأوس فعلى الظاهر لم يكن لهم رئيسٌ يرأسهم ولم يكن لهم مثل سعد بن عبادة وابنه قيس يُدّر عليهم الأموال بسخاء، ولأجل هذا كان مجتمعاً خزرجياً في زمن رسول الله ﷺ وبعده في السقيفة، وهذا هو السرّ في اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة التي كانت سقيفة خزرجية.
خامساً: من الطبيعي أن ما يرتأيه ويُفكر به معاوية كان يرتأيه ويفكر به يزيد في قرارة نفسه بل كان يُعلنه، والحال أن معاوية كان يخشى عامة المسلمين ولم يكن يُعلنه.

والشاهد على ذلك: القصّة التي ينقلها ابن أبي الحديد عن «أخبار الموققيّات لزيير بن بكار»^١ عن ابنٍ للمغيرة بن شعبة: قال: سافرت مع أبي إلى الشام زمن

الكوفة كان الوالي على الكوفة النعمان بن بشير، ولكنّه كان يتهمه خصومه بأنّه لم يكن يشتدّ على الذين يدعون إلى بيعة مسلم بن عقيل ؑ، فاستبدله يزيد برأي سرجون - وهو مولى مسيحي كان لمعاوية وبعده كان يُخلص ليزيد بن معاوية - بعبيد الله بن زياد، فجمع له الكوفة مع البصرة في قضايا معروفة. (العلامة الجعفري ؑ)

١. في الأيام التي كنت في العراق طُبع «الأخبار الموققيّات» على نسخة وقد اقتُنيتُ صورة فتوغرافية

معاوية وكان أبي يسمع كل ليلة مع معاوية، فرجع يوماً وهو مُغضبٌ ومحتزُمٌ وثائرٌ ولم تكن له حالة مُستقرّة، قال: خرجتُ من عند أكبر الناس، فقلت: كيف؟ قال: خَلَوْتُ بمعاوية، فقلت له: إِنَّكَ قد مَلِكْتَ وتسلّطت على الدولة كلّها وهذا بنوهاشم فيهم من الضيق والشدّة ما فيهم، فلو عفوت عنهم وأصلحت شيئاً من شئونهم.^١ فقال: إِنَّ أَبابكر مَلِكٌ فأحسن وعدّل - في رأي معاوية - ومات، فلم يزد الناس أَنْ قالوا رَحِمَ الله أَبابكر، ثُمَّ ملك بعده عمر فعدل وفعل ما فعل فلم يزد الناس أَنْ قالوا بعد ما قُتِلَ رَحِمَ الله عمر، وَإِنَّ عثمانَ أَخا بني أُمَيّة فعل وفعلوا فقتلوه، وهذا «ابن أبي كبشة» يُنادى به في كلِّ يومٍ على المآذِن خمس مرّات والله إِلَّا

منها عن طريق الدكتور عبدالرزاق محيي الدين - رحمه الله عليه -، وكانت عندي هذه الصورة (لأنّ النسخة الوحيدة التي كانت في مكتبة «Gottingen» في ألمانيا التي لم تُتلف أثر الاحتلال)، ثُمَّ طُبِعَ في العراق «الأخبار الموفقيّات» وهذه النسخة كان فيها نقص، فالناشر وهو الدكتور «سليم العاني» قد أضاف إليها ما عثرَ عليه في الكتب الأخر ومنها كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وألحقها بالأخبار الموفقيّات وفيها الكثير من الفوائد. (العلامة الجعفري رحمه الله)

١. هناك أحد الشعراء يقول:

معاويُّ إِنّا بشرٌ فاسجح فلسنا بالقروود ولا الحمير

ويشهد الله أنّ معاوية وغير معاوية كان يرى الأُمّة العربيّة المسلمة أنّهم أشباه حميرٍ وأشباه قِرَدَة.

[لم نعثَر على هذا البيت كما ورد في كلام العلامة رحمه الله، وما وجدناه في المصادر، هكذا:

معاوي إِنّا بشرٌ فاسجح فلسنا بالجلال ولا الحديد

(ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٧/٢٦؛ وكيع، أخبار القضاة، ٤١٠/٢؛ الزركلي، الأعلام

(عقبة بن هيرة)، ٢٤١/٤؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١٠٠/١؛ البغدادي، خزانة

الأدب، ٣٩٧/١١، والبيت لعقبة بن هيرة الأسدي). [العلامة الجعفري رحمه الله]

موتاً موتاً.^١

هذا رأي معاوية وكان يقوله للمغيرة الذي كان يراه مُتَّفِقاً معه في الرأي، ولا ندري أنّ المغيرة بن شعبة حينما كان يَنْصَح معاوية بماذا كان يَنْصَحُه، وهو الذي زَيْنَ لمعاوية استخلاف وَلَدِه يزيد؟!

فالنتيجة: مع أنّ معاوية ويزيد كانا في الأصل على رأي واحد، ورأيهم رأي أبي سفيان الذي قال: «تلقّفوها يا بني أُمِّيَّة تلقّف الكرة فو الذي يحلف به أبوسفيان ما من جنة ولا نار»^٢ ولكنّ معاوية لم يكن يجراً على أن يقول ما يُبْطِنُه بأن يُعْلِنُه للناس

١. «وروى الزبير بن بكار في «الموفقيات» - وهو غير متّهم على معاوية، ولا منسوب إلى إعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ عليه السلام، والانحراف عنه -، قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجّب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتُه مغتّباً فانتظرتُه ساعة، وظننت أنّه لأمرٍ حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتّباً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك ممّا يَبْقَى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكّر أرجو بقاءه! ملك أخو تيّم فعَدَل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبوبكر، ثمّ ملك أخو عديّ، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، وإنّ ابن أبي كبشة ليُصَاح به كلّ يوم خمس مرات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأَيّ عمل يبقّى، وأَيّ ذكر يدوم بعد هذا لأبأ لك؟! لا والله إلّا دَفَنًا دَفَنًا». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/١٢٩ - ١٣٠)

٢. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/٥٣، ١٥/١٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٢٨٤هـ)، ٣ - ١٣/٢١٧٠ (طبعة دار المعارف: ١٠/٥٨)؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/٣٤٢ - ٣٤٣؛ الأُميني، الغدير، ٨/٢٧٨.

ولذا كان يُبْطِن رأيه ويُخْجِم عن ذلك، أمّا يزيد كان يُعلن رأيه ويُصرّح به، ولذا يقول في هذه الأبيات:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
ولأجل هذا قال الإمام الحسين عليه السلام: «يزيد رجلٌ مجهر بالمعاصي إنَّ مثلي لا يبايع مثله»^١.

سادساً: استبعدنا أن تكون أبيات «ابن الزبعرى» التي تمثّل بها يزيد بن معاوية قيلت على لسانه، ولكنّ العلامة المحقق السيد العوّامي، قال: بأنّها قيلت على لسان يزيد بن أبي سفيان^٢، وهنا نتعرض إلى جهتين:

الجهة الأولى: حينما يقول:

لستُ من خندف إنَّ لم أنتقم من بني أحمد ما كان فَعَل
الجملة تحكي عن المستقبل لأنّ العمل لم يقع بعد وإنّما توعّد بالانتقام والثأر من بني أحمد، وهذا يدلّ على أنّ الذي قيلت الأبيات على لسانه هو يزيد الأوّل، لا يزيد الثاني الذي فَعَل ما فَعَل، وانتقم ما انتقم؛ ورحم الله الشريف الرضي حيث يقول:

١. كذا جاء في كثير من المصادر: «يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله». (المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/٣٢٥؛ السيد بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف/١٧؛ البحراني، العوالم/١٧٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٥٨١ و٥٨٨، وفيه: المحترمة)

٢. يزيد الأخ الأكبر لمعاوية والذي سمّى معاوية ابنه تخليداً لذكرى أخيه الذي تُوفي وهو بعد لم يتجاوز عمره كثيراً، تُوفي شاباً، يعني: شبه شاب لم يمضي به العمر. (العلامة الجعفري عليه السلام)

كانت ماتم بالعراق تعدُّها أُمويَّة بالشام مِن أعيادها^١
 الجهة الثانية: ما الذي يقصده يزيد بن أبي سفيان من عبارة: «مِن بني أحمد ما
 كان فَعَل» - التي قيلت على لسانه -؟! لا ندري أنَّ يزيد بن أبي سفيان كم كان يُبلِّغُه
 مِن ولد رسول الله ﷺ؟ لأنَّ رسول الله ﷺ إنَّ كان له بنات وأولاد قبل الهجرة
 شيء، أمَّا بعد الهجرة لم يُولد له مولود. وَمِن هذا يظهر أنَّ بني أُميَّة كانت تُبيِّت
 للنبي ﷺ ولولده ما تُبيِّتُه مِن ثأرٍ، وكانت مُصمِّمة على أنَّ ثأر مِن رسول الله ﷺ ما
 فعله بهم حينما قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام: «وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْصَمْتُهُ بِجَدِّكَ
 وَخَالِكَ وَأَخِيكَ»^٢.

فالقصة لم تكن مرتجلة وإنَّما حصلت لأخذ الثأر مِن وُلد النبي ﷺ، وأقرب وُلده
 الوُلد الذين كان أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام سيد الأوصياء وهو الذي فعل بهم في زمن
 رسول الله ﷺ ما فعل.

ولولا أبوطالب وابنه	لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى	وهذا يثرب جسَّ الحامما
تكفل عبد مناف بأمر	وأودى فكان عليّ تاما
فقل في ثبير مضى بعد ما	قضى ما قضاه وأبقى شاما

١. الأميني، الغدير، ٤/٢١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/٢٥٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/٢٦٨.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧/٢٥٠؛ الأميني، الغدير، ١٠/١٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/٩١.

فله ذا فاتحاً للهدى والله ذا للمعالي ختاماً
وما ضرَّ مجد أبي طالب جهول لغا أو بصير تعاماً
كما لا يضر إياة الصباح مَنْ ظنَّ ضوء النهار الظلاماً^١
إذا واقع الأمر أن بني أمية ومَنْ لفَّ لفَّهم مِنْ مهاجرة المنافقين الذين أخرجتهم
مكة لما رب يطول ذكرها ومنهم مُسلمة الفتح، هؤلاء كانوا يُبَيِّتُونَ لأولاد النبي ﷺ
ما يُبَيِّتُونَ، لا أنهم كانت لهم مرتجلات أو أمور لم يُحْطَطُوا لها وكانت تأتي عفواً.
فالقَبْلَى لا ينسى الثَّار ودائماً يفكر في ثأره^٢، ولذا يقول:

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٤ / ٨٤.

٢. وسمعت أنا في ليلة أمس من الإذاعة العراقية - التي تبث ما يُراد من الحكومة أو ما تطلبه أو ما توصي به الحكومة العراقية - مناظرة بين سلفيٍّ ومحققٍ وبين ثالث من القاهرة ورابع من لندن. هؤلاء الأربعة كلهم اتفقوا على أن الجوّ العراقي جو بدوي بمعنى أن الحكومات تتبع مصالحها، المصلحة إن اقتضت صدّ عداوة الصديقين لمصالح متضاربة، يعاديهم ويقتتلان بعضهما مع بعض، وإن اقتضت صداقة العدوين يتصادقان ولا يهمنها أنهما قبل يومين كانا يتعاديان والآن يبدیان أقوى الصداقات. نعم البدوي كما قالوا، واستدلوا أيضاً بشواهد من الدكتور «علي الوردي» في «ملامح اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» أن الجوّ البدوي لا ينسى الثَّار ولو بعد ألف سنة، البدوي دائماً يفكر في الثَّار ولا ينسى ثأره.

وأنا حينما كنت في النجف الأشرف كان هناك شخص من بني تميم في البصرة، كان يحدثني يقول: إن في دواويننا في البصرة حينما نجتمع نقرأ حرب «داحس» و«الغبراء» و«جصاصه» فنكي لهذه الحروب. فكانوا يتوارثون هذه الحروب وهي - إن كانت صحيحة - وقعت قبل الإسلام بكمّ مائة من السنين، وبامكانكم أن ترجعوا فيها إلى كتاب «أيام العرب في الجاهلية»، هناك كتابان: «أيام العرب في الجاهلية» و«أيام العرب في الإسلام». فهذا الشخص كان يقول: حينما نقرأ نكي، مع أن هؤلاء كانوا شيعة وهم مخلصون لا أنهم كانوا بعداء عن التشيع أو عن الإسلام

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

معنى ذلك أنهم كانوا يخططون لهذا اليوم وللإنتقام من أبناء النبي ﷺ.

نعم، فاز نغل معاوية (يزيد) بما لم يفز به عمه يزيد بن أبي سفيان، فاز بأن قتل في السنة الأولى سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام وما أعظمها من فاجعة، وفي السنة الثانية استباح المدينة، وفي السنة الثالثة بعث مسلم بن عقبة - أو ما يعبر عنه في

ولكن الروح القبلية فيهم دائماً تكون مجامدة تُفكر بالتأثر.

ولكن هذا الذي كان يدعي التسلف - أي: السلفية - كان يدافع عن السلفية بما لا يرضيه إنسان وكان يقول بأن السلفية هم السلف الصالح، لا السلف الذي تقدم قبل الإسلام - أنا [أي: العلامة] أرى أن السلفية سلف من كان قبل الإسلام وهو ينتصر بعادات الجاهلية ويُجِلُّ إليه (إلى بعض البسطاء منهم) أنها عادات إسلامية - وكان يقول: ومن أعظمهم أمير المؤمنين عليه السلام وكان يستشهد بأقواله، ويقول: السلفية هذا معناه. ولكنه حينما جوبه بابن تيمية - وكان بقدره ويقول: هو أول من دعا إلى الأخذ بسيرة السلف الصالح ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام - تهرب ولم يذكر شيئاً.

أقول: أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي الحراني ألف كتابه ردّاً على كتاب العلامة الحلي - أعلى الله مقامه - وكانا متعاصرين، وفيه ما فيه. ومن عجيب الأمر أن السبكي - وهو أحد العلماء الكبار في الشافعية - له ردٌّ على ابن تيمية بحيث أنه كان يُكفره. نعم، قصيدة مائة وثمانون بيت يذكر فيها منهاج السنة ويقول أنه فريد من ابن تيمية بحيث أن كتبه كلها ضلال إلا هذا الكتاب - أي: منهاج السنة - الذي ردّ فيه على العلامة الحلي - أعلى الله مقامه -، والقصيدة منشورة في الطبعة الأولى من «منهاج السنة النبوية» وهي أربعة أجزاء. وابن تيمية عدوٌّ لا أدري ماذا أقول فيه، ورحم الله شيخنا الأميني يقول: أنه أفتى بكفره جميع علماء المذاهب الأربعة بما فيهم علماء المذهب الحنبلي، وأنا عندي كتاب لعالم الحنبلي يردّ على ابن تيمية، لأن ابن تيمية قال بأشياء اتفقت مذاهبهم على بطلانها. (العلامة الجعفري عليه السلام)

التاريخ «مسرف بن عُبَبة»^١، لأنه أسرف في دماء المسلمين - فحاصر مكة المكرمة وأحرقها، وفعل فيها ما فعل^٢.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٤٩/١٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٣٠/٨، ٤١٦/١١، ٣٨٦/١٤، ٤٧٤/٢٣، ٢٢/٣١، ٣٣١/٤٣، ١٨١/٥٤، ٥٢٤/٥٦، ٥٧/١٣٢، ١٠٨/٥٨، ٣٦١/٥٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧٤/٤ و ٤٦٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، باب عبدالله (عبدالله بن زمعة)، ٩١١/٣؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٧٤/٢٨ = ٦٠٩١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٢/٤٦ - ١٢٣.

٢. أذكر قصة سمعتها من سيدي الأستاذ الخوئي - أعلى الله مقامه -، قال: إن الحكومة العثمانية كانت تُبجِّل علماء الأتراك لأنها كانت تَطْمَع في الرُّقعة التركية كي تضمَّها إلى المنطقة العثمانية، ومن جملتهم المرحوم ملا آغا الدربندي. قال: دعا «والي بغداد» العثماني «شيخ الإسلام في اسطنبول» إلى زيارة بغداد، ومن جملة الأماكن التي أراد أن يُفَرِّجَها هي كربلاء المقدسة، فحضر برفقته إلى كربلاء المقدسة وطلب من العلماء الذين كان يظن أنهم يوالونه أن يأتوا إلى زيارة شيخ الإسلام. وشيخ الإسلام كلما دخل عليه شخص من العلماء، أخذ يُنَدِّد بأنكم أنتم تلعنون يزيد ويزيد مسلم لا يجوز لعنه وإن صحَّ أنه صنَّع شيئاً فإنه تاب أو لعله تاب، وأنتم لا يجوز لكم أن تلعنوا من يفعل معصية ويحتمل أنه تاب.

ملا آغا الدربندي الذي كان يُدرِّس في الصحن الحسيني عليه السلام، في اليوم الأول أبي، في اليوم الثاني أيضاً أبي ولم يستجب، أمّا في اليوم الثالث قال لتلاميذه فلنأتي إلى زيارة شيخ الإسلام في الآستانة، فجاء هو والجمع الذي كان يحضرون عنده، لما جلسوا قدّم الذي يسقي الكهوه - في مصطلح العراقيين - فنجاناً للشيخ الدربندي، وهو قبل أن يشرب، قال: اللهم العن أبابكر وعمر وعثمان، فصاح به شيخ الإسلام كفاك. قال: استغفر الله ربّي وأتوب إليه، وشرب. قدّم إليه الفنجان الثاني، قال: اللهم العن أبابكر وعمر وعثمان، صاح به كفاك كفاك كفاك. قال: استغفر الله ربّي وأتوب إليه، وشرب. في المرّة الثالثة قال له شيخ الإسلام: إن استغفرت أو لم تستغفر سأقتلك. قال: ولم؟ قال: لأنك باستغفارك هذا تهزأ بالله سبحانه وتعالى. قال: عجيب، أنا أتكلّم بالفاظ فتوبتي مع تكرار الذنب تكون هُزْأً بالله، أمّا الذي قَتَلَ الحسين عليه السلام في السنة الأولى واستباح المدينة في السنة الثانية وفعل ما فعل بمكة في السنة الثالثة توبته مقبولة. فألجَمَ شيخ الإسلام ولم يتكلّم بشيء.

(العلامة الجعفري عليه السلام)

معنى قول عمر في مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه لبيعة السقيفة

ثم يستمر الحديث ويقول:

وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ.

هذا الذي ذكره أبو حفص خلاف الواقع، لأنَّ في روايات كثيرة يذكرها البخاري وغيره أنَّ رسول الله ﷺ توفيَّ من الضحى في يوم الاثنين^١ - يعني: قبل الظهر - وكان في البيت عليٌّ عليه السلام، والزبير، والعباس بن عبدالمطلب، فحينما سمع عمر

١. طبعاً هم يقولون: يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول [ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٠؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ١/ ٢٠؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ٢/ ١٣٥] ونحن نقول: يوم الاثنين في الثامن والعشرين من شهر صفر [المجلسي، بحار الأنوار، ٥٥/ ٣٦٤؛ الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ٨/ ٢٨١]، وهناك أقوال كثيرة [انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته)، ١ - ٤/ ١٨١٥ (طبعة دار المعارف: ٣/ ١٩٩ - ٢٠٠)؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ٢/ ١٣٥].

ومن عجائب الأمر أنَّ رسول الله ﷺ حينما وُلِدَ لم يكن له ذلك البروز وخاصة عند مجتمعه المكِّي الذي كان مشركاً مائة بالمائة فمن الطبيعي أن يكون خلاف في مولده ﷺ، ولكنَّ الخلاف في وفاته ﷺ غريب، لأنَّ رسول الله ﷺ قد تُوفيَّ في مَسْكَنِهِ بالمدينة وكانت الأنصار تترقب وفاته، واستمر به المرض بحيث حَصَلَ ما حَصَلَ من الأمر بتيسير أسامة بن زيد، والأمر بالكتف والدواة، وغيرهما، فكيف تنازع المؤرخون في شهر وفاته بأنَّه توفيَّ في الثامن والعشرين من شهر صفر أو في الثاني عشر من شهر ربيع الأول أو الأقوال الأخر التي جاءت في كتبهم؟! ولا أدري ما الذي أوجب الاختلاف مع أنَّ رسول الله ﷺ توفيَّ بين أهله وقومه ومدينته التي كان يحكمها ولم يكن أمره غير منتج، حتى المنافقين كانوا يترقبون موته: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعَرَ نَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ [الطور (٥٢)/ ٣٠] فكيف أخفوا موته واختلفوا في ذلك؟! نعم هناك تفسير لا أريد أن أذكره الآن. (العلامة الجعفري رحمته الله)

بوفاة النبي ﷺ ادّعى بأنّ رسول الله ﷺ لم يمت وإنما ذهب إلى لقاء ربّه وليرجعنّ بعد أربعين يوماً وليقطعنّ أيدي وأرجل أناس يزعمون أنّه مات^١ وأخذ يرعد ويزبد، إلى أن جاء أبوبكر من «السُّنْح» - لأنّ رسول الله ﷺ كان يُصرّ على بعث أسامة، ويقول: «انفذوا بعث أسامة»^٢، «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»^٣، فذهب أبوبكر إلى «السُّنْح» كي لا يجلب انتباه الناس، وكان له امرأة بالسُّنْح^٤ - فدخل على رسول الله ﷺ وقبله - كما يقولون - وصنع ما صنع، بل وبكى، وقال: لقد متّ الموتة التي كتب الله لك ولن تموت بعدها أبداً.

١. انظر: حديث عائشة الخامس وحديث أبي هريرة وحديث أصحاب السيرة.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٠، ٦/ ٥٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية (أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة)، ٤/ ٣٠٠.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٥٢؛ الجوهري، السقيفة وفدك/ ٧٧.

٤. السُّنْح منطقة على أميال من المدينة يومذاك، ولكن اليوم احتمل أنّها أقرب المناطق إلى المسجد النبوي الشريف، لأنّ المدينة توسّعت كما توسع غيرها من البلدان. (العلامة الجعفري رحمه الله) [السُّنْح بضم السين المهملة وسكون النون وآخره حاء مهملة: جاء في ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ أبابكر كان عند زوجته بنت خارجة، بالسُّنْح. قلت: لم يحدّد صاحبُ السيرة - كعادته - موضع السُّنْح، غير أنّ نصوص ما تقدّم ذكرّت أنّه من عوالي المدينة، وقيل: بينه وبين منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ميل، وإنّه من منازل بني الحارث بن الخزرج، ومنازل بني الحارث كانت في الشمال والشمال الشرقي من المسجد النبوي، أي: إنّ السُّنْح هذا ليس بعيداً من العُريضة المعروف اليوم، بينه وبين المدينة، وكلّ هذه الأرض قد عمّرت اليوم وصارت أحياء من المدينة المنورة]. (البلاذلي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ١/ ١٦٢).

فخرج وعمر يوعد الناس ويزيد ويرعد، ويقول: إن رسول الله ما مات، فقال: على رسلك، فلم يلتفت إليه أبو حفص، وقال: ألا إن من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وتلا قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^١ وأيضاً تلا قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^٢. قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكرٍ تلاها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

نعم، صحيح أن أبا حفص كان بطيئاً في الحفظ والذاكرة^٣، ولكن لا نظن أنه لم يسمع هذه الآية في حياته أبداً وهي الآية التي جاءت في أحداث تبوك وأشارت إلى تلك الأحداث، فهو أذكى من هذا؟! والظن الغالب هو أن أبا حفص كان ينتظر قدوم أبي بكر من «السنح» لكي يقود الفئة التي كانت تنظر إلى الخلافة نظرة غير النظرة التي كان عليها أمير المؤمنين ﷺ وأصحابه الذين كانوا على حق، وكيفيهما ما تواتر عن رسول الله ﷺ في حق أمير المؤمنين ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ

١. الزمر (٣٩) / ٣٠.

٢. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٣. وهناك قضايا كثيرة، منها: أنه لم يتم قراءة القرآن حتى مات، وهناك ما يعارضه بأنه في خلافته بل في أواخر خلافته أتم القرآن فأولم وليمة [انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢ / ٦٦؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١ / ٤٠؛ العيني، عمدة القاري، ٥ / ٢٠٣؛ الأميني، الغدير، (العلامة الجعفري ﷺ) ٦ / ١٩٦ - ١٩٨].

هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي^١ أو «غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^٢، وما تواتر في يوم الغدير وما أدراك ما يوم الغدير؟!

ويوم الغدير استوضح الحق أهله بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر^٣

ورحم الله الكميت بن زيد الأسدي الذي يقول:

ويوم الدوح دوح غدیر خم أبان له الولاية لو أطيعا

ولكن الرجال تباعوها فلم أر مثلها خطراً منيعاً

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعاً

فكان أحسن مخرج له هو الإغماء^٤.

١. أحمد بن حنبل، المسند، ١/١٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/١١١، ١١٢، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧-١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٤٩٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/١٠٩ = ١٤٦٤٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/١٣.

٢. مسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل علي بن أبي طالب)، ٤/١٨٧٠ = ٣١ (٢٤٠٤)؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١/١٨٢ - ١٨٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤٥، ١٥٦، ١٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/١٦٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/١٠٩ = ١٤٦٤٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/١٢ - ١٣.

٣. آغا بزرك الطهراني، الذريعة، ٩ (القسم الأول)/٣٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٤٢١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/٢٤١؛ الأميني، الغدير، ١/٣٤٢، ٢/٣٣٠.

٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/٢٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٧/١٥٠ - ١٥١.

٥. وأنا أذكر - وفي وقته ذكرت الصحف الإيرانية - أن أحد سادة إيران الكبار يومذاك كان مستنكراً على خطاب «رزم آرا» بأنك أنت هنا في بيت الأمة وأنا أحد مندوبي الأمة وأنا هنا قادرٌ على أن أضرب بكفّي أو بمجموع كفّي على رأسك، وتحرك ولكنه كان يعلم بأن هذا لا يُمكنه، فأغمي

على كل: وفي ذلك اليوم انعقدت السقيفة واستخلف أبو بكر وصلى الظهر في مسجد النبي ﷺ. نعم، البيعة العامة وقعت في يوم الثلاثاء وهي البيعة التي دَعَوْا فيها عامة أهل المدينة وَمَنْ حَضَرَ وفاة رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ كان مسجى في بيته، لم يُغَسَّل ولم يُكَفَّنْ بعدُ فرضاً عن أن يُدفن، وإنما غُسِّلَ وكُفِّنَ بعد ذلك في يوم الثلاثاء وصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام واستمر به الصلاة، لأن الصحابة كانوا يقولون بأننا لا بد وأن نشارك في الصلاة على النبي ﷺ، فكان أمير المؤمنين عليه السلام يُدخل خمسة وعشرة بحيث أن الغرفة تَسَعُهُمْ، فكانوا يقولون: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»^١ ويكتفون بذلك ويخرجون، ثم يأتي غيرهم إلى أن فرقوا ليلة الأربعاء بل يوم الأربعاء ودُفِنَ ﷺ ليلة الخميس^٢. وتقول السيدة عائشة: «ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن سمعنا صوت المساحي ونحن في بيوتنا»^٣، يعني: أنها بعد كل نشاط لها للدفاع عن أبيها كانت قد تعبَت ولم تحضر دفن النبي ﷺ.

عليه، فذكرت المجلة التي كان يصدرها المرحوم صدر الدين شرف الدين ابن السيد عبدالحسين شرف الدين - رحمه الله عليه - أن الحلَّ الوحيد الذي كان للدكتور أن يُغَمَى عليه فلم يكن له مخرجٌ إلا هذا الحل.

١. الكليني، الكافي، ١/٤٥١ = ٣٧ - ٣٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١/٢٠٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢/٥٠٦ = ٦، ٥٢٦ - ٥٢٧ = ٣٢؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣/٨٠ - ٨١ = ٣٠٧٤، ٨٣ = ٣٠٨١ و ٣٠٨٢، ٨٥ = ٣٠٨٨.

٢. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١ هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٠ (طبعة دار المعارف: ٣/٢١١)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/٣٥، ٣٦ و ٣٧ (حيث أنه ﷺ دفن بعد وفاته بثلاثة أيام).

٣. أحمد بن حنبل، المسند، ٦/٦٢، ٢٤٢، ٢٧٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٤٢؛ الطبري،

فحينما يقول أبو حفص: «وخالف عَنَّا عليٌّ والزبير ومن معهما» هذا خلاف الواقع، لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام والزبير كانا في بيت رسول الله ﷺ ولم يغلقا البيت خلافاً لبيعة السقيفة وإنَّما أغلقاه لأنَّ النبي ﷺ كان مسجياً والمسلمون في المسجد سائفون لا يقدرّون على شيء.

وهنا تقول الروايات: إنَّ أصعب ليلة مرّت على آل محمد ﷺ هذه الليلة، كأن لا سماء تُظِلُّهم ولا أرض تُقِلُّهم، فكانوا يتربصون بأنَّ الذين وكرّوهم في حروبهم زمن رسول الله ﷺ يهجمون عليهم فينتقمون لقتلهم المشركين. وهذا يُشير إلى نكتة، وهي أنَّ بعض المهاجرين الذين كانوا في المدينة، كانوا من فئةٍ أخرى غير الفئة المؤمنة التي أخلصّت في إيمانها - والتي كانت ترى أنَّ رسول الله ﷺ هو المُحقِّق في حروبه وأنَّ المشركين الذين قُتلوا في حروب رسول الله ﷺ كانوا يستحقّون القتل، لأنَّهم قاموا وحاربوا وأقدموا على قتال رسول الله ﷺ وكان جزائهم ما صُنِعَ بهم في حياة رسول الله ﷺ -، لأنَّ هؤلاء لم يردعهم الإسلام ولأنَّ يومذاك لم يكن أهل مكة حاضرين حتى يُفرض أتهم يقوموا بالثأر لقتلهم المشركين.

فإذاً معنى «خالف عَنَّا عليٌّ والزبير ومن معهما» أنَّ هذا التصميم وهذه المكاشفة كانت في حياة رسول الله ﷺ بحيث أنَّ كلَّ فئةٍ كانت تعلم بآراء الفئات الأخرى بالمدينة، فالفئة التي كانت مع عليٍّ كانت ترى أنَّ الحقَّ معه في زمن رسول الله ﷺ

تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٢ - ١٨٣٣ (طبعة دار المعارف: ٢١٣/٣)؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/٥٣٨.

وأثما على حقٍّ وأنَّ الإفتئات عليها مِنْ أيِّ فِتَّةٍ كانت إفتئاتٌ لنُصرة باطلٍ ومُحقِّ حقٍّ، وإلاَّ يومذاك لم يكونوا قد اجتمعوا حتى يعلم بعضهم بخلاف بعضٍ، وحتى يقول أبو حفص: «خالف عَنَّا عليٌّ والزبير ومن معهما»، وأنَّ الأنصار خالفت في كذا وكذا، وأنَّا فعلنا وصَنَعنا كذا وكذا، إنَّما ذلك كان في حياة النبي ﷺ بحيث في أيام مرضه ﷺ كلُّ فِتَّةٍ كانت تعلم بالذي تسعى إليه.

ثمَّ حينما يذكر لا يذكر أيِّ حجةٍ يكون دليلاً على عمل المهاجرين، ولكنه يقول: «واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر». هذا أيضاً خلاف الواقع، لأنَّه إنَّ كان أمير المؤمنين عليه السلام والزبير ومن معهما^١ خالفوا تلك الفِتَّةَ الخاصَّةَ، فهذا يدلُّ على أنَّ الذين بايعوا أبا بكر لم يكونوا قاطبة المهاجرين، ويدلُّ على أنَّ المهاجرين كانوا ينقسمون إلى فِئتين: فِتَّةٌ ترى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي يستحقُّ أن يبايع (إمَّا برضى أو بنصي من الله ورسوله)، وفِتَّةٌ أخرى كانت تُرجِّح أبا بكر وكانت تسعى إلى تأميره.

نعم بلا شك أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو سيد المهاجرين، والزبير أيضاً لا ينكره منكرٌ بأنَّه مِنْ أبرز المهاجرين، والعباس أيضاً لا ينكره منكرٌ أنَّه من المهاجرين، أمَّا طلحة لم يحضر يوم السقيفة، ولكنه لا نقول فيه شيئاً سوى ما قاله الخليفة الثاني، حيث

١. «معهما» العباس بلا شك، غير العباس أنا لا أعلم. نعم، من الأنصار ذكروا أمَّا من المهاجرين الآن لا أعلم مَنْ الذي قيل من المهاجرين، وأظنُّ أنَّ أباذر كان من فِتَّةِ المهاجرين الذين اجتمعوا مع عليٍّ عليه السلام، العباس، الزبير، وآخرون ولا أدري هل أبي بن كعب يُعدُّ من المهاجرين أم لا؟ والظاهر أنَّ أبي بن كعب من المدينة وإن لم يكن في نسبه لا أوس ولا خزرج، لماذا؟ لا أريد أن أتطرَّق إليه، وهناك في نصِّ آخر: «وطلحة» أيضاً. (العلامة الجعفري عليه السلام)

قال: «وأما أنت يا طلحة، فقلت: إن مات محمد لنركضن بين خلاخيل نساءه كما ركض بين خلاخيل نساءنا»^١.

فإذا بيعة السقيفة لم يكن فيها مرشح واحد وهو أبوبكر، نعم المرشح الذي حضر يوم السقيفة ثلاثة: عمر بن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح، وأبوبكر، فخالد بن الوليد وطلحة كان هوائهما أباعبيدة، أما رأي سعد بن أبي وقاص، وعثمان يومذاك ليس بمعلوم. نعم، عثمان فيما بعد سعى لأن يتقرب إلى الخليفة فكتب عهد الخليفة الأول، وخلاصته: أن أبابكر أمر بوصية وكان الكاتب عثمان فأغمي عليه، فكتب عثمان عن لسان أبي بكر وقد أمرت عليكم عمر بن الخطاب، فلما أفاق من إغمائه، قال: ماذا كتبت؟ قال: كتبت: وقد أمرت عليكم بعدي عمر بن الخطاب. فقال: نعم، يا بى الله ورسوله والمؤمنون إلا ابن الخطاب^٢. ولا ندري أنه في إغمائه

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٦/٩ (والكلام منقول عن أمير المؤمنين عليه السلام).

وأمّا الكلام المنقول عن عمر بن الخطاب هكذا: «أما إني أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم أحد وائيا بالذي (والباو الذي) حدث لك، ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/١٨٥ -

١٨٦؛ الأميني، الغدير، ١٠/١٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣١/٣٨٧-٣٨٨)

٢. «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: دَعَا أَبُو بَكْرٍ عُثْمَانَ خَالِيًا، فَقَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهْدَ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ، قَالَ: ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَلَمْ أَلِكُمْ خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَكَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَرَأَيْكَ خِفْتُ أَنْ يَخْتَلِفَ النَّاسُ إِنْ أَفْتَلَتَ نَفْسِي فِي غَشِيَّتِي! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَقْرَهَا أَبُو بَكْرٍ (رض) مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٣ هـ «ذكر استخلافه عمر بن الخطاب»، ١ - ٤/٢١٣٨ - ٢١٣٩ «طبعة دار المعارف: ٣/٤٢٩»؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/٣٩٦-٣٩٨ -

= ٢٣٩٣ و ٣٩٩ = ٢٣٩٧)

أصبح يوحى إليه بوحى من الله سبحانه وتعالى بحيث قال: يا أبى الله ورسوله، وهو أعلم ماذا كان يا أبى الله ورسوله ﷺ، والمؤمنون أيضاً لا يهمنّا.

فأبو حفص يُقرّر بأن أمير المؤمنين عليه السلام والزبير كان لهما رأي آخر غير الرأي الذي طرحه هؤلاء الثلاثة في السقيفة. وعلى هذا الأساس لا تُحلّ هذه المناقضة إلا إذا كانت كلّ فئة تعلم بآراء الفئات الأخرى في حياة رسول الله ﷺ، لأنّه بعد وفاة النبي ﷺ لم يكن هناك اجتماع حتى يقول قائلهم بأنّه فلان ينحاز إلى فئة، ونحن ننحاز إلى فئة، والأنصار اجتمعوا حتى يؤمّروا سعد بن عبادَةَ، معنى ذلك أنّ هذا كلّ حصل في حياة رسول الله ﷺ وكلّ فئة كانت تعلم بآراء الفئات الأخرى ولذا الذين كانوا قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة كانوا قد اجتمعوا عن سابق علم.

نعم، لعلّ الخليفة الثاني لم يكن يعلم بأنّهم انحازوا عن سابق علم، ويشهد لذلك الحديث الذي يقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في أواخر أيامه أنّ سعد بن عبادَةَ استشارني، وقال: إنّ هؤلاء لا يفسحوا لك المجال لكي تكون خليفة وإنّما يتأمرون عليك ويجعلون الإمرة لغيرك فهل تأذن لي أن نجعل أميراً لأنفسنا كي لا نُدَدَ أمام أولئك؟ قال عليه السلام: فأذنت له.^١

فالمفاجئة بالنسبة إلى الفئة الخاصّة من المهاجرين هو أنّه لم يكن يدور في خلدِهم أنّ الأنصار يسبقونهم بشيء، وإنّما كانوا يريدون أن تكون الأنصار من جهات عديدة تبعاً لقريش، وهذا يدلّ على أنّ بيعة السقيفة جاءت على خلاف ما تتوقّعه

١. لم نعثر عليه في المصادر.

تلك الفئة من المهاجرين، وحينما يذكر الخليفة أبو حفص أنه «تخلف عنا علي» يذكر رأيهم حينما كانوا في حياة رسول الله ﷺ، لا أنه تخلف أمير المؤمنين عليه نكايته وعدم رضى بالمهاجرين، لأن المهاجرين لم يجتمعوا بعد وفات رسول الله ﷺ كي ينصبوا لأنفسهم خليفة إلا بعد ما سمعوا أن الأنصار قد اجتمعوا لكي ينصبوا لأنفسهم أميراً، فذهبوا إليهم وحولوا ذلك المجلس إلى البيعة لأبي بكر. فمعني قوله «تخلف» أن التخلف لم يكن لعدم رضى بالبيعة لأبي بكر بل هو ذكر رأيهم حينما كانوا في حياة رسول الله ﷺ.

نقطة هامة

ذكرنا في أوائل سورة التحريم أنهم ذكروا: أن الشيء الذي أسرّه رسول الله ﷺ إلى بعض أزواجه هو أنه قال للسيدة عائشة: إن أباك يكون خليفة بعدي والذي يليه هو عمر بن الخطاب، وأن الذي أخبر هي السيدة عائشة لأن سياق الآية الكريمة هو إحدى أزواجه، حيث أن الآية تقول: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُٓ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾^٢ وهذا يلائم أن الذي تحدث بسر رسول

١. ونحن لا نعلم عرف بعضه بماذا؟ قد يفرض أن الذين كانوا في زمن الآية الكريمة قد سألوا رسول الله ﷺ أو أن الأحداث أظهرت بعض ما كان أخفاه رسول الله ﷺ ولم يُبينه للناس. (العلامة الجعفري)

٢. التحريم (٦٦)/٣.

الله ﷺ هي السيدة عائشة أو السيدة حفصة، ولكن يظهر أنّ السيدة عائشة هي التي أخبرت وأنّ الثانية هي كانت المحرّك للأولى، لأنّ الأولى كانت بكر - كما يقال - يعني: لم تتزوَّج، والثانية بالإجماع كانت ثيب، فهي كانت تجعل من البكر من أزواج رسول الله ﷺ مظهراً من النشاط الذي تسترّ به، ولا نعلم لماذا كانت تسترّ، لعلّه لكبر سنّها لأنّها كانت في حدود الثلاثين والأولى على أقلّ التقادير كانت ثمانية عشر.

والشاهد على هذا، أنّ الآية الكريمة اللاحقة تذكر الثنية: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾^١، معنى ذلك أنّه ﷺ حينما أسرّ إلى بعض أزواجه حديثاً، قال لها: إنّ أباك سيكون خليفة وبعده عمر، وهذا يدلّ على أنّ هؤلاء قد عيّنوا مراتب الخلافة في حياة رسول الله ﷺ بحيث أنّ الخليفة الأوّل يعهد بخلافة المسلمين إلى الثاني.

وذكرنا أنّ هذا ليس دليلاً على رضی رسول الله ﷺ باستخلاف أبي بكر أو عمر، وإنّما هو لكي تعلم عائشة بأنّ النبيّ ﷺ عالم بتواطئ الاثنتين مع جماعة على أنّه لا بدّ وأنّ يكسبوا الخلافة بأيّ صورة كانت، لأنّه:

أولاً: في قوله ﷺ: «ولا تخبريهما»، فلو كان ما يصنعه أبو بكر وبعده عمر رضی للنبيّ ﷺ لكان رسول الله ﷺ أدعى إلى هذا العمل، أي: ولو بأنّ يقول: لا تخبري غيرهما فيكون إذاعةً، لأنّه من الأسرار التي يكشفها المستقبل كما يقولون.

يقولون بأنّه حينما قال رسول الله ﷺ لعائشة: «لا تخبريها» يعني لا تُذيعي الخبر. فهذا نوعٌ من الإفتئات على الحديث، لأنّه «لا تخبريها» يعني: «لا تُنبأَيها بأنّي علمت بهذا الأمر» لا أنّه «لا تُذيعي الخبر أمام الناس حتى يقال بأنّ رسول الله ﷺ هو الذي رضيَ بخلافة أبي بكر وعمر».

ثانياً: إنّ أبا بكر لم يحتجّ بهذا يوم السقيفة أبداً، فلو كان قوله ﷺ: «لا تخبريها» يكشف عن رضي رسول الله ﷺ، لكان أقوى طريقٍ إلى صحّة بيعته. فهذا إنّما يكشف عن علم رسول الله ﷺ بالمؤامرة وأنّ هناك مؤامرة تحاط حول الخلافة.^١

في حديثٍ جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيدي فمررنا في أزقة المدينة فكلّمنا مررنا على حديقة نخل، قلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة، قال ﷺ: إنّ لك في الجنة أحسن منها، حتى خرجنا إلى المدينة فلمّا خرجنا إلى المدينة اعتنقني وبكى بكاء شديداً، فقلت: يا رسول الله، ما الذي يُبكيك؟ قال: إنّني أخشى ضغائن قوم لا يُبدونها لك إلّا بعدي. فقلت: أفي سلامةٍ من ديني؟ قال: نعم. قال: أنّه إذن لا أبالي»^٢.

١. انظر: الفصل الثالث من كتاب «همسران پیامبر ﷺ در پرتو قرآن [أزواج النبي ﷺ في ضوء القرآن]» للعلامة الجعفري، حيث أنّه بحث هذا الموضوع مفصلاً.

٢. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ١١٨/٩ = ١٤٦٩٠؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٢/٤٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٣/٢٣٩ - ٢٤٠.

فهذا كله والأحداث التي جاءت في مرض النبي ﷺ مِنْ بَعَثُ أُسَامَةَ، وحديث الكتف والدواة، وقضايا أخرى، كلها تدلّ على أنّ هذه المؤامرة كانت في عهد رسول الله ﷺ، ولأجل هذا لما علموا أنّ رسول الله ﷺ قد طال به العمر، حيث أنّه نزل قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^١ سارعوا واضطروا إلى الاستعانة بالسُّم وصنعوا ما صنعوا.

ثم قال أبو حفص:

فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ - حتى الآن هما اثنان من المهاجرين - لَقِينَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ - هذان الرجلان الصالحان أحدهما: «معن بن عدي بن العجلان البكوي» وهو حليف الأوس وإن كان يقول: حليف الأنصار، لكن حليف الأنصار بمعنى الأوس من الأنصار، والآخر: «عويم بن ساعدة» الذي يذكر علماء النسب بأنّه أوسيّ، ويذكر ابن اسحاق: «أنّه حليف الأنصار أصله من بلي وحالف بني أميّة بن زيد، من الأوس»^٢، وفي حديث البخاري: «وكان النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم أخى بينه وبين عمر»^٣، وهما اللذان شدّا على بيعة السقيفة نكاية بالخليفة الذي لم يكونا يرتضيان به لأئمّهما أوسيان - فَذَكَرَا مَا تَمَّا عَلَى عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالَا: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا

١. النصر (١١٠) / ١ - ٣.

٢. انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤ / ٧٤٥ = ٦١١٦.

٣. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤ / ٧٤٦ = ٦١١٦.

مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ - ولا ندري من هم معشر المهاجرين؟! والحال أن معشر المهاجرين أقله في العربية ثلاثة وهم اثنان (عمر بن الخطاب وأبوبكر)، إلا أن يقال: معشر المهاجرين، يعني: الاثنان مع من كان برفعتهما من جنود الله الصالحين في بيعة السقيفة لا من جنس الملائكة؟! فالسامع [القارئ] أعرف بالذي نريدهم - فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَا: لَا عَلَيْكُمُ أَنْ لَا تَقْرُبُوهُمْ - أي: لا تحضروا مجلسهم - اقضُوا أَمْرَكُمْ - يعني: أنتم عَيَّنَّا لكم من ترضون به ودعوهم وشأنهم -.

السؤال هنا أنه مَنْ أَيْنَ عَلِمَا هَذَانِ الرَّجُلَانِ حَتَّى يَقُولَا: «اقضُوا أَمْرَكُمْ»؟! لو لم تكن نِيَّةُ الْإِسْتِبَاقِ إِلَى الْإِمْرَةِ وَأَنَّ الَّذِي يَسْبِقُ غَيْرُهُ مِنَ الَّذِينَ يَنْوُونَ الْإِمْرَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَكُونُ هُوَ الْفَائِزُ، لَمَا قَالَا هَذَا الْقَوْلَ. معنى ذلك أن هذه كانت في حياة رسول الله ﷺ فكانت كُلُّ فِتْنَةٍ تَرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَمِيرَهَا مِنْهَا، وَلِذَا الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ تُسَمَّى يَوْمَئِذٍ بِالْمُهَاجِرِينَ تَوَاطَعُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَأَنْفُسِهِمْ أَمِيرًا يَسْبِقُونَ فِي تَأْمِيرِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ، لِأَنَّهُ فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ يَقُولُ: «وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزَّبِيرُ وَمَنْ مَعَهُمَا»، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً فَهُوَ سَيِّدُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِلَا شَكٍّ، وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ يُنْكَرَ زَبِيرَ وَمَوْقِفَهُ مِنَ الدِّينِ.

فَالنَّتِيجَةُ، أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مُبَيَّنَّةً مِنْ قَبْلِ.

مجيء أبي بكر وعمر إلى السقيفة

ثُمَّ قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزْمَلٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ - أي: وإذا رجل ملقاً على وجه الأرض بين ظهرائهم -

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: يُوعَكُ - يعني: مريض - فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

وهنا يجب أن ننبه بأن هؤلاء الأنصار لم يكونوا ينتظرون الفئة التي تسمي نفسها بالمهاجرين - وهم الثلاثة - أن يحضروا حتى يبدأ خطيبهم بالكلام، بل الحديث كان بينهم - أي: بين الأنصار - قد بدأ ثم حينما جاء غيرهم قام خطيبهم، ولا ندري هل كان خطيبهم هذا قبل أن يأتي هؤلاء، أم أن الحديث كان يتولاه غيره وعند مجيء هؤلاء تولاه خطيبهم، لأنه أقواهم حدة وشدة. وأيضاً لا يظهر من كلام أبي حفص أن الحديث بعد ما حضر أبو حفص وصاحبه كان في أول أمره أم أن الأنصار استأنفوا حديثهم أمام الحاضرين كي يسمعوهم رأيهم على الله لما هو أهله.

ثم أخذ خطيب الأنصار يصف عملهم وجهادهم في زمن رسول الله ﷺ وفي حروبه التي خاضها ضد من أرادوا السوء به وبمدينته.

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكُتَيْبَةُ الْإِسْلَامِ - ولا شك في ذلك، يعني: الأنصار يصفون أنفسهم بأنهم أنصار الله وأتباع كتيبة الإسلام، يعني: رسول الله ﷺ كانت كتيبته مؤلفة منهم ولم يكن المهاجرون يشتركون في كتائب الحرب، فتأمل جيداً - وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ - يعني:

١. الله يرحم سيدنا الأستاذ السيد الروحاني رحمه الله، كان يقول: إن صاحب الكفاية دقيق في كلامه حيث يقول: «فتأمل جيداً»، فإنه في بعض الأوقات يقصد التأمل للتفهم وفي بعض الأحيان يقصد التأمل لبيان العوار، ولا ندري أن «فتأمل جيداً» في هذا البيان، لبيان العوار أم لدقة المطلب؟! (العلامة الجعفري رحمه الله)

انَّكُمْ تَقْصِدُونَ الْإِنْتِصَارَ وَالنَّصْرَ لِأَنَّ كِتَابَةَ الْإِسْلَامِ فَتَأْثِرُونَ بِنَا - فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَرِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنْ الْأَمْرِ.

هذا أول ما التقى المهاجرون بالأنصار، فمن أين علِمَ الأنصار أنه دَفَّتْ دافَةٌ من المهاجرين وإذا هم يريدون أن ينحوهم عن الإمرة ويجعلوهم عبيداً وأتباعاً لمن يكون أميراً لهم؟! يوم تُؤَفِّي رسول الله ﷺ وانعقدت السقيفة، من أين علموا بمواقف متعددة كل موقف يناهض موقف جماعة أخرى مناقضة بحيث لا تجتمع على رأي واحد؟! نحن ننظر إلى القضية بسذاجة وبساطة والحال أن الأمر ليس كذلك، لو لم يكن قد تواطئوا وتجادلوا على القضايا وكل منهم عَرَفَ رأي صاحبه قبل وفاة رسول الله ﷺ لما علموا بهذا؟

فمعنى ذلك أن الأنصار بشهادة أبي حفص كان موقفهم موقفاً إنفعالياً، لأنهم علموا بأن فئة من المهاجرين يريدون أن يختزلوهم - أي: يقلعوهم من جذورهم - وأن يحضنوهم من الأمر بأن لا يكون لهم من الأمر شيء، فأقدموا على أن يكون لهم أمير من تلقاء أنفسهم.

ثم قال: فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ - وهذا دليل على أن نتبته إلى أن موقف الأنصار كان إنفعالياً، دفاعاً عن هجوم محتمل من غيرهم، من عدو كانوا يرون أن هذا العدو يريد أن ينتقم منهم بما كان لهم من الجهاد في زمن رسول الله ﷺ - وَكُنْتُ [قَدْ] زَوَّرْتُ مَقَالَهَ أَعْجَبْتَنِي أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَبِي بَكْرٍ.

١. في الهامش: «أي: يخرجونا»، قاله أبو عبيد.

لا ندري هل كانت هذه المقالة مزورة حينما كان أبو حفص وصاحبه يسيران إلى مجمع السقيفة أم كانت مزورة قبل ذلك؟! ولكن من المعلوم أن أبا بكر وعمر كانا قد زورا الكلام قبل أن يصلا إلى مجلس الأنصار وقبل أن يسمعا كلامهم، وأنهما كانا قد زورا حجة يحتجّون بها أمام العرب كلّهم، لأنّ حجّتهم كانت قائمة على أن العرب لا ترى هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش لموقع رسول الله ﷺ فيهم، فهما كانا يريان أن العرب لا تخضع إلّا لقريش وحدها، ولهذا لما بلغ قولهما أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «اَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَصَاعُوا الشَّمْرَةَ»^١.

ولا ندري لو لم يضرب الإسلام بجرانه على الفتوحات التي وصلت إلى الفرس والروم والقبط، بل والترك والخرز وأمم الشرق الأقصى، فهل كانا يحتجّان بهذه الحجة أن العرب لا ترى إلّا لهذا الحيّ من قريش لمكان رسول الله ﷺ فيهم؟! نعم، احتجّ المحتجّون لهما فيما بعد بقولهم: «الإمامة في قريش»، ولهذا جعلوا من شروط الإمامة أن يكون قُرَشِيًّا، فإن لم يكن فعربيًّا، وإن لم يكن فيهوديًّا، وإن لم يكن فيمن الجنّ، لأنّه إن لم يكن إنساناً عربياً أو يهودياً فليكن أحد بني الجنّ!!

بالمناسبة نذكر أنّه حينما طعن عمر أرسلت إليه عائشة، وقالت: «لا تدع أمة محمّد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة»^٢، وهي لم تكن تطعن في خلافة عمر، لأنّ أباهما هو الذي استخلفه وأنّه لم

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٣ - ٤.

٢. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/٢٨؛ الأميني، الغدير، ٥/٣٦٢.

يكن يُغضبها، بل كان يعطيها ما ترضى به، وكانت تأمل أن يستخلف عمر أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر وكثيراً ما كانت تسعى إلى استخلافه، فلما اغتاله معاوية فيمن اغتال تمهيداً لبيعة يزيد، قَلَبَتْ له ظهر المجن وفعلت ما فعلت. ونحن نرى أن كل حديثٍ حَدَّثَتْ به عائشة في هذه الفترة من الزمن بذكر فضائل أمير المؤمنين ﷺ هو لَأَنَّمَا يَنْسَت من استخلاف أخيها، فأرادت أن تتَّصِرَ لخصم معاوية وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بذكر فضائله طعنًا في معاوية، وإلاَّ عائشة لم تطيب نفسها بذكر اسم أمير المؤمنين ﷺ لا بذكر فضيلة له.

شواهد على حدة أبي بكر

وعجيبُ الأمر يقول عمر بن الخطاب: وَكُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ - أي: من أبي بكر - بَعْضَ الْحَدِّ.

المعروف عن أبي حفص أنه كان حاد المزاج، شديد الكلام، ولا نقول أشياء آخر وإن كان قد وُصف بأكثر من ذلك. والمعروف عن أبي بكر أنه كان بارداً ويشهد له موقفه من الصديقة الطاهرة ﷺ، ولكن أبا حفص هنا يصف أبابكر بغير ذلك، ويقول: «كنت أداري منه بعض الحد»، أي: كنت أتصور أن في أبي بكر حدة وشدة وخشونة في الكلام، وليس من المناسب أن يتكلم بكلام خشن هنا في هذا المجلس. ثم قال: فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ - أي: انتهى وظل صامتاً - فَكَّرَهُتُ أَنْ أُغْضِبَهُ - وهذا شاهد ثان على أن أبابكر في رأي أبي حفص حاد المزاج بالإضافة إلى أنه حاد في كلامه -.

وهناك شواهد أخرى، منها: الحديث الذي يذكر فيه أبو حفص أن أعظم الناس حسداً هو صاحبه وشيخه أبوبكر. فقال له قائل: وكيف وهو يوم السقيفة قد حوّل، أي: عرض عليك البيعة على أن يبايعك؟! فقال: إِنَّمَا عَرَضَ عَلَيَّ كَيْ يَمْتَحَنَ

ما في نفسي، هل أطمع بالخلافة مع وجوده أم لا؟ لكي ينتقم مني فيما بعد، وهذا دليل على شيء آخر أعمق من هذا، وهو أن الذي اتفقوا عليه ليس تحول أصل الخلافة إليهم، بل إنما هو الترتيب الخلافي بينهم، ويشهد لهذا أنه وضعوا أحاديث بعدة ألفاظ أن رسول الله ﷺ كان يقول: أبوبكر وعمر، فلو كان الترتيب بحسب الواقع لا بحسب التصميم الذي نفذ فيما بعد لما كان بهذا قول.

نعم، اضافته إلى رسول الله ﷺ قطعاً لا يرتضيه أحد حتى أولئك، لأن هذا لو كان فيه أخبار عن رسول الله ﷺ لاستغلت به أنصار السقيفة ولم يرجعوا بها إلى فروض ومفترضات لم يكونوا بحاجة إليها.

خطبة أبي بكر وتقديم عمر أو أبي عبيدة للبيعة

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ - مع أنني كنت صاحباً له منذ أن هاجرنا إلى المدينة إلى يوم السقيفة لم أكن أرى منه حلماً ووقاراً إلا يومذاك، فكان هو أحلم مني وأوقر - وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِن كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدْيِهِتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا - إن شاء الله أبو حفص من جهة أنه لم يكن يعلم الغيب في بدْيِهِتِهِ، وإلا أبو حفص أذكى من أن يقول بأنه هو زور مقاله وكان أبوبكر الذي جاء معه إلى مجلس السقيفة لم يكن قد زور مقالة في نفسه - حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَّرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ - أي: نعم، كلما ذكرتم من خير فأنتم له أهل -

وَلَكِنْ يُعْرِفَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ.

يدّعي أبوبكر بأنّ العرب لا تسلم إلا لهذا الحيّ من قريش، يعني: لا تخضع إلا لهذا الحيّ من قريش، في تحليل الجملة المذكورة نقول:

أولاً: كانت العرب تنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى العصاة على الدعوة الإسلامية - وهم أهل مكة أجمعون إلا أقلّ القليل منهم - مَنْ يَغْلِبُ حَتَّى يَتَّبِعُونَ الْغَالِبَ، ولذا قال عزّ من قائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ^١ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا^٢﴾، أي: الله سبحانه وتعالى نصّر عبده ورسوله وفتح له مكة، ولأجل هذا يروى عن رسول الله ﷺ أنّ هذه السورة لما نزلت، قال: نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، يعني: أنّ هذه السورة تذكّرني بأنّ مهمّتي قد انتهت، ومعنى ذلك أنّه كان يتوقّع أن يأتيه الذي قُدِّرَ لكلِّ إنسان: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ^٣﴾.

ثانياً: الشعور بالانتماء القومي لم يكن موجوداً عند العرب وإنّما كانت العرب تنتمي إلى قبائلها، ويدلّنا على هذا جميع الأراجيز التي حُكيّت عنهم من زمن النبي ﷺ إلى ما بعده، فهذه الأراجيز تدلّ على أنّ الانتماء كان إلى القبيلة ولأجل

١. والفتح: يعني فتح مكة.

٢. النصر (١١٠) / ١-٣.

٣. الزمر (٣٩) / ٣٠.

هذا لما بلغهم أن أهل مكة أخرجوا رسول الله ﷺ من بين أظهرهم وبالإضافة إلى ذلك أرادوا قتله، كانوا ينتظرون مآل هذه القضايا والوقائع كي يدخلوا مع الغالب كما قال سبحانه: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

فالشعور بالإنتماء القومي لم يكن موجوداً عند العرب ولكن الشعور بالإنتماء القبلي كان موجوداً، على خلاف أنصار القومية العربية التي أخذوا هذه المفاهيم مما كان يُحيط بهم كالقومية الطورانية - أي: التركية - والقومية الفارسية، وهم أخذوها بمفهومها الحديث من الفكر الأروبي، ولأجل هذا أقوى من كان يُشيد بالقومية العربية وكان يقول: «وحدة حرية اشتراكية» انتهى أمره إلى تغليب «أبناء عوجة» على غيرهم من العراقيين لا على الإنتماء القومي فحسب، «أبناء عوجة حول قبر أبيهم» إلى آخره. فالإنتماء القبلي كان موجود عند العرب كأقوى ما يكون، ولأجل هذا كانوا ينظرون إلى نتيجة الصراع بين القبيلة - وهم قريش - وبين رسول الله ﷺ.

ثالثاً: بقدر ما كانت مكة مُتَّجِهَ الأنظار، المدينة أيضاً كانت مُتَّجِهَ أنظار القبائل العربية في حياة رسول الله ﷺ؛ أمّا مكة لأجل أنها كانت تكثر بها القوافل، بل أهل مكة من جهة ما كان لهم من قدسية الحرم، كانوا يُكرون جمالهم إلى القبائل التي تَبَعَتْ بها تُنتِجُه بيعاً وشراءً، وكانوا في الشتاء يذهبون إلى سواحل بحر الأحمر وصنعاء واليمن، وفي الصيف يذهبون إلى الشام لأنها كانت باردة إلى حدٍّ ما، حيث أن القرآن الكريم يقول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ * لَأَتِمَّ فِي تَرْحَالِهِمْ كَانُوا

ينقلون ما يشترون ويبيعون إلى مكة وما حولها ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^١.

وفي هذا السياق يذكر السيّد الحميري - رحمه الله عليه - في قصة: ان رسول الله ﷺ يوم فتح مكة كان معه الرجال، وسعيد بن العاص، وأخوه، فمروا على قبر أبي أحيحة (لقب العاص)، فضحك وسبه الرجال، فانتصر له ابنه، وقال: إنكما أذلّ وأوطئ من أبي أحيحة، فقال رسول الله ﷺ: «لاتسبوا الأموات فتغضبوا الأحياء»^٢.

يقول: والد أحد هذين الرجلين أبو قحافة (عثمان) الذي كان يطرد الذبّان من على مائدة ابن جدعان، حيث أنّ عبدالله بن جدعان - وهو من أجواد العرب كما يقولون - كان يعمل زاداً في وقتين قبل الظهر وقبل العصر، فكان أبو قحافة وشخص آخر يقف أحدهما في أسفل مكة ويقف الآخر في أعلى مكة، فيقولان: هلمّوا إلى زاد ابن جدعان، فإذا نُصِبَ الطعام قاما يطردان الذباب من على المائدة، ثم يذكر أبياتاً حول هذه القصة وهي:

أترى ضهاكاً وابنها وابن ابنها وأباقحافة أكل الذبّان^٣

١. قریش (١٠٦) / ١ - ٤.

٢. انظر: ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، ١٦ / ٧٧؛ المزی، تهذیب الکمال، ١٣ / ١٢٦ = ٢٨٥٩؛ الطبرانی، المعجم الكبير، ٨ / ٢٧ = ٧٢٧٨؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٤ / ٢٥٢؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨ / ٧٦ = ١٣٠٣١ - ١٣٠٣٢.

٣. الجاحظ يقول: هذا كذب لم يكن أباقحافة يأكل الذبان وإنّما كان يطرد الذبّان [انظر: الجاحظ، الحيوان، ٣ / ١٩٠ - ١٩١ = ٨٣٠]، وأنا أثبتُ بأنّه إذا كان يجوع كان يأكل الذبّان. (العلامة الجعفري)

أترى صُهاكاً (أي: جدّة أبي حفص)

كانوا يرون وفي الأمور عجائب يأتي بهنّ تصرّف الأزمان
أي: هناك عجائب يأتي بهنّ تصرّف الأزمان وأتّها تدور على غير هوى وعلى غير قصد.

انّ الخلافة في ذؤابة هاشم فيهم تصير وهيبة السلطان^١
أي: انّ الخلافة في ذؤابة هاشم، يعني: الشيء البارز من هاشم، فيهم تصير وهيبة السلطان، معنى ذلك: انّهم يملكون خلافةً يحكمون بها بني هاشم، وهيبة السلطان تكون في ابن أبي قحافة وابن حنتمة، ولكن والله في أمره شؤون.
وأما يثرب صحيح أنّها كانت متكثرة، يعني: أنّها لم تكن في مكانٍ تسمّح بالقوافل أن يمرّوا بها فهي كانت مُنْعَزَلَةً إلى حدٍّ ما، ولكن بعد ما هاجر رسول الله ﷺ إليها أصبحت مطمح الأنظار، لأنّ «حرب بدر» فاز فيها المسلمون ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^٢، وأما أحد صحيح أنّها انتهت بهزيمة المسلمين لكنّها كانت في عُقبى دارهم ولم يطمح أبوسفيان بالرجوع خائباً، صحيح أنّه قتل ساداتٍ من المسلمين كحمزة سيّد الشهداء وآخرين ولكن لم يطمح في أن يرجع خائباً، ولأجل هذا قال: «إنّ موعداً وموعداً في عام قابل»^٣، والأحزاب قال الله

١. انظر: المفيد، الإفصاح/ ٢٣٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١٤١/ ٢.

٢. آل عمران (٣)/ ١٢٣.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/ ٦٣؛ السمعاني، تفسير القرآن، ١/ ٣٨٠.

سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^١، وقال مولانا الإمام الهادي عليه السلام في غديرته - أي: في زيارته التي أمرنا بقراءتها حينما نزور أمير المؤمنين عليه السلام -: «فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [بك يا علي] وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا»^٢، ثم فتح خيبر وما آل إليه أمر خيبر، ثم فتح مكة.

فإذاً صحيح أن القبائل كانت تذهب إلى مكة ولكن هذه القبائل كانت تنظر إلى يثرب - التي شرفها رسول الله ﷺ بهجرته إليها ولأجل هذا سُميت مدينة الرسول المنورة - باهتمام بالغ، ولأجل هذا سُميت السنة التاسعة بـ «عام الوفود» لأنه كانت تأتي وفود القبائل إلى المدينة المنورة فيمنُّ عليهم رسول الله ﷺ بما يتمكن، بل بجهدٍ مما يتمكن فيُجيز وفدهم، وهناك قضايا مذكورة في كتب التاريخ، فليراجع هناك.

فكانت المدينة مُتَّجِهَةً أنظار القبائل العربية في حياة رسول الله ﷺ بقدر ما كانت مكة مُتَّجِهَةً الأنظار - إن صحَّ أنها كانت فقط مُتَّجِهَةً للقبائل العربية -، فرسول الله ﷺ جعل من مهجره موضعاً لتوجه جميع العرب قاطبة بحيث أن القبائل العربية حينما توفي رسول الله ﷺ كانت لا تنظر إلى مدينةٍ أخرى غير المدينة المنورة،

١. الأحزاب (٣٣) / ٢٢.

٢. الأحزاب (٣٣) / ٢٥.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٩٧ / ٣٦٥.

ولأجل هذا، الخليفة الأول - وهو قرشي كما يقال - والخليفة الثاني - وهو من هو! - والخليفة الثالث كان مقرّ خلافتهم في المدينة المنورة ولم ينقلوا عاصمتهم إلى مكة، ومع بُعدهم منها جلبوا ذويهم إلى المدينة، فلو كانت مكة تفوق المدينة المنورة لنقلوا عاصمتهم إليها، فمكة المكرمة إلى زمن عثمان لم تكن الأصل والمقرّ الرئيسي للدولة وحكامها، بل كانت تابعة للمدينة المنورة وكان يحكمها وال للخليفة.

نعم، أمير المؤمنين عليه السلام بسبب عصيان فئة اضطرت إلى أن يأتي العراق، وبعد ذلك دلت الأحداث على أن العراق بلد الدّولات والحكومات كالشام، بخلاف مكة المكرمة والمدينة المنورة، لأن مكة منقطعة عن البلدان مئات الكيلومترات، والمدينة تفصلها آلاف الكيلومترات عن مراكز الثراء - أي: القسم الذي يُموّل ويُعيل -، فلا يمكن لمكة ولا المدينة أن تحكمهما غيرهما، ولأجل هذا الثورات التي حصلت في مكة والمدينة باءت بالفشل.

نعم، الثورات التي وُجدت وتمركزت إمّا في الشام أو في العراق كانت تفوز، لأنّها كانت في محلّ يُمكن أن يُمير ويُعيل غيره من المُدن والقرى، ولأجل هذا أن المدينة المنورة كانت مأوى في زمن رسول الله ﷺ كما كانت مكة - إن صدّق القائلون - مؤثلاً ومطمعاً ومطمحاً للقبائل العربيّة. نعم، شرف الله مكة بالبيت الحرام: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^١ كما شرف الله المدينة المنورة بمرقّد سيدنا ونبيّنا رسول الله ﷺ وبمسجده.

ثمَّ يستدلُّ بأنَّهم أوسط العرب نسباً وداراً، ولا ندري في أوسط العرب نسباً، هل أنَّ الأنساب التي كانت بين العرب يومذاك وبين أسلافهم من عدنان وقحطان - ولا نتجاوز أبعد من ذلك - هل كانت آباء قريش أقلَّ حلقةً في الأنساب أم أكثرها؟! والله هم أكثرها، بيننا وبينكم كتاب جمهرة أنساب العرب وأنساب القرشيين وسائر الكتب المذكورة التي تذكر أنساب العرب. أوسط العرب داراً نعم، لأنَّ مكة كانت بالنسبة إلى الجزيرة العربيَّة مقرَّ الجزيرة التي يحجُّ إليها الناس ولا يحجُّون إلى غيرها بصورة عامَّة.

فمعنى هذا أنَّ سائر الحجج التي جاءت في كثير من روايات السقيفة ومنها الحجَّة التي ذكرها الخليفة الثاني مِنْ أَنَّهُ: «رضيك الله لديننا أفلا نرضاك لدينانا»^١ - وهو الإقتداء في الصلاة بأبي بكر في حياة رسول الله ﷺ - إنَّها افتُعلت فيما بعد، لأنَّهم أرادوا أنَّ يحتجَّون بها أمام حجج الذين يقولون بالإمامة ويدَّعون بأنَّ النبي ﷺ أوصى في حياته بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى إلى أمير المؤمنين عليٍّ وصيِّه لا يُنكرها إلَّا مَنْ ليس له كامل الإيمان قطعاً.

١. انظر: الشافعي، المسند، ١/ ١١٣ = ٣٣٩؛ الجوهرى، السقيفة وفدك/ ٦٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٥، ٦/ ٣٩؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٢٧٢؛ ابن العربي، أحكام القرآن، ١/ ٥٧٥، ٤/ ٩٢؛ الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٢٦٤.

بالإضافة إلى أن هذه مغالطة واضحة، لأنهم يقولون: «صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر»^١، بحيث لا يرون أي شرط في الإمامة سوى معرفة القرآن، فالإمامة في الصلاة لا تكون دليلاً على الخلافة.

والخلاصة: أن جميع هذه الحجج لو كانت حجة واقعية بحيث أن رسول الله ﷺ ولو لمّح تلميحاً بها، لما احتاجوا إلى أن يقولوا في بيعة أبي بكر أنه يمثل المهاجرين وهم أوسط العرب داراً، بل كفاهم أن يقولوا: إن رسول الله ﷺ أشار إلى هذا، لأنه هذا ما حَضَرنا حينما وَجِهنا بمشكلة رأينا أن المدينة لا تكون بلا إمرة بعد وفاة رسول الله ﷺ فاضطررنا من غير مشورة مع المسلمين أن نبايع أبا بكر «فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَبَايِعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ، نَعْرَةً أَنْ يُقْتَلَ»، معنى ذلك أن هذا عمل كان على غير ما يراه أبو حفص من الشيء المناسب للمشورة العامة بين المسلمين.

فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهُ بِمَّا قَالَ غَيْرَهَا.

هنا يقول أبا حفص: إن أبا بكر كان جالساً بيني وبين أبو عبيدة الجراح، فقال: إنّي قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فلم أجد كلمة أكره لنفسي منها بماذا؟!!

١. الدار قطني، السنن، كتاب العيدين (باب صفة من تجوز الصلاة معه والصلاة عليه)، ٢/ ٤٠٤ =

١٧٦٨؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٦/ ٢٧ = ٢٣٦.

كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لَا يُقَرَّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِيَّاهُمْ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوَّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لَا أَجِدُهُ الْآنَ.^١

هنا يعبر أبو حفص تعبيراً فيه منتهى الترجيح لأبي بكر على أساس أنه كان مستعداً لأن يقدم فتضرب عنقه ولم يكن مستعداً أن يكون متأمراً على قوم فيهم أبي بكر. وأيضاً هناك جملة يذكرها أبو حفص في أحاديث السقيفة، وهي: «فوالله لأن أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ، في غير معصية، أحب إلي من أن أكون أميراً على قوم فيهم أبو بكر». قال: ثم قلت: يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده ثنائي اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السباق الميئ.^٢

يعرض الخليفة الثاني أن أبابكر قال: اختاروا أحد الرجلين إما عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة بن الجراح وهم الثلاثة من المهاجرين الذين كانوا في السقيفة. ولا ندري، لعل أبا حفص كان قد بلغ به العشق الإلهي في شأن أبي بكر حتى يقول: أن أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر؟! أما حينما يقول: إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ أبو بكر، نقول: جاء في روايات كثيرة أن المهاجرين قالوا في يوم السقيفة: «نحن أولى الناس برسول الله ﷺ

١. ولو بظننا أن الذي كان يجده عند الموت غير ما كان يقول أجده الآن.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

٢. ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي (ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة)، ١٤/٥٦٦ = ١٨٨٨٩.

لأننا أهله وعشيرته^١، ولا ندري هل كان ذلك اليوم يوم غفلة - والحال أنه ليس بيوم غفلة - أم كان يوم التغافل؟! ولا ندري كم كان يبلغ التغافل حتى وصلوا إلى هذا الحد، إن كان أبوبكر أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ، فأين كان موقع أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال يوم أُحد حينما بلغه أن رسول الله ﷺ قد قُتل أو اغتيل: «والله لأمضين على ما مضى عليه محمد ﷺ فأنا أولى الناس به»^٢! والحال أن غيره في أحد - كما قيل عنهم -: أنهم صعدوا الجبل وجلسوا متحيرين لأنه بلغهم أن رسول الله ﷺ قد قُتل فمَرَّ عليهم أنس بن النضر أو غيره، فقال: قوموا فقاتلوا، قالوا: إنَّ محمدًا قد قُتل، قال: ألا نمضي على ما مضى عليه محمد؟^٣

١. انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ١٣٣/١٩ = ٢٩٣؛ أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣٥٧/٤؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٤/١٠ = ١٦٣٧٢.

٢. لم نعر عليه في المصادر.

٣. * «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ، أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَ: انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمَّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: فَمَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ. قَالَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ! قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ. ثُمَّ اسْتَقْبَلُ فَقاتَل حَتَّى قُتِلَ، وَبِهِ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ». (ابن كثير، السيرة النبوية، ٦٨/٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٨٨/٣؛ وانظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤١٠/١؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ٢١٥/٤)

* «عَنْ عَطِيَّةِ الْعُرْفِيِّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ إِخْوَانُكُمْ، قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ أُصِيبَ فَأَعْطَوْهُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ أُصِيبَ أَلَا تَمْضُونَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ حَتَّى تَلْحَقُوا بِهِ». (ابن المنذر، تفسير القرآن، ٤٠٣/١ = ٩٧٧؛ وانظر أيضاً: الواحدي، أسباب النزول/١٢٥؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢١/٤ - ٢٢٢؛ الزحيلي، التفسير المنير، ١٠٧/٤؛ التفسير الوسيط، ٢٤٤/١ - ٢٤٥)

فأمير المؤمنين عليه السلام ومن ينتمون إليه كانوا فئةً وأولئك كانوا فئةً أخرى، والفاصل بينهما: أن الفئة الثانية كانت تتبع الولاء لزعيمها لا الولاء لنبئها عليه السلام، لأن الذي يقول: لئن أُقتل ثم أحياء، ثم أُقتل ثم أحياء أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر، والحال لا أنه لم يضرب بالسيف أو لم يطعن بالرمح أو لم يُجارب أبداً حينما دخل في الإسلام، بل إنه لم يكن يتحمل شوكة تدخل في جسده، فهذا حاله معلوم أنه موالٍ لزعيمه لا لنبئ عليه السلام.

نعم، حينما علموا أن أمير المؤمنين عليه السلام بوصية من رسول الله ﷺ ترك قتالهم استأسدوا، والشواهد على هذا كثير، منها: يذكرون أن العباس بن عبدالمطلب كان له ميزابٌ يشرع^١ إلى مسجد رسول الله ﷺ، فيوماً ما حينما جاء الخليفة الثاني - في زمن خلافته - إلى المسجد شكوا الناس ميزاب العباس، فأمر الخليفة بقلعه، فذهب العباس يومذاك إلى أمير المؤمنين عليه السلام - ولم يذهب قبلها من أحداث السقيفة والأحداث التي سبقت السقيفة إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبداً -، وقال: أنت حيٌّ ويُقَلَع ميزابي وقد علمت أن رسول الله ﷺ أجاز لي؟ فلبس أمير المؤمنين عليه السلام ثوبه الذي كان يلبسه حينما يريد الحرب، وجاء إلى المسجد، فعلم الخليفة أن هذا ليس من الوصايا التي أوصى بها رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر، فقال: لا يغضبَنَّ أبو الحسن، ثم قال: من قَلَع ميزاب العباس؟ الآن أنا أُعيد الميزاب إلى مكانه^٢، ثم ساومه

١. يعني: يصب في المسجد.

(العلامة الجعفري رحمته الله)

٢. انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠ / ٣٦٣ - ٣٦٥.

الخليفة واشترى منه الميزاب والبيت^١، والعباس كان تاجراً ذكياً قبل البعثة وبعد البعثة، قبل الهجرة وبعد الهجرة، حيث أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة خطب في الناس، وقال - ما مضمونه -: «ألا وإن كل رباً موضوع قد وضعته تحت قدمي هاتين فلا يحل لكم أن تأخذوا رباً، ألا وإن أول رباً أضعها تحت قدمي هاتين رب العباس بن عبد المطلب»^٢.

١. * «ولم يكن للمسجد الحرام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر جدار يحيط به، فلما استخلف عمر بن الخطاب وكثر الناس وسع المسجد واشترى دوراً فهدمها وزادها فيه وهدم على قوم من جيران المسجد أبوا أن يبيعوا ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة، فكانت المصابيح توضع عليه، فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع منازل وسع المسجد بها وأخذ منازل أقوام ووضع لهم الأثمان فضجوا به عند البيت، فقال: إنما جركم عليّ حلمي عنكم وليني لكم لقد فعل بكم عمر مثل هذا فأقرتم ورضيتم». (البلاذري، فتوح البلدان/ ٥٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٢٤/٥)

* «وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - اعتمر عمر، وبنى المسجد الحرام - فيها زعم الواقدي- ووسع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٧هـ «ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه»، ١ - ٤/ ٢٥٢٨ (طبعة دار المعارف: ٦٨/٤)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/ ٣٦٠)

٢. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٧٠٩ (وفي الهامش: قال الشيخ أحمد شاكر - رح - في عمدة التفسير «١٨٩/٢»: «وهم الحفاظ ابن كثير - رح -، فإن هذا لم يكن له يوم فتح مكة، بل كان في حجة الوداع في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة». قلت: جاء هذا مصرحاً في رواية عمرو بن الأحوص، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ رَبٍّ مِنْ رَبِّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ...» فذكر الحديث، رواه أبو داود في السنن برقم: «٣٣٣٤» والترمذي في السنن برقم: «٣٠٨٧» [وقد أشار إلى الحديث ابن كثير نفسه في: ١/ ٧١٧].

والعجيب أن العباس هنا لم تسمح له نفسه بأن يقلع الميزاب الذي يشرع إلى المسجد^١ كي لا يتأذى به المصلّون ولكن حينما بلغت المساومة إلى أخذ الثمن والعفو عن الميزاب والبيت، رضي بذلك وعفى عن البيت والميزاب.

فهذا دليل على أن الوصية كانت محدودة بحدود خاصة، فإن وصل الحد إلى خارج تلك الحدود فأمر المؤمنين^٢ لم يكن يأبى من الانتصار للمظلوم كما كان يدعي ذلك المظلوم.^٣

فالنتيجة: إن كانت قريش أولى بالنبي^ﷺ فأمر المؤمنين^٤ أولى بهم جميعاً، كما يقول هو^٥:

وإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَعَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ^٦

١. أي: يُشرع على مكانٍ يُصلّى فيه، الميزاب الذي يُشرع إلى مكان الصلاة لا إلى الطُرق والأزقة، الطُرق والأزقة من طبعها أن تُشرع إليها الميازيب كما يقولون، لأن ذلك اليوم لم يكن لهم جهازٌ يتمكنون من نصب لؤل أو أنابيب كي تجري المياه بداخلها، فكانوا يشرعون على الأزقة والشوارع، أما أن الميزاب يُشرع على مكانٍ يُصلّى فيه فهنا العباس لم تسمح له نفسه بأن يقلع هذا الميزاب. (العلامة الجعفري^٧)

٢. وعجيب، هناك روايات تذكر أنه من الذي يُتوسّل أو يُتشفع إليه في أمر الحاجات؟ يقول الذي يُنقل عنه وهو النبي الأكرم^ﷺ: وإن أردت حاجةً يُنتصر فيها من المظلوم ويؤخذ من الظالم ما يكون لصالح المظلوم فلنذ بأمر المؤمنين^٨. فيقول: أمير المؤمنين؟ قال: نعم، أمير المؤمنين الذي فُعل به ما فُعل، فقال رسول الله^ﷺ: لم يكن من أمير المؤمنين^٩ قلة شجاعة ولا قلة إقدام وعزم، وإنا الذي وقّع كان بوصية مني. وإن أمير المؤمنين^{١٠} هو ذوالحاجة الذي ينتصر للمظلوم من الظالم، كتأكيد لهذا المعنى.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤١٦/١٨.

فلا شك إن وصلت الولاية لأناسٍ غير رسول الله ﷺ بحيث يصبحون أولياء لرسول الله ﷺ يطلبون بدمه إن قُتل، فلماذا لم يطلبوا الثأر للنبي ﷺ بتلك المرأة اليهودية التي سمّته ﷺ؟! فإذا هذه الولاية التي تتكلم عنها هذه الفئة الخاصة ليست ولاية جدية وإن قالتها قريشٌ بجدٍ، لأن هذه الولاية لم تُشرع، إن كانت هناك شريعة فالولاية تكون لابنته الصديقة الطاهرة ﷺ، فهي أولى الناس بأبيها، وإن كانت الولاية مُشرعةً فهي لا تعدوا أمير المؤمنين ﷺ، لأن ولايته كصهرٍ عند العرب وكوصيٍّ عند المسلمين.^١

١. هناك روايات تقول: إن أمير المؤمنين ﷺ كان وصياً لرسول الله ﷺ [انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٥٦/٤٢ - ٥٧، ٣٨٦، ٣٩٢؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٧١/٤ = ٤٠٤٦، ٢٢١/٦ = ٦٠٦٣؛ القندوزي، ينابيع المودة، ١/٢٣٥؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ٩٨/١ = ١١٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨/٢٥٣ = ١٣٩١٩، ٩/١١٣ - ١١٤ = ١٤٦٦٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/١٦٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١/٣٨ - ٤، ١١ - ١٢، ١٢٨، ١٢٩ - ١٤٦] ويذكرها الحاكم في «المستدرک علی الصحیحین»، ولكنّه يقول: إنّ وصاية عليّ ﷺ - وكان يُلقَّب بالوصيِّ والمعروف عند الشيعة أنّ الوصيَّ اسمٌ له ﷺ - كانت وصايةً على شئون رسول الله ﷺ الخاصة، ولأجل هذا لم يجزأ أبوبكر على أن يحوز تلك الشئون لنفسه ودفعها إلى أمير المؤمنين ﷺ. منها السيف، منها البراق، منها ناقته العضباء. كلّ هذا لأنّ عليّاً كان وصياً لرسول الله ﷺ على شؤنه الخاصة، فيقول: نحن نُخصّص هذا بالشئون الخاصة، ولأجل هذا لم يجزها أبوبكر [لم نعثر على هذا المضمون في المستدرک]. (العلامة الجعفري ﷺ)

ومنها وصايته على مواعيد، قال رسول الله ﷺ فيها يُروى عنه من عدة طرق: أنت تنجز عدتي وتقضي ديني، فهو ﷺ ترك دُيوناً وأمير المؤمنين ﷺ هو الذي أنجزها وأوفاهها، ووعد أشخاصاً بمُعطية أو بمواعيد، فقال: وأنت تنجز عدتي، فأمر المؤمنين ﷺ كان إلى ثلاثة أعوام يُنادي من

اختلاف الأنصار بعد خطبة أبي بكر

ثم يستمر الحديث ويقول:

فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعَذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ - هنا لم يصرح عمر بن الخطاب باسم هذا القائل، ولكن جاء في روايات كثيرة التصريح باسمه وهو الحباب بن المنذر وكان بدرياً أُحْديّاً، يقصد بالإجمال: أنا رجلها الذي لا

قَبْلَهُ فِي مَوْسَمِ أَيَّامِ الْحَجِّ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِ عَلِيّاً وَيَأْخُذْ بِعِدَّتِهِ [انظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١/ ٣٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨/ ٧٣ - ٧٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢٨٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٦/ ٢٢١ = ٦٠٦٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر من قضى دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعداته)، ٢ - ٢/ ٨٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١١٣ - ١١٤ = ١٤٦٦٦ - ١٤٦٦٨].

وَمِنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرَادَ أَنْ يَجْذُو هَذَا الْحَذُو، فَقَالَ: أَنَا أَنْجِزُ عِدَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ أَشْخَاصٌ قَلِيلُونَ وَكَلَّمَا قَالُوا بُوْعِدَ أَعْطَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ عِدَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحوالات (باب من تكفل عن ميت ديناً، فليس له أن يرجع)، ٣/ ١١٩؛ كتاب الهبة وفضلها (باب إذا وهب هبة أو وعد عدة، ثم مات قبل أن تصل إليه)، ٣/ ١٩٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٢ - ٢/ ٨٨ - ٨٩؛ أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٥/ ٦٣].

وهنا أذكر كلمة لابن أبي الحديد يقول: إِنَّ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَا جَاءَهُ قَوْمٌ وَوَعَدَهُمْ بَعْدَهُ ثُمَّ جَاءُوا أَبَا بَكْرٍ فَأَعْطَاهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ، فَلَمَّا إِذَا حِينَمَا جَاءَتْ فَاطِمَةُ ﷺ وَقَالَتْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْحَلَنِي فَدَكَامُ لَمْ يُصَدِّقْهَا؟! وَهُوَ أَيْضاً يُعَقَّبُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَقُولُ: الْمَشْكَلَةُ أَنَّ فَاطِمَةَ إِنْ صَدَّقَتْ فِي نَحْلَتِهَا فَلَزِمَ أَنْ تُصَدَّقَ فِي الْوَصِيَّةِ لِبَعْلِهَا وَالْوَصِيَّةُ لِأَبْنَائِهَا، فَدَفَعَا لِلْمَازِقِ الْحَرَجِ هَذَا، طَلَبَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ الشُّهُودَ [انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٢٨٤] وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهَا الشُّهُودَ فَحَسِبَ وَإِنَّمَا نَاقَشَ الشُّهُودَ وَرَدَّهُمْ؛ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، قَالَ: يَجُزُّ النَّارَ إِلَى قَرَصِهِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ وَهِيَ الَّتِي شَهِدَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: هِيَ أَعْجَمِيَّةٌ لَا تُفْصَحُ، وَهَكَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي الشُّهُودِ.

يساويني غيري في هذا المجال، أنا الذي أدافع عن الأنصار وأرى غاية المهاجرين من التأمير - مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ.

هنا أيضاً نقول: بأن الخلافة لم تكن العنوان - سواء كانت خلافة لرسول الله ﷺ أو استخلاف الناس بعد رسول الله ﷺ خليفة لهم، حيث أنه لابد وأن يكون فيها العنوان الذي ينطبق على واحد -، وإثماً الأساس للإمرة بأن يكون هناك أمير، فالأنصار ارتضوا بأن يكون لهم أمير يعادل إمرة الأمير الذي ينصبه المهاجرون أميراً عليهم فيكون للأنصار أمير وللمهاجرين أمير، وهنا لا شك في أن الإمرة تحتل التعدد، وأحسن مثال في ذلك الجيوش المتحاربة، لكل جيش أمير يحارب بجيشه الأمير الذي يحاربه، فلكل من الجيشين المتحاربين أمير يحارب الأمير الآخر، فالإمرة ليس من شرطها الوحدة، ولذا قالت الأنصار هنا: «مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ».

فَكَثُرَ اللَّعْطُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ - يقول أبو حفص: أنا فرقت من الاختلاف، فقلت لأبي بكر: امدد يدك أبايعك، أي: أنه وضع المهاجرين أمام إمرة تمت ببيعة شخص واحد، فعليهم إن أرادوا مخالفتها أن ينصبوا أميراً آخر عليهم وإلا فليقتنعوا بهذه الإمرة التي أنشأها أبو حفص ببيعته لأبي بكر - وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ - ولا ندري من هم هؤلاء «المهاجرون»؟! هل يعني الثالث؟! والحال أنه لم يكن غير هؤلاء الثلاثة (أي: أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة الجراح) قد حضر مجمع الأنصار يوم السقيفة - ثُمَّ بَايَعْتُهُ الْأَنْصَارُ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ - نرى عليه، أي: وثب عليه وثبةً، وثبة قوي على ضعيف، نزونا على سعد كما ينزو القط على اللحم الذي يريد أن يأخذه، نزونا على

سعد لأنه كان مزمل ومريض لم يكن يقدر على شيء، فوثبنا عليه بحيث أنهم قالوا: قتلتم سعداً. قلنا: قتل الله سعداً، يعني: لو كان نزونا عليه ينتهي إلى موته فما أحسن ما نرجوا..

قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيهَا حَضْرًا مِنْ أَمْرِ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ - لَأَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَةً لَا أَكْثَرَ - خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايَعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى، وَإِمَّا نَخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فُسَادٌ.

يعني: خشينا أننا إن لم نبايع أبا بكر وتركناهم أن يبايعوا رجلاً منهم، فإذا أن نبايعهم على ما لا نرضى - أي: يكون أمير علينا من الأنصار - أو نخالفهم فيكون في ذلك فساد، فسبقنا ببيعتنا على الأنصار أن يبايعوا رجلاً منهم.

وهنا لا أعلم ما الذي يمنع من أن يبايع فئة من المسلمين أميراً عليهم ويبايع فئة أخرى أميراً عليهم. نعم، هناك أدلة تقول بأنه يجب الإتفاق على إمام واحد، وأساسه إن تم فهو على مذهب الشيعة الاثنا عشرية أن الإمام هو الذي عينه الله إماماً فلا يجوز أن يختلف عليه اثنان، فمن خالفه كان خارجاً عن الطاعة ومخالفًا للجماعة، وأما الإمارة فما المانع أن يختلف فئتان من المسلمين يكون أحدهما أميراً ارتضته فئة ويكون الآخر أميراً ارتضاه فئة أخرى، كما حدث في بعد ما بويع مولانا أبو محمد الحسن بن علي فكان أهل الشام قد بايعوا معاوية وأهل العراق قد بايعوا علياً وبعده بايعوا ابنه الإمام الحسن؟ معنى ذلك أنه لو كان هناك فئة تبايع أميراً وفئة أخرى تبايع أميراً آخر، لا يجب على كلتا الفئتين أن ترجع إلى الأخرى.

نعم، إن أرادوا الإتفاق بايعوا الثاني بعد ما بايعوا الأول، كما حصل بالنسبة إلى معاوية الذي ذُكر بأنّه حينما بُويع كانت سنة بيعته تسمى بـ «عام الجماعة»^١ السنة الحادية والأربعين من الهجرة التي اجتمع فيها المسلمون على خليفة وهو ابن هند وحسبنا من أن يجتمع المسلمون على خليفة كابن هند.

لزوم المشورة في البيعة في كلام أبي حفص

فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُتَابَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ، تَغَرَّةً أَنْ يُقْتَلَ.^٢

هنا أبو حفص يذكر بأنّ المسلمون يجب أن يبايعوا رجلاً واحداً وأن يتفقوا على رجل واحد والإتفاق لا يكون إلا بمشورة الجماعة وارتضائهم ببيعة رجل واحد، فنقول:

١. ابن عبد البر، الاستيعاب (معاوية بن أبي سفيان)، ٣/١٤١٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٥/٢٨، ٦٢/٥٩ و ١١٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٢/٦٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة (باب رجم الحُبلى من الزنا إذا أحصنت)، ٨/٢٠٨ - ٢١١؛ وانظر أيضاً: أحمد بن حنبل، المسند، ١/٥٥ - ٥٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية (أمر سقيفة بني ساعدة)، ٤/٣٠٧ - ٣١٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤/١٨٢٠ - ١٨٢٣ (طبعة دار المعارف: ٣/٢٠٣ - ٢٠٦)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/٢٢ - ٢٥؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب الأئمة من قريش)، ٨/١٤٢؛ عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب المغازي (بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة)، ٥/٤٣٩ - ٤٤٥ = ٩٧٥٨؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/٣٧٧ - ٣٧٩ = ٢٣٥٢.

أولاً: إن صحَّ هذا وكان حكمه عند أبي حفص أن الذي ينفرد بالبيعة إلى شخص آخر حكمه أن يُقتل هو والذي بايعه، فلماذا كانت بيعة أبي بكر فلتة؟! ثانياً: إن كان أبو حفص يرى بأن البيعة لا تكون إلا بعد مشورة من المسلمين - ولنفرض أن الذين يحضرون دار البيعة (أي: المدينة التي يبايع فيها) هم الذين لهم رأي، لا الاستفتاء الذي يكون أساسه على الإحاطة والإطلاع والتصويب في يوم واحدٍ لصقعٍ من الأصقاع، بل لبلدٍ واسع كالولايات المتحدة أو كالهند، ولنفرض أننا نخترل بيعة الذين يبايعون بأهل الحل والعقد - فإن كانت بيعة أبي بكر فلتة فلماذا رضيَ باستخلافه من غير مشورة من المسلمين؟! فكان عليه أن لا يقنع بأن يعيَّنه أبوبكر في عهده الذي كتبه عثمان، بل كان عليه أن يستشير فيه المسلمين، كان عليه أن يقول: صحيح أن أبابكر قد عيَّني أو أمرني أو أوصى إليّ ولكنكم أنتم المسلمون الحاضرون في المدينة أو أنكم أهل الحق الذين اجتمعتم في مسجد رسول الله ﷺ ماذا ترون؟

إذاً كان عليه أن لا يكتفي بوصية أبي بكر، وكان عليه أن يطلب المشورة من المسلمين! ولكنه مذكور في نصوص بيعة عمر: أن الذين حضروا استخلاف عمر، سمعوا أبا حفص ويده جريدٌ نخلٍ يضرب به رؤوس الناس^١ ويقول: اسمعوا لخليفة رسول الله وأطيعوه، وبعده يرفع مولى أبي بكر كان بيده وصية مكتوبة تلاها

١. لا بمعنى أنه يضربهم، بل بمعنى أنه يدقدهم، وإن كانت الدققة لا تكون بالرأس وإنما تكون في الخوصر أو ما دونه أو ما فوقه. (العلامة الجعفري رحمه الله)

على الناس، وفيها: يعدُّ أبوبكر لعمر بالوصية^١، بل أنه كان يرى أن إيصال أبي بكر مُلْزِماً له ومقيّداً لجميع حرّيات المسلمين على التعبير الحديث، يعني: مقتنعاً بأمر الخليفة الأول عن مشورة المسلمين، ومع هذا تمت بيعة عمر باستخلاف أبي بكر. ويقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدِّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعِيهَا - يعني: إنَّ الخليفة الأول والثاني اقتسما ضرعي الخلافة، جعلاً شطراً لأحدهما يجلبها ويرتضع من ضرعها ويشرب لبنها والشطر الثاني للآخر - فَصَيَّرَهَا فِي حَوَازَةِ خَشْنَاءٍ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَحْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعَثَارُ فِيهَا وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاحِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمٌ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم - أي: تقحم في المال - فَمُنِيَ النَّاسُ لِعَمْرِ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوْنِ

١. * «حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ يُحْيَى، عَنْ عُثْمَانَ الْقُرْقُسَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُجْلِسُ وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَبِيَدِهِ جَرِيدَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، إِنَّهُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَلْكُمْ نَصْحًا. قَالَ: وَمَعَهُ مَوْلَى لِأَبِي بَكْرٍ يُقَالُ لَهُ: شَدِيدٌ، مَعَهُ الصَّحِيفَةُ الَّتِي فِيهَا اسْتِخْلَافُ عُمَرَ». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٣هـ «ذكر استخلافه عمر بن الخطاب»، ١ - ٤/ ٢١٣٨ «طبعة دار المعارف: ٤٢٩/ ٣»)

* «حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَبِيَدِهِ عَصِيْبٌ نَخْلٍ، وَهُوَ يُجْلِسُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: اسْمَعُوا لِقَوْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: فَجَاءَ مَوْلَى لِأَبِي بَكْرٍ يُقَالُ لَهُ شَدِيدٌ بِصَحِيفَةٍ، فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِمَنْ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَوَاللَّهِ مَا أَلَوْتُكُمْ. قَالَ قَيْسٌ: فَرَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ». (ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب المغازي «ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب»، ١٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤ = ١٨٩٠٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٩٦ = ٢٣٩٢)

وَرَاغَتْ رَأْيٌ^١ هذا تعليق أمير المؤمنين عليه السلام في بعض نفساته، ولم يكن قادراً على أن يثبت كل ألم يجده في النفس أمام الملاء.

موضوع النزاع في السقيفة

أساس النزاع بين الأنصار والفئة الخاصة من المهاجرين (أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح) في السقيفة كان قائماً على الإمرة لا على الخلافة، فموضوع الخلافة لم يكن وارداً في أصل البحث وإنما الوارد هو «وحدة الأمراء أو تعددهم» لا أن الذي يكون أميراً يُسمى خليفة رسول الله - لأن أبا حفص يتكلم عن لسان أبي بكر ولا نظن أنه يفترى عليه - بحيث أن أبابكر كان يجد نفسه في ما لو أمّر يجد نفسه خليفة لرسول الله ﷺ كي تكون الخلافة هي المتنازع عليها بينه وبين الأنصار، إنما الأساس أنه كان يجد أن المهاجرين لا بد وأن يكون لهم أمير والأنصار إن كان لهم أمير آخر غير المهاجرين تتضارب المصالح، لذا يقول أبوبكر: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء» ولم يقل «نحن خلفاء رسول الله ﷺ وليست لكم الخلافة منه ﷺ».

فالخلافة عنوان انتزع أو أضيف أو أفضي أو تسربل به الخليفة الأول بعد البيعة وإلا أبوبكر بويع كأمر ولم يبايع كخليفة وإنما تسربل بالخلافة بعد ما بويع، لأنه وجد أن الجو والفضاء والقدرة السياسية مآتية له فادّعى الخلافة، ثم ادعى بها

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٨ - ٤٩ (خ ٣ «الشقشقية»؟ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

أبو حفص بعده ثم سَمَّاه المغيرة بن شُعْبة بإمرة المؤمنين - كما سيأتي في بعض النصوص - فسَمَّى نفسه بإمرة المؤمنين.

لتوضيح هذا المدعى نقول: بالنسبة إلى غزوات رسول الله ﷺ، فالنبي ﷺ كان أمير القوم ونبئهم وزعيمهم والأمر والناهي فيهم، ومن الطبيعي أن يكون لرسول الله ﷺ هذا الموقع الخاص، أمَّا بالنسبة إلى سراياه، فهناك سريةٌ اشتهرت وهي سرية أمير المؤمنين ﷺ وخالد بن الوليد إلى اليمن^١، الحديث حول هذه السرية حديثٌ صحيحٌ ويحكيه عدَّةٌ من الصحابة، منهم بريدة بن الحصيب، ومنهم عمران بن الحصين، ومنهم أبو برة الأسلمي، وخلاصته: أنَّ رسول الله ﷺ بعث سريةً بإمرة خالد بن الوليد وسريةً أخرى تحت إمرة علي بن أبي طالب ﷺ وقال ﷺ لهما إن تفرقتما فكل واحد منكما أميرٌ على أهله وإن اجتمعتما فأمركم علي بن أبي طالب ﷺ، فاجتمعنا وغزونا فأخذ عليٌّ ﷺ من السبي امرأةً خصَّها لنفسه^٢، فحشنا خالد بن الوليد على أن نشكوا علياً عند رسول الله ﷺ في أول ما ندخل عليه، وكان من

١. هناك «كُتِبَ أصفر» - وهو كنايةٌ عن خَسْتِهِ - رأيتُهُ يُوزَع على حجاج بيت الله الحرام وخاصة الشيعة الذين يَفْدُون إلى حج بيت الله الحرام وعندي منه نسخة، كان مكتوباً فيه: إنَّ صَحَّ أنَّ رسول الله ﷺ خطب في يوم الغدير ما خَطَب، إنَّما كان يدافع عن عليٍّ ﷺ، لأنَّه حينما ذهب إلى اليمن اتَّهِمَ بِتُهَمٍ أراد رسول الله ﷺ أن يدافع عنه، ولا يهَمُّ أن يدافع عنه وينفي تهمته.

(العلامة الجعفري ﷺ)

٢. خصَّها لأنَّها كانت ممتازة ومن الأنفال فهي تعود إلى رسول الله ﷺ وإلى أمير المؤمنين ﷺ، ولكن بريدة وبراء وأمثالهما لم يفقهوا هذا النوع من الحديث ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال (٨) / ١] إلى آخر الآية الكريمة.

(العلامة الجعفري ﷺ)

عادتنا أن إذا خرجنا من المدينة، بعد الرجوع نبدأ برسول الله ﷺ فنسلم عليه ثم نذهب إلى أهالينا، فجئت إلى رسول الله ﷺ وكنت رجلاً مكباباً - أي: حينما أكلتم الناس أطرق برأسي ولا أرفعه بحيث تكون عيني في عين من أخاطبه - فشكوت علياً، فلما رفعت رأسي رأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ، فقلت: المعاذ بك يا رسول الله ﷺ، فقال في لفظ: «ما تريدون من علي؟» وفي لفظ آخر: «لا تقع في علي إن علياً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»^١.

فهنا رسول الله ﷺ أمر أميرين على سريتين في زمن واحد. نعم، إن اجتمعوا لا يشتركان في الإمارة، فيكون أمير المؤمنين ﷺ مُفَضَّلًا عند رسول الله ﷺ على أنه أمير لم يؤمر عليه أحد. فالإمارة ليس من شأنها أن تكون متوحدة، ولأجل هذا يجوز أن يكون هناك إمارة للأنصار في المدينة، ولو كان القوم فيهم ما فيهم، وفيهم من فيهم، جاز لهم أن يذهبوا إلى حاضرتهم مكة وأمروا وأسسوا فيها إمارة ثانية.

أما كلمة «ال خليفة» لا تحتل إلا شخصاً واحداً يحل محل المستخلف، لأن الخليفة يُقصد منه أن يخلف رسول الله ﷺ في مقامه - سواء أقلنا: أن الإِستخلاف لا يكون إلا برضى من المستخلف، أو تجرأنا وتجاوزنا وتركنا الإِستحياء بتاتاً، وقلنا: بأن الذي جاء بعده خليفته رغم أنفه -، فلو كان البحث في السقيفة عن الخليفة لما احتاجوا إلى هذه الحجج بأنه «لا يجتمع سيفان في غمد»، أو «لا تخضع العرب إلا لهذا الحي من قريش».

١. انظر: أحمد بن حنبل، المسند، ٣٥٦/٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٢٧/٩ - ١٢٨ = ١٤٧٣٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٨٩/٤٢ - ١٩٠.

فأول الأمر لم يكن هناك بحث في الخلافة وإنّما البحث في الإمرة ولكي لا تتعدّد الأمراء ولا يكون بين الأميرين أو الأمراء تنافس وتصارع ثمّ مآسٍ في نظر المهاجرين أو الذين كانوا يمثلون المهاجرين، قالوا: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء»، ولكنّ الأنصار إلى آخر الأمر كانوا هم السواد الأعظم الذي أهمل، جميع من عيّنهم الخليفة الأول ثمّ بعده الخليفة الثاني^١ على الجيوش - سواء على الجيش الذي أرسلوه إلى فارس، أم الذي أرسلوه إلى الشام - كانوا من المهاجرين.

نعم، الخليفة الأول والخليفة الثاني استعانا بعدّة من المهاجرين، وهؤلاء لم يكن فيهم أبوذر وهو سيّد المهاجرين، ولا عمار وهو من سادة المهاجرين، بدريّ، عقيّ، ولا المقداد بن الأسود وهو من المهاجرين، وإنّما استعانا بيزيد بن أبي سفيان، ثمّ معاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، وغيرهم، أمّا عثمان فقد استعان بأقاربه من قريش خاصّة من بني أميّة، لا أنّه عمّم إمّرتة الفرعية على المهاجرين.

فأين وعدّهم بأنّ يكون الأنصار وزراء لهم؟! أقصوهم بحيث أنّهم همّشوا أسوأ تهميش - كما يقال في المصطلح المعاصر - أقصوا عن المراكز القياديّة أسوأ وأشدّ إقصاء بحيث أنّهم كانوا في ضمن القادة الذين عيّنوا قادة على الجيوش التي بُعثت إلى العراق لمحاربة الفُرس أو لحرب الشام أو لحرب القبائل العربيّة التي كانت تتواجد في الشام وهي منتصرة ومنها القادة الذين فتحوا دمشق وفتحوا فلسطين

١. نقول الخليفة درجاً على ما اصطلاح عليه المؤرخون بتسميتها خلفاء لرسول الله ﷺ.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

وفتحوا بيت المقدس وعلى أساسه دُعي أبو حفص للذهاب إلى الشام وذهب إلى الشام في السنة التاسعة عشرة من الهجرة وله خطبة شهيرة في الجابية^١.

فقد الجيوش كلهم مهاجرون، ويكفيهم خالد بن الوليد، ومغيرة بن شعبة، ويكفيهم شهادة أبي بكر بعد ما شهد ثلاثة على زنا المغيرة بن شعبة بتلك المرأة، وهنا دخل أبوبكرة، فقال أبو حفص: قد جاءكم رجل لا يشهد بالباطل فعرف أبوبكرة أن عمر لا يريد أن تتم الشهادة التي لا بد وأن تتم بأربعة شهود، فعدل عن قوله بالشهادة الصريحة إلى قوله رأيت خفكان ورأيت فلان ورأيت فلاناً يقطر منه فلان ولكني لم أرى الميل داخل المكحلة، فقال عمر: الله أكبر فحد أولئك الثلاثة حد المفترى وجلدهم ثمانين جلدة وبرأ خالد^٢.

١. الجابية منطقة في الشام. ومن جملة ما أذكره بخاطري أن في سفر أبي حفص إلى الشام شكت عنده امرأة من المسلمين، قالت: إن والياً لك ظلمني - ولم يقل النص أن الوالي من هو، وولاية عمر على الشام في ذلك اليوم معروفون - وأنا أشكوك إلى الله سبحانه وتعالى. فقال لها أبو حفص: وإن عمر بالمدينة وما يدري عمر بك وأنت بالشام؟! - المهم هذه النكتة - فقالت: ما كنت أظن أن يلي أمة محمد ﷺ رجل لا يعلم بحالهم أين ما كانوا [لم نعثر على هذا النص وإنما تنقل شبيهه هذه القصة بعد رجوع عمر من الشام (انظر: محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ٢/ ٣٩٠؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٧٩؛ الأميني، الغدير، ٦/ ١٤٤)].

ذيك المرأة، الله يسامحها ويغفر لها لبساطتها وجهلها بأنها كانت ترى أن الذي يلي بعد رسول الله ﷺ يكون حاله حال رسول الله ﷺ، إن كان رسول الله ﷺ يعلم بأمر أمة بوحي من السماء فإن الله سيُعين ملكاً يبلغ الذي يأتي بعده كخليفة له، يُطلع على حال المسلمين أين ما كانوا، فكانت تقول: ما كنت أظن أن يلي أمة محمد ﷺ رجل لا يعلم بحالهم. (العلامة الجعفري ﷺ)

٢. قد رويت هذه القصة بأشكال وطُرُق مختلفة، وما عثرنا عليه في النصوص أن زياد كان رابعهم،

وهو الذي أفسد على الآخرين، وإليك نموذج من هذه النصوص:

* «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَالْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ الَّذِي كَانَ، قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اجْتَنِبْ أَوْ تَنَحَّ عَنْ صَلَاتِنَا، فَإِنَّا لَا نُصَلِّيْ خَلْفَكَ، قَالَ: فَكَتَبَ [إِلَى] عُمَرَ فِي شَأْنِهِ، قَالَ: فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْمُغِيرَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ رَفِيَ إِلَيَّ مِنْ حَدِيثِكَ حَدِيثٌ، فَإِنْ يَكُنْ مَصْدُوقًا عَلَيْكَ فَلَا أَنْ يَكُونَ مَتَّ قَبْلَ الْيَوْمِ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَإِلَى الشُّهُودِ أَنْ يَقْبِلُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ دَعَا الشُّهُودَ، فَشَهِدُوا، فَشَهِدَ أَبُو بَكْرَةَ وَشِبْلُ بْنُ مَعْبُدٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ نَافِعٌ، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ شَهِدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ: أَوَدَّ الْمُغِيرَةَ أَرْبَعَةَ، وَسَقَى عَلَى عُمَرَ شَأْنَهُ جِدًّا، فَلَمَّا قَامَ زِيَادٌ، قَالَ: إِنْ تَشْهَدُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا بِحَقٍّ، ثُمَّ شَهِدَ، قَالَ: أَمَّا الزُّنَا فَلَا أَشْهَدُ بِهِ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ أَمْرًا قَبِيحًا، فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، حُدُّوهُمْ، فَجَلَدُوهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ جَلْدِ أَبِي بَكْرَةَ قَامَ أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ زَانٍ، فَهَمَّ عُمَرُ أَنْ يُعِيدَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنْ جَلَدْتَهُ فَأَرْجُمُ صَاحِبَكَ، فَتَرَكَهُ فَلَمْ يُجَلَدْ، فَمَا قَدَفَ مَرَّتَيْنِ بَعْدُ». (ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب الحدود «في الشهادة على الزنا، كيف هي؟»، ١٠/ ٩٢ - ٩٣ = ٨٨٧٣؛ وانظر أيضاً: البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحدود «باب شهود الزنا إذا لم يكملوا أربعة»، ٨/ ٢٣٤ - ٢٣٥)

* «أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ، وَأَبُو بَكْرُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي، قَالَا: ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَنبَأَ عَبْدُ الْوَهَّابِ، أَنبَأَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ أَبَا بَكْرَةَ، وَنَافِعَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ، وَشِبْلُ بْنُ مَعْبُدٍ، شَهِدُوا عَلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ يُولِجُهُ وَيُخْرِجُهُ، وَكَانَ زِيَادٌ رَابِعُهُمْ، وَهُوَ الَّذِي أَفْسَدَ عَلَيْهِمْ، فَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَشَهِدُوا بِذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِأَثَرِ جُدْرِيٍّ فِي فَخْدِهَا، فَقَالَ عُمَرُ (رض) حِينَ رَأَى زِيَادًا: إِنِّي لَأَرَى غُلَامًا كَيْسًا لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، وَلَمْ يَكُنْ لِيَكْتُمْنِي شَيْئًا، فَقَالَ زِيَادٌ: لَمْ أَرْ مَا قَالَ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رِيَّةً، وَسَمِعْتُ نَفْسًا عَالِيًا، قَالَ: فَجَلَدَهُمْ عُمَرُ (رض) وَخَلَّى عَنْ زِيَادٍ». (البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحدود «باب شهود الزنا إذا لم يكملوا أربعة»، ٨/ ٢٣٥)

* وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مُوَصَّوْلًا، وَفِي رَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرَةَ وَزِيَادًا وَنَافِعًا وَشِبْلُ بْنُ مَعْبُدٍ كَانُوا فِي غُرْفَةٍ، وَالْمُغِيرَةُ فِي أَسْفَلِ الدَّارِ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَفَتَحَتْ الْبَابَ وَرَفَعَتِ السُّتْرَ، فَإِذَا الْمُغِيرَةُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ ابْتُلِينَا، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ، قَالَ: فَشَهِدَ أَبُو بَكْرَةَ وَنَافِعٌ وَشِبْلُ، وَقَالَ زِيَادٌ: لَا أَدْرِي نَكَحَهَا أَمْ لَا، فَجَلَدَهُمْ عُمَرُ (رض) إِلَّا زِيَادًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ (رض): أَلَيْسَ قَدْ جَلَدْتُمُونِي؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ فَعَلَ، فَأَرَادَ

نعم زادَ عليهم عثمان بأنَّه استعان بأقاربه الخاصَّة كالوليد بن عقبة بن أبي معيط ومروان بن الحكم وأمثال هؤلاء، بحيث أنَّ عمرو بن العاص وهو القائد الذي فتح مصر كان يسكن فلسطين ويتربَّص بعثمان الدوائر، فمن جملة ما قال له عثمان: «كأنَّك قد قمل جربان جبتك»^١ يعني: أنكَ من طول ما لبست جبَّة واحدة بحيث سكن فيها القمل فلا تجد غيرها حتى تكون لك جبَّة صالحة نظيفة تستعين بها بدل تلك الجبَّة البالية العتيقة.

أمَّا أمير المؤمنين (عليه السلام) استعان بسهل بن حنيف وبالك الأشتر واستعان بآخرين فيهم الأنصار وغير الأنصار، فالسيرة المستمرة التي كانت للخلفاء الثلاثة أنَّهم كانوا يستعينون بالمهاجرين، إنَّ كان الأوَّل والثاني يستعينا بالمهاجرين الذين لا

عُمَرُ أَنْ يَجْلِدَهُ أَيْضًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنْ كَانَتْ شَهَادَةُ أَبِي بَكْرَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ فَارْجُمُ صَاحِبَكَ، وَإِلَّا فَقَدْ جَلَدْتُمُوهُ، يَعْنِي لَا يُجْلَدُ ثَانِيًا بِإِعَادَتِهِ الْقَذْفَ. (البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحدود «باب شهود الزنا إذا لم يكملوا أربعة»، ٢٣٥/٨)

* «عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: شَهِدَ أَبُو بَكْرَةَ، وَنَافِعٌ، وَشَيْبَلُ بْنُ مَعْبُدٍ عَلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَيْهِ كَمَا يُنْظَرُ إِلَى الْمُرُودِ فِي الْمَكْحَلَةِ، فَجَاءَ زِيَادٌ، فَقَالَ عُمَرُ: جَاءَ رَجُلٌ لَا يَشْهَدُ إِلَّا بِحَقٍّ، فَقَالَ: رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَبِيحًا وَابْتِهَارًا، قَالَ: فَجَلَدْتُهُمْ عُمَرُ الْحَدَّ». (الطبراني، المعجم الكبير، ٣١١/٧ = ٧٢٢٧؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٨٠/٦ = ١٠٦٨٧؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٥٣/٥ = ١٨٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٣٧٧/٣ - ٣٧٨ = ٣٩٦١؛ عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، ٣٨٤ - ٣٨٥ = ١٣٥٦٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٦٠٨/٢ = ٢٣٧٩)

وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١ - ٥/٢٩٢ - ٢٥٣٣ «طبعة دار المعارف: ٦٩ - ٧٢» وقد ذكر القصة بصورة مفصلة.

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٣٥هـ)، ١ - ٦/٢٩٦٦ (طبعة دار المعارف: ٣٥٦/٤)؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٦/٥٥؛ الأميني، الغدير، ١٥٣/٢، والمقول في المصادر المذكورة هكذا: «ما أسرع ما قمل جربان جبتك».

يتصلّون بقرابة قريبة بهما لأنّهما لم يكن لهما قرابة قريبة متميّزة، بخلاف عثمان الذي كانت بنو أميّة بطانته وحراسه وقواده وأمراء دولته.

فكلمة «الخليفة» سُرِقَتْ^١ حتى يصحّحوا بها ولكي يحلّ صاحبهم الأوّل محلّ رسول الله ﷺ في كلّ ما له من الشأن والمقام، وأنّهم فيما بعد أيضاً سرقوا الألقاب التي كانت تصحّ في موردٍ، فصحّحوا بها ما لا يكون صحيحاً وزيفوا بها ما كان صحيحاً، فسرقوا كلمة «الخليفة»، وسرقوا «إمرة المؤمنين»، وسرقوا ما أعطوه للصديق وابنته الصديقة، وسرقوا ما أعطوه للفاروق، وسرقوا ذوالنورين ولم يكن بذي النورين لأنّه لم يحضّ إلاّ ببنتٍ واحدة - سواء كانت ربيبة رسول الله ﷺ أم ابنته - وهي «رقية» ولقبها «أم كلثوم»، لأنّ رسول الله ﷺ زوج «أم كلثوم» بعد ما صنع ما صنع صهره في موت «رقية».

فالنتيجة: أنّ الإمرة قد تعدّدت، ولأجل هذا إمرة فلان على المدينة لا تعارض إمرة فلان على مكّة، ولا تعارض إمرة ثالث على الطائف، كما أنّها لا تعارض إمرة آل فلان على السعودية وآل فلان على المغرب، وإلى آخره، أمّا الخلافة لا تتمثّل إلاّ بفردٍ واحد في موقعٍ واحد، فإنّ تعدّدت تدلّ على أنّ خلافة أحدهما أو كلاهما باطلة.

١. ولا أدري متى سُرِقَتْ؟ لأنّ الذين حكوا التاريخ لم يذكروا أنّهم في أيّ يوم من أيام الخليفة الأوّل استعاروا كلمة الخليفة، وبأيّ جهة؟ استعاروها بعد ما سبّلتهم الأمر فأرادوا أن يفاخروا بها غيرهم ممّن عارضهم ولم يكن في مستواهم من حيث العُدّة، إلى آخره. (العلامة الجعفري ﷺ)
٢. والقرآن الكريم أيضاً يشير إلى ذلك، ويقول: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء (٤)/ ٤٦] ومعنى تحريف الكلمة عن مواضعه أنّ المعنى صحيح ولكن هنا لا ينطبق على المصداق. (العلامة الجعفري ﷺ)

فالنزاع في أول الأمر لم يكن في الخلافة، لأنّه لو كانوا يتنازعون في الخلافة لصحّ لهم أن يقولوا بأنّ رسول الله ﷺ كان ينفرد بالسلطة في حياته فخليفته لا بدّ وأن يكون واحداً ينفرد بالسلطة بعد وفاته ﷺ، الأساس أنّهم كانوا يحاولون الائتثار لجعل أميرٍ عليهم في قبال الفئة التي كانت تحالفهم وهم أمير المؤمنين ﷺ والوزير ومن انحاز إليهم، وحينما سمعوا بعمل الأنصار التجأوا إليهم وذهبوا إلى محلّهم، وكان أساس البحث هناك في الإمرة لا أكثر من ذلك، ولكنّهم بعد ذلك عدّوا، فقالوا: خليفة رسول الله ﷺ ومشوا عليه، وعدّوا، وقالوا: «أمير المؤمنين» ومشوا عليه، فهؤلاء افتاتوا على الخلافة وكذبوا بتسمية الذين جاءوا بعد رسول الله ﷺ بالخليفة، كما أنّهم كذبوا بتسمية إمرة المؤمنين للثاني، ولأجل هذا نرى أنّ ابن كثير وغيره يقولون: «الخليفة العادل أمير المؤمنين فلان»، فهذا يدلّ على أنّ الخلفاء الثلاثة لم يُسمّوا في زمانهم بالخلفاء العدول.^١

فإذاً كلّما جاء في أحاديث تدلّ على أنّ الذي اختير في السقيفة نصّ عليه رسول الله ﷺ، أو رضي به، أو هو صاحب الغار، أو هو خليفة رسول الله ﷺ، وما شابه ذلك، هذا كلّهُ مُفْتَعَل فيما بعد،^٢ لأنّ الخلافة ليست هي التتابع في الزمان والذي

١. ومن العجيب أنّهم حينما أرادوا أن يذكروا العرفاء الذين لهم نوعٌ من العرفان بدئوا بالأوّل والثاني، ثمّ ثلثوا بالثالث، وأبعد ما يكون عن العرفان هو الثالث، ثمّ ربّعوا بأمر المؤمنين، وبعدها صنّعوا ما صنعوا من معاذ بن جبل وأمثاله كما جاء في كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء».

(العلامة الجعفري ﷺ)

٢. الله يرحم سيد علي بن يحيى العلوي الاندوني في بيته في «باندونغ»، كان أحد الثلاثة الذين فاوضوا «اهلنجيين» في الدائرة المستديرة، هو وسكانو وثالث، مع ثلاثة من اهلنجيين وانتهت

دَرَجَ عليه جميع الدُّوَل ذات المناصب في جميع اللغات، أَنَّهُ لا يقال في الدُّوَل المتعاقبة أَن المتأخِّرة خليفة للمتقدِّمة إِلَّا بنوعٍ من التعهد والوصاية والالتزام والتعيين، ولذا الآن في المجتمع العربي أو في الدول الكافرة وما شابه ذلك لا يقال للدُّوَل المتعاقبة دولة واحدة إِلَّا أَن يعهد السابق لللاحق.

نعم، الخلافة إِن كانت بمعنى الذي يأتي متأخراً - سواء جاء بوصاية من السابق، أم جاء رقم أَنفه، أم جاء كَمُحْتَلٍّ -، فالمتأخر يكون خليفة للسابق بمعنى أَنه جاء بعد السابق، ولكن هذا لا يدل على رضی المستخلف أو السابق، حيث أَنَّ القرآن الكريم أيضاً يقول: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾^١ يعني: لا أَنهم استخلفوا الذين يُضَيِّعون الصلاة ويتبعون الشهوات، بل جاء مِنْ بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فخلافة الذين جاؤوا بعد رسول الله ﷺ كانت خلافة زورٍ مسروقة كما سُرِّقَت باقي الألقاب الخاصة كالصديق والصديقة والفاروق وأمير المؤمنين وغيرها.

إلى أخذ الإستقلال بعد ما اجتاحت يابان إلى اندونيسيا وأُخْرِجَت بفعل الذين قاوموا مِنَ الاندونيسيين، قال أبيات - أسِفْتُ كثيراً أَنني ما دَوَّنْتُهَا، كان يُحِيلُ إِلَيَّ أَنها تبقى في ذاكرتي ولم تبقَ - يقول فيها:

وقائلة إِن قلت لها عليك حديث الغدير قالت ولا تنس آية الغار
وإِن قلت لها اذكرني قتيل الطف قالت لا تنس حديث الدار

يوم الدار، يعني: اليوم الذي هجموا فيه على عثمان وقتلوه.

مضمون الحديثين: معارضة بين حديث الغدير وآية الغار، وبين الطف ومأساته الذي اجتمع فيه كلابُ بني أُمِّيَّة وبين الذين جاؤوا من الأمصار الإسلامية محتجِّين على أفعال عثمان وانتهى بهم إلى أن اضطروا أو ألجأوا إلى قتله.

(العلامة الجعفري)

إغتصاب لقب «أمير المؤمنين»

ذكرنا أنّ من جملة الألقاب المغصوبة والمسروقة هي كلمة «أمير المؤمنين»، والشاهد على هذا أنّهم يقولون: أوّل مَنْ سُمِّيَ بأمير المؤمنين هو عمر بن الخطاب، والقصة أنّه في أحد الأيام دخل المغيرة بن شعبة على الخليفة الثاني، فقال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين» فاستنكره أبو حفص، وقال: كيف؟ قال: «نحن المؤمنون وأنت أميرنا، فأنت أمير المؤمنين»^١، وهذه مشّت إلى آخر أيام الخلافة العباسية حيث أنّهم كانوا يسمون أنفسهم بأمير المؤمنين.

ولا نعلم هل أنّ المؤمنين صدقوا في قولهم: «نحن المؤمنون» - والحال أنّ القرآن الكريم يقول شيئاً آخر، وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾^٢ - أم أنّ «إمرة المؤمنين» فرضوها لأنفسهم بأنّ أمروا عليهم غيرهم، أم أنّ «الإمرة» كانت برضى من الله ورسوله؟!!

على مبنا هؤلاء تكون «إمرة المؤمنين» بالانتخاب بحيث أنّ الذي لا يقبل أن يكون «المتسلّط عليه» أميراً له لا يصحّ له أن يُخاطب «المتسلّط» بإمرة المؤمنين، ولكنّ الواقع غير هذا، وهو أنّ الإمرة لا بدّ وأن تكون برضى من الله سبحانه وتعالى، بحيث أنّ الله عزّ وجلّ إنّ لم يُصرّح بها عن طريق نبيّه ﷺ فعلى الأقلّ لا بدّ وأن يرضى بذلك، وإلاّ فالأمير على المؤمنين لن يكون أميراً بحكم الشرع.

١. انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ٢/ ٦٧٧ - ٦٧٨؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٦/ ١٠٥.

٢. المائدة (٥) / ٤١.

نعم، لو قلنا بالمشورة أو قلنا بالأصول الديمقراطية - كما يقال الآن - فالذين لهم حقّ التأمير، يأتوا بالأكثرية لا باتفاق جماعة خاصة، أمّا بالنسبة إلى وصف «المؤمنين» و«أمير المؤمنين» هذا لا بدّ وأن يكون برضى من الله سبحانه وتعالى.^١

فإمرة المؤمنين لا بدّ وأن تكون برضى من الله سبحانه وتعالى، لأنّ وصف المؤمنين هو الذي يكشفه الله سبحانه وتعالى - أو نكشفه نحن عن طريق مطابقة المعتقد بالوصف الذي يُحَلَّى أو يُمنَح أو يمتاز به الشخص - والإمرة تكون إمرة فردٍ عليهم، وهذا لا يكون إلّا برضى من الله سبحانه وتعالى.

فحينما يقول المغيرة بن شعبة: «نحن المؤمنون وأنت أميرنا، فأنت أمير المؤمنين»، كلمة «أمير المؤمنين» هنا ليس لها وجه أبداً. نعم، الذي يتمكّن من أن يُحصن ألف امرأة^٢ يستطيع أن يصف الآخرين بهذا الوصف، ولكن هذا الوصف لا يمكن لأحد أن يتّصف به إلّا برضى ونص من الله سبحانه وتعالى.

١. هناك أحاديث كثيرة تُروى عن ابن عباس وغيره بأنّ عنوان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، متى ورد في القرآن، وأنّه يشمل أمير المؤمنين ﷺ وأتباعه من المؤمنين، وروايات أخر في هذا الصدد [انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/٣٦٢ - ٣٦٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/٢٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٧/٣٣٣ = ٧٣]. (العلامة الجعفري ﷺ)

٢. ومن أحسن صفات المغيرة بن شعبة أنّه يقال: أحصن ألف امرأة، يعني: نكح ألف امرأة. كذبوا ونحن نعلم بأنّه كذب، نعم زنا بألف امرأة، ممكن، أمّا أنّه أحصن ألف امرأة، هذا كذب، لأنّ صاحبه لم يكن يتمكّن من أن يحصن خمس أو عشر فكيف هو أحصن بألف امرأة؟! فهذا تسترّ على عمّله وإلا المغيرة بن شعبة وزناه بفلانة وشهادة الشهود معروف في كتب التاريخ. وأظنّ أنّ هذا كان في الجاهلية قبل الإسلام، وإلا في الإسلام لا يسعه أن يحصن ألف امرأة، و«أنكحة الجاهلية» أنكحة معروفة يجدها الذين يبحثون، من جملة المواضيع رسالة في نسب الخليفة الثاني حدود مأتين ورقة، فيها الكثير وفيها من «أنكحة الجاهلية» الشيء الكثير. (العلامة الجعفري ﷺ)

إِغْتِصَابُ لِقَبِ «الصَّدِيقِ وَالصَّدِيقَةِ»

أيضاً من جملة الألقاب التي غصبوها وأخذوها زوراً وعناداً، هما لقباً «الصديق والصديقة»^١.

لتحليل هذا المعنى نقول: الصديق «فَعِيلٌ» من المبالغة في الصدق، فليس كل صادق صديق. نعم، الصادق المطلق يكون صديقاً، لا الذي يصدق في قضية واحدة وقد يكذب في غيرها وقد يكون يُشَكُّ في صدقه وكذبه في قضايا أخرى، والشاهد على ذلك الإستعمال القرآني:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^٢، وقال: ﴿وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^٣.

وجاء أيضاً وصف النبي بالصديق، حيث يقول: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتَنَّا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ﴾^٤،

١. كتاب ألفه الكاتب الشهير «عباس محمود العقاد» في شأن أحد أزواج النبي عنونته: «الصديقة ابنة الصديق»، لا أنه اخترع هذا بل على مصطلح العراقي «كانت ماشية عدّهم»، ولكن استعان بهذا اللقب لتعيين موقع امرأة من أزواج النبي ﷺ وأن موقعها هي الصديقة ووالدها هو الصديق. (العلامة الجعفري)

٢. النساء (٤) / ٦٩.

تذكير: أشار العلامة ﷺ هنا إلى الآية: «٦٩» من سورة الزمر، والظاهر أنه سهو منه ﷺ، حيث أن الآية لم يوجد فيها لفظ: «الصديقين»، وبما أن الكلمة المشار إليها قد جاءت في سورة النساء، ذكرنا هذه الآية بدل الآية المشار إليها.

٣. المائدة (٥) / ٧٥.

٤. يوسف (١٢) / ٤٦.

لأنّ الذين كانوا مع يوسف عليه السلام في السجن قالوا للملك أو لأيّ جهة أخرى: إنّ هذا كان يصدّق في كلّ ما يقوله عن المستقبل، ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾^١، فإذا يوسف عليه السلام كان يُخبر عن المستقبل بالنسبة إلى مَنْ كانوا معه في السجن وكان يصدّق في كلّ ما يخبر، ولأجل هذا قال الملك: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾^٢ لأنّه كان يخبر عن مستقبل أمرهم بصورة لا يكذب في أيّ واحدةٍ منها، فالصديق هو الذي إنّ أخبر بشيء لا يكذب أبداً.

نُبِّئَ مشهد الحكم الإلهي: أنّ الذين يحضرون المحكمة الإلهية عدّة أشخاص، منهم النبيّين، لأنّ النبيّين هم شهداء على أممهم، ومنهم شهودٌ آخر بحيث يشهدون على الشخص بأنّه بلغته دعوة النبيّ فلم يعتني بها أم بلغته دعوة النبيّ فاهتمّ بها وأصغى إليها، والصديق هو الذي يكون مثلاً يقاس به أعمال مَنْ كان مُكلّفاً، والصديق الأكبر هو أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ عمل كلّ عاملٍ بلغته دعوة النبيّ عليه السلام يقاس بعمله عليه السلام، فهو عليه السلام ميزانُ عمل كلّ عامل، ولذا جاء في الزيارة الماثورة: «السلام عليك يا ميزان الأعمال»^٣.

فإذا متى كانت تلك المرأة صديقة؟! الآية الكريمة تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾^٤ هل التي كانت تحاول أن تصرّف النبيّ عليه السلام عن ما أحلّ الله له إلى الإلتزام بالحرمة، تكون صديقة؟! وهل التي قال الله

١. يوسف (١٢) / ٣٧.

٢. انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨٧ / ٩٧ و ٣٣٠؛ الشهيد الأوّل، المزار / ٤٦.

٣. التحريم (٦٦) / ١.

سبحانه وتعالى عنها: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ *﴾ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ^١ تُعَدُّ صَدِيقَةً؟!

ومتى كان أبوها الذي عاش مشركاً بالله قبل بعثة رسول الله ﷺ صديقاً؟! لا شك في أن أبا بكر آمن برسول الله ﷺ بعد البعثة وقبل البعثة كان مشركاً، فهل الذي كان مشركاً يكون صديقاً؟! فلنفرض كذباً وافتراءً أن أبا بكر كان أول المسلمين بعد البعثة، ولكنه قبل البعثة كان مشركاً، وإن صحَّ أنه كان في سنِّ النبي ﷺ، فهو كان مشركاً مدة أربعين سنة، فهل الذي كان مشركاً مدة أربعين سنة - ولو لعدم وصول الحق إليه - يكون صديقاً؟! ومما حفظ الناس من كلام الأنبياء قولهم: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^٢، إذا لم تستح فقل ما شئت!

القرآن الكريم يجعل الصديق هو الذي لم يكذب ولا مرةً واحدة بحيث تكون موافقته دليلاً على الصدق، يعني: مَنْ يوافق في العمل يكون صادقاً لأنه يتبع الصديق، ويكون رأيه صادقاً لأن رأيه رأي الصديق، ويكون ما يُقرُّه من الأعمال موافقاً لما يُقرُّه الصديق من الأعمال.

١. التحريم (٦٦)/٣-٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب (باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت)، ٨/٣٥؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٤/١٢١، ٥/٢٧٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٧/٢٣٠، ٦٤٠، ٢٣٥-٢٣٧ = ٦٥١-٦٦١.

وصحيحٌ أنَّ كلمة «الصدِّيق والصدِّيقة» مبالغة في الصدِّق - كما تقول المعاجم^١ - ولكنَّ المبالغة ليست اعتباطية بل هي مبالغة واقعية، وهي أنَّه لم يكذب ولا مرَّة واحدة في قولٍ أو فعلٍ أو امضاءٍ أو تقيَّة، فالصدِّيق هو الذي يأتي بالصدق في القول والفعل وما يكون موافقاً له بحيث إنَّ كان في رأيه مخالفاً يَجاهِرُ به، إلَّا مجال التقيَّة^٢ فذاك شيء آخر، وأمَّا الصادق، يكفي أنَّ يكون صادقاً في خيرٍ كي يصدق عليه الصدق.

بتعبير آخر: «الصدِّيق» ينافي الكذب ولو مرَّة واحدة، ولكنَّ «الصادق» لا ينافي أنَّ يكون كاذباً في أخبارٍ أُخر، يعني: لا ينافي أنَّ يصدق في خبرٍ ويكذب في أخبارٍ أُخر. يقول مسلم بن الحجاج النيسابوري في مقدمة صحيحه: «أكثر ما رأيت من

١. انظر: ابن منظور، لسان العرب (فصل الصاد المهملة)، ١٠/١٩٣ - ١٩٤؛ الأزهرى، تهذيب اللغة (أبواب القاف والصاد)، ٨/٢٧٨.

٢. ورحم الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي قال: لعن الله من الجأ الشيعة إلى أنَّ يقولوا بالتقيَّة لدرء الأذى والضرر، بل والقتل عن أنفسهم، ولو لم يكن هذا لما كان هناك مجال للتقيَّة. وهناك رأيٌ لسيدنا الأستاذ الخوئي - رضوان الله عليه -: أنَّ التقيَّة فيما لو كان رأي الشخص مجهولاً بحيث يمكنه أنَّ يلتزم بالتقيَّة، وأمَّا لو كان رأيه معلوماً فلا تقيَّة. وحديثنا: «إنَّما جعلت التقيَّة ليحقن بها الدم، فإذا بلغت التقيَّة الدم فلا تقيَّة» [الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦/١٧٢ = ٣٣٥؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٦/٢٣٤ - ٢٣٥ = ٢١٤٤٦]، ومثاله: أنَّ الحاكم لو الجأ شيعياً يدعي التسنن مثلاً أو غيرها من الفرق، يقول له: إنَّ كنت كما تدَّعي بأنَّك موافقٌ لنا في العقيدة فاقتل هذا الشيعي، هنا لا يجوز لهذا الشخص أنَّ يتذرَّع بالتقيَّة، لأنَّه «إذا بلغت التقيَّة الدم فلا تقيَّة» [انظر: الغروي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، ٥/٢٢٣ - ٢٢٤].

(العلامة الجعفري رحمته الله)

الكذب في أحاديث الصالحين^١، وهناك قصة تُذكر ذيل قوله ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، يقال: مِنْ جملة الراوين كان راو يكذب على النبي ﷺ وذكروا أَنَّهُ كَذَبَ في أحاديث فضائل سور القرآن، فقليل له: كيف تروي عن رسول الله ﷺ قوله: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وأنت كذبت عليه؟! قال: لم أكذب عليه (أي: لم أكذب في شيء يضره) وإنما كذبت له (أي: كذبت لصالحه)^٢، ولا نعلم أن أمثال هؤلاء الصالحين كم كان عددهم وكم كانوا منتشرين؟! والظاهر أن الذي وصف امرأة معيّنة بـ«الصدّيقة» ووصف أبوها بـ«الصدّيق» كان منهم.

تداعيات النزاع والشجار الذي وقع بين الصحابة

إنّ النزاع والشجار الذي وقع بين الصحابة حرّمنا الكثير من الأحكام التي لو وصَلتنا سالمة من غير أن يُعبَث بها، لكنّا نفرح بها، منها: الطرح الذي كان الله سبحانه وتعالى قد أقرّه وكان رسول الله ﷺ هو الذي يعمل به ويؤكّده، هو أن المركزيّة لم تكن في السلطة وإنما كانت في الجهة القيادية التشريعيّة، والآيات التي جاءت في سورة النور وغيرها من السور، ومنها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

١. «وحدثني محمد بن أبي عتاب، قال: حدثني عفان، عن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، عن أبيه، قال: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث». (مسلم، المسند الصحيح «المقدمة»، ١٧/١)

٢. انظر: القرطبي، التذكار (في التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وآيه وذكر ما ورد من الأخبار في فضل سورة وآيه وذكر بعض منافعها) / ١٥٦؛ الأميني، الغدير، ٢٧٦/٥.

يُحْكَمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^١ كلها تأسيسٌ لمركزية الشريعة والحكم، لا تأسيسٌ لمركزية التسلط.

بيان ذلك: قوله عزّ من قائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ليس معناه أنّ كلّ قضية تقع في عالم الإسلام يومذاك لابدّ وأن يُرجع فيها إلى رسول الله ﷺ بحيث أنّها تُعرض أمامه ويكون هو الحاكم فيها، بل «يُحْكَمُوكَ» يعني يأخذون الحكم منك بحيث أنّ مركز الحكم والشريعة يكون هو رسول الله ﷺ، وليحكم القاضي الذي يُحْكَمُ وهو في الطائف، وليحكم القاضي الذي يحكم وهو في مكة المكرمة أو في أيّ صُقعٍ من أصقاع الدولة الإسلامية يومذاك، فالحكم لابدّ وأن يكون حكماً مأخوذاً من قِبَلِ الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ.

ولو أخذنا بالسير النزولي لدائرة الخلفاء والخلافة نجد أنّه في زمن بني أمية كانت هناك منطقتان: منطقة تحكمها دولة بني أمية وهناك مناطق يُشيرون أو يؤيّدون فيها نوع الحكم - لا أنّهم يتدخلون، لأنّهم لم يكن بإمكانهم التدخل -، إلى أنّ أصبحت الخلافة رمزاً مع تعدّد الدُول في العصر الثاني العباسي، مثلاً: بعد عصر المتوكّل كانت هناك دُول كثيرة: السامانيون في الشرق، والأمويون في الأندلس - أي: في الشرق الأقصى -، والفاطميون الذين كانوا يتنافسون مع الخلافة العباسية في الشرق الأدنى - أي: ما يلي المنطقة العربية -، وباقي الدُول التي كانت تُحيط

بالخلافة العباسية كالحمدانيين وكالبويهيين وغيرهم، فهو لاء كانت الخلافة عندهم بمعنى الإشراف الروحي - لا أنهم كانوا يرجعون في قضاياهم إلى الخلافة ويطلبون رأيها - بحيث أنها كانت تُشبه المركزية التي أخذوها من الدولة الرومانية وصلّتها بالواتيكان يومنا بالنيابة الأرثوذكسيّة التي كانت تحكّم الروم الشرقية التي فيها بعد حينما فتحها «محمد الفاتح» سَمّاها اسلامبول - أي: مدينة الإسلام - وكان مقرّها القُسطنطينيّة أو اسلامبول وبعد ذلك انتقلت إلى روسيا، وكان مقرّها يومذاك في روسيا.

فالإشراف كان إشرافاً معنوياً، ولذا الدُول التي كانت معاصرةً من القرن الثالث فما بعد، لا تُعطي شيئاً للدولة المركزية بعنوان الخلافة والخليفة ولم تكن ترجع في صلاتها إلى الدولة المركزية، فكانت الخلافة خلافةً روحيةً بالمعنى الكلمة، يعني: أنهم كانوا يخطبون يوم الجمعة للخليفة العباسي حينما كانوا يرجعون إلى الخلافة العباسية، أو يخطبون في اليوم الجمعة للخليفة الفاطمي حينما كانوا يرجعون في أصقاعهم إلى الخلافة الفاطمية، أو كانوا يخطبون للدولة الأمويّة حينما كانوا ينتمون إلى الدولة الأموية، ولأجل هذا كانت الدولة في الأندلس والأصقاع التي تدور في فلكها تسير على منهاج الدولة الأمويّة.

معنى ذلك أنّ الخلافة في أصلها كانت خلافةً روحيةً يرجع إليها المسلمون في أحكامهم، وهذا هو المناسب للآيات الكريمة، وليس معناه أنّ رسول الله ﷺ عليه أن يُعيّن قاضياً في كلّ مكان بحيث ينوب عنه في القضاء، بل كان لرسول الله ﷺ أن يؤخذ منه الحكم، وهو عيّّن لأنّه لم يكن جهةً أخرى تقوم بهذه المهمة.

ومع الأسف الشديد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يحكم في عمر الدهر إلاّ سويّعات قليلة، ولم يكن حكمه نافذاً إلاّ في مجالٍ خاصّ وهو العراق ومصر، وأمّا الشام فكانوا لا يُعارضون طاغيّتهم. نعم، ممّا يؤسفنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عهد لمالك بن الحارث الأشتر النخعي - رضوان الله عليه - عهدٌ يقول عنه السيد الخوئي رحمه الله: «وطريق الشيخ بالنسبة إلى عهد مالك الأشتر صحيح»^١، فلو درّسنا العهد لعلّنا الكثير من الملامح التي تُعطي لنا الضوء لما يصنّعه الإمام الحجّة عليه السلام ولكن مع الأسف الشديد لم نعتني به. فهذا عهدٌ لم يُعمل به، وهو يُعطي ملامح ممّا يصنّعه الإمام الحجّة عليه السلام، ولأجل هذا حينما يقوم الإمام الحجّة عليه السلام يرجع دُول العالم كلّها إلى دولةٍ واحدة، مركزه مركز الشريعة والتشريع الديني الذي يعطي سماته العامّة لكافة المُشرّعين مهما اختلفت دولتهم، ولا يُعقل أن يكون غير هذا، واللامح التي جاءت في مصادرها ويمكننا أن نتعبّد بها، لا تدلّ إلاّ على أمانيّة من أمانيّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن هذه الأمانيّ لن نَقع في موضع التنفيذ، لأنّ مالك بن الحارث الأشتر - رضوان الله عليه - قُتِلَ^٢ وهو في طريقه إلى مصر.

١. الخوئي، معجم رجال الحديث (الأصبع بن نباتة)، ١٣٤/٤ = ١٥١٧.

٢. لما بلغ معاوية موت الأشتر، قال: «إنّ لله جنوداً من عَسَل» [ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ٣/٣٠٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٤٥٤؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ١/١٧١، ٥/٢٢٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/٥٩١؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ١٥/١٦٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٥١٨] وحسبنا ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء (٢٦)/٢٢٧] إلّه عادلٌ عدلٌ صمدٌ فريدٌ واحدٌ أحد، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا يقرب منه أحد، ولا يبعد منه أحد، وسيحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. (العلامة الجعفرية عليه السلام)

والخلاصة: انّ الخلافة التي صَنَعوها وانتهوا إليها، هي أنّ الدُول لا بدّ وأنّ تتبرّك بالخلافة، ولكن هذا لا ينفعنا لأنّه ليست له الصفة الشرعية التي يمكننا أن نأخذ بها، ولا يدُلُّنا على شيءٍ يرتضيه الشرع، فالمهم أنّ الطرح لا بدّ وأنّ يكون طرْحاً يَقْبَلُهُ الله سبحانه وتعالى، لا أنّه يكون التنفيذ بيد الله أو بيد النبيّ أو بيد الإمام. وعلى هذا الأساس، فالذي وَقَعَ كان نتيجته أنّ الخلافة أصبحت رمزيّة يكون الإنتماء إليها إنتماءً روحياً، لأنّه كان يُخْطَبُ باسم الخلافة السُّنِّيّة فيما لو كانت الخلافة سُنِّيّة، وكان يُخْطَبُ باسم الخلافة الشيعيّة فيما لو كانت الخلافة شيعيّة، وكان يُخْطَبُ باسم الخلافة الأمويّة فيما لو كانت الخلافة أمويّة، حيث أنّه في زمن العباسيين لم تكن هناك خلافةً واحدة، بل كانت الخلافة العباسية في جهة، وكان الفاطميون في جهة أخرى، وكان الأمويّون في جهة ثالثة.

النتيجة: انّ الذي يكون مُهمّاً هو أنّ يكون مصدرُ التشريع في مُستقرّه وهو المكان الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لنبيّه ولأوليائه عليه السلام، لا أنّ التنفيذ يكون بيدهم، والآيات الكريمة حينما تقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^١، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾^٢، أو حينما تقول: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^٣ - هذه الآية إلى حدٍّ ما مجملة -، ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ - أي: يُبَيِّنَ

١. النساء (٤) / ٦٥.

٢. النساء (٤) / ٦٦.

٣. النور (٢٤) / ٤٧.

الحكم - إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ^١ - يعني: إن لم يسوا أن يكون الحكم لصالحهم يأتوا إليه مدعين فيستعينون بالله والرسول، وإن لم يكن الحكم لصالحهم يكونوا عنه معرضين، معناه أنهم لابد وأن يخضعوا للحق سواء كان لهم أم عليهم، ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^٢ - إلى آخر الآيات -، معنى ذلك: أن المركزية تكون للذي يُبَيِّن الحكم لا للذي يُنفذه، فالتنفيذ من أي شخص كان لابد وأن يكون حكمه مأخوذاً من الله ورسوله، ومعناه أن المركزية^٣ فيما بعد تكون بما يحكم به الله ورسوله وإن كانت الدول متعددة بتعدد الأصقاع، مثلاً: لو أن الأمم المتحدة وسَّعت دساتيرها بحيث أنها كانت تتعدى القضايا البسيطة - كالقضايا التي عن حقوق الإنسان، وأن الدول لابد وأن تكون نزاعاتها في أماكن معينة في أطرافها، وأن الدول لا تتدخل بالشؤون الداخلية غيرها، وأمثال هذه القضايا - بقضايا أشد تفصيلاً منها، ليس معناه أن الدولة واحدة بل هي دول متعددة، فلو انضمت بدل ١٣٦ دولة تجمعها الانضمام إلى المؤسسة الدولية ٥٠٠ دولة، لا يحيف بعضها على بعض ولا يجوز بعضها على بعض، لأن نظاماً واحداً إنسانياً يحكمها، وهذا هو الذي يتناسب، وأما التدخل

١. النور (٢٤) / ٤٨ - ٤٩.

٢. النور (٢٤) / ٥٠ - ٥١.

(العلامة الجعفري)

٣. لا مركزية دولة واحدة تحكم العالم كما نتخيله نحن.

فليس معناه أنّه لا بدّ وأنّ نفرَض أنّ الخليفة هو الذي يتدخّل في الناحية الإجرائية،
ففي عصر الحجّة ﷺ دولةٌ واحدةٌ تحكم العالم بمعنى أنّ مركز التشريع يكون واحداً،
لا أنّ الدولة تكون من جهة تنفيذيّة دولة واحدة.

أحاديث عائشة بنت أبي بكر

تمهيد

كنّا في دراسة أحاديث السقيفة وبدأنا بحديث ابن عباس الذي يحكيه عن الخليفة عمر بن الخطاب أبي حفص حينما حكى ما حكى من أحداث السقيفة، لأننا لا نجد ناصراً أقوى وأشدّ وأمتن وأحكم وأجراً من أبي حفص لنصرة صاحبه الذي خلفه فكان له شطري الخلافة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا صَرَعِيهَا»^١.

قلنا: إنّ هذا الحديث فيه جهات متعددة، استعرضنا بعضها وارجئنا بعضها الآخر إلى حين دراسة سائر أحاديث السقيفة، وقلنا أيضاً بأنّ هذا الحديث يرويه كلّ من ذكّر ما يرجع إلى السقيفة ويروونه بسند صحيح عن الخليفة أبي حفص. الراوي الثاني لأحاديث السقيفة السيدة عائشة وهي التي كانت تحاول بكلّ ما اوتيت من قوّة ومن صلابة ومن افتتان بحبّ أبيها وكانت تحاول أن تنصر أباهاً حيّاً

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٨ (خ ٣ «الشقشقية»؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦٢/١).

وميتاً ولها الخطبة المعروفة التي يقال بأنّها خطبتها أيام خلافة أمير المؤمنين، وهي الخطبة التي تستعرض فيها سيرة أبيها وتحاول أن تأتي بسجع يكون إلى جانبه ما أثر عن الصديقة الطاهرة عليها السلام وما أثر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام شيء لا يعادلها من عنايتها بالسجع وطول النفس، لا نقول طول النفس إنّما خطبت زمناً أطول من زمن الصديقة الطاهرة عليها السلام، إنّما خطبت في موضوع إنّ شاء الله إنّ أتينا إلى ذلك نقول إنّما خطبت في موضوع بالغت فيه أكثر ممّا بولغ في خطب أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة عليها السلام من أنّها كانت تلتزم بالسجع، وهذا ردّ على من قال بأنّ السجع إنّما عُرف في القرن الرابع، وإنّ شاء الله سنأتي أنّ الكلام الذي كان يقال، كان كلاماً مسجوعاً يقلّد فيه القرآن، وأمّا الكلام المرسل فهو الكلام الذي لم يكن العرب تعتني به وتراه تافهاً لا قيمة له.

الحديث الأول

مجئ أبي بكر من السنح ودخوله على النبي ﷺ وهو مسجى

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ، وَيُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ (رَضَ) زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَتْ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ (رَضَ) عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكِنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ.

تقول عائشة وهي تدافع عن أبيها: انَّ أبا بكر كان في السُّنْحِ وانه استأذن رسول الله ﷺ في عشيّة الوفاة - أي: ليلة الاثنين التي كان وفاة النبي ﷺ في صبيحتها - أن يزور امرأته ابنة خاتمة، وهذا دليل على عدم الاستئذان وانه تلافياً لعدم حضوره أمام رسول الله ﷺ في المسجد، حيث أنَّ الرسول ﷺ كان يصرّ على بعث جيش أسامة وإنَّ من تخلف عن أسامة يصرّ عليه أن يرجع إلى معسكره، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر ووجوه المهاجرين، فكانوا يذهبون إلى معسكر أسامة بالجرف نهراً ويفرون منه ليلاً ولكنهم كانوا لا يحضرون مجلس النبي ﷺ كي لا يراهم رسول الله ﷺ فأقل ما كان يقال فيهم: انهم تخلفوا بلا إذن منه.

وأما حديث أنّ رسول الله ﷺ لعنهم، وقال: «انفذوا أو جهزوا جيش أسامة»^١، «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»^٢، فترجعه إلى المحاكمة العادلة التي لا تحابي أحداً وإن كان بمثل مقام أبي بكر وعمر، ولا تظلم أحداً وإن كان في ضعف فاطمة الزهراء عليها السلام وقرينها أو كفؤها^٣ أمير المؤمنين عليه السلام، نحن نعلم إن شاء الله حينما نشهد ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^٤ وإذا شهدنا ونرجو من الله أن نشهد كلنا ذلك المشهد يوم القيامة حينما يأتي الله سبحانه وتعالى فيحكم رجلاً بقدرة أبي بكر وجرأة عائشة ولصالح مستضعف كالصديقة الطاهرة عليها السلام وكفؤها أمير المؤمنين عليه السلام.^٥

فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ (رض)، فَتِمَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم وَهُوَ مُسَجَّى بِرُذِ حَبْرَةٍ.

١. ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، ١٠/١٣٩.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٥٢؛ الجوهری، السقیفة وفدک/ ٧٧.

٣. أنا هنا لا أستعمل كلمة زوج، بل أقول: «كفؤها»، لأنه لو لم يكن علي عليه السلام لما كان لفاطمة عليها السلام كفؤ. (العلامة الجعفري عليه السلام)

٤. الزمر (٣٩)/ ٦٩.

٥. أقول مستضعف لأن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سبق إلى البيعة التفت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: «يا بن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» [الصفار، بصائر الدرجات (باب في أن الأئمة عليهم السلام يزورون الموتى وإن الموتى يزورهم)/ ٢٩٥ = ٥؛ المفيد، الاختصاص/ ١٨٦، ٢٧٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/ ٢٢٠ = ١٠]، فإن قلت هذا فهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام. (العلامة الجعفري عليه السلام)

هنا السيدة عائشة تقول: انَّ أبابكر دخل عليها وتيمَّم المكان الذي كان رسول الله ﷺ قد توفِّي فيه، ومعنى ذلك انَّ النبيَّ ﷺ كان مسجًى في حجرتها والحال أنَّ رسول الله ﷺ كان مسجًى في الموضع الذي دفن فيه، وكان هذا الموضع «بيت فاطمة ؑ» التي تحوَّلت منه إلى «بيت عليّ ؑ» الذي كان يجاوره وأمَّا بيت عائشة وسائر بيوت النبيِّ ﷺ كانت في جهة القبلة - أي: قبلة مسجد النبيِّ ﷺ - ولكن حينما تمت خلافة من استخلف أو من ادَّعى أنَّه استخلف، استعانت السيِّدة عائشة بقدرة أبيها فدخلت فيما بعد في البيت الذي توفِّي فيه رسول الله ﷺ وقامت فيه بما قامت.

ما صنعه أبوبكر حينما رأى النبيَّ ﷺ مسجًى

فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى.

ما أحسن ما كان أبوبكر يملك البكاء متى شاء، بل في أخرج المواقف التي لا تنفذه إلَّا البكاء، وجاء في أحاديث إخواننا العامة عن رسول الله ﷺ: «المنافق يملك عينيه، يبكي كما يشاء»^١، يعني: من علامة المنافق أنَّه متى شاء بكى بينما هو يضحك.

فَقَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا.

١. السيوطي، الجامع الصغير، ٢/ ٦٧١ = ٩٢٣٧؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١/ ١٥١ = ٨٥٥.

عجيبٌ، لا نظنَّ أنَّ أبابكر لم يسمع لغط صاحبه أبي حفص في المسجد وإنما أراد أن يحسم الأمر، وحسم الأمر في رأيه وهو خير حسم، يحسم الخلافة... بهذه الصورة.

خروج أبي بكر من عند النبي ﷺ

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ (رض) أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رض) خَرَجَ، وَعُمَرُ (رض) يُكَلِّمُ النَّاسَ.

أخبر ابن عباس أنَّ أبابكر خرج من الحجرة التي مات فيها رسول الله ﷺ إلى المسجد - لأنه دخل من الباب التي كانت شارعاً في المسجد لا الباب التي جاء فيها من جاء بحرقها - وعمر يكلم الناس.

فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ (رض)، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكَوْا عُمَرَ.

فقال أبو بكر لعمر: اجلس، فأبى أن يجلس عمر. ثم قال له ثانية: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر فمال إليه الناس وتركوا عمر، لماذا؟ لأن الناس كانوا في قلق شديد، حيث أنه:

أولاً: مات نبيهم والتاريخ الإسلامي يذكر أنَّ ما أصاب المدينة بوفات رسول الله ﷺ لم يكن بحسبانهم، فكانوا يقولون: فكان كيوم مات فيه رسول الله ﷺ.^٢

١. سيأتي في الأحاديث قول أبي حفص في المسجد.

٢. «...أنه يوم كان للمسلمين مضرب المثل، فإذا بالغوا في يوم مصيبة، قالوا: أنه كيوم مات فيه

رسول الله ﷺ». (المظفر، السقيفة/ ١١٠)

ثانياً: لا يدرون أيصدقون عمر فيما يقول أم يسمعون إلى الناطق الجديد، فلما تشهد أبوبكر مالوا إليه وتركوا عمر.

إخبار أبي بكر بوفاة النبي ﷺ وانفعال الناس

فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ إِلَى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾^١، وَاللَّهُ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ (رض)، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٍ إِلَّا يَتْلُوهَا.^٢

يقول الحديث: حينما قرأ أبوبكر الآية فكأن الناس كلهم لم يكونوا يعلمون بأن الله أنزلها حتى تلاها أبوبكر، ولا نظن أن جلة المهاجرين كانوا يغيبون عن مسجد رسول الله ﷺ يوم توفي النبي ﷺ بحيث انهم كانوا يعيشون في بيوتهم، فالناس الذين سمعوا الآية من أبي بكر أغلبهم جلة المهاجرين والأنصار، ومعنى ذلك - إن

١. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز (باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفته)، ٨٦ / ٢ - ٨٧؛ وانظر أيضاً: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبي ﷺ صلى الله عليه [وآله] وسلم ووفاته)، ١٧ / ٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر تقبيل أبي بكر الصديق رسول الله ﷺ صلى الله عليه [وآله] وسلم بعد وفاته)، ٢ - ٢ / ٥٢ - ٥٣؛ (ذكر كلام الناس حين شكوا في وفاة رسول الله ﷺ صلى الله عليه [وآله] وسلم)، ٢ - ٢ / ٥٦؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الجنائز (باب الدخول على الميت وتقبيله)، ٤٠٦ / ٣.

سمح لنا اخوتنا والذين لا نريد أن نُسيء إليهم ولكن نحن مضطرون ويشهد الله أننا مضطرون وليعذرونا إخوتنا - ائهم كانوا ممالئين لأبي حفص وناصرين له فعلموا بأن التمثيلية - كما يقول عصرنا - قد انتهت، كانت تمثيلية يقوم بدورها أبو حفص تتبعها تمثيلية أخرى يقوم بدورها أبوبكر.

موقف عمر بعد تلاوة الآية من أبي بكر

وفي ذيل الحديث: فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقْلِنِي رَجُلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ.^١

عجيب، حينما تلا أبوبكر هذه الآية وسمعه عمر أغمي عليه، والحال أنه سيأتي أن العباس تلاها، وقال: والله اني لأعرف الموت في وجوه بني عبدالمطلب واني أشهد أن رسول الله ﷺ مات، فلم يعتني به عمر أبداً.

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ووفاته)، ١٧/٦.

الحديث الثاني

دخول ابن بابنوس وصاحبه على عائشة

حدثنا عبدالله، حدثني أبي، ثنا بهز، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرني أبو عمران الجوني، عن يزيد بن بابنوس، قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة - يظهر أن عائشة كانت تكرمهما أو تكرم يزيد بن بابنوس وهو ورد اسمه في كثير من أحاديث عائشة - وجذبت إليها الحجاب.

إن ابن بابنوس وصاحبه دخلا على عائشة في الحجرة التي استولت عليها بعد ما تربّع أبوها على عرش الخلافة، وهي الحجرة التي دُفن فيها رسول الله ﷺ، وبعد ذلك دفنت أباها، ثم دفنت عمر، وانها كانت تقول: كنت أضع عني ثيابي وأقول أنا وبعلي، فلما دفنت أبا بكر كنت أيضاً أضع عني ثيابي وأقول أنا بين بعلي وأبي وكلاهما يحرم عليهم النظر إلي - وعند عائشة كلاهما ميّتان، أمّا عندنا الثاني ميّت كما يموت كثيرون -، فلما دفنت عمر بن الخطاب لم أكن أضع عني ثيابي إلا بعد أن

بَنِيْتُ سِتَاراً مَبْنِياً بَيْنِي وَبَيْنَ مَوَاضِعِ الْقَبْرِ^١، فَهِيَ كَانَتْ تَحْتَجِبُ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ أَمَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَكْفِينَا رِضَاعُ الْكَبِيرِ وَلَا نَقُولُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

عائشة وموقفها من سؤال السائل

فَقَالَ صَاحِبِي: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَقُولِينَ فِي الْعِرَاكِ؟ قَالَتْ: وَمَا الْعِرَاكُ؟ وَضَرَبْتُ مَنْكِبَ صَاحِبِي، فَقَالَتْ: مَهْ أَذَيْتَ أَخَاكَ.

يقول: أنا ضربت منكب صاحبي حتى يسكت ولا يسأل عن مثل هذه الأسئلة، لأنَّ في السؤال نوع من الإساءة لزوج رسول الله ﷺ، فقالت أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة: مه أذيت أخاك، ما أرفأها بأولادها، رحم الله السيّد الحميري يقول:

جاءت مع الأشقين^٢ في هودج تزجي إلى البصرة أجنادها

كأنّها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها^٣

المعروف أنَّ الهرة إن جاعت تأكل أولادها، وهذا الحديث وُوجهت به السيدة عائشة بعد ما رجعت من الجمل، يقول الرواي: دخلت أنا وأخٌ لعائشة من الرضاعة فسألها، فقال: ما تقولين في امرأة ربّت لها صغيراً ثمّ عدّت عليه فقتلته؟

١. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٦/٨ = ١٢٧٠٤، ٣٣/٩ = ١٤٢٥٤ و ٣٧ = ١٤٢٧٤؛ أحمد بن حنبل، المسند (حديث السيدة عائشة)، ٢٠٢/٦؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ٦٠٧/١٤؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٨١/١١ - ١٨٢.

٢. يعني: طلحة والزبير. (العلامة الجعفري)

٣. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣٣٥/٢؛ الأميني، الغدير، ٢٦٠/٢؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٤٢٨/٣.

فقالت: وجب لها النار. فقال: ما تقولين في امرأة قتلت من بنيتها الأكابر في يوم واحد سبعين ألفاً؟ فقالت: إليك إليك، مه مه، لعنك الله، ذيك المرأة التي قتلت صبيّاً لها عليها لعائنُ الله وأما التي قتلّت من بنيتها الأكابر في يوم واحد سبعين ألفاً أن القادة في الجنة والأتباع في النار.

ثُمَّ قَالَتْ: مَا الْعِرَاكُ؟ الْمُحِيضُ؟ قُولُوا: مَا قَالَ اللَّهُ: الْمُحِيضُ - «العراك» يعني: المحيض، والسؤال عن ما تفعله وما تدعه المرأة إذا حاضت - ثُمَّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم يَتَوَشَّحُنِي، وَيَنَالُ مِنْ رَأْسِي، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ ثَوْبٌ، وَأَنَا حَائِضٌ.^١

١. قدّس الله روح سيّدي الأستاذ الروحاني، جمعتُ شيئاً من هذا الباب قرنته عليه في الكوفة، فقال: «أرجوا أن يأتي نارٌ يَلْتَهُم جميع ما كتبت»، فمزّفته وبعد ذلك جمعته بصُور متفرّقة أكثر ممّا جمعتُ يومذاك ولم أستشر أحداً.

منها: ما جاء في قصّة الإكسال الذي جاء في صحيح مسلم وغيره: «عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَالَتْ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ - أي: لا ينزل منه شيء - هَلْ عَلَيْهَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم: إِنِّي لَأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهَذِهِ، ثُمَّ نَعْتَسِلُ» [مسلم، المسند الصحيح، كتاب الحيض (باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين)، ١/ ٢٧٢ = ٨٩ (٣٥٠)].

وسُئِلَ أبو حفص يوم الجمعة فلم يكن عنده شيء، فقال: دونك أصحاب رسول الله ﷺ البدرين فسألهم، فاختلفوا، فقال عليٌّ وعَمَار: وجب عليه الغسل لأننا سَمِعْنَا رسول الله ﷺ يقول: إذا التقى الختانان وجب عليهما الغسل [انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، ١/ ٥٨ - ٦٠ = ٣٣٥ - ٣٣٨؛ العيني، عمدة القاري، ٣/ ٢٤٩ و ٢٥٣ - ٢٥٤].

قدّس الله روح السيد الخوئي، قلت له: إن أبا حنيفة يقول: «لو كفّ فلانهُ في حَرِيرَةٍ فوطاً امرأة لم

هنا لا نُعَلِّقُ، غيرها من نساء النبي ﷺ كنَّ إذا سُئِلْنَ، يقلن مثلاً: انَّ رسول الله كان ينال من نسائه أو يأمر بعض نسائه بأن تفرك الثوب ولم يكن يصرّحن بأنَّ الحادث وَقَعَ هُنَّ، لكنَّ السيِّدة الجليلة النقيّة النقيّة الورعة الزكيّة تُسند العمل إلى نفسها؟! ولعلّها كانت تتسلّى بها كانت تفقده من العواطف في حياة زوجها إلى آخره؟!

يجب عليه الغسل لأنّه وطئها بعازلٍ، فأخذ يضحك، فأصررتُ عليه بالدفاع عن رأي أبي حنيفة، على كلّ رحمة الله عليه، سألتني: لماذا في حرية؟ لماذا لم يلفّ فلانته في كيسٍ ما يُسمّى «كيس اجبتو» يومذاك أو شيء آخر؟ قلت: لأنّه لا يمكن أن يصنّع شيئاً لو لَفَّ فلانته في كيس اجبتو أو كيس من نوع آخر، نعم، في حريرٍ يُمكنه لضيق موضع الداخل وسعة المدخول. وهنا أذكر: قرأت في كتابٍ أنّه جاء أحد الشعراء إلى باب المأمون فوجد الحاجب قد أدخل أناساً وحَبَسَهُ، فكتب رُقعةً يخاطب فيها المأمون يقول:

الناس كلّهم كالـ«أير» قد دخلوا والعبدُ مثل الخُصا مُلقاً على الباب فلما قرأها المأمون ضحك، وقال للحاجب: نادِه، قل له يا خُصا أدخُل، فلما كان يدخُل سَمِعَ الناسُ قوله يقول: هذا والله يا مولاي دليلٌ على السعة، لو لم يتسّع لما دَخَلَ ما دَخَلَ. [وقد عثرنا على شبيه هذه القصّة وهي كما يلي: «اتفق أن بعض الشعراء قصد ملكاً يستمطر إحسانه فرآه في البستان فوقف على الباب وأراد الدخول فمنعه الحارس، فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ماء يجري وينتهي إلى محل تحت الحائط ينصب في فسقية كبيرة ورأى الملك جالس عليها فأخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت:

الناس كلّهم كالأير قد دخلوا والعبد مثل الخُصا واقف على الباب ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع وألقاها في الجدول فأخذه الماء حتى ألقاها بين يدي الملك فتناولها وفكّ ختامها وأخرج الورقة، فلما قرأ البيت تبسّم وناداه ادخل يا خصا، فقال الشاعر: هذا منك عن وسع عظيم أطل الله بقالك، فانسرّ الملك لمصادفة هذه النكتة وأنعم عليه وارتد شاكرًا». (الشربيني، هزّ القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، ١١٦/٢).
ورحم الله سيدنا الخوئي وسيدنا الروحاني الذين أجهدا نفسيهما في تعليمي وأنا لقصورٍ وقصورٍ وقصور، لم أستفد تلك الاستفادة منها. (العلامة الجعفري ﷺ)

رواية عائشة عن أيام مرض النبي ﷺ

ثُمَّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِبَابِي مِمَّا يُقَالُ الْكَلِمَةُ يَنْفَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا.

يعني: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بباب حجرتها ربَّما كان يعظ، وكلماته ﷺ كانت قصاراً، وهو ﷺ يمتاز بكلماته القصار، قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم». وهنا أيضاً ننبه إلى الدارسين من أبناء السيِّدة عائشة ومن أبناء أمير المؤمنين ﷺ، فليدرسوا جوامع الكلم التي أُثرت من أمير المؤمنين ﷺ فهو سيِّد الفصحاء بعد رسول الله ﷺ، إنَّ كان القرآن هو الذي بلغه رسول الله - وهو كذلك - ولكنَّ كلام عليٍّ في كلماته القصار التي أوجز فيها، أبلغ من غيره - بعد رسول الله ﷺ - على الإطلاق. نعم، أبناء السيِّدة عائشة قد يشمئزون وأبناء أمير المؤمنين ﷺ قد يتباهون والحكم الله يوم القيامة.

فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ - بِبَابِي - فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، ثُمَّ مَرَّ أَيْضاً فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً - قُلْتُ: يَا جَارِيَّةُ ضَعِي لِي وَسَادَةً عَلَى الْبَابِ.

يظهر أنَّ رسول الله ﷺ لم يكن ينوي أن يطرق بابها وإنَّما كان يطرق بابَ غيرها من أزواجه، ويظهر أنَّ عائشة كانت لها جارية في زمن رسول الله ﷺ ولكنَّ جاريتهما تختلف عن السيِّدة فضَّة التي كانت جارية لسيِّدة نساء العالمين سلام الله

١. أحمد بن حنبل، المسند، ٢/ ٢٥٠ و ٤٤٢؛ مسلم، المسند الصحيح (كتاب المساجد ومواضع

الصلاة)، ١/ ٣٧٢ = ٧ (٥٢٣).

عليها، تقول: قلت لجاريتي: «ضعي لي وسادة على الباب»، يعني: في مدخل الباب - في المكان الذي يراني رسول الله وأراه -، لأنَّه هناك من جهة المسجد لم يكن بابٌ يغلق وإنَّما إطارُ بابٍ كان فيه سترٌ فإذا أُرخي الستر معني ذلك أنَّه لا يجوز لأحد أن يدخل إلاَّ أن يستأذن وإذا رفع الستر معناه أنَّه مسموح لمن أراد أن يدخل بالدخول.

وَعَصَبْتُ رَأْسِي فَمَرَّ بِي، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَا شَأْنُكَ؟

يعني: لم يكن بيَّ شيء ولكنِّي عصبت رأسي كناية عن آتي وجعانة - باللهجة العراقية - فحينما مرَّ بي النبي ﷺ، قال: لماذا عصبت رأسي؟
فَقُلْتُ: أَشْتَكِي رَأْسِي، فَقَالَ: أَنَا وَارَأْسَاهُ - أَنْتِ تَتَظَاهَرِينَ وَأَمَّا أَنَا فَوَجَعَ رَأْسِي شَدِيدًا، فَذَهَبَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جِيءَ بِهِ مُحْمُولًا فِي كِسَاءٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ، وَبَعَثَ إِلَى النِّسَاءِ.

يعني: فلم يمضي شيء إلاَّ أن جِيءَ به محمولاً بحيث أنَّ المرض أقعده عن المشي ثم بعث إلى النساء يطلب منهنَّ الإذن في أن يمرضَ في بيتها، هكذا تدَّعي عائشة.
فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَشْتَكَيْتُ، وَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَأَذَنْ لِي فَلَأَكُنَّ عِنْدَ عَائِشَةَ أَوْ صَفِيَّةَ وَلَمْ أُمَرِّضْ أَحَدًا قَبْلَهُ.

يطلب ﷺ إمَّا أن يكون عند عائشة أو عند صفية، والسيدة عائشة تقول: اتِّي لم أُمرضَ أحداً قبله حتَّى أتعلَّم التمريض، والحال أنَّها كانت تدَّعي علمها بأمراض النساء خاصَّة.

فَبَيْنَمَا رَأْسُهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْكَبِي - دائماً تذكر صلته ﷺ بها، الصلة العاطفية التي لا تكون إلاَّ بين الرجل وزوجه من العشق والحبِّ وغيرها - إِذْ مَالَ رَأْسُهُ نَحْوَ

رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ رَأْسِي حَاجَةً، فَخَرَجْتُ مِنْ فِيهِ نُطْفَةً بَارِدَةً، فَوَقَعَتْ عَلَى ثُغْرَةِ نَحْرِي، فَأَقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ غُشِيَ عَلَيْهِ - أي: خِيلَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ غُشِيَ عَلَيْهِ وفي الحقيقة كان قد توفي - فَسَجَّيْتُهِ تَوْبًا.

تدّعي عائشة بأن رسول الله ﷺ توفي هكذا بين سحرها ونحرها ورأسه على منكبها من غير سابقة أصلاً، فصلاة أبي بكر التي تدّعي، والكتف والدواة، وبعث أسامة والمخالفات أو المدفوعات التي حدثت في بعث أسامة وغيرها، كلّ هذه تُنكرها عائشة، لأنّها كانت تقول بأدق التفاصيل العاطفية بينها وبين رسول الله ﷺ فلو كان شيء من ذلك موجوداً ومنها صلاة أبيها في حياة رسول الله ﷺ لما توقّفت ولصاحت به بمجاهرة، بل بألف مجاهرة.

موقف عمر والمغيرة من وفاة النبي ﷺ

فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَاسْتَأْذَنَا، فَأَذِنَتْ لهُمَا، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ - أي: وضعت بيني وبينهما حجاباً، والتقيّد بهذا على الظاهر لأجل الآية الكريمة: ﴿...وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...﴾^١ - فنظر عمر إليه، فقال: وَاعْشِيَاهُ مَا أَشَدُّ غُشْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم - إن رسول الله قد غُشِيَ عليه - ثُمَّ قَامَا، فَلَمَّا دَنَوَا مِنَ الْبَابِ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا عُمَرُ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم. قَالَ: كَذَبْتَ بَلْ أَنْتَ

رَجُلٌ^١ تَحْسُوكَ فِتْنَةً - أي: تريد أن توقع فتنة بين المسلمين - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ - لا إله إلا الله، ما أشدَّ حرص أبي حفصٍ على فناء المنافقين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ^٢﴾، وهو يوم القيامة الذي وعد الله المنافقين فيه بنار جهنم والعذاب -.

مجيء أبي بكر وموقفه من وفاة النبي ﷺ

ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَرَفَعْتُ الْحِجَابَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ، وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَانْبِيَّاهُ - لا ندري كيف لم يُعْمَى على السيد أبي بكر؟! - ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاصْنِيَّاهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: وَاحْلِيلَاهُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعُمَرُ يُخْطِبُ النَّاسَ وَيَتَكَلَّمُ، وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى

١. هنا في الطبعة الميمنية، مذكور علامة سقوط كلمة، وأنا إن شاء الله أبينها في مصادر آخر أن كلام هنا حذف، لأن هذه الكلمة كانت شديدة على أبناء السيدة عائشة، «بل أنت رجل منافق».
(العلامة الجعفري رحمه الله)

٢. التوبة (٩) / ٦٨.

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^١ حَتَّى فَرَغَ مِنَ
الْآيَةِ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ﴾^٢ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ، فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ، وَمَنْ كَانَ
يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَإِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ - هَاتَانِ آيَاتَانِ فِي
كِتَابِ اللَّهِ؟ - مَا شَعَرْتُ أَنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا أَبُو بَكْرٍ
وَهُوَ ذُو شَيْبَةٍ الْمُسْلِمِينَ فَبَايَعُوهُ فَبَايَعُوهُ.^٣

إن كان أبو بكر ذو شيبه المسلمين فرحم الله شيخنا الأميني - أعلى الله مقامه -
يقول: ما أكثر من كانوا أشيب من أبي بكر ومنهم أبوه أبو قحافة.

١. الزمر (٣٩) / ٣٠.

٢. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٣. أحمد بن حنبل، المسند (حديث عائشة)، ٦ / ٢١٩ - ٢٢٠؛ وانظر أيضاً: الهيثمي، مجمع الزوائد،

٩ / ٣١ - ٣٢ = ١٤٢٥٤.

الحديث الثالث

موقف عمر والمغيرة من وفاة رسول الله ﷺ

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، نَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ بَابُنُوسَ، عَنْ عَائِشَةَ - السند صحيح -، قَالَتْ: لَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَكَشَفَا الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاعْشِيَا مَا أَشَدَّ غُشْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ.

الحديث يقول: عمر لم يثق بموت رسول الله ﷺ وإنما قال: أنه غُشي عليه - لأنَّ أمام الناظر لا بدَّ وأن يقول شيئاً، يرى رسول الله ﷺ مسجى وقد وضعوا ثوباً على جسده الشريف وَيَسْتُرُ وجهه، فهنا لا بدَّ لأبي حفص أن يقول شيئاً - فحينما خرج إلى المسجد، قال: «إنَّ رسول الله ﷺ ذهب إلى ربِّه وسيعود بعد أربعين يوماً»، ولكن غيرها من الأحاديث لم تذكر أنَّ عمر دخل على رسول الله ﷺ وإنما بمجرد ما أُذيع الخبر، قال: «إنَّ رسول الله ﷺ قد ذهب إلى ربِّه وسيعودنَّ بعد أربعين يوماً» ولم تذكر الغشية، والحال أنَّ السيدة عائشة هنا لا بدَّ وأن تذكر شيئاً - لا ندري هل هي مسرحية تهدف إلى نصرته الصحابة أم شيء آخر؟! والنية والقصد يعلمه الله

سبحانه وتعالى ومن يعلمه من الشهداء والصديقين ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^١.

ثُمَّ قَامَا فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْبَابِ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا عُمَرُ، مَاتَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّم. فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّم، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ تَحُوشُكَ [تَحُوشُكَ] فِتْنَةٌ، وَلَنْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّم حَتَّى يُفْنِيَ الْمُنَافِقِينَ.

هنا أيضاً فيها مسرحية: من المسرحية أن عمر والمغيرة بن شعبة دخلا على رسول الله ﷺ، فلما انتهيا إلى الباب، قال المغيرة: إن رسول الله ﷺ مات، فقال عمر: «إنك رجل تحوسك [تحوشك] فتنة» يعني: تريد أن تقع الفتنة بين المسلمين، لأن المسلمين إن علموا بموت رسول الله ﷺ اتجهوا أو عملوا ما طلبه النبي ﷺ منهم - عند الذين يُثبتون الإمامة: رجعوا إلى الإمام الذي عينه رسول الله ﷺ، وعند من لا يُثبت الإمامة: يفرض أنهم يرجعون إلى المشورة أي يختار أي أمير أو خليفة -، وهذه هي الفتنة التي يشير إليها أبو حفص ويقول للمغيرة: «إنك رجل تحوسك [تحوشك] فتنة».

موقف أبي بكر من وفاة رسول الله ﷺ

ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: اسْكُتْ فَسَكَتَ فَصَعِدَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^١، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^٢ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ وَذُو شَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ فَبَايَعُوهُ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ.^٣

هنا السيدة عائشة - إن صحّت النسبة إليها - نَسِيَتْ شَيْءَ وَهُوَ أَنَّ مَشْهَدَ الْخِلَافِ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْحَالُ أَنَّ الْبَيْعَةَ الَّتِي تَمَّتْ كَانَتْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ هُنَاكَ: أَنَّهُمْ - أَيُّ: الثَّلَاثَةِ - جَاءُوا إِلَى السَّقِيفَةِ وَكَانَ الْأَنْصَارُ مُجْتَمِعِينَ فَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَكَانَتِ النَتِيجَةُ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَايَعُوا ثَالِثًا وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَأْتِ أَنَّهُ ذُو شَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا كَذَا. فَإِذَا هُنَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ تُرِيدُ أَنْ تَبَيِّنَ بِأَنَّ الْمَسْرُوحِيَّةَ شَيْءٌ وَالْوَاقِعُ شَيْءٌ آخَرُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا سَمِعْنَا مِنَ الْمَسْرُوحِيَّاتِ الْمَادِفَةِ لِأَمْرِ صَحِيحٍ عِنْدَهُمْ.

١. الزمر (٣٩) / ٣٠.

٢. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٣. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كلام الناس حين شكّوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله) [وآله وسلم]، ٢ - ٢ / ٥٤؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٧ / ١٦٠ - ١٦١ = ١٠٧١.

وأما بيعَةُ الناس التي تذكرها عائشة أمُّها كانت في اليوم الثاني من استخلاف أبي بكر - أي: يوم الثلاثاء -، بايعه الانصار - إنَّ صحَّ زعم القائلين - ثمَّ جيء به إلى مسجد رسول الله ﷺ يُزَفُّ كما يزف العروس^١، فبايعه الناس.

وعلى كلِّ فحديث عائشة فيه مبالغات واختصار هدَفُهُ المسرحية التي تجعل جاذبةً خلابةً للناس لا الواقع الذي يحكيه القائل بدقَّة.

١. أي: الذي يُزَفُّ كي يدخل إلى بيت عروسه. العروس يُطَلَّقُ على الذكر والأنثى في العربية وليس معنى خاص بالأنثى [«العروسُ نعت، يستوي فيه الرجل والمرأة ما دام في إعراسِهما. يقال: رجلٌ عروسٌ من رجال عُرُسٍ، وامرأةٌ عروسٌ من نساء عرائسٍ. وفي المثل: كاذَ العروسُ يكون أميراً»]. (الجوهري، الصحاح، ٣/ ٩٤٧).

(العلامة الجعفري رحمه الله)

الحديث الرابع

ما صنعه أبوبكر حينما رأى رسول الله ﷺ مسجى

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، نَا حَمَّادُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ
بَابُنُوسَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم جَاءَ
أَبُوبَكْرٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَفَعَتْ الْحِجَابَ.

تذكر السيدة عائشة أنّ رسول الله ﷺ قد توفي في بيتها وكانت قد اختلّت
بجنازته ولم يحضره أحد، فتقول أنّي رفعت الحجاب وأذنت لأبي بكر أن يدخل في
البيت.

فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَاسْتَرْجَعَ، فَقَالَ: مَاتَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْ
قَبْلِ رَأْسِهِ، فَقَالَ: وَإِنِّيَّاهُ، ثُمَّ حَدَرَ فَمَهُ فَقَبَّلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: وَاخْلِيلَاهُ،
ثُمَّ حَدَرَ فَمَهُ فَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: وَاصْفِيَاهُ، ثُمَّ حَدَرَ فَمَهُ فَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ،
ثُمَّ سَجَّاهُ بِالثَّوْبِ، ثُمَّ خَرَجَ.^١

١. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر تقبيل أبي بكر الصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعد وفاته)، ٢ - ٥٢ / ٢؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٧ / ١٥٩ - ١٦٠ = ١٠٦٨.

مناقشة في الحديث

هذا الحديث فيه ما فيه وإن كانت السيدة عائشة تذكره:

أولاً: لم يتوفى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ولم تحل هي برسول الله ﷺ.

ثانياً: هذه مسرحية صيغت لهدف معين ولكن الذي صاغها نسي الإغماء، تقول: قبل وجهه، قبل رأسه، قبل يديه، قبل جبهته، قال: وا خيلاه، وا صفياه، وا نبياه، وا رسولاه، يلطم، يبكي، ولكنه كان ثابت الجأش ولم يُغمى عليه.

وفي أحاديث أخر أن صاحبه أبو حفص قال: كلنا قد خرجنا عن حالتنا الطبيعية حتى عليّ لم يتمكن من أن يقول أنا الخليفة، وأنا صار بي كذا وكذا إلا أبوبكر فإنه كان ثابت الجأش، ولو كانت عائشة لزادت عليه بأنه أغمي عليه، فلما أفاق خرج إلى المسجد وقال ما قال.

الحديث الخامس

موقف أبي بكر وعمر من وفاة النبي ﷺ

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ)، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، مَاتَ وَأَبُوبَكْرٍ بِالسُّنْحِ - قَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ -.

في المصطلح الذي درج عليه المحدثون أنّ مكة المكرمة كانت تنقسم إلى قسمين: مسفلة ومعللة. مسفلة: يعني ما يكون أسفل مكة لأن مكة يصعد فيها الشخص أو ينزل، فإن كان يصعد فالمعللة وإن كان ينزل فالمسفلة، والمدينة فيها العالية، والعالية هي المنطقة التي كان فيها نخيل وأشجار، فنزلوا من العالية، يعني: نزلوا من أعلى المدينة وهي أرض نخولة [أي: كثيرة النخل]، وكان يفصلها عن المدينة المنورة بفُسْحَةٍ في تلك الفسحة رسول الله ﷺ تعدى المواقع المعللة أو عالية المدينة وبنى مسجده في أرض قاحلة جرداء كي لا ينافسه فيها أحد.

فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ،

قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^١، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^٢، قَالَ: فَتَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ.

اجتماع الأنصار في السقيفة وما جرى فيها

قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ. فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١. الزمر (٣٩) / ٣٠.

٢. آل عمران (٣) / ١٤٤.

[وآله] وَسَلَّم، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. فَقَالَ عُمَرُ: قَتَلَهُ اللَّهُ.

تداعيات خطبة أبي بكر وعمر عن لسان عائشة

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ: أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ - بن محمد بن أبي بكر الذي حينما قُتِلَ أبوه، رَبَّتَهُ عَائِشَةُ فَشَبَّ فِي كَنَفِهَا - أَنَّ عَائِشَةَ (رض)، قَالَتْ: شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى - ثَلَاثًا - وَقَصَّ الْحَدِيثَ، قَالَتْ: فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتَيْهَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا - يعني كان موقف أبي بكر وعمر موقفين بحيث لم يكن موقف أنفع لله وللمسلمين منها - لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ، وَإِنَّ فِيهِمْ لِنَفَاقًا فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ - لَأَنَّ عمر هددهم بأن رسول الله ﷺ ليعودن بعد أربعين يوماً وليقطعن أيدي وأرجل أناس يزعمون أنه مات، فلذا المنافقون الذين كانوا ينتظرون موت رسول الله ﷺ لكي يعيدوا الكرة على المسلمين كانوا يخشون رجوع رسول الله ﷺ ويفعل بهم ما فعله فرعون في قوم موسى، ولكن فرعون لم يفعل وعمر يُخبر أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك - ثُمَّ لَقَدْ بَصَرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهَدَى، وَعَرَفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إِلَى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾^١.

١. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ٧/٥ - ٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كلام الناس حين شكوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم)، ٢ - ٢ / ٥٥؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب الأئمة من قريش)، ٨ / ١٤٢ - ١٤٣.

مناقشة في الحديث

أولاً: كان المنافقون ينتظرون موت رسول الله ﷺ كي يجددوا نشاطهم ضدّ الإسلام والمسلمين، فهل حاربهم أبوبكر وقلل من نشاطهم أم أنه قاتلهم فقتلهم وأبادهم؟! لم يكن سوى أن تلا آية، فلما سمعها أبو حفص لم تكن رجلاه تحمله فوقع مغشياً عليه.

ثانياً: كيف بصر أبوبكر المنافقين الحق؟! فهل كان المنافقون لم يسمعوا آيات القرآن الكريم فكانوا على شك من دينهم أم أنهم لم يكونوا يؤمنون بالآيات بأنها آيات نازلة من قبل الله سبحانه وتعالى؟ فتلاوة آية واحدة وسماع المنافقين لهذه الآية كيف تكون صارفة لهم عما خططوا له؟!

نعم هناك شيء وهو أن رسول الله ﷺ لم تزل أيامه مجال ألم وسوء، خاصة في المدينة المنورة بحيث أنه كلما يمتد عمره الشريف إلى نهايته كان نشاط المنافقين يشتد ويضعف، ولكن حينما جاء الخليفة الأول، ومن بعده الخليفة الثاني، ثم الخليفة الثالث، لا نجد أي نشاط للمنافقين أبداً، ثم حينما تولى أمير المؤمنين عليه السلام الأمر بعد الخليفة الثالث، نجد أن المنافقين - وهم أصحاب الشام، وأصحاب الجمل،

١. وهناك آيات تشير إلى أن المشركين كانوا يتوقعون موت رسول الله ﷺ كي يعيدوا الكرة على المسلمين، منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (الطور (٥٢) / ٣٠)، ومنها: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم (٦٨) / ٥١)، إلى آخر الآيات الكريمة.

(العلامة الجعفري)

والنهران حيث يقول ﷺ: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ، نَكثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ»^١ - قد صار نشاطهم بأقوى درجة ضده ﷺ، وهذا هو الذي يفسر تفاوت الموقفين: موقف المنافقين من رسول الله ﷺ ومن أخيه أمير المؤمنين ﷺ، وموقفهم من الخلفاء الثلاثة؛ فالموقفين إنما يكون على أساس الإنتمائين: الإنتماء إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو علامة الإيمان والإنتماء إلى الفئة الأخرى وهو ملائم للمنافق في أهدافه، وعلى هذا الأساس فالتقسيم واضح.

فقراءة الآية التي تلاها أبو بكر إن كانت للمؤمنين فهي تنفعهم، وأما إن كانت للمنافقين - كما هو المفروض - فليس هذه الآية وحدها، بل لو تُليَ عليهم القرآن الكريم بجميع آياته لا ينفعهم شيئاً أبداً.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/ ٤٩.

الحديث السادس

سؤال أبي بكر عن عهد النبي ﷺ وإجابة عمر

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَلْيَأْتِنَا.

فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ كَانَ مِنْهُ عَهْدٌ كَانَ عَهْدُهُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكَ.^١
تُعَالَةَ شَاهِدُهَا ذَنْبُهَا.

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٨٢ - ٣٨٣ = ٢٣٦١.

حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة^١

حديث ذكره أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الأملّي الطبري (الشافعي مذهباً) في كتابه تاريخ الأمم [الرّسل] والملوك، وعليه اعتمد كلّ من جاء بعده، وهذا الحديث قد استوعب أكثر من خمس صفحات، فإنّ هذا الحديث يرويه أبو جعفر الطبري بإسناده عن أبي مخنف ويذكر فيه الراوي جميع أو أكثر ما جاء يوم السقيفة، قال:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ - السائب الكلبي أحد أعلام المحدثين والخبراء بالآثار -، عن أبي مخنف - لوط بن يحيى الأزدي الكوفي -، قال: حدثني عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري^٢.

١. انظر: توضيحات العلامة ٢٢٢ حول السند.

٢. أبو عمرة الأنصاري اشتهر بكنيته واختلفوا في اسمه واسم أبيه، ذكره ابن إسحاق شهد بدرًا. أخبرنا أبو جعفر، بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق، في تسمية من شهد بدرًا من بني مالك بن النجّار، من بني عامر بن مالك بن النجّار وعامر هو مبذول ثعلبة بن عمرو بن محصن، وشهد أحدًا والمشاهد وقُتل مع عليّ بصفين، قاله أبو نعيم وأبو عمر. ويأتي حديث في شهوده صفين عن محمد بن الحنفية. جاء في تهذيب التهذيب في ترجمته: قُتل مع عليّ في صفين، ذكره ابن إسحاق

والكلبي وغيرهما في البدرين، وفي كتاب تقريب التهذيب كما جاء في تحريره، ذكره ابن إسحاق في البدرين ومات في خلافة عليّ وهو والد عبدالرحمن.

روى عبادة بن زياد، عن عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله بن العزومي، عن جعفر بن محمد [الإمام الصادق عليه السلام]، عن أبيه، عن محمد بن يزيد بن طلحة بن ركانة، عن محمد بن الحنفية - ممن شهد صفين -، قال: رأيت أبا عمرة الأنصاري يوم صفين، وكان عقيباً - يعني: من الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة، فبايعوه صلى الله عليه وآله على أن يحمونه وأهله وذرائه بما يحمون به أنفسهم وأهاليهم وذرائهم، ولأجل هذا لتذكرنا نحن، لا بالأنصار لأن موقفهم معلوم، كان الإمام الصادق عليه السلام تسيل دموعه على خديّه يوم أن أخرج بنو الحسن في المحامل الخاصة وكان يقول: «لعنكم الله يا معاشر الأنصار ما على هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بايعتموه» [انظر: الكليني، الكافي، ١/ ٣٦١] فإنهم خانوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله اشترط عليهم أن يحمونه وأهله وذرائه بما يحمون أو كما يحمون أنفسهم وأهاليهم وذرائهم ولم يفوا بالشرط - بدريةً أُخذت، وهو صائم - صوم مستحب لم يكن صوماً واجباً لأنه لم يكن شهر رمضان - يتلوى من العطش، فقال لغلام له: ترسني - يعني: اجعل نفسك ترساً لي، احمني من خلفي، من ظهري - فترسه الغلام، ثم رمى بسهم في أهل الشام، فنزع نزاعاً ضعيفاً - يعني: لم يؤثر فيهم ذلك الأثر، لأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة وأقل عمره عشرين سنة وأظن أكثر من هذا، وكان يوم صفين بعد ما مضى من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٧ سنة شيخ - حتى رمى بثلاثة أسهم، ثم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم يقول: من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ أو قصر كان ذلك السهم له نوراً يوم القيامة - حديث أيضاً يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله - وقُتل قبل غروب الشمس، أخرجه الثلاثة. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٦/ ٢٢٤ - ٢٢٥ = ٦١٣٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٧/ ٢٩٠ - ٢٩١ = ١٠٢٩٨؛ تهذيب التهذيب، ١٢/ ١٨٦ = ٨٦٢؛ تحرير تقريب التهذيب، ٤/ ٢٤٣ = ٨٢٧٨؛ أبونعيم، معرفة الصحابة، ٥/ ٢٩٦١ = ٦٩٠٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٧٢٠ - ١٧٢١ = ٣١٠٦).

(العلامة الجعفري رحمه الله)

نقاط حول السند

أولاً: إنّ أبانخنف توفّي في حدود المائتين من الهجرة^١، ولأجل هذا يحدث عنه هشام بن محمد للطبري الذي وُلِدَ في سنة ٢٢٤ وتوفّي في سنة ٣١٠ من الهجرة فيكون حديثه عن هشام بن محمد، وهشام يروي عن أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الطائي.

ثانياً: من البعيد أنّ عبد الله بن عبد الرحمن الذي يروي عنه أبومخنف، من الصحابة، لأنّ الصحابي مَنْ يعي ما يرى ويسمع أحداث ما بعد خلافة رسول الله ﷺ بلا فصل، من يعي ويسمع ويفهم فهو صحابي بلا شك لأنّه عاش في المدينة والحال أنّه ليس بين وفاة رسول الله ﷺ وأحداث السقيفة إلّا بعض يوم، وبهذا السند يذكر الطبري في أحداث سنة ٣٦: «عن أبي مخنف، قال: حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبيه...»^٢، وأيضاً يذكر في أحداث سنة ٣٧: «عن أبي مخنف، قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن سليمان الحضرمي،

١. اختلفوا في وفاة أبي مخنف وأنا أراه أنّه توفي في حدود المائتين [قيل: «توفّي سنة ١٥٧»] (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢٢٥٢/٥)، وقيل: «توفّي قبل سنة ١٧٠» (ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤٩٢/٤؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤٢٠/٣)، وقيل: «توفّي قبل سنة ١٥١» (بكر أبو زيد، طبقات النسايين/٣٣).

(العلامة الجعفري ﷺ)

٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٣٦هـ)، ١ - ٦/٣١٠١ (طبعة دار المعارف: ٤/٤٥١).

قال: قلت لأبي عمرة...^١، فالنتيجة: أنّ هذا الحديث فيه إرسالٌ، لأنّ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري لم يُدرِك تلك الأحداث.

ثالثاً: «عبد الله بن عبد الرحمن» لم يوجد في تقريب ابن حجر ولا في المستدرک علی تقريب ابن حجر.

رابعاً: هذا الحديث وإن أُرسِل بل الظاهر أنّ إرساله كان نتيجة أنّ حديث أبي مخنف لم يُسند هنا كاملاً فلأنّه اكتفى في أوّل ما ذكره بالإسناد الكامل وهنا اكتفى بشيخه، قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري كما جاء في آخر عن أبيه، وجاء في ثالث أيضاً بسند عن سليمان الحضرمي وأمثال ذلك، فإذا أنّ عبد الله يروي عن أبيه عبد الرحمن، وهو يروي عن أبيه أبي عمرة، وحديث «عبد الرحمن، عن أبيه» جاء رَمَزُهُ في التهذيب وتقریب التهذيب «عين»، يعني: متفق عليه عندهم كي لا يُساءل الذي يروي عنه عن أنّه ثقة أم لا.

فهذا الحديث وإن أُرسِل هنا ولكنّه أُرسِل لأنّه انتزع انتزاعاً من كتاب أبي مخنف وهو قد اعتمد في أوّل ما ذكره على الإسناد الكامل وهنا يذكر شيخه الذي يروي عنه وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.

خامساً: حيث أنّ هذا الحديث مشهورٌ ويعتمد عليه عامّة المؤرخين، نذكره.

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٣٧هـ)، ١ - ٦/٣٣٢٢ (طبعة دار المعارف:

٤٢/٥)، وفيه دلالة على أنّ أبا عمرة كان أحد من حضر صفين في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام.

اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَمَّا قُبِضَ، اجتمعت الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نُؤَيِّ هذا الأمر بعد مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وأخرجوا سَعْدًا إِلَيْهِمْ وهو مريض، فَلَمَّا اجتمعوا، قال لابنه أو بعض بني عمِّه: إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَشُكْوَايَ أَنْ أُسْمِعَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ كَلَامِي، وَلَكِنْ تَلَقَّ مِنِّي قَوْلِي فَأَسْمِعُوهُ.

الذين كانوا يعيشون في المدينة المنورة - عدا اليهود - كانوا هم الأوس والخزرج، الخزرج كانوا أكثر عدداً من الأوس وكان بينهما مشاحنات وحروب ووقائع وأيام، وسقيفة بني ساعدة كانت مجمعاً لبني ساعدة الذين هم فخذٌ من الخزرج، ولا يُتَخَيَّلُ أَنَّ السَّقِيفَةَ بُنِيَتْ بِأَخْشَابٍ وَخِيَمٍ وَسُرَادِقٍ تَسَعُ لَأَلْفٍ أَوْ لَأَلْفَيْنِ وَأَكْثَرَ، بَلْ هِيَ مَكَانٌ كَانُوا يَسْتَعْلُونَ فِيهِ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ، فَكَانُوا يَضَعُونَ جَذُوعَ نَخْلٍ ثُمَّ يَضَعُونَ فَوْقَهَا جَرِيدَ النَّخْلِ كَيْ تُضِلَّهُمْ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ فَلَمْ تَكُنْ تَتَّسِعُ إِلَّا لِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ نَفَرٍ لَا أَكْثَرَ.

بنو ساعدة تَوَلَّوْا إِخْرَاجَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ إِلَى سَقِيفَتِهِمْ وَهُوَ مَرِيضٌ فَلَمَّا اجتمعوا - وَكَانَ الَّذِينَ حَضَرُوا السَّقِيفَةَ كُلَّهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَوْسِيٌّ إِلَّا اثْنَانِ - قَالَ سَعْدُ لَابْنَهُ قَيْسًا أَوْ لِبَعْضِ بَنِي عَمِّهِ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَشُكْوَايَ مِنَ الْمَرَضِ أَنْ أُسْمِعَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ كَلَامِي وَلَكِنْ تَلَقَّوْا مِنِّي كَلَامِي وَكُونُوا أَنْتُمْ صَدَاءً لِكَلَامِي تُسْمِعُونَ غَيْرِي مَنْ لَا أَتَمَكَّنُ أَنْ أُسْمِعَهُ بِنَفْسِي.

فَكَانَ يَتَكَلَّمُ وَيَحْفَظُ الرَّجُلُ قَوْلَهُ، فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ فَيُسْمِعُ أَصْحَابَهُ.

كَانَ الرَّجُلُ يَسْمَعُ كَلَامًا ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَى مُسَامِعِ الْآخَرِينَ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ تَكُنِ الْوَسَائِلُ الْحَدِيثَةُ مَوْجُودَةً بِحَيْثُ يَسْجَلُ الْكَلَامُ وَأَنَّ الَّذِي يَضَعُ الْمِسمَاعَ فِي أِذْنِهِ كَمَا

هو الشأن في غالب المجالس الهامة ومنها منظّمة الأمم المتحدة واليونسكو واليونسيف وأمثال ذلك، بحيث أنّ المتكلّمين إنّ تكلموا بأيّ كلام يترجم في الوقت نفسه إلى اللغات التي اعتبر فيها أنّ تكون لغة الأمّ في الخطابات الأصليّة، كلّ هذا لم يكن موجوداً.

خطبة سعد بن عباد في السقيفة وموقف الأنصار

فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَكُمْ سَابِقَةٌ فِي الدِّينِ وَفَضِيلَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ، إِنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبِثَ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ، فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجَالٌ قَلِيلٌ، وَكَانَ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ يُعْزُوا دِينَهُ، وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَيْبًا عُمُوا بِهِ.

لبث في قومه بفئةٍ حقيرةٍ صغيرةٍ ذليلةٍ والكثير من قومه كما قال القرآن الكريم وحسبنا من صادق القول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾^١، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^٢.

حتّى إذا أراد بكم الفضيلة - كي تتمازون بها عن العرب عامّة وعن قوم رسول الله ﷺ - ساق إليكم الكرامة، وخصّكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به

١. الأنعام (٦)/٦٦.

٢. آل عمران (٣)/١٢٣.

وبرسوله، والمنع له ولأصحابه - ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^١ - والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه منكم - أي: إن حارب المشركين لم يحارب بغيركم، فإن كان لكم مشاركة في الجهاد فأنتم وإلا فالجهاد خصه الله سبحانه وتعالى لأولياءه وما أقلهم، لا نقول وخص به واحداً منهم وما أقلهم - وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً - العرب لم تخضع له طوعاً إلا بعد ما فتح الله على نبيه مكة وأخضع وأذل له قريش، آمنت به العرب طوعاً لأنها كانت تنتظر من الفائز؟ هل يفوز قومه عليه أم يفوز هو على قومه؟ - وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً، حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيا فكم له العرب - يعني: أنتم الذين أجبرتم غيركم من العرب أن تؤمن به وتدين له صاغرة مكرهة في كثير وقانعة بالأمر الواقع في أقل التقادير - وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قريئ عين، استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس - يعني: أن يكون رأيي فيه لكم لا لغيركم - فأجابوه بأجمعهم: أن قد وُفِّقَت في الرأي وأصبَت في القول، ولن نعدو ما رأيت - كلهم اتفقوا على أن الرأي هو الرأي الذي أشار به عليهم سعد بن عباد - ونؤليكَ هذا الأمر، فإنك فينا مَنعٌ ولصالح المؤمنين رضا - أي: رأيك فينا يُقنعنا ورأيك لصالح المؤمنين يُرضيهم -.

ثم إنهم تراءوا الكلام بينهم - يعني: كل أدلى برأيه معارضاً للرأي الآخر في بعض الأمر وموافقاً له في بعض الأمر الآخر (أي: قال قائل منهم: ماذا نصنع بالمهاجرين؟ وقال الآخر: ننظر ماذا يقولون، وهكذا...)، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش، فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه - نحن أحق برسول الله ﷺ منكم - فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده؟! فقالت طائفة منهم: فإننا نقول إذاً منا أميرٌ ومنكم أميرٌ - أي: الإمارة فينا أولاً، فإن أبيت فنحن نختار أميراً وأنتم تختارون أميراً لكم - ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً. فقال سعد بن عبادة حين سمعها: هذا أول الوهن! - يعني: الآن حينما رضيتم في تراءد من الكلام فيما بينكم أن تكون لكم إمرة تخصكم والمهاجرون لا يأتمرون بإمرتكم وإنما يكون لهم إمرة تخصهم، هذا أول الوهن -.

إنفعال أبي بكر وعمر عند مجيء خبر السقيفة

وأتى عمرَ الخبر، فأقبل إلى منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إلى أبي بكر، وأبوبكر في الدار، وعلي بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

جاء عمر إلى منزل النبي ﷺ وأرسل إلى أبي بكر وهو في الدار التي قبض فيها النبي ﷺ، كان هناك واقف - لا نقول لم؟! - ولكن أمير المؤمنين دائب في جهاز رسول الله ﷺ، ولا نظن أن مسلماً أو عارفاً يجراً فيقول بأن علياً كان يقلد أبابكر بحيث يتعلم منه ما يأمر به.

فأرسل إلى أبي بكر: أن اخرج إليّ.

اتّفقوا في هذا الحديث الذي ذكره أبو جعفر الطبري وأخذه غيره ممّن جاء بعده أخذ المسلّمات، بأنّ عمر أرسل إلى أبي بكر أن يخرج إليه، السؤال هو لماذا لم يرسل عمر رسولاّ يعلن للملأ الحاضر - ومنهم عليّ بن أبي طالب - أنّ سعد بن عبادة والأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتداولون أمر الخلافة أو أمر الإمارة - في رأينا - بينهم، وإنّما أرسل إلى أبي بكر وحده فاخترى به وأسرّ إليه أن اخرج إليّ؟! فأرسل - أبو بكر - إليه: إني مُشْتَغِلٌ، فأرسل إليه أنّه قد حدث أمرٌ لأبد لك من حضوره، فخرج إليه، فقال: أما علمت أنّ الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول: منّا أمير ومن قريش أمير؟! - لا أنّ العرب لهم، لا أقول أكثر من هذا، يعني: عَمِلُوا معاملة البهائم -.

فمضيا مُسرّعين نحوهم - مضى أبو بكر وعمر مسرعين نحو مجمع الأنصار - فلقيا أبا عبيدة بن الجراح - فأصبح ثالثهم - فتماشوا إليهم ثلاثتهم، فلقاهم عاصم بن عديّ وعويم بن ساعدة - يقول أبو حفص عمر في الحديث الذي يحكي أحداث السقيفة: «فلقينا رجلا صالحا مناهم» هذان الرجلان هما عويم بن ساعدة وعاصم بن عدي، وهما من الأوس - فقالا لهم: ارجعوا، فإنّه لا يكون ما تريدون - يظهر أنّهما كانا على علم بما يريد هؤلاء من أن ينصبوا لأنفسهم أميرا يمضي إليه كلّ عربي -، فقالوا: لا نفعل، فجاءوا وهم مجتمعون.

خطبة أبي بكر في السقيفة

فقال عمرُ بن الخطاب: أتيناكم وقد كنْتُ زورْتُ كلاماً أردْتُ أن أقومَ به فيهم - أي: كنت زورْتُ في نفسي كلاماً أريد أن أخطبهم به - فلما أن دفعتُ إليهم ذهبْتُ لأبتدئَ المنطق، فقال لي أبو بكر: رُوِيْداً حتَّى أتكلّمَ، ثم انطقُ بعدُ بما أحببتَ - أي: أتكلّم أنا أولاً ثم إن شئتُ تكلّم بعدي ثانياً - فنطق، فقال عمر: فما شيء كنْتُ أرَدْتُ أن أقوله إلّا وقد أتى به، أو زادَ عليه - هنا يعترف أبو حفص بفضل أبي بكر على نفسه -.

فقال عبدالله بن عبدالرحمن - بن أبي عمرة الأنصاري، راوي الخبر -: فبدأ أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنَّ الله بعث محمّداً رسولاً إلى خلقه - حبَّب الإيمان به لا الشهادة، لا نقول نفاقاً وإنّا نقول شهادة لسان لا شهادة قلبٍ عن إيمان - وشهيداً على أمّته، ليعبدوا الله ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى، ويزعمون أنّها لهم عنده شافعةٌ، ولهم نافعةٌ، وإنّا هي من حَجَرٍ منحوتٍ، وخشبٍ منجورٍ - إمّا صخر قد نُحت فُعِد أو خشب قد نُجِر فعبد، الله يرحم شاعرنا شاعر الحجة يقول:

گالوا عن حامي الجار لولاه الدين انهار
يعني: أساس قوام الدين بيده

وين الوجدان امن الأمة محسوبة الحيدر والظلمة
هي محسوبة لحيدر، لولا عليّ (عليه السلام) لما كانت هناك أمة تؤمن بالإسلام
والصرخة المظلوم يمتى المحجوب ايگوم
يقصد إمام العصر (عليه السلام)، المهمّ البيت التالي:

جالوا عن أبوسفیان يتحزّم بالأوثان
أيّام في المدينة كان يتحزّم بوثن لا يخفيه عن أعين الناظرين
شوطلعت معكوس الخطّة اوصارت بيد أولاده السلطنة
بناءً على أنّ الإمامة تكون في عليّ وأبنائه عليه السلام، ولكن صارت الخلافة في أبناء
أميّة.

من ايدي الايد تسلم يمتى المحجوب ايگوم^١
وهذا كلام ليس بغريب عنهم، يقول أبوسفیان: «تلّقوها يا بني أميّة تلّقف
الكرة فو الذي يحلف به أبوسفیان ما من جنة ولا نار»^٢، فنهره عثمان، لأنّ في ذلك
المجلس بعد ما بويع عثمان كان غير آل أميّة...
ثمّ قرأ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^٣، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^٤، فعظم على
العرب أن يتركوا دين آبائهم.

١. لم نعثر عليه في المصادر.

٢. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٣/٩، ١٧٥/١٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك
(أحداث سنة ٢٨٤هـ)، ٣ - ١٣/٢١٧٠ (طبعة دار المعارف: ٥٨/١٠)؛ المسعودي، مروج
الذهب، ٢/٣٤٢ - ٣٤٣؛ الأميني، الغدير، ٨/٢٧٨.

٣. يونس (١٠)/١٨.

٤. الزمر (٣٩)/٣.

وقفه قصيرة

هنا نقول: دعوة رسول الله ﷺ ابتداء كانت في مكة المكرمة، فغير أهل مكة - يعني الذين كانوا يفدون إلى مكة المكرمة - إن كانوا قد سمعوا بدعوته سمعوا بها من المشركين، هناك سوقان كانا يوضعان للمتجر والمغنم والمربح بالخمير وبالربا وأشياء أخرى:

أحدهما: سوق الطائف في عكاظ الذي كان يعقد في ذي القعدة وكانوا يستيحيون فيه لأنفسهم ما لا يستيحيونه لأنفسهم علناً في مكة، مثلاً كان أهل مكة يجعلون بغايا للطائف يستدرون بها أموالاً ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^١، ومن العجيب والغريب أن العرب فيما بعد أصرّوا على أن هذه الفتيات كانت إماءاً للعرب يجعلونها وسيلة لكسب العيش. أولاً: أن الله سبحانه وتعالى يقيناً كان قد تعلّم العربية أكثر من العرب أنفسهم^٢، فكان يعرف الفرق بين الإماء والفتيات، فهو سبحانه وتعالى في مواردٍ يقول: «الإماء» ولكن هنا يقول: «الفتيات».

ثانياً: إن الأمة لا حول لها ولا طول، فهي لا تقدر أن تبرز أو تشتكي إلى مولاها بأتها تكره البغاء أو لا تكرهه، وإنها هي تحت إمرة مولاها - ولا نريد أن نقول إن هذا الخلق قد استمر في الإسلام - فمالك الأمة يجوز له أن يبيع وطيبها لغيره، فالله

١. النور (٢٤)/ ٣٣.

٢. وهذه نادرة أذكرها وإلا كلام الله سبحانه وتعالى أجل من أن يوصف بهذا. (العلامة الجعفري رحمه الله)

سبحانه وتعالى حينما يقول: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ﴾، يعني: أن الفتاة كانت حرة، لا أمة تكون تحت إمرة مولاها - شئت أم أبت -.

ثالثاً: الله سبحانه وتعالى حينما يقول: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، يعني: يريد منه «الفتيات» أولاً و«عدم الإكراه» ثانياً، والحال أن الأمة من المفروض في حالها أنها لا يختلف في أمرها أن تكون راغبة في البغاء أو كارهة له.

رابعاً: يقولون: ﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْصُنَا﴾ في الآية الكريمة واقع موقع الغالب لا أنه قيد، لأنه إن لم يردن التحصن فيجوز لمن يتولى أمرهن أن يأذن لهنّ بالبغاء، وهذا يدلّ على أن المقصود بالفتيات هنا، الفتيات الحرائر لا الإماء.

في ظاهر الأمر ذوات الآيات كنّ بغايا في الطائف ولم يكنّ بغايا في مكة. نعم، هناك نساء لم يكنّ يرذدنّ لمسّ لاس، كما جاء في الحديث جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّ أُمَّي لَا تَدْفَعُ يَدَ لَاسٍ»^١.

والثاني: سوق مكة الذي كان بعد سوق عكاظ، فهم كانوا يجتمعون هناك ثمّ يأتون إلى مكة وسوقها، وهناك كانت أندية الشعراء، فكانوا يحضرون في سوق عكاظ فينشدون ويفعلون ويقولون ما لا يفعلون كما جاء في الآية الكريمة ثمّ يأتون إلى مكة.

١. كناية عن أنها زانية ولا تمنع أحداً من الدخول عليها.

٢. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٧٢ / ٤ = ٥١٤٠؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥٠ / ٢٨ = ٣٤٤٤٢.

فأهل مكة ما زالوا مشركين إلى أن فتح الله على رسوله ﷺ مكة المكرمة، وهو ﷺ أيضاً لم يفرض عليهم الإسلام وإنما فرض عليهم أن لا يُشبهوا السلاح، من دخل المسجد الحرام فهو آمن، من أغلق على نفسه باب بيته فهو آمن، والعباس بن عبدالمطلب الذي كان صديقاً لأبي سفيان، قال: إنَّ أبا سفيان رجل شيخ يحب أن يفتخر على قومه، فقال رسول الله ﷺ - ولا ندري أنه قاله بإصرار من العباس أو من أبي سفيان -: ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، والشواهد كثيرة.^١

فأهل مكة كانوا هم الذين ينقلون حديث رسول الله ﷺ إلى غيرهم، وإن نقلوه ينقلونه بصورة يظهر فيها دعواهم بأنهم لم يكونوا يصدقون برسول الله ﷺ - هنا لا نريد أن نبين أكثر من هذا وإلا فهم كانوا أجلاً بل أشد من هذا التعبير -، نعم فئة خاصة من أهل مكة أسلموا إيماناً ومنهم جماعة من بني هاشم، وبعضهم أسلم ولا نقول لماذا، وإن شاء الله أحاديث السقيفة سوف تكشف عن ذلك.

فإذاً عظم على «العرب» - لا أنه عظم على «قريش» - أن يتركوا دين آبائهم، إذ أن العرب لم يكونوا يسمعون شيئاً إلا ما كانت قریش تتناقله من قولهم أن صابئاً صبأ في مكة - يعني: خرج على دين قومه - ومال إليه فئة، وهذا حديث يعرفه كل من مارس التاريخ الإسلامي أيام بعثة رسول الله ﷺ وإعلانه الدعوة إلى هجرته، بل إلى فتح مكة، وكانت مكة مقاومة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة.

١. انظر: مسلم، المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير (باب فتح مكة)، ١٤٠٧/٣ = ٨٦ (١٧٨٠)؛ الفاكهي، أخبار مكة، ١٩٦/٥؛ ابن أبي عاصم، الأحاد والمثاني، ٣٦٤/١ = ٤٨٦؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٧٦/٧ = ٦٤١٩، ٩/٨ = ٧٢٦٤؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ٣٦١/١ = ٣٨٤، ٣٨١/١٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٥٤٩/٣، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٧٨ و ٥٨٢.

ثم يقول: فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه.

المهاجرون الأولون بعد ما كانوا أذلاء في قومهم لم يكونوا قادرين على أن يمنعوا أنفسهم إلا الذي كانت قريش ترى أنه على دينهم وإنما ينافق كي يجعل من نفسه إلى آخره، «فخصّ الله المهاجرين الأولين» مَنْ هُمْ وَمِنْ أَيْنَ استقرأهم؟ خصّ الله الذين آمنوا به من بني هاشم وهم لم يكونوا كلّ بني هاشم، وإنما كان أميرهم عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وجعفر، وحزمة، وآخرين، وأمّا العباس فالقارئ أعلم بالعبّاس وآل العباس، وأمّا أبولهب فالقرآن ينطق بأبي لهب وما أدراك ما أبولهب؟ «المهاجرين الأولين» إنّ كان جماعة من بني هاشم كأمر المؤمنين، وحزمة، وجعفر، وأناس من قبيل عمار، وأبيه، وأمه، نعم، وأمّا غيرهم فهذا حديث إنّ شاء الله سنأتي على ذكره بإجمال كي لا نغضب مَنْ لا نريد إغضابه، وأمّا أولئك فلا يهّمنا ولا نهتمّ بإغضابهم، لأنّهم إنّ كانوا في الجنّة كانوا في الجنّة وقد غفر الله لهم نفاقهم، وإنّ كانوا في النار فليس يهّمنا أنّ نُغضب من كانت عاقبته النار خالداً فيها، إنّ رضي الله عنهم يرضى عنهم لغفرانه لهم، وإنّ يغضب عليهم ويجازيهم بسوء أعمالهم في الدنيا فلا يهّمنا أنّهم غضبوا علينا في الحشر أم لم يغضبوا، الذي يهّمنا أنّ لا يغضب علينا اخواننا لنا نشترك معهم ويشتركون معنا في التوحيد - وإنّ كنّا نختلف في تفاصيله -، ويشتركون معنا في الإيمان بالرسالة - وإنّ كنّا نختلف في أنّ هذه الرسالة كيف تكون ومتى تكون -، ويشتركون معنا في اليوم الآخر، ويشتركون معنا في الاتجاه إلى الكعبة المطهّرة، و...

والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم. إن كان أبو بكر يقصد بالمهاجرين الأولين، عمّاراً، وأبيه، وأمه - وهم كانوا حلفاء لمخزوم لا أنهم كانوا مخزوميين صليبين^١ -، وسائر من عُدِّب في سبيل الله، نعم، وإن كان يقصد نفسه فهو حماه ابن الدُّغنة الذي كان أحد شخصيات قريش، لأنه هو يذكر: أَنِّي سَمْتُ وَأَنْفْتُ مَنْ أَنْ أَكُونَ بِجَوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ فَخَرَجْتُ إِلَى قَرِيشٍ وَأَعْلَمْتُ أَنِّي أَرَفُضُ جَوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ^٢، إنَّ حَمَاةَ ابْنِ الدُّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ حَمَاةٌ تَجْعَلُهُ أَمْنًا مَطْمَئِنًّا يَمْشِي فِي مَكَّةَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَانٌ مَعَ وَجُودِ أَبِي طَالِبٍ لِأَنَّهُ حَوَصَرَ مَعَهُ فِي الشَّعْبِ، وَهَذِهِ أَشَارَةٌ نَشِيرُهَا.

ونكذبتهم إِيَّاهُمْ، وَكَلَّ النَّاسُ لَهُمْ مَخَالَفٌ، زَارَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَشَنَفِ النَّاسِ لَهُمْ، وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ.

هل يقصد أفراداً خاصة أم كل من كان يتصل بنسب مع رسول الله ﷺ؟ لأنَّ عتاة قريش كلهم يتنسبون بنسب إلى رسول الله ﷺ، الآية الكريمة تقول: ﴿وَكَذَّبَ

١. صليب، يعني من القبيلة نفسها.

(العلامة الجعفري ﷺ)

٢. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الكفالة (باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وآله) [وآله] وسلم وعقده، ١١٩/٣ - ١٢١؛ الآجري، الشريعة، ١٨٢٤/٤ = ١٢٨٧؛ أبونعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٩/١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٧٦/٣٠ - ٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣١٢/١.

بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ^١، هنا يقول: فهم أولياؤه وعشيرته، ولا ندري ماذا يقصد من «أولياؤه»؟ إن كان أبوبكر يقصد بأنهم أولياؤه - من الولاية أو الولي بمعنى الفاعلي - يعني: هم الذين يتولّون أمر النبي ﷺ وشأنه، والعياذ بالله شأن العبد الذي يكُلُّ أمره إلى وليّه، معنى ذلك أنّه جعل رسول الله ﷺ عبداً مؤلّى عليه، له وليٌّ يدبّر أمره ويقيم شأنه، وإن مات فالوليّ أولى بتركته وشأنه شأن الولاء^٢، وهذا في نظرنا نوع من إساءة الأدب البالغ الشنيع الشديد لرسول الله ﷺ، فيكون الكلام كاذب ولا نظراً أنّ أبابكر يقصد بذلك، وإن قصد الولاية بالمعنى المفعولي، يعني: أنّ رسول الله ﷺ كان يتولّى أمر المسلمين وفيهم الذين هاجروا إليه من قومه - يعني: من أهل مكّة - فهنا لابدّ وأن يكون الذي يلي أمورهم، مَنْ يُعَيِّنُهُ رسول الله ﷺ لا من يكون مؤلّى يتولّى الولاية على غيره.

ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار مَنْ لَا يُنْكِرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هِجْرَتَهُ، وفيكم جِلَّةُ أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا [أحد] بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لَا تُفْتَتُونَ بِمَشُورَةٍ، وَلَا نَقْضِي دُونَكُمْ الْأُمُورَ.

١. الأنعام (٦)/ ٦٦.

٢. هناك نوع من التوارث يسمّى الإرث بالولاء.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

فإذا لاحظنا نجد أنّ القصّة لم تكن قصّة خلافة، وإنّما هي أنّه لا بدّ من أن يكون أميراً واحد وهذه الفئة الخاصّة من المهاجرين أحقّ بالإمرة، لأنّ أبابكر كان يحلم بالإمرة لا أنّه كان يرى نفسه خليفة لرسول الله ﷺ، ولذا قال: بأنّ العرب لا تتحمّل إمرتين - أي: إمرة نعدها لأحد منّا وإمرة أخرى تعقدونها أنتم الأنصار لأحد منكم - بل نكون نحن الأمراء فحسب وتكونون أنتم الوزراء، ولكن شريطة أن لا تفتاتون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور، يعني: نعدكم وعداً صادقاً بأنّ نستشيركم في كلّ صغيرة وكبيرة، الإمرة لنا، والمشورة لكم، ولا نقضي دونكم الأمور، وصدق وعدهم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما كانت لي قدرة على أن أجركم من أذانكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْأَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾^١.

المشاجرة بين الحباب بن المنذر وعمر بعد خطبة أبي بكر

قال: فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافتكم، ولن يُصدّر الناس إلّا عن رأيكم، أنتم أهل العزّ والثروة، وأولو العَدَد والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنّجدة، وإنّما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم

رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، [فإن] أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير.

قام الحباب بن المنذر بن الجموح، وكان عقبيّاً، بدريّاً، أُحديّاً، لا أنّه كان خالي من الذكر، بل أنّه كان متكلم الأنصار حين البأس وحينما يكون الرأي رأياً ينقادون إليه ويأخذون به، فقال: أملكوا عليكم أمركم - أي: أن يكون الأمر لكم لا لغيركم، وهؤلاء المهاجرون يعيشون بين أظهركم وفي بلدكم والبلد لكم دونهم، ولو أنّكم أهل البلد الأصلاء وقمتم بأن تجعلوا عليكم أميراً، الناس يتبعونكم، وخلاصته أنّ الحباب بن المنذر يرى أنّ الأنصار - يعني: أهل البلد الأصلاء - لا بدّ وأن يملكوا عليهم أمرهم فيولّوا عليهم أميراً لأنفسهم ويتبعهم العرب، وأمّا المهاجرون فيقول في آخرها: فإنّ أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن - أي: في جبل يشدّان به، فيتصارعان ويتعاركان ولأجل هذا لا بدّ وأن يكون جبل يشدّ به أحدهما وجبل آخر يشدّ به الآخر - والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيّها من غيركم.

لا ندري من أين جاء أبو حفص بهذا الرأي؟ وحيث أنّه نجح، معنى ذلك أنّه كان يعرف من العرب أنّها لا تنظر إلى الإمرة بنظرة جدّية، نعم بعد ما جند أبوبكر القبائل العربيّة وأطعمهم في الفرس والروم هنالك آمنوا كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهنا رأي للمرحوم الحاج حسين آقا الآخوند - ابن المرحوم الآخوند على الظاهر - وكان أحد الخطباء في النجف الأشرف، كان عنده تعزية بمناسبة شهادة سيّدة النساء (عليها السلام)، حينما صعد المنبر، قال - وخلاصة كلامه -: «أنّ العرب لم تؤمن بجّد بالرسالة النبوّة، نعم شيئاً فشيئاً الجيل الثاني ثمّ الجيل الثالث سمعوا: «رسول

الله ﷺ «النبي ﷺ» فصدّقوا على أساس الأمر الواقعي^١، وكان السيّد الحكيم والسيّد الخوئي - رحمة الله عليهما - حاضرا، وهما أبرز الحاضرين وإلا البقية كلهم كانوا من أهل العلم، وبكيا بكاء شديداً، بعد ما انتهى وهو على المنبر جلست أمام السيّد الخوئي والسيّد الحكيم، قلت: سيّدنا سمعتم ما قاله هذا؟ قالوا: نعم. قلت: تعلمون بأنّ هذا يقول أنّ الذين صدّقوا، الجيل الثاني والجيل الثالث لأنّهم سمعوا «النبي ﷺ» «النبي ﷺ» فصدّقوا، وإلا الجيل الأوّل لم يؤمن أحد منهم بأنّ رسول الله ﷺ صادق؟! صادق؟! صادق؟!

بعد ذلك رأيت حديثاً عن أمير المؤمنين^٢، يقول: إنّ العرب - عدا فئة قليلة منهم^٣ - لم تصدّق بدعوة رسول الله ﷺ إلا بعد أن فتحت الفتوح، واشتغلوا بلذة البطن والفرج، فوجدوا بأنّهم على ما يقتتلون، على امرأة تكون أحلك سواداً منهم، فليقتلوا على النساء الروميّات أو الفارسيّات، ولا أقول القبرصيّات وغيرها لأنّ هذه فتحت ما بعد العصر الأوّل، ولأجل هذا حينما وُلد إبراهيم، طعنوا فيه لأنّهم

١. قال أكثر من هذا، ولكن أنا الخصّ تلخيصاً لأنّي لا أريد أن أُسيء إلى مقام رسول الله ﷺ.

(العلامة الجعفري ﷺ)

٢. ولكنّ هذا الحديث رأيتُه أين، متى، كيف، لا بدّ وأنّ أبحث عن الكتاب الذي وجدته فيه، وأظنّه أحد كتب المحقق الفيض القاساني صاحب الوافي، حديث مفصّل يشكي فيه أمير المؤمنين ﷺ من العرب أنّهم لم يصدّقوا إلا بعد ما وجدوا لذّة البطن والفرج فصدّقوا لأنّها كانت وسيلةً إلى إشباع بطونهم وفروجهم.

٣. نعم «عدا قليل» بلا شك، إنّ الذين آمنوا برسول الله ﷺ مهما قلّ عددهم ممّن نفتخر بأنّهم سلّفنا الصالح الممتدّ إلى عصر رسول الله ﷺ، لا كما قال ذلك الخطيب.

(العلامة الجعفري ﷺ)

خافوا أن يكون شأنه شأن وليّ العهد الذي يخلف أباه إن مات، فأرادوا أن يُوفّروا العناء لأنفسهم بأن يطعنوا في النسب، وهذا كلام صحيح.^١

ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها مَنْ كانت النبوة فيهم ووليّ أمورهم منهم، ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، مَنْ ذا يُنازعنا سلطانَ محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلّا مُدِلّ بباطلٍ، أو مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ، أو متورّطٍ في هلكة.

فقام الحُباب بن المنذر، فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإنّ أبوا عليكم ما سألتموه، فاجلّوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيا فكم دان لهذا الدين مَنْ دان ممّن لم يكن يدين، أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وعُدَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ!

فمن يرجع إلى كتاب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير يعلم هذا القول ومعناه، مثلّ يضرب، يعني كما يقال الآن «أنا ابن بجرتها»، يعني: أنا الذي يكون شخصيّتي بارزةً في هذا الأمر، يومذاك كانوا يقولون: «أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وعُدَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ».^٢

١. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/٢٩٨ - ٢٩٩ = ٤١٤؛ الفيض الكاشاني، علم اليقين، ٢/٦٢٦ - ٦٢٧.

٢. وفي حديث السقيفة: «أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ» أراد أنّه يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى باحتكاكها بالعود المحكك: وهو الذي كثر الاحتكاك به. وقيل: أراد أنّه شديد البأس صلب المكسر، كالجلد المحكك. وقيل: معناه أنا دون الأنصار جُذِلَ حكاك، فبي تقرر الصعبة، والتصغير للتعظيم. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/٤١٨)

أَمَّا وَاللَّهِ لئن شَتَّمْتُ لَنُعِيدَنَّهَا جَذَعَةً.

يهْدُ الحباب بن المنذر مَنْ حضر من المهاجرين وهم ثلاثة: أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، فيقول: «أَمَّا وَاللَّهِ لئن شَتَّمْتُ لَنُعِيدَنَّهَا جَذَعَةً»، يعني: لنعيد الحرب معكم أنتم أهل مكة طرية لم تبلغ، وعلى هذا الأساس يصفهم بصفة لم يلفظ بها، أي: أأنتم مشركون باطنًا، منافقون ظاهرًا، لَنُعِيد الحرب عليكم كما بدأنا بالحرب عليكم في بدر، وأُحُد، والأحزاب.

فقال عمر: إِذَا يَقْتُلَكَ اللَّهُ! قال: بل إِيَّاكَ يَقْتُل - يعني: نحن أقوى منكم عددًا - فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنكم أَوَّل مَنْ نَصَرَ وَآزَرَ، فلا تكونوا أَوَّل مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

بلا شك أَنَّ الأنصار أَوَّل مَنْ نَصَرَ وَآزَرَ، انهم نصرُوا وآزَرُوا رسول الله ﷺ على نفاقٍ فاشٍ بينهم، ولكن كيف يصفهم بأنهم أَوَّل مَنْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ؟! هل كان الأمر لقريشٍ بنصٍّ من رسول الله ﷺ حتى يقولوا بأنَّ الأنصار غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا؟! ولكنَّ الكلمة مشت لأنه فاز من انتصر بها بالخلافة.

كلام بشير بن سعد بعد المشاجرة والانتهاز إلى بيعة أبي بكر

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير.

النعمان بن بشير شخصية معروفة من أمسَّ الناس بعثمان ومعاوية وقبله بأبي بكر وعمر، استخلفه معاوية وأعطاه الإمارة ودام إلى عصر يزيد، فقيام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فيه إشارة إلى الخضوة التي حظى بها بشير بن سعد وبعده النعمان بن بشير إلى زمن يزيد بن معاوية، فإنَّ أصحاب الأمويين من أهل الكوفة شكوا إلى يزيد بأنَّ نعمان بن بشير رجلٌ لا يرى الحرب وإنَّه يتخاذل، فاضطرَّ أن يبدله

بعبيد الله بن زياد كما جاء في قضايا أحداث سنة ستين من الهجرة والسنة التي تلتها في أحداث خروج سيّد الشهداء عليه السلام ومسلم بن عقيل وقضاياهم.^١

فقال: يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربّنا - لا ندرى أنّ بشير بن سعد في أيّ حرب اشترك؟! لم يذكر له اسمٌ لا في البدرين، ولا في مَنْ ثبّتوا في أحد - وطاعة نبينا، والكذب لأنفسنا - أي: وجعلنا أنفسنا في مشقة في سبيل الدين - فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك - نستطيل، يعني: نجعل أنفسنا أطول معنًا وسابقة من غيرنا من الناس، والحال أنّ الإستطالة على الناس لم تكن، لأنهم لم يكونوا يستطيلون على الناس وإنّا كانوا يستطيلون بالذين هاجروا ولم يقاتلوا - ولا نبتغي به من الدين عَرَضًا، فإنّ الله وليّ المنّة علينا بذلك، ألا إنّ محمّداً صلّى الله عليه [وآله] وسلم من قريش، وقومُه أحقّ به وأولى - مَنْ هم قومه الذين أحقّ به وأولى؟ الذين أسلموا وهاجروا، بل باتوا ليلة الهجرة، نعم، أمّا الذين حاربوه وأخرجوه وفعلوا ما فعلوا ثمّ لم يدعوا إلاّ الإنتهاء إلى دار هجرته، هل هؤلاء أحقّ به؟! الله أعلم - وائمه الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً - وهل كانت له القدرة على منازعتهم؟! الله أعلم - فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم.

١. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك «أحداث سنة ٦٠هـ»، ٢ - ٧ / ٢٣٩ (طبعة دار المعارف: ٥ / ٣٥٦)؛ المفيد، الإرشاد، ٢ / ٤٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤ / ٣٣٦ - ٣٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣ / ١٣٥؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١ / ٥٨٩ - ٥٩٠.

يعظ، وما أكثر ما كانوا يعظون، ولا نتصوّر أنّ يزيد بن معاوية الذي كان من أبياته:

دع المساجد للعباد تسكنها وقف على دكة الخمار واسقينا

ما قال ربك ويلٌ للذي شربوا بل قال ربك ويلٌ للمصلين^١

كان يتمثّل بهذه الأبيات في خطبته يوم الجمعة التي كان يخطب بها على منبر الشام، وإنّما كان يقول: «اتقوا الله» وهو يعلم أنّ التقوى التي يعظ بها لا تصل إلى أذان السامعين، وإن وصلت تخرج لا من طرف عقولهم بل من طرف جحورهم - كما يقال -.

فقال أبوبكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك - قال عمر وأبو عبيدة: «لا نتولّى هذا الأمر عليك»، لماذا؟ يستدلّون بثلاث دلائل والحال أنّ هذه الدلائل لم يذكرها أبو حفص عمر في حديثه بتقديم أبي بكر وهو أحقّ الناس بالدفاع عنه، وإنّما التزم بأنّ بيعته كانت فلتة ولكن وقى الله المسلمين شرّها - فإنّك أفضل المهاجرين - الدليل الأوّل - وثاني اثنين إذ هما في الغار - الدليل الثاني - وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين - الدليل الثالث - فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك! أبسط يدك نبايعك.

أولاً: قلنا بأنّ هذا الحديث يرويه أبو مخنف، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.

ثانياً: إنّ كان السند ينتهي إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، فإنّه لم يُدرَك أحداث تلك الأيام.

ثالثاً: إنّ كان يرويه عن أبيه عبد الرحمن، وهو عن أبيه أبي عمرة، فإنّ أبا عمرة لم يكن حاضراً يوم السقيفة، لأنّ ولاته كان لأمير المؤمنين فلم يكن حاضراً يوم السقيفة، وإن سمع، سمع الحاضرين بعد ذلك ينقلون كلاماً يزيّنون به تقديم أبي بكر عليهم.

رابعاً: أمّا قولهم: «فإنّك أفضل المهاجرين» كذب من القائل، إنّنا نقول: قَسَمَ بالله وهو أجلُّ قَسَمٍ عندنا، بل هو القَسَم الذي نعتزُّ به، وإن لم يؤمن بهذا السامع، فنقول له قَسَمًا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وما يقسم به أبوسفیان يوم أحد حينما يقول: «اعلوا هبل»، أنّ هذا الكلام كذب، لأدلة خاصّة وعامة تُبيّن أنّ أمير المؤمنين ﷺ نفسه نفس رسول الله ﷺ، هو من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى^٢، إلى آخر ما جاء من طرقهم في فضل سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين.

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٣١/ ٣٨٠؛ الديلمي، إرشاد القلوب، ٢/ ٢٦٢.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب (باب مناقب عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن)، ٥/ ٢٤؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل عليّ بن أبي طالب)، ٤/ ١٨٧٠ = ٣١ (٢٤٠٤)؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١/ ١٨٢ - ١٨٣، ١٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/ ١١١، ١١٢، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧ - ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٦٠، ٤٩٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٠٩ = ١٤٦٤٢، ١٤٦٤٤؛ ابن كثير، السيرة النبويّة، ٤/ ١٢ - ١٣.

خامساً: أمّا قولهم: «وثاني اثنين إذ هما في الغار»، ذكرنا في بحث آية الغار: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾^١ أن هناك من يقول بأن الذي كان في الغار مع النبي ﷺ أبو بكر آخر كان يُسمّى بأبي بكر غير أبي بكر عتيق بن أبي قحافة، وأيضاً ذكرنا هناك أن الآية الكريمة إن لم تدل على مثلية في مَنْ قيلت فيه الآية الكريمة، لا تدل على فضيلة فيه^٢.

سادساً: وأمّا «التقديم في الصلاة» فقد قلنا بأن رسول الله ﷺ لم يقدم أبابكر للصلاة^٣، نعم حينما أرادوا أن يلفّقوا ويأفكوا وأن يقولوا بأن عمّلنا هذا لم يكن اعتباطاً بحيث أننا أحببنا أبابكر أو خشينا الخروج على قومنا من قريش فاضطررنا إلى ذلك، بل قدّمناه لفضيلة أو فضائل وجدناها فيه فبركوا حديث الصلاة في زمن رسول الله ﷺ.

والخلاصة أنهم أدركوا هذا فيما بعد، لا أنهم نطقوا به يومذاك، يعني: إن عمر وأبا عبيدة لم ينطقا يومذاك بأنك أفضل المهاجرين، وأنك صاحب الغار، وأن رسول الله ﷺ قدّمك للصلاة على المسلمين والصلاة أفضل الدين، كما سيأتي أنهم فبركوا، قالوا بأن رسول الله قدّم أبابكر للصلاة - أي: للدين - فهل نحن نأبى أن نقدّمه لدنيانا؟!

١. التوبة (٩)/ ٤٠.

٢. انظر: أبحاث العلامة الجعفري ﷺ حول آية الغار.

٣. انظر: كتاب «أحداث مرض النبي ﷺ» للعلامة الجعفري ﷺ، حيث أنّه بحث فيه هذا الموضوع مفصلاً.

فإذا إن انتهى الحديث إلى أبي عمرة، فهو لم يكن أدرك أحداث ذلك اليوم بالرؤية والمشاهدة وإنما حُكي له المفبركون الذين فبركوا بعد ذلك حججاً قدّموا بها خليفتهم على غيره، والشاهد أن أبا حفص عمر لم يذكر هذا الحديث أبداً، مع أنه ذكر السقيفة وذكر بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة، لكنه لم يذكر حجج الذين قدّموا أبا بكر وهم اثنان من المهاجرين (هو نفسه وأبو عبيدة).

فلما ذهباً ليُبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه.

بشير بن سعد مدّ يده قبلهما فبايعه، مع أن أبا حفص أولى وهو من يحكي الحديث لصالح صاحبه أبي بكر حيث قال: «ابسط يدك نبايعك»، وهذا دليل على أن هذا فُبْرِك ولُفّق فيما بعد.

موقف الأنصار بعد بيعة أبي بكر

فناداه الحُبَاب بن المنذر: يا بشير بن سعد، عَقَّتْكَ عَقَاق - أي: عَققت من قِبَل قومك، فإنّك جُرْتَ وتطاوَلت على قومك ولم تراعي لهم ذمّة ولا حُرمة - ما أحوجك إلى ما صنعت؟! أَنْفَسْتَ على ابن عمّك الإمارة؟ - يعني: حسدت ابن عمّك سعد بن عبادة أن يكون أميراً دونك فبايعت غيره؟ - فقال: لا والله، ولكنني كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم.

لا ندري هل اتفقوا على أن رسول الله ﷺ توفي ولم يستخلف أحداً؟! هنا يقولون بأنّ هذا المنصب جعله الله لهم، سواءً بوحي من الله إليهم - وهو الأصحّ؟! - أم بوحي إلى رسول الله ﷺ ومن رسول الله ﷺ إليهم - وهو المكذوب، ولا يهمنّا إن ادّعوا الوحي لأنفسهم من الله، وهناك شواهد على أنّهم كانوا إذا حزّ بهم الأمر ادّعوا مثل هذا، كما جاء في أحاديث الذين منعوا الزكاة من

أبي بكر أن عمر يقول: «فقد شرح الله صدر أبي بكر للذي لم يشرح له صدورنا»، يعني: الله سبحانه وتعالى أوقع في نفس أبي بكر بأن قال: «والله إن منعوني عقلاً يُشَدُّ به البعير لجاهدتهم»^١، لا أنهم منعوني بعيراً، بل إن منعوني عقلاً بغير لجاهدتهم.

وأيضاً جاء في أحاديث جمع القرآن بأن أبابكر قال: «والله علي أن أجمع القرآن من العُسب واللخاف وصدور الرجال»^٢، فادعوا بأن الله شرح صدر أبي بكر للذي لم يشرح له صدورنا، والمسلمون مخيرون بأن يصدّقوا بهذا فيلتزموا بأن الله أوحى إلى هؤلاء ما لم يوحى إلى نبيه ﷺ أولاً.

١. «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقْلاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ». البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة (باب الإقتداء بسُنَنِ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم)، ١١٥/٩ - ١١٦؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ٥١/١ = ٣٢ (٢٠).

٢. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن (سورة براءة)، ٨٩/٦ - ٩٠؛ كتاب فضائل القرآن (باب جمع القرآن)، ٢٢٥/٦ - ٢٢٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٠٧/١٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٠٨/١٩ - ٢٠٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٩٣/٢، ٦٩/٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٤٧/٥ - ١٤٨ = ٤٩٠٢ - ٤٩٠٣.

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعوا إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عُبادة - هنا الأوس حَمَلَتْهم منافستهم للخزرج مع أنهم كانوا أقلّ عدداً وأضعف جنداً - قال بعضهم لبعض، وفيهم أُسَيْد بن حضير - أحد أصحاب أبي بكر وعمر - وكان أحد النقباء - لا يهمننا بما وصفوه من أنه أحد النقباء، ولعلّه إن كان أحد النقباء فإنه قد مال إلى نقباء المشركين لا إلى النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى أو الثانية - والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبابكر.

أُسَيْد بن حضير الذي كان صاحب أبي بكر يخاطب معشر الأوس - وهم مع أنهم كانوا أقلّ عدداً وشوكة من الخزرج ولكنهم في المجتمع المدني كانوا يتنافسون معهم، ولهم حروب قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة التي كان اسمها الجاهلي «يثرب»: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾^١ وبهجرتهم ﷺ سميت بـ «مدينة الرسول» -، فقال: «والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة»، يعني: يجعلون إمرتهم فضلاً لهم عليكم وأنتم الأوس تضطرون إلى أن تقرّوا لهم بهذه الفضيلة أبد الدهر، «ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً»، لأنّ هؤلاء ينفسون عليكم حتى بالمناصب التي تكون فرع الإمرة، لا الإمرة نفسها، «فقوموا فبايعوا أبابكر»، الآن بايعوا عدواً لسعد بن عباد والخزرج كي لا يتأمر عليكم الخزرج، بأن يكون الأمير منهم فتضطرون إلى

الرضوخ للخزرج، بل ارضخوا للمهاجرين - أي: الثلاثة الذين كانوا يمثلون قريشاً -، إذاً هنا أُسيد بن حضير لم يذكر فضلاً لأبي بكر، وإنما جاء كلامه انتقاماً من الخزرج لوجود منافسة بين الأوس وبين الخزرج. فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا من أمرهم.

فانكسر على سعد وعلى الخزرج أمرهم، لأن الأوس بايعوا أبا بكر وتمت البيعة. نعم، قلنا: أن عمر وأبا عبيدة هما اللذان سبقا كل شخص بالبيعة لأبي بكر كما تقدم فيما كان يحكيه عمر عن حادثة السقيفة، ولكن الحديث هنا يقول: أن بشير بن سعد مدّ يده وسبق أبا عبيدة وأبا حفص بالبيعة فكان أول من بايع أبا بكر. إذاً الوهن الأول: قول القائل: «منا أمير ومنكم أمير»، والوهن الثاني: أن الأوس الذين كانوا ينفسون على الخزرج - بأن يكون الأمير منهم - قاموا إلى أبي بكر فبايعوه.

قبيلة أسلم وتأثيرها على البيعة

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي^١: أن أسلم أقبَلَتْ بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر.

١. أبو بكر بن محمد الخزاعي لم يتمكن من أجد له شيئاً، والله آتة منقطع قطعاً، لأن هذا لا يسنده في مواقع أخر عن عبدالله، عن عبدالرحمن، عن أبي عمرة، كما جاء في ما تقدم من كلامي حول السند. (العلامة الجعفري)

يقول عمر: كنّا نحن لا نستيقن من أنّ البيعة التي بايعنا بها أبابكر تسلم، وتمشي، وتنفذ، حتى رأينا أسلم.

أسلم وغفار قبيلتان كانتا من أطراف المدينة وكانوا معروفين بالنفاق، غفار كانت تمتد بحسب الرقعة إلى قريب من مكة المكرمة، ولأجل هذا سيدنا أبوذر جُندب بن جنادة - رضوان الله تعالى عليه - جاء إلى مكة المكرمة والتقى بأمير المؤمنين رضي الله عنه فأخذه إلى النبي ﷺ فبايعه، وكان رابع من أسلم، فاستأذن من النبي ﷺ أن يخرج إلى قومه فأذن له رسول الله ﷺ فخرج إلى قومه، أمّا أسلم كانت أقرب إلى المدينة من موقع غفار.

وجاء في عرض التاريخ الإسلامي التطبيقي المقارن بين القرآن الكريم وبين ما ذكرته السيرة بأصنافها في شأن تبوك أنّه حينما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك - مع أنّه ﷺ أمر كلّ مسلم يتمكن أن يحضر في غزوة تبوك، عليه أن يحضر - تخلف عنه أسلم وغفار، وكان رسول الله ﷺ يقول: إنّ أشدّ من تخلف عني أسلم وغفار، هم جعلوها فضيلة لأسلم وغفار ولكن لغة رسول الله ﷺ تأبى الفضل إلا إذا كان الفضل لمن تأخر عن رسول الله ﷺ نفاقاً. نعم، إنّ كان ذلك فهو فضل، ولكن عند المنافقين لا عند المؤمنين.

١. «إنّ أعزّ أهلي عليّ أن يتخلف عني المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم». (الطبراني، المعجم الكبير، ١٨٣/١٩ - ١٨٥ = ٤١٥ - ٤١٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٩٢/٦ = ١٠٣١٤ - ١٠٣١٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/٣٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/١٧٣)

مبايعة الناس أبا بكر وموقف سعد بن عباد بعد البيعة

قال هشام، عن أبي مخنف: قال عبدالله بن عبدالرحمن: فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر.

قلنا ونعيد: بأن سقيفة بني ساعدة كانت مجمعا لخصوص بني ساعدة يجتمعون فيها للتشاور في أمورهم، وكانت أعواد نخل قد وضع عليها سعاف نخل حماية من المطر والشمس، لأن يومذاك لم يكن يقي المطر ولم يحجب الشمس إلا السعف، فكانوا يضعون السعف - أي: جريد النخل - ليحتمون به من الشمس والمطر.

ومسجد رسول الله ﷺ أيضاً كان في أول يومه لم يكن له سقف، فكان النبي ﷺ يجتمي بالظلال من الهجير - أي: شدة الحر - لأنه كان حينما يسجد ويرفع جبهته الكريمة يمسح - بل أكثر من أن يمسح - الطين الملاصق لها، بحيث أنه كان إذا سجد مرة ثانية يكون فاصلاً بين جبهته الكريمة والأرض، وبالتالي وضعوا السقف - أي: جريد النخل - يحتمون به من المطر المتساقط ومن الشمس، لأنه كان يُخَفَّف وَهَجَ الشمس.

وسقيفة بني ساعدة على أكثر التقادير ما كانت تسع إلا لأربعين أو خمسين شخص لا أكثر، لأنها سقيفة لم تُصنع ليوم السقيفة حتى تكون مستعدة أو مهيئة لاستقبال الذين يقدمون إلى بيعة أبي بكر - كالسرايق التي تُصنع في زماننا وتكون مستعدة لأن تستقبل المئات، بل الألوف، بل عشرات الألوف - بل كانت سقيفة قد هُيئت بجريد نخل وسعف لاجتماع بني ساعدة وهم فخذ من الخزرج.

ولنفرض أنهم حينما دعوا للخزرج وكان معهم فئة من الأوس كانوا أربعين أو خمسين شخصاً لا أكثر، فهنا حينما يقول: «فأقبل الناس من كل جانب يبايعون

أبأبكر» ليس ذلك الناس الذين حضروا بعد مقتل عثمان وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام، وفيهم ثلاثون ألفاً من مصر، وفيهم أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل اليمن. نعم، أهل الشام كانت جنودهم مرابطة للمدينة المنورة على مرحلتين أو ثلاث، وكانت تأتمر بأمر معاوية الذي قال لقائدها وإن سمعت بأن عثمان محاصر أو مقتول فلا تعمل شيئاً ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد والحاضر وأنت الغائب^١.

على كل، نقول هذا حتى لا يُساء فهم النصوص وأن بيعة السقيفة تختلف في واقعها عن بيعة المسلمين حينما بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام، مع أنه ثبتت عندنا الأدلة القطعية من الآيات والأحاديث المتواترة في كثير من ألفاظها بأن الله قد عين أمير المؤمنين عليه السلام إماماً كما بعث رسول الله ﷺ، وإيمان من آمن بالنبي ﷺ لا يزيد في رسالة رسول الله ﷺ، كما أن إيمان من آمن بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام لا يزيد من شأنه أبداً، فمن شاء فليؤمن بإيماناً يتبع إيمان قناعة ومن شاء فليكفر.

فعقيدتنا في أمير المؤمنين عليه السلام أنه إمام منصوص من قبل الله سبحانه وتعالى، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لا يزيد إيمان من آمن به في مقامه عليه السلام كما أنه لا يزيد إيمان من آمن بالنبي ﷺ في مقام رسول الله ﷺ، ولا ينقصه كفر من كفر بإمامته عليه السلام كما أن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِكَلِيلٍ﴾^٢، فشأنه شأن أخيه رسول الله ﷺ.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥٤/١٦.

٢. الأنعام (٦)/٦٦.

وكادوا يطئون سَعْدَ بن عُبَادَةَ، فقال ناسٌ من أصحاب سَعْدٍ: اتَّقُوا سَعْدًا لَا تَطْئُوهُ.

وكادوا يطئون سعد بن عبادة لأنه كان مسجى، وحينما يهجم الناس وهم وقوف يضطرون للوصول إلى بغيتهم بأن يطئوا الجالس أو الملقى المسجى، لذا قال بعض أصحاب سعد بن عبادة: «اتَّقُوا سَعْدًا لَا تَطْئُوهُ»، أي: احتفظوا بأقدامكم أن لا تطئوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله - هنا عمر بن الخطاب الذي تطوع للإمرة كافراً كالذي تبرأ من رسول الله ﷺ ولم يؤمن به - ثم قام على رأسه، فقال: لقد هممتُ أن أطأكَ حتى تُنْذِرَ عَضْدُكَ - يعني: قام عمر بن الخطاب على رأس سعد، وقال: «لقد هممت أن أطأكَ حتى تُنْذِرَ عَضْدُكَ»، أي: أن أدوسك بقدمي حتى تتلاشى مفاصل بدنك، لا أنك تموت، بل تتلاشى مفاصل بدنك، فكل عضو في بدنك ينفصل عن العضو الآخر - فأخذ سعد بلحية عمر - كذا جاء في طبقات تاريخ الطبري، ولعل الصحيح: «فأخذ قيس بن سعد»، لأنَّ سعداً كان مريضاً لم تكن به قوَّة على النهوض وأن يصنع ما يصنع، والله أن قيس بن سعد بن عبادة هو الذي فعل ما فعل بلحية عمر - فقال: والله لو حصَّصتَ منه شعرة ما رجعتَ وفي فيك واضحة - الظاهر أن القائل هو «قيس بن سعد»، فأخذ بلحية عمر، وقال: والله لو أن شعرة من سعد سقطت بعملك ما رجعتَ وفي فيك واضحة، يعني: ان فمك تُضرب، بالجموع، بالأحجار، بالدَّوس، بأي سبب، لا ندري؟! - فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرِّفْقُ ها هنا أبلغ، فأعرض عنه عمر.

أبو بكر تدارك الموقف، لأنه كان كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^١، فكان مظهره اللين وكان مظهر صاحبه أبي حفص الشدة، واللين الذي كان يستعمله أبو بكر أبلغ في الوصول إلى الهدف من شدة صاحبه أبي حفص، ولأجل هذا لم يغفر القائمون بالإمرة أو الخلافة لسعد إلى أن نفي أو خرج إلى الشام، وإلى أن بعثوا له من يغتاله وجعلوه من عمل الجن:

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة فرميناؤه بسهمين فلم نخطئ فؤاده^٢
سهم واحد لم يكن يكفي، بل رميناؤه بسهمين فلم نخطئ فؤاده.

وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة مّا، أقوى على النهوض، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجْجرك وأصحابك.

بعد ما تمت بيعة أبي بكر بالإمرة من عمر، وأبي عبيدة، وبعض من شد هناك في أول الأمر من الأنصار - وأساسها أن الذين بايعوه أول الأمر كانوا من الأوس وكانوا ينفسون على الخزرج بتأثير سعد بن عبادة - شكى سعد بأنه لا يملك تلك القوة البدنية على النهوض، وإلا إن الذين ناهضوه - وهم أربعة أو خمسة، لا أكثر -

١. البقرة (٢) / ٢٠٤ - ٢٠٥.

٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ١٤٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٦/ ١٦ = ٥٣٥٩ و ٥٣٦٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١١١.

لسمعوا منه في أقطارها وسككها زئيراً يحجرهم، يعني: يجعلهم في جُحر^١ يختبئون فيه.

أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع.

يعني: لم تكن أنت شريفاً في الذين كانوا بمكة، سواء كانوا من مخزوم، أو من أمية، أو من ثقيف، وهنا لا نريد أن نفصل أفخاذ قريش وقد أعلن عن ذلك أبوسفیان - كما سيأتي - حينما قدم المدينة بعد يوم من وفات رسول الله ﷺ واستخلاف أبي بكر، فكان يصيح في سككها: أين الأذلان عليّ والعبّاس أياخذها - أي: الخلافة أو الإمارة - تيمّ وعديّ وهما الأذلان نسباً وحسباً، وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: والله لأملأنّها عليك في سككها خيلاً ورجالاً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا حاجة لنا في نصرتك^٢. ومن شعره كما يذكره المؤرخون كلّهم:

إنّ الهوان حمار الأهل يعرفه	والحر ينكره والرسلة الاجد
ولن يقوم على ضيم يراد به	إلا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته	وذا يشجّ فلا يبكي له أحد ^٣

١. «الجحر» هو المكان الذي يختبئ فيه الفأر والقطط وأشباههم من الحيوانات، أمّا الفيل والكركدن وأمثالهما فهم يعيشون مصحرين لا يخافون أحداً [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/١١٧؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ٤/٨٣؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/٣٦٢؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ١/١٠٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٠/٣٧٣]. (العلامة الجعفري عليه السلام)
٢. انظر: حديث ابن الحر وحديث عوانة.
٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤/١٨٢٨ (طبعة دار المعارف: ٣/٢١٠)، وفيه: «معكوس برمته».

يعني: الذي يتحمل الذلّ في الأحياء ليس إلّا الأذلان: عير الحي (أي: الحمار الذي يحمل عليه الحيّ أمتعتهم، فلا يرضون بالركوب لأنّهم يمتهنونه فلا يرضون بركوبه وعلى هذا لا يسرجون له)، والوتد (يعني: المسمار من خشب، لأنّ ذلك اليوم لم تكن المسامير من حديد، مسمارٌ من خشب كان يُنَحَت فيُدَق ويشدُّ عليه وتَد الخيمة).

«هذا على الخسف مربوط برمته»، أي: الحمار لا يطلق، لا يرسل، لأنّه ذليل لا يشتكي شيئاً إنْ ظامه الضائمون الذين يضمّون الحيوانات، «وذا يشج - أي: يدق على رأسه - فلا يبكي له أحد».

وهناك أبيات نذكرها بالمناسبة وهي من الأبيات الفريدة التي نُسيّت في التاريخ ولم تذكر، لأنّ التاريخ كتبه الموالون لبني أميّة، منها:

معاويّ إنّنا بشر فأسجح فلسنا بالشيء ولا الحمير^١

يخاطب معاوية، فيقول: نحن بشر لنا عقول وأفئدة، بعقولنا ندرك أشياء، وبأفئدتنا نحبّ أشياء ونكره ونبغض أشياء، «معاويّ إنّنا بشر فأسجح»، أي: اتّدد، لا تشطط في ظلمك لنا، «فلسنا بالشيء ولا الحمير»، نحن لسنا بالشيء ولا الحمير.

١. لم نعثر على البيت كما هو في المتن، وما عثرنا عليه في المصادر هكذا:

معاويّ إنّنا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

(ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٧/٢٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣٨٩/٥؛ الزركلي، الأعلام، ٢٤١/٤؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١٠٠/١؛ البغدادي، خزنة الأدب، ٣٩٧/١١).

احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه في داره - ثم قال سعد بن عباد: احملوني من هذا المكان، فحملوه وأدخلوه في داره - وترك أياً ما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك - أرسل إليه أبو بكر أن أقبل وبايع كما بايع الناس وكما بايع قومك - فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي - أي: لا أقبلكم إلا في حالة حرب أرمي فيها بنبي - وأخضبت سنان رُحِي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي.

يعني: الصلوة بين وبينكم صلوة حرب، ورحم الله ابنه قيس، بعد ما صالح الحسن عليه السلام معاوية مجلس ضم قيساً والإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، فطلب معاوية من الإمام المجتبي عليه السلام أن يبايع قيس، فقال: والله حلفت أن لا يكون بيني وبينه - أي: بين معاوية - إلا السيف، فأمر الإمام الحسن عليه السلام بسيف وضع بين قيس وبين معاوية، وقال له: بايع^١. وهذا الذي يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام - ما مضمونه -: «والله لصلح الإمام الحسن للشيعة أنفع مما أشرقت عليه الشمس»^٢، وحديث صلح

١. ما عثرنا عليه هكذا: «ولما تمّ الصلح بين الحسن ومعاوية، أرسل إلى قيس بن سعد بن عباد يدعوه إلى البيعة، فأتى به وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المسرف ورجلاه تحيطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصي الأنصار، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه، قال: إني قد حلفت أن لا ألقاه إلا بيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه لير يمينه». (أبو الفرج، مقاتل الطالبين/ ٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/ ٥٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٨/ ٤٥٧)

٢. قد ورد هذا المضمون عن أبي جعفر الباقر عليه السلام هكذا: «والله للذي صنعه الحسن بن عليّ عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس». (الكليني، الكافي، ٨/ ٣٣٠ = ٥٠٦؛

الإمام الحسن عليه السلام ذوشجون، لا إنَّ حديث الدار ذوشجون.

ورحم الله شيخنا الاصفهاني، يقول:

إنَّ حديث الدار ذوشجون مَّاجَنَتْ بِهِ يَدُ الْخَوَّونِ^١

أي: حديث المهجوم على دار فاطمة عليها السلام من قبل السلطة الحاكمة بعد ما أحكمت أمرها في اليوم الثاني من إمرتها، ذوشجون.

وأقاتلكم بأهل بيتي وَمَنْ أَطَاعَنِي مِنْ قَوْمِي، فلا أفعل، وإيَّمُ الله لو أَنَّ الْجَنِّ اجْتَمَعَتْ لَكُمْ مَعَ الْإِنْسِ مَا بَايَعْتُكُمْ، حَتَّى أُعَرِّضَ عَلَى رَبِّي، وَأَعْلَمَ مَا حِسَابِي - الْحَكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والموعِدُ الْقِيَامَةَ، وَنُضِيفُ: «وهناك يُخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ وَيَعْرِفُ التَّالُونَ غَبَّ مَا أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ» كما تقول الصديقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام في خطبتها^٢ -.

المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/٢٥ = ٩ و ٤٤/٢١٧ = ٢؛ العياشي، التفسير، ١/٢٥٨ = ١٩٦)

وقد ورد نفس المضمون عن الإمام الحسن عليه السلام أيضاً كما يلي: «لَمَّا صَالَحَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَلَامَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَيْعَتِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَحْكُمُ مَا تَدْرُونَ مَا عَمِلْتُ؟ وَاللهُ الَّذِي عَمِلْتُ خَيْرَ لَشِيعَتِي مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرِبَتْ». (الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة/ ٣١٥ - ٣١٦ = ٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/١٩ = ٣، ٥١/١٣٢ = ١؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٢/٥٥؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ٢/٢٢٩ - ٢٣٠)

١. الاصفهاني، الأنوار القدسية/ ٤٢، وفيه: «إنَّ حديث الباب....».

٢. الصدوق، معاني الأخبار/ ٣٥٥؛ الطبري، دلائل الإمامة/ ١٢٨ و ١٢٩؛ الطوسي، الأمالي/ ٣٧٦؛ الطبرسي، الإحتجاج، ١/١٤٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/١٦٠؛ الجوهري، السقيفة وفدك/ ١٢١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/٢٣٤ (والكلام في المصادر المذكورة، منقول عن الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام).

فلما أُتي أبو بكر بذلك، قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجَّ وأبى، وليس بمبايعكم حتى يُقتل - قال عمر لأبي بكر: لا تدع سعداً حتى يبايع. فقال بشير بن سعد: إنَّ سعداً قد لجَّ وأبى إلا الحرب، فلا يبايع حتى يقتل - وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه، فليس تركه بضاراً لكم، إنما هو رجلٌ واحد - اتركوه لأنَّه متوحد. رحم الله شيخنا آل كاشف الغطاء، يقول: الأصفر والأبيض الرنَّانان اللامعان (أي: الذهب والفضة) هما اللذان أوحيا إلى المجتمع ما أوحيا، يعني: أدخلوا فيه الأمل واليأس الكاذب، وتقول الصديقة الطاهرة (ع): «لَبَانُ لَهْمِ الزَّاهِدِ مِنَ الرَّاغِبِ وَالصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^١ - فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم، ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر (رح)!!؟^٢

١. الأعراف (٧)/ ٩٦.

٢. الطبرسي، الإحتجاج، ١/ ١٤٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ١٦٠؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٢٠.

٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر الخبر عمّا جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة)، ١ - ٤/ ١٨٣٧ - ١٨٤٤ (طبعة دارالمعارف: ٣/ ٢١٨ - ٢٢٣)؛ وانظر أيضاً: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٧ - ٤٠ (مع اختصار وتصرف).

هذا ما يذكره الطبري وفيه ما لم يذكره غيره، وإن شاء الله سوف نأتي بأحاديث
آخر نذكر نصوصها ونقيس بينها وبين ما جاء من صاحب أبي بكر أبو حفص الذي
إن كان يخفي شيئاً فالذي يخفيه، ما فيه طعن لأبي بكر لا ما فيه فضل لصاحبه.

أحاديث أنس بن مالك

تمهيد

كان موضوع البحث الآثار أو الأحاديث التي تحكى ما وقع بين الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ من الخلاف حول الإمرة - كما قالوا أول مرة - والخلافة - كما قالوه فيما بعد -، فانحازت فئة إلى سقيفة بني ساعدة وكانت النتيجة أن تمت البيعة لأبي بكر يوم وفاة رسول الله ﷺ وحيء أبي بكر يُزَفّ كما تُزَفّ العروس إلى مسجد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ورسول الله ﷺ مسجى لم يُصنع به أي شيء، لا الغسل، ولا التكفين، ولا الصلاة، فكيف بالدفن.

بدأنا بحديث أبي حفص - صاحب أبي بكر وصديقه وخليفته على أمته، لا على أمّة رسول الله ﷺ^١ - وانتهينا إلى حديث أبي جعفر الطبري، والآن حسب التسلسل نذكر حديث أنس بن مالك، ولا ندري هل كان يومذاك بلغ الخُلم أم لا؟

١. وإن كان هناك شيء يُذكر وأذكره لأنني فرضاً تعودت الخطابة: رحم الله الأستاذ «ضياء شهاب» في اندونيسيا، وهو كان عضواً في السفارة السعودية، وكان يُتقن عدّة لغات، قال: أرسلني أبي إلى «علوي الحداد» صاحب «القول الفصل فيما لبني هاشم من الفضل» وهو كتاب يومذاك كان معروفاً في اندونيسيا وغيرها، قال: أرسلني كي أتعلم الخطّ العربي وأنا طفل، فأعطاني كتابة خطٍ للتعليم وهي أبياتٌ قرأها فحفظتها أنا:

ما المسلمون بأمةٍ لمحمدٍ كلاً ولكن أمةً لعتيق

جاءتهم الزهراء تطلب إرثها فتقاعسوا عنها بكلّ طريق

وتجمّعوا وتجهّروا وتألّبوا لما دعته ابنة الصديق

فعودهم عن هذه وقيامهم مع هذه يغني عن التحقيق

كلّما حتّتهم الصديقة الكبرى ﷺ لا أنّهم سكتوا عن نداءها وعن طلبها بل تجاهدوها، وأمّا ابنة الصديق لما دعته، اجتمعوا عليها ولم يبالوا بنهي رسول الله ﷺ لقتال عليّ عليه السلام، ولا بسقوط الجهاد عن المرأة.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

الحديث الأول

خطبة أبي حفص الآخرة

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ (رض): أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ.

تقدم منا أن عائشة قالت: إنَّ عمر بن الخطاب ادَّعى بأنَّ رسول الله ﷺ لم يمت، وإنَّما ذهب إلى لقاء ربِّه، وليرجعنَّ بعد أربعين يوماً، وليقطَّعن أيدي وأرجل أناس يزعمون أنَّه قد مات، فالخطبة الأولى كانت يوم وفاة رسول الله ﷺ، والخطبة الآخرة كانت في اليوم الثاني من وفاة رسول الله ﷺ.

فَتَشَهَّدَ وَأَبُوبَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ - تشهَّد عمر وأبوبكر صامت لا يتكلم، لأنَّ أبا حفص يريد أن يعتذر إلى المسلمين ممَّا فرطَ منه يوم أمس - قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ يَعْيشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ حَتَّى يَدُبُّرَنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ، فَإِنَّ يَكُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ

بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، ثَانِي اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايَعُوهُ.

يعتذر أبو حفص، ويقول: كنت أظن أن رسول الله ﷺ يكون آخرنا موتاً حتى يدير أمرنا، ولا ندري كيف كان أبو حفص يفسر قوله عزَّ من قائل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾؟! لعله كان يفسر مثل ما كان يفسره المغيرة بن شعبة، وصاحبه ابنة صاحبه أبي بكر، اللذان كانا يقولان بأن خاتم النبيين «زينة النبيين» لا أنه لا نبي بعده! ثم يقول: فإن مات محمد ﷺ فإن الله قد جعل ما يهدي به، وهو القرآن الذي هدى الله به محمد ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأُمُوركم، فقوموا فبايعوه.

هنا أنس بن مالك يذكر أن أبا حفص قال في ترجيح أبي بكر أنه ثاني اثنين، فإذا هو أولى المسلمين بأنفسهم منهم دون غيره، ولكن في ما يحكيه أبو حفص عن يوم السقيفة - يوم وفاة رسول الله ﷺ - لم يذكر أن أبا بكر كان ثاني اثنين، ولعله حينما راجع نفسه في الليلة التي أعقبت وفاة النبي ﷺ - ليلة الثلاثاء - وجد بأنه إن تمت بيعة أبي بكر في السقيفة على أساس أنه قرشي، وأن العرب لا تخضع لغير قریش - لغير هذا البيت الذي فيه النبوة - فمن الجائز أن من لم يحضر يوم السقيفة لا يقتنع

بهذا، ففكر ووجد الآية الكريمة تقول: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾^١، فوجد في هذه حجة.

البيعة العامة وإزعاج عمر أبابكر لأخذ البيعة

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمَنْبَرِ.

وكانت طائفة بايعوه في سقيفة بني ساعدة ولكن عامة المسلمين لم تشهد سقيفة بني ساعدة ولم تحضر بيعته، فاليوم الثاني وهو يوم الثلاثاء كان أبو حفص قد وجد منقبة جديدة لأبي بكر، فقال: ثاني اثنين، وكانت بيعة العامة على المنبر.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعِدِ الْمَنْبَرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَةً^٢.

ابتداء كان أبو بكر جالس بحذاء غيره من المسلمين قريب من المنبر، وكان ابن الخطّاب على المنبر يعتذر إلى المسلمين ممّا فرط منه أمس، فقال لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، ولم يزل به - لا أنّه طلب منه - حتى صعد المنبر فبايعه الناس.

١. التوبة (٩)/ ٤٠.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام (باب الاستخلاف)، ٩/ ١٠٠ - ١٠١.

الحديث الثاني

كلام عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ الْغَدَّ - أَي: يوم الثلاثاء، وهو اليوم الثاني بعد وفاة رسول الله ﷺ - حِينَ بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَاسْتَوَى - عمر - عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، تَشَهَّدَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ - يعني: ذهب إلى لقاء ربّه، فكانت أزواجه الحور العين دون ما ترك من أزواجه حينما تُوفِّيَ ﷺ وهم أحياء - وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا، وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ - الله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن لهداية رسوله، ورسول الله ﷺ تركه بين أيديكم، فخذوا به تهتدوا..

الحديث الثالث

خطبة أبي حفص الآخرة وإزعاج أبي بكر لأخذ البيعة

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ (رَح) الْآخِرَةَ - أَي: الخطبة الثانية - حِينَ جَلَسَ عَلَى مَنِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، قَالَ: فَتَشَهَّدَ عُمَرُ، وَأَبُوبَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قُلْتُ مَقَالََةً، وَإِنِّي لَمْ تَكُنْ كَمَا قُلْتُ - أَي: قلت أمس مقالة لم تكن صحيحة كما قلت - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ الْمَقَالََةَ الَّتِي قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - يَعْنِي: لَمْ تَهْدِنِي آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَقُولُ بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتُ - وَلَا فِي عَهْدِ عَهْدِهِ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم - وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ - وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ يَعْيشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم حَتَّى يَذُبُّنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ آخِرَهُمْ - أَي: يكون آخرهم موتاً، تفنى الأمة قبل فناء رسول الله ﷺ - فَإِنَّ يَكُ مُحَمَّدٌ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ نُوراً تَهْتَدُونَ بِهِ، هَذَا كِتَابُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا بِهِ، تَهْتَدُونَ لِمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم - أَنْزَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهْدَايَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَهَدَايَتِكُمْ - ثُمَّ إِنَّ أَبَابَكْرَ (رَح) صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم وَثَانِي اثْنَيْنِ - هُنَا يَقُولُ أَنَسُ بِأَنَّهُ دَبَّرَ فَضِيلَةَ لَمْ

يذكرها في السقيفة، وهي ثاني اثنين إذ هما في الغار - وَإِنَّهُ أَوْلَى النَّاسِ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمُنْبَرِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسٌ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ يُزْعِجُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى الْمُنْبَرِ إِرْعَاجًا - نزل عمر، فكان يدفع بأبي بكر دفعاً إلى أن أصعده المنبر -.

مناقشة في الحديث

ابن حبان له كتاب في الزوائد، يقول: «عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ سِتْرَةَ الْحُجْرَةِ»، يقول نور الدين الهيثمي مصحح جامع زوائد ابن حبان - وهو صاحب كتب كثيرة منها «مجمع الزوائد»، ومنها «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» -: «قلت: فذكر الحديث وهو في الصحيح» إلى آخره.^٢

١. عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب المغازي (بدء مرض رسول الله ﷺ)، ٥/٤٣٧ - ٤٣٨ = ٩٧٥٦.

٢. نص الحديث هكذا: «أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي السَّرَى، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ سِتْرَةَ الْحُجْرَةِ. قلت: فذكر الحديث وهو في الصحيح، وَقَالَ فِيهِ: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رض)، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ كَمَا أُرْسِلَ إِلَى مُوسَى فَمَكَثَ فِي قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِي رِجَالٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالسَّيِّئِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ.

هنا يذكر ابن حبان شيئاً لم يذكره البخاري، ولا عبدالرزاق في مصنفه، وعلى هذا الأساس الحديث الذي يحكيه الزهري، عن أنس بن مالك، يتضمن شيئاً:

الأول: عمل رسول الله ﷺ وهو حي.

والثاني: ما وقع بعد وفاته ﷺ من الخلاف في أمر الإمرة، ثم الخلافة.

الجزء الأول متعلق بأحاديث صلاة أبي بكر، «حديث أنس الذي يذكر أن رسول الله ﷺ رفع الستار فكدنا أن نفتتن في صلاتنا وكان رسول الله ﷺ يضحك، ثم أرخى الستر وتوفي من يومه ذاك».

قلنا بأن هذا الحديث لا يصح على كل حال، لأن الذي كان من رسول الله ﷺ إن كان في قبلة المسجد وهو بيت عائشة فرسول الله ﷺ لم يتوفى في بيت عائشة وإنما توفي حيث دُفن باتفاق من المسلمين، وإن كان في البيت الذي دفن فيه فالذين كانوا يتجهون إلى الصلاة خلف أبي بكر كيف يُمكنهم أن يروا رسول الله ﷺ يتبسم

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْأَخِيرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، وَكَانَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ: فَتَشَهَّدَ عُمَرُ، وَأَبُوبَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قُلْتُ أَمْسَ مَقَالَةً وَإِنِّي لَمْ تَكُنْ كَمَا قُلْتُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ الْمَقَالَةَ الَّتِي قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَهْدَ عَهْدِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ حَتَّى يَدُورُنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرُهُمْ، فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ بَيْنَكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، فَاعْتَصِمُوا بِهِ تَهْتَدُوا لِمَا هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنَّ أَبَابَكْرَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ، وَثَانِي اثْنَيْنِ، وَإِنَّهُ أَوَّلَى النَّاسِ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمَنْبَرِ».

(الهيتمي، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان/ ٥٣٣ - ٥٣٤ = ٢١٧٥).

ويضحك بحيث أنهم كادوا أن يفتنون به؟! وكثير من المناقشات مرّت هناك، فالجزء الأول تقدّم في أحاديث صلاة أبي بكر زمن رسول الله ﷺ.^١ وأمّا الجزء الثاني فلم يذكره البخاري، ولا عبدالرزاق، ولا غيرهما، وإنّما أقحم ابن حبان الحديث الأول في الحديث الثاني حتى يكون في صلاة أبي بكر زمن رسول الله ﷺ حجة لعمر.

وحجة أخرى ذكرها عمر بن الخطاب حينما قال: «ثاني اثنين»، وأمّا ثاني اثنين فقد مرّ أنّه ليست فيه فضيلة^٢، ويقول الشيخ الطبرسي - رحمه الله - في كتابه مجمع البيان: ولأصحابنا في هذا المقام - أي: في الاستدلال بآية الغار - مقالٌ أعرضنا عن ذكره لئلا ننتهم بالتعصّب.^٣

١. انظر: كتاب «أحداث مرض النبي ﷺ» للعلامة الجعفري.

٢. انظر: حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة.

٣. نصّ كلامه: «وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ﷺ، في هذه الآية بالسكينة، كلاماً رأينا الإضراب عن ذكره أخرى، لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء». (الطبرسي، مجمع البيان، ٥/ ٥٨)

الحديث الرابع

إزعاج عمر أبابكر بعد فوزه بالبيعة

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، أنا أبو الحسن بن أبي الحديد، أنا جدي أبوبكر، أنا محمد بن يوسف بن بشر الهروي، نا محمد بن حماد الطهراني^١، نا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري، حدثني أنس بن مالك، قال: لقد رأيت عمر يزعج أبابكر إلى المنبر إزعاجاً^٢.

أزعجه، أي: دفعه إلى فعل شيء، يعني: أن أبابكر كان يتلکأ وعمر هو الذي كان يدفعه إلى صعود المنبر، معنى ذلك أن أبابكر كان يُظهر عدم الرغبة في الإمرة بحيث يجعل غيره هو الذي يرغب في أن يتولّى الأمر، ولكن هذا الحديث مخالف للحديث الذي اتفق عليه جميع أصحاب المسانيد والصحاح، من أن أباحفص كان يقول: «وكنت قد زوّرت في نفسي مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر،

١. كذا في مخطوطة العلامة^٣، وأما في المطبوع: «أنبأ».

٢. كذا في مخطوطة العلامة^٣، وأما في المطبوع: «الطهراني».

٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق الشام، مخطوطة الف (عتيق بن عثمان بن قحافة - أبوبكر -)، ٦٢/٣١؛ تاريخ مدينة دمشق، ٢٨٧/٣٠.

وكنت أداري من أبي بكر بعض الحدة، فلما أردت أن أتكلّم، قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبو بكر فكان هو أحلم منّي وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يُعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً^١، وفي رواية أخرى يقول: «فقال أبو بكر: ...ولكنكم قد عرفتم أنّ هذا الحيّ من قريش بمنزلة من العرب ليس بها غيرهم، وإنّ العرب لن تجتمع إلّا على رجل منهم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتّقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أوّل من أحدث في الإسلام»^٢ وإلى آخره، فلو كان أبو بكر لا يريد أن يتأمر فلماذا جاء إلى السقيفة وقال ما قال؟!!

-
١. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة (باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت)، ٨/ ٢١١؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب الأئمة من قريش)، ٨/ ١٤٢؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١/ ٥٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ٣٠٩ - ٣١٠؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/ ٢٨٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤/ ١٨٢٢ - ١٨٢٣ (طبعة دار المعارف: ٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦).
 ٢. ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب المغازي (ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة)، ١٤/ ٥٦٦؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٨٠ - ٣٨١.

أحاديث أبي سعيد الخدري

كنا نستعرض الآثار في مصطلح الأصيل عندهم والأحاديث التي يسمونها فيما تتعلق بقضايا السقيفة، لأن الرواة فيها لا يحكون عن رسول الله ﷺ شيئاً حتى يقال بأنه حديث وإنما هو أثر صحابي عندهم ولكن مع هذا يسمونها أحاديث، وصنفنا الأحاديث حسب موقعها من قضايا السقيفة، بدأنا بحديث أبي حفص عمر بن الخطاب وهنا نكملها بحديث أبي سعيد الخدري.

الحديث الأول

كلام الأنصار حول الإمرة

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ إِمْلَاءً؛ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي حَامِدٍ الْمُقْرِئُ قِرَاءَةً عَلَيْهِ، قَالَا: ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَاكِرٍ، ثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثَنَا وَهَيْبٌ، ثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، ثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رض)، قَالَ: لَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَامَ خُطْبَاءُ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَّا، فَتَرَى أَنَّ يَلِي هَذَا الْأَمْرَ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ وَالْآخَرُ مِنَّا.

لم نَعثر على مورد بأنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ بعثاً أَمَرَ عليهم رجلين أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار، ولا ندري مَنْ أين جاءت هذه الحجّة؟! نعم، جاء في الحديث: إنّ رسول الله ﷺ بعث سرّيتين إحداها بإمرة أمير المؤمنين عليه السلام والثانية بإمرة خالد بن الوليد، وقال: إنّ افترقتم فكلّ واحدٌ منكما أميرٌ على جيشه وإنّ اجتمعتم فأمركم عليّ بن أبي طالب، فَغَنِمُوا غنائمَ ومنها جاريةٌ كانت تفوق غيرها من الجوّاري، فاخْتَصَمَها أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه^١، خالد بن الوليد حَضَّ أناساً يشكون عليّاً إلى رسول الله ﷺ منهم بريدة بن الحصيب، وبراء بن عازب، فلما قدموا شكوا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما تريدون مِنْ عليّ أو دعوا عليّاً، إنّ عليّاً مِنِّي وأنا منه، وهو وليكم بعدي»^٢، يعني: أنّ ما يكون ميزةً لرسول الله ﷺ من الأنفال الذي لا يُقَسَّم بين المسلمين، يكون أمير المؤمنين عليه السلام شريكاً للنبي ﷺ في هذا النفل، ولكنَّ أمير المؤمنين عليه السلام وخالد كلاهما من المهاجرين وليس مهاجريٌّ يُقَرَّن بأنصاري أو أنصاري يقرن بمهاجري.

١. في رأينا لأنّها من الأنفال، شيءٌ لا يمكن القسمة، نعم الجوّاري المتشابهات يمكن قسمتهنَّ وأما الجارية التي كالسيف الذي يكون فرداً لا نظير له في ما يُغْنَم، هذا من الأنفال.

(العلامة الجعفري عليه السلام)

٢. انظر: أحمد بن حنبل، المسند، ٥/٣٥٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/١٢٧ - ١٢٨ = ١٤٧٣٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/١٨٩ - ١٩٠.

موقف زيد بن ثابت من كلام الأنصار

قَالَ: فَتَتَابَعْتُ حُطْبَاءَ الْأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ (رض)، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الْإِمَامَ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

إِنْ صَحَّ أَنَّ الْإِمْرَةَ عَلَى السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ كَانَتْ مَنَاصِفَةً بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَلَا مَعْنَى لِحُجَّةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِيِّ وَالْأَنْصَارِيِّ، أَوْ بَيْنَ الْقُرَشِيِّ وَغَيْرِ الْقُرَشِيِّ، أَوْ بَيْنَ الْعَدْنَانِيِّ وَالْقَحْطَانِيِّ، وَلَا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْحُجَّةُ؟! إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَدْ أَخَذَهَا مِنْ مَصَادِرٍ أُخْرَى.

وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ (رض)، فَقَالَ: جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ وَثَبَّتْ قَائِلُكُمْ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَلَحْنَاكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايَعُوهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا.

ادعاء مبايعة أمير المؤمنين ﷺ والزبير أبابكر

فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ (رض) عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا (رض) فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ (رض): ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم وَخَتَنَهُ، أَرَدْتُ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟! فَقَالَ: لَا تَشْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، فَبَايَعَهُ. ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ (رض) فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: ابْنِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم وَحَوَارِيَّهُ - يَعْنِي: الزُّبَيْرَ كَانَ

بمنزلة حوارِي النبي عيسى الذين أسلموه حينما جيء به وصُلب، ولا ندري متى كان الزبير حوارِي رسول الله ﷺ؟! - أَرَدْتُ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟! فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: لَا تَثْرِيْبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ فَبَايَعَاهُ.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْحَافِظُ الْإِسْفَرَائِينِيُّ، ثنا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَافِظُ، أَنَّنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَا: ثنا بُنْدَارُ بْنُ بَشَّارٍ، ثنا أَبُو هِشَامٍ الْمُخْزُومِيُّ، ثنا وَهَيْبٌ، فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: جَاءَنِي مُسْلِمٌ بْنُ الْحُبَّاجِ فَسَأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَكَتَبْتُهُ لَهُ فِي رُقْعَةٍ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ يَسْوِي بَدَنَةً. فَقُلْتُ: يَسْوِي بَدَنَةً؟! بَلْ هُوَ يَسْوِي بَدْرَةً!!^١

١. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب الأئمة من قريش)، ٨/ ١٤٣.

الحديث الثاني

موقف الأنصار وزيد بن ثابت حول الإمرة بعد وفاة رسول الله ﷺ

حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - الْخُدْرِيِّ -، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَامَ خُطْبَاءُ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا بَعَثَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَرْنَهُ بِرَجُلٍ مِنَّا، فَنَحْنُ نَرَى أَنَّ يَلِي هَذَا الْأَمْرَ رَجُلَانِ، رَجُلٌ مِنْكُمْ وَرَجُلٌ مِنَّا. [فَتَتَابَعَتْ خُطْبَاءُ الْأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ]، فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَكُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، فَإِنَّمَا يَكُونُ الْإِمَامُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، نَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَح -: جَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ حَيٍّ خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ، وَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ غَيْرَ هَذَا مَا صَالَحْنَاكُمْ.^١

١. الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، ١/ ٤٩٥ - ٤٩٦ = ٦٠٣؛ وانظر أيضاً: أحمد بن حنبل، المسند، ٥/ ١٨٥ - ١٨٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، أبو بكر الصديق (ذكر وصية أبي بكر)، ٣ - ١/ ١٥١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٥/ ١٨٣ = ٨٩٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٦٩؛ ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب المغازي (ما جاء في وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)، ١٤/ ٥٦٢ - ٥٦١ = ١٨٨٨٦.

يظهر من صدر الحديث أنّ هذا الكلام كان حينما اجتمع المهاجرون - أي: الثلاثة - والأنصار - الذين كانوا كلّهم أو جُلُّهم من الخزرج - في سقيفة بني ساعدة، ولكن ذيل الحديث يكشف عن أنّ هذا الكلام كان في اليوم الثاني - إن صحَّ ما يحكيه أبوسعيد الخدري ولم يكن فيه مجاملة لذوي القدرة، وما أكثر ما جامل أبوسعيد وأمثال أبي سعيد لذوي القدرة وخاصّة في أوّل نُشوء قُدْرَتِهِمْ حتّى لا يتخلّف عنهم -، ودليل ذلك حديثٌ يرويه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة أبي بكر عتيق [أي: الحديث التالي].

الحديث الثالث

موقف الأنصار حول الإمرة بعد رسول الله ﷺ ومبايعتهم أبابكر

أخبرنا أبوالمعالى عبدالله بن أحمد المرودي الحلواني، أنا أبوبكر أحمد بن علي بن خلف، أنا الحاكم أبوالحسن علي بن محمد المهرجاني،^١ نا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، نا أبوبكر بن إسحاق بن خزيمة؛ وإبراهيم بن أبي طالب، قال: نا بNDAR بن بشار، نا أبوهشام المخزومي، نا وهيب، نا داود بن أبي هند، نا أبونضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عباد - مع أنه اتفقوا على أنهم لم يجتمعوا في دار سعد بن عباد، وإنما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وحملوا سعد بن عباد إلى مجلسهم وهو مزمل لا يمكنه النهوض لمرضه - وفيهم أبوبكر وعمر، فقام^٢ خطيب الأنصار، فقال: أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان من المهاجرين، وخليفته من

١. كذا في مخطوطة العلامة، وأما في المطبوع، بعده: «ح: وأخبرنا أبو القاسم الشحامى، أنا أبوبكر البيهقي، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحافظ الإسفراييني، قال»، وقال في الهامش: «ما بين معكوفتين سقط من الأصل وأضيف عن م».

٢. كذا في مخطوطة العلامة، وأما في المطبوع: «قال: فقام».

المهاجرين، ونحن كنّا أنصار رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم، فنحن أنصار خليفته كما كنّا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطّاب، فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نتابعكم، وأخذ بيد أبي بكر، وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، وبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار.

ادّعاء مبايعة أمير المؤمنين ﷺ والزبير أبابكر

قال: فصعد أبوبكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت: ابن عمّة رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم وحواريه، أردت أن تشقّ عصا المسلمين؟ قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم، فقام فبايعه، ثمّ نظر في وجوه القوم فلم ير عليّاً، فدعا بعليّ بن أبي طالب فجاء، فقال: قلت: ابن عمّ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم وختنه على ابنته، أردت أن تشقّ عصا المسلمين؟ قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم فبايعه، هذا أو معناه.

قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبت له في رقعة وقرأت عليه، وقال: هذا حديث يسوى بدنة. فقلت: يسوى بدنة؟! بل هذا يسوى بدرة. كذا رواه لنا وقد سقط من صدره قول قائل الأنصار.^٢

١. كذا في مخطوطة العلامة، وأمّا في المطبوع: «قلت: أين ابن عمّة».

٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق الشام، مخطوطة الف (عتيق بن عثمان بن قحافة - أبوبكر -)، ٥٥/٣١ - ٥٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/٢٧٦ - ٢٧٧.

الحديث الرابع

رأى أبي بكر بالنسبة إلى بيعته وادّعاء أخذ البيعة من أمير المؤمنين عليه السلام والزبير

أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أنا أحمد بن علي بن الحسن؛ وابن عثمان؛
وأحمد بن محمد بن إبراهيم القصاري.

ح: وأخبرنا أبو عبد الله بن القصاري، أنا أبي أبوطاهر، قال: أنا أبو القاسم
إسماعيل بن الحسن بن عبد الله الصرصري، نا أبو عبد الله المحاملي، نا القاسم بن
سعيد بن المسيب، نا علي بن عاصم، نا الجريري [ولعله: الجريري]، عن أبي نضرة،
عن أبي سعيد، قال: لما بويغ أبوبكر، قال: أين علي؟ لا أراه. قالوا: لم يحضر. قال:
فأين الزبير؟ قالوا: لم يحضر. قال: ما كنت أحسب أن هذه البيعة إلا عن رضا جميع
المسلمين، إن هذه البيعة ليس كييع الثوب ذي الخلق، إن هذه البيعة لا يردود لها
[ولعله: لا يرد دونها]، قال: فلما جاء علي، قال: يا علي، ما أبطأك عن هذه البيعة؟

-
١. كذا في مخطوطة العلامة رحمته الله، وأمّا في المطبوع: «أنا أحمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان»، وقال في الهامش: «بالأصل: "الحسن وابن عثمان"، والمثبت عن م».
 ٢. كذا في مخطوطة العلامة رحمته الله، وأمّا في المطبوع: «الجريري».
 ٣. كذا في مخطوطة العلامة رحمته الله، وأمّا في المطبوع: «لا مردود لها».
 ٤. كذا في مخطوطة العلامة رحمته الله، وأمّا في المطبوع: «ما بطلاً بك».

قلت: إني ابن عم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وختنه على ابنته، لقد علمت أنني كنت في هذا الأمر قبلك. قال: لا تدري بي [ولعله: لا تريب] يا خليفة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فمدّ يده فبايعه. فلما جاء الزبير، قال: ما أبطأك^١ عن هذه البيعة؟ قلت: إني ابن عم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وحواري رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أما علمت أنني كنت في هذا الأمر قبلك؟ قال: لا تروي^٢ بي [ولعله: لا تريب] يا خليفة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ومدّ يده فبايعه^٣.

مناقشة في الحديث

هنا خلط عجيب، أبوسعيد الخدري ظاهره أنه يحكي الاجتماع الأول حينما تمت بيعة أبي بكر بمد يد أبي حفص بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وفي هذا الاجتماع - كما يحكي الخليفة الثاني - أساساً لم يكن فيه «أنّ أبا بكر أولى أو أنّه غير أولى»، وإنّما كان أساسه قول خطيب الأنصار: «إنّ الأمر بيننا كشق الأبلّمة، منّا أمير ومنكم أمير»، فقال عمر: إنّ العرب لا تخضع إلّا لهذا الحيّ من قريش فنحن

١. كذا في مخطوطة العلامة، وأمّا في المطبوع: «لا تزري بي».

٢. كذا في مخطوطة العلامة، وأمّا في المطبوع: «ما بطأ بك».

٣. الكلمة في مخطوطة العلامة بدون نقطة.

٤. كذا في مخطوطة العلامة، وأمّا في المطبوع: «لا تزري بي».

٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق الشام، مخطوطة الف (عتيق بن عثمان بن قحافة - أبوبكر -)، ٥٦/٣١؛ تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/٢٧٨ - ٢٧٩؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٧٣/٥ =

الأمراء وأنتم الوزراء، ثم وصفَ بيعة أبي بكر بأنها كانت فلتة ولكن وفقى الله المسلمين شرّها.

فهناك لم يكن الزبير ولا أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً، لأنّ الزبير ومن معه كانوا في بيت فاطمة عليها السلام إنتصاراً لأمر المؤمنين عليهم السلام، وكان أمير المؤمنين عليه السلام مشغولاً بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره بتجهيزه من كفنه والصلاة عليه ودفنه، فكان عليه السلام مشغولاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحضر ذلك المكان.

نعم، في اليوم الثاني - يعني: يوم الثلاثاء - وهو الذي يسمّى عندهم بيوم البيعة العامة الذي جاءوا بأبي بكر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بعثوا من بعثوا إلى دار فاطمة عليها السلام فخرّجت الصديقة الطاهرة عليها السلام وصنّعت بها ما صنّعت، وعلى هذا الأساس خرج الزبير فأخذ محمد بن مسلمة سيفه فضرب به الحجر فكسّره، وخرج آخرون ممن كانوا قد اجتمعوا في بيت فاطمة عليها السلام، هذا في اليوم الثاني وهو يوم البيعة العامة الذي جيء بأمر المؤمنين عليهم السلام يقاد كما يقاد الجمل المخشوش لا يرضون به إلا أن يبايع.^٢

١. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/ ٣٨٧؛ الموفق الخوارزمي، المناقب/ ٣٢٩ = ٣٤٦.
٢. «وَقُلْتُ إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يَقَادُ الْجَمَلُ الْمُخْشَوْشُ حَتَّى أَبَايَعُ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَأَفْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاصَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَابًا بَيْنَيْنِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدَرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا». (الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٣٨٧ - ٣٨٨) (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً «٢٨»؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/ ١٨٣)

فإذاً يوم السقيفة - أي: يوم الاثنين - كانت الحجّة أنّ العرب لا ترضى إلاّ لهذا الحيّ من قريش، ووعدّ أبوبكر الأنصار - ردّاً على قول قائلهم: «إنّما الأمر بيننا كشقّ الأبلّمة» - بأنّه «نحن الأمراء وأنتم الوزراء»، ولكنّ الأنصار ماتوا حسرةً على الوزارة التي مُنوا أو مُنيوا بها ولم يروها أبداً، وإنّما تقدّمهم مَنْ كان ولا نقول شيئاً، ورحم الله السيد رضا الهندي في الكوثرية، يقول:

أنى ساووك بمن ناووك وهل ساووا نعلي قنبر^١

فنحن هنا لا ندري أنّ أبا سعيد كيف يحكي هذه الأكاذيب؟! أمّا اليوم الأوّل قال عنه أبوحنص بصرامة - كما تقدّم في حديثه - بأنّبيعة أبي بكر كانت فلتة ولكن وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وأنّ الحجّة كانت أنّ العرب لا ترضى إلاّ لهذا الحيّ من قريش حيث تكون الإمارة فيهم، ولم يكن الحديث حول الخلافة وإنّما كان الحديث عن الإمارة، وعلى هذا الأساس لما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام حجّة هؤلاء يوم السقيفة، قال كلمته المشهورة: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»^٢، يعني: احتجّوا بأنّهم من شجرة منها رسول الله ﷺ، ولكن حينما جاءت الشجرة كي تُثمر قُطعوا.

أمّا اليوم الثاني - أي: يوم الثلاثاء الذي كان بعد يوم الاثنين يوم وفاة رسول الله ﷺ - وذهابه إلى ربّه - نعم، جيء بالزبير وكُسر سيفه وقيل له لا بدّ أن تباع،

١. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٧/ ٢٥.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣ - ٤.

وجيء بأمر المؤمنين عليه السلام يقاد كما يقاد الجمل المخشوش، ولم يرضوا به إلا أن يبايع، ومدّ أبو حفص يده عليه السلام ومسح بها يد أبي بكر.

فمن الواضح أن هذا الحديث إن لم يكن مكذوباً على أبي سعيد الخدري فهو حديثٌ نَمَقَهُ أبو سعيد وخلَطَ به بين اليوم الأوّل واليوم الثاني، وهو كَذِبٌ منه تزلفاً إلى من تَمَّت بيعته برغم أنف رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، وهنا نقول بأن الله دَبَّرَ أمراً وغيره دَبَّرَ أمراً آخر، فتمَّ ما دَبَّرَ غيرُ الله ولم يتمَّ ما دَبَّرَ الله سبحانه وتعالى لأُمَّة نبيّه ﷺ.

هذه النقاط التي تقدّمت وقلنا بها وذكرناها وما سيأتي في ما بعد كافٍ لردّ هذا التخطيط الذي لم يؤتَ به إلا تزلفاً للخلافة أو للإمرة التي قامت وكان يتزلفُ إليها مَنْ يأمل أن يُصيب منها شيئاً.

الحديث الخامس

حجج أبي بكر لبيعته

أَبَانَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَصْبَهَانِيَّ بِالْكَرْخِ^١، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْكِنْدِيُّ أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ (رض): أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟^٢

السؤال هنا: أنه متى وقعت هذه المناشدة؟! إن كانت يوم السقيفة فصاحبه أبو حفص يحكي أحداث ذلك اليوم وليس فيه شيء من هذا، وإن كانت بعد السقيفة - أي: بعد ما بويع أبو بكر - لم تكن بيعته مجال مناقشة وطعن لأصحابه حتى يناشدهم بآني ألسنت كذا وكذا؟ فهذا كله وُضِعَ لصالح الذين جاءوا بعد أبي بكر حتى يُذكر لهم بأنَّ أبا بكرٍ استدلَّ بأدلةٍ أقنع بها الحضور على أنه يستحق الخلافة!

١. وقد جاء في جدول تصحيح الأخطاء، في آخر الكتاب: «بالكرخ» بدل: «بالكرخ».

٢. الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب المناقب (في فضل أبي بكر الصديق) / ٥٣٣ = ٢١٧٣؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٥ / ٣٣٨ = ٢٢٥٩.

أحاديث رافع الطائي

قد مرّ أحاديث كثيرة، منها: حديث عمر بن الخطاب، أحاديث عائشة، أنس بن مالك، أبي سعيد الخدري و... والآن نذكر أحاديث رافع بن أبي رافع الطائي:

الحديث الأول

عَمَّا قِيلَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيَّاشٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ ذِي عَصَوَانَ الْعَنْسِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّخْمِيِّ، عَنْ رَافِعِ الطَّائِيِّ رَفِيقِ أَبِي بَكْرٍ فِي غَزْوَةِ السَّلَاسِلِ - يَدَّعِي رَافِعٌ هَذَا أَنَّهُ كَانَ رَفِيقَ أَبِي بَكْرٍ فِي غَزْوَةِ السَّلَاسِلِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَمِيرًا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَإِنَّمَا هُوَ كَانَ يَصْحَبُ أَبَا بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ - قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَمَّا قِيلَ مِنْ بَيْعَتِهِمْ؟ فَقَالَ، وَهُوَ يُحَدِّثُهُ عَمَّا تَكَلَّمْتُ بِهِ الْأَنْصَارُ، وَمَا كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَمَا كَلَّمَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْأَنْصَارَ، وَمَا ذَكَرَهُمْ بِهِ مِنْ إِمَامَتِي إِيَّاهُمْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ - أَبُو بَكْرٍ يَحْكِي لِرَافِعِ

الطائي أن عمر ذكر الأنصار بإمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ - في مرضه فبايعوني لذلك، وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة، وتكون بعدها ردة.^١

هذا ما يدعيه أبوبكر، أما لماذا؟ سيأتي الوجه في ذلك في الأحاديث التي تُروى

عن رافع.

١. أحمد بن حنبل، المسند (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، ١/٤٠ - ٤١ = ٤٢، وقال: «إسناده صحيح»، (الطبعة الميمنية)، ١/٨؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/٣٣٩ = ٢٢٦٠، وقال: «حم» - يعني: رمز لأحمد بن حنبل -، قال ابن كثير: «إسناده حسن»، قال الحافظ ابن حجر في أطرافه: «أخرجه أبوبكر الإسماعيلي في مسند عمر من تأليفه في ترجمة أبي بكر وعمر».

الحديث الثاني

سبب قبول أبي بكر البيعة

أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفرضي، أنبأ أبو القاسم بن أبي العلاء، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو القاسم بن أبي العقب، أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي، نا محمد بن عائد^١ [؟]، قال: وأنا الوليد بن مسلم، عن يزيد بن سعيد بن در [؟]، عن عصوان^٢ [؟]، عن عبد الملك بن عمير، أو غيره، عن رافع الطائي: أنه سأل أبا بكر عن قبوله بيعتهم يومئذ، وقد كان عهد إليه أن لا يأتمر على أنيس^٣ [؟] - أي: لا يرى لنفسه إمرة على أحد من البشر، أبو بكر كان يقول لرافع الطائي بأن رسول الله ﷺ نهاني وقال لا تتأمر على اثنين، يعني: إياك أن تتأمر ولو على اثنين - قال - أي: قال أبو بكر وهو يحكي لرافع الطائي، لا أن رافعاً حضر يوم السقيفة - لما أتينا الأنصار تكلمت، فقلت: يا معشر الأنصار، إن رأيتم أن لا تسبقوا المهاجرين

١. كذا في مخطوطة العلامة، وأما في المطبوع: «عائد»، وقال في الهامش: «بالأصل وم: عايد».

٢. كذا في مخطوطة العلامة، وأما في المطبوع: «...سعيد بن ذي عصوان»، وقال في الهامش:

«بالأصل: "بن در، عن عصوان" والمثبت عن م وفيها: "زيد" ولم أهد إلى ترجمته».

٣. كذا في مخطوطة العلامة، وأما في المطبوع: «اثنين».

بأمرٍ كان الله قد جمع بكم الإسلام وأعزّه بكم فلا يكوننَّ فرقة أهله على أيديكم - يعني: أنتم الأنصار أعزّ الله ونصر بكم الإسلام، فلا يكن فرقة هذه الأمة على أيديكم -.

وتكلّم عمر، فقال: يا معشر الأنصار، أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر أبابكر بالصلاة بكم في حوبه [حربه]^١ ومرضه؟ قالوا: نعم. قال: فأياكم يجترئ على أن يتقدّمه؟ قالوا: لا أيّنا. قال: فقال سعد: فبايعه إن نحن بايعناه! قال عمر: نعم، وأخذ عهدهم إن هو بايعه ليبايعنّه، فضرب عمر على يد أبي بكر وبايعت الأنصار على أنّ الخليفة منّا ومنهم الوزراء، فقبلنا^٢ مخافة فرقة الإسلام.^٣

هذا الحديث أيضاً يدلّ على أنّ الأنصار اختلفوا ولم يبايعوا أبابكر إلّا بعد اللتيا والتي.

-
١. كذا في مخطوطة العلامة^٤، وقال في محاضرته: «أنا لم أرجع إلى المطبوع من تاريخ دمشق الشام حتى أقارنه بهذا»، وأمّا الكلمة لم ترد في المطبوع، وقال في الهامش: «غير مقروءة بالأصل وم».
 ٢. كذا في مخطوطة العلامة^٥، وأمّا في المطبوع: «فقبلتها».
 ٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق الشام، مخطوطة الف (عتيق بن عثمان بن قحافة - أبوبكر -)، ٦٨/٣١؛ تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/٢٩٩ - ٣٠٠.

الحديث الثالث

دفاع أبي بكر عن بيعته واعتذاره لصاحبه

عن طارق بن شهاب، عن رافع بن أبي رافع، قال: لما استخلف الناس أبا بكر، قلت: صاحبي الذي أمرني أن لا أتأمر على رجلين - أي: صاحبي الذي قال بأن رسول الله ﷺ نهاني أن أتأمر على رجلين، وأنا أنقل لك نهى رسول الله ﷺ أنه نهى أن تتأمر على رجلين - فارتحلت فانتفيت إلى المدينة - سَمِعَ بيعة أبي بكر ورأى فيه مخالفة لما ذكره أبو بكر من أن رسول الله ﷺ نهاه أن يتأمر على رجلين - فتعرضت لأبي بكر - يعني: جعلت وجهي أمام وجهه كي يعرفني - فقلت له: يا أبا بكر، أتعرفني؟ قال: نعم. قلت: أتذكر شيئاً قلته لي: أن لا أتأمر على رجلين؟ وقد وليت أمر الأمة؟! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض والناس حديث عهد بكفر، فخفت عليهم أن يرتدوا - أي: فخفت عليهم أن يرجعوا عن الإسلام وأن يركنوا إلى الشرك - وأن يختلفوا، فدخلت فيها وأنا كاره - أي: دخلت في البيعة وأنا كاره لها - ولم يزل بي أصحابي، فلم يزل يعتذر حتى عذرتة.^١

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٣٩ = ٢٢٦١.

والخلاصة أنّ رافع الطائي لم يشهد بيعة السقيفة وإنّا سمع من أبي بكر أنّ رسول الله ﷺ نهاه أن يتأمر على رجلين، فلما علّم بتوليّه أمر الأمة ارتحل إليه وعرفه بنفسه وبسماعه منه نبي رسول الله ﷺ أن يتأمر على رجلين، فقال أبو بكر: النهي صحيح ولكن حيث أنّ الناس كانوا حديث عهد بالإسلام خفت أن يختلفوا وأن يرتدوا عن الإسلام إلى دينهم المشرك السابق، ولأجل هذا قبلت الإمرة عليهم وأنا لها كاره، ولم يزل يعتذر حتى قبل رافع عذره.

أولاً: في ما يرويه رافع الطائي - في الحديث الذي أسند إليه في مسند أحمد بن حنبل الذي قال عنه المعلق أحمد محمد شاكر: «إسناده صحيح» - من أنّ أبا بكر يحكي أنّ عمر ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ فبايعوني بذلك وقبلتها منهم، فإن كان أبو بكر قد قاله فإنه اختلق عذراً فيما بعد، لأنّه مرّ أحاديث كثيرة ومنها حديث صاحبه عمر بن الخطّاب الذي يحكي بتفصيل عن بيعة السقيفة، لم يرد فيها أنّ عمر احتجّ عليهم بإمامة أبي بكر، وإنّا قال في الردّ على الأنصار بأنّ العرب لا تخضع إلّا لهذا الحيّ من قريش لأنّ رسول الله ﷺ فيهم، ووعدهم بأنّهم لا يحدثون فتنة ولا يحدثون إمريتين - إمرة يعقدونها لمن يتولّونه من الأنصار وإمرة للمهاجرين -، وإنّا قال: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء» ومدّ يده إلى أبي بكر في قضايا قد قلناها.

فإذاً عمر لم يحتجّ هناك على الأنصار بأنّ أبا بكر كان قد صلّى بالمسلمين بأمر رسول الله ﷺ في حياته، والحجّة التي اشتهرت بينهم بأنّ القائل قال لهم: «ألا

ترضون لديناكم مَنْ ارتضاه رسول الله لدينكم وهو أبوبكر^١ أيضاً لم يحتج بها، فإنَّ صحَّ أنَّ أبابكر قال هذا الكلام لرافع الطائي فهو عذرٌ قد اخترعه فيما بعد، لا أنَّه حكاية عما دار بينه وبين صاحبه عمر بن الخطاب والأنصار.

وأكثر من هذا ما اتَّفَق عليه القوم منَّ إسناد هذا الكلام إلى عمر بن الخطاب - وهو أحرص الناس على الدفاع عن صاحبه أبي بكر - أنَّه قال: «إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ولكن وقى الله المسلمين شرَّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» - كما مرَّت هذه الأحاديث بتفصيل - فلو كان رسول الله ﷺ في رأي ابن الخطاب قد ارتضى أبابكر لدين المسلمين وعلى هذا الأساس اقترح عليهم أن يرتضونه لديناهم، لما كان هناك مجال لقوله: «إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة؟!»!!

نعم، يُضَيِّف عليها: «ولكن وقى الله المسلمين شرَّها»، ولا ندري وقى الله المسلمين شرَّها أو وقى المسلمين من إمامة الصالحين؟! التاريخ بيننا وبين القوم في المآسي وقد تقدَّم الكثير وسيأتي الأكثر، وقد تقدَّم أنَّ المآسي بدأت من بيعة السقيفة وانتهت إلى يومنا الحاضر، وإنَّا نقطع بأنَّها لم تنتهي إلَّا بظهور الإمام المهدي الحجة ﷺ في رأينا.

نعم، نحن لا نُحَمِّل غيرنا أن يقول بقولنا فلينتظر إلى يوم القيامة، إنَّ كان لا يقول بقولنا فليتوقَّع البيعة التي عمَّ شؤمها الإسلام إلى يوم القيامة - ولا نخصُّ

١. انظر: الشافعي، المسند، ١/ ١١٣ = ٣٣٩؛ الجوهري، السقيفة وفدك/ ٦٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٥، ٦/ ٣٩؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٢٧٢؛ ابن العربي، أحكام القرآن، ١/ ٥٧٥، ٤/ ٩٢؛ الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٢٦٤.

بيعة دون بيعة، أو فئة من السابقين، ولا من آل مروان، أو من بني أمية، ولا من بني العباس وغيرهم - وإن كان يقول بقولنا - وهو الصحيح الذي نعتقد به - أن هذه البيعة التي عمّ شؤمها الإسلام لا يزول أثرها إلا بظهور صاحب الأمر والزمان عليه السلام، إن كان يقول بنفي هذا - ولا ندري هل يصح له أن ينفي أم لا - فليقل ما شاء أن يقول، وإن كان لا يقول بهذا، فعليه أن يتوقع هذه البيعة التي عمّ شؤمها الإسلام إلى يوم القيامة، وإن كان يقول بأنه إلى نزول عيسى، فنزول عيسى علامة مهديّ هذه الأمة: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم»^١.

١. الطبراني، المعجم الأوسط، ٨٦/٩ = ٩٢٠٣؛ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء (باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام)، ٢٠٥/٤؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان (باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، ١٣٦/١ = ٢٤٤ (١٥٥).

حديث أبي هريرة

تمهيد

بدأنا في أحاديث السقيفة بما ذكره الصحابة والآن وصلنا إلى حديث أبي هريرة الدوسي، ولا ندري هل كان في أحداث السقيفة مُشاهداً أم يحكي عن غيره من الصحابة، لأنه أسلم في السنة السابعة من الهجرة وكان فقيراً جداً من أهل الصفة، وهو يقول: كثيراً ما كنت أُمَاشي كثيراً من الصحابة إلى باب دورهم فلم يكونوا يدعونني إلى مأدبتهم إلا ما كان من جعفر بن أبي طالب - كما هو مذكور في ترجمته، منها كتاب سيدنا العلامة صاحب الفضل على الإمامية المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين (أعلى الله مقامه)، ومنها شيخ المضيرة وغيره^١، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له بَأْنِي قد سَيِّمْتُ البقاء في المدينة لَأَنِّي أَنَا أَتَسَكَّعُ وَلَا يُنْجِدُنِي أَحَدٌ لِمَاكُلِي فَمُرْ لِي بِأَنْ أَذْهَبَ إِلَى أَمِيرِ الْبَحْرَيْنِ، فذَهَبَ إِلَيْهِ وَبَقِيَ فِي الْبَحْرَيْنِ إِلَى زَمَنِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، إِلَى أَنْ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ كَثُرَ مَالُهُ، فَاسْتَدْعَاهُ، فَقَالَ لَهُ:

١. انظر: السيد شرف الدين، أبوهريّة/ ٢١ - ٢٥؛ أبورية، شيخ المضيرة/ ٤٩ - ٥٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٧/ ٣١٨ - ٣٢٤.

خرجت فقيراً مُعْدِماً فَمِنْ أَيْنَ حَصَلَتْ لَكَ هَذِهِ الْأَمْوَالُ؟ فَقَالَ: إِبْلٌ تَنَاجَجَتْ، وَخَيْلٌ تَلَاقَحَتْ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُصَادَرَ نِصْفُ أَمْوَالِهِ، وَبَقِيَ لَهُ النِّصْفُ الْآخَرُ وَهُوَ كَثِيرٌ^١.

وعلى هذا الأساس لم يكن أبوهريرة حاضراً يوم السقيفة، ولكن هذا الحديث على فرض أن الصحابة كانوا يعتمد بعضهم على بعض فيما ينقلون، ولأنهم كلهم عدول لا يُطعن فيهم - كما يقولون - وإن كان أحدهم ابن العاص، والآخر ابن هند، والثالث ابن شعبة، والرابع فلان، والخامس فلان، فهؤلاء كلهم عدول^٢. وأما الحديث:

موقف أبي حفص من وفاة النبي ﷺ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - ابن إسحاق عندهم ثقة، وإن كان قد طعنوا بأنه كان شيعياً ولكن هو عندهم في السيرة حجة، اعتمد عليه كل من جاء بعده ممن كتب في

١. انظر: السيد شرف الدين، أجوبة مسائل جار الله / ٣٠ - ٣٢؛ النص والاجتهاد / ٣٦١ - ٣٦٢؛ أبوهريرة / ٢٦ - ٢٨؛ الأميني، الغدير، ٦ / ٢٧١؛ أبورية، شيخ المضيرة / ٨٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٧ / ٣٧٠ - ٣٧١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١ / ٣٤٨ - ٣٤٩.

٢. وهنا نُشير فقط: يأبون إخواننا علينا بثلاثة عشر معصوماً، قالوا: إنكم التزمتم بعصمة أئمتكم ﷺ والصدّيقة الطاهرة ﷺ، بحيث أنه كان يقول بعضهم: لا معصوم إلا الله، وأنا أذكر أنه في أسفاري في اندونيسيا كنت أُحدّث بعضهم، فقال: لا معصوم إلا الله. قلت: ومن الذي يعصمه؟ فالتفت إلى خطئه وضحك. فأبوا علينا بثلاثة عشر معصوماً والحال أنهم التزموا بأئمتي عشر ألف معصوم.

(العلامة الجعفري ﷺ)

السيرة، والسند بعده عندهم صحيح مائة بالمائة -: قَالَ الزُّهْرِيُّ، وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَدْ تُوفِّيَ.

هذا النص جاء عن طريق كثير من الصحابة ولكن نحن هنا نحكي حديث أبي هريرة، يقول: «إنَّ رجالاً من المنافقين»، معنى ذلك أنَّ المنافقين كانوا عدَّة، لا رجل واحد.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم وَاللَّهُ مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ.

نحن هنا لا نتكلَّم في نيَّة أبي حفص ولا أنَّه ماذا كان يقصد من كلامه هذا، وإنَّا نتكلَّم عن الحضور - وهم جَلَّةُ الصحابة من الصدر الأوَّل الذين كانوا في مسجد رسول الله ﷺ -، كيف أفتنهم عمر بن الخطَّاب بأنَّ رسول الله ﷺ ما مات ولكنَّه ذهب إلى ربِّه كما ذهب موسى بن عمران؟! هل كان أبو حفص حاضراً حينما غاب موسى غيبةً كانت تُشبه غيبة رسول الله ﷺ؟! المهم ليس في نيَّة مَنْ قال فيما يهدف إليه، وإنَّا المهم في سداجة مَنْ سمع، لأنَّ موسى بن عمران حينما فارق قومه ذهب إلى لقاء ربِّه وكان ذهابه بروحه وبدنه - يعني: أنَّه قد غاب عن قومه بجسده -، فلو أنَّ رسول الله ﷺ كان قد غاب كما غاب موسى بن عمران، فالذي كان مسجى في بيت عائشة - كما يقول أبو هريرة - أو في بيت فاطمة ؓ - كما هو الصحيح - من هو إذًا؟! فهل يعتقد عمر بن الخطَّاب أنَّ رحلة موسى بن عمران كانت رحلة روحية،

كما تقول عائشة في إسرائ رسول الله ﷺ أنه أُسري به بروحه في المنام وأما جسده فكان إلى جنب جسد بعض أزواجه^١، أم يعتقد شيئاً آخر؟! ولكن الحديث انطلى على جلة أولئك الحضور والحال أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مشغولاً بتهيئة غسل النبي ﷺ، والصلاة عليه، ثم دفنه، ولكن رسول الله ﷺ تأخر ثلاثة أيام فلم يُدفن إلا في اليوم الثالث، وتقول السيدة عائشة: «ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن سمعنا صوت المساحي ونحن في بيوتنا»^٢.

ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات. عجيب أمر أبي حفص، يقول: إن رسول الله ﷺ سوف يصنع بالذين زعموا بموته نفس ما كان يهدد به فرعون السحرة الذين آمنوا بموسى؟! فرعون هدد السحرة ولكنه لم يفعل بهم ولكن أبو حفص يقول: إن رسول الله ﷺ ليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات، أقل ما يقال هنا أن هذا الكلام على أساس سذاجة الحضور وأنه كان ينطلي عليهم بما لا ينطلي على الأطفال في زماننا.

١. انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ١٠٥/٢؛ البداية والنهاية، ١١٤/٣؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ٦٩/٣؛ العيني، عمدة القاري، ١٢٥/١٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/٢٨٤.
٢. أحمد بن حنبل، المسند، ٦٢/٦، ٢٤٢، ٢٧٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤٢/٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٢ - ١٨٣٣ (طبعة دار المعارف: ٢١٣/٣)؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٥٣٨/٤.

مجيء أبي بكر من السنج وموقفه

قَالَ: وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ - من السنج - حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبْرُ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ - هؤلاء يزعمون أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ توفي في بيت عائشة، ولكن هذا كذباً وافتراءً على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في حياته وبعد وفاته وأنه مفتعل - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ مُسَجَّى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُرْد حَبْرَةٌ - والناس يشهدون أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (مهما كان في بيت عائشة أو في بيت فاطمة عليها السلام) قد سُجِّي بِبُرْدِ حَبْرَةٍ - فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ - عَجِيبٌ عَاطِفَةٌ مَا أَسَاسُهَا وَلَا نَدْرِي مَنْ الَّذِي يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِي حَقِّهِ أَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ مِثْلَ هَذِهِ الْعَاطِفَةِ! - ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي - وكلنا نقول لرسول الله ﷺ من قلوبنا: يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي لَا بِالْفَاظِنَا - أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ دُفِنَتْهَا - من أول الأمر صَرَّحَ بِأَنَّ الْمَوْتَةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ قد ذاقها، وحيث أنهم لا يؤمنون بالرجعة لأحد فلا يكون رجوعه إلا عند الحشر، يوم يحشر الناس أجمعين - ثُمَّ لَنْ تُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا. قَالَ: ثُمَّ رَدَّ الْبُرْدَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ - لا بد وأن ننتبه إلى أَنَّ المسلمين بعد ما بلغهم خبر وفات رسول الله ﷺ (سواء الذين صدَّقوا أو الذين لم يصدَّقوا) اجتمعوا في أقرب مكانٍ إلى محلِّ وجوده ﷺ وهو المسجد النبوي الشريف الذي كانوا يرونه، فحينما يقول: «وعمر يكلم الناس» معناه أَنَّهُ لم يكن يكلم عدَّة معدودة بل كان يكلم جميع من حضر في ذاك المكان -

فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ، أَنْصِتْ - اسمعني ماذا أريد أن أقول - فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ لَا يَنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ - يعني: توجهوا إلى أبي بكر لكي يرون ما يأتي به أبو بكر - فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ - بلا شك أن النبي ﷺ قد توفي، ولكن السؤال هنا أن كلام أبي بكر ردُّ على مَنْ؟! مَنْ كان يعتقد أن رسول الله ﷺ يُعْبَد، ومن كان يَعْبُدُهُ يومذاك؟! إِلَّا أَنْ يَتَّهَمَ صَاحِبَهُ أَبَا حَفْصٍ! وَأَنَّ الْكَلَامَ رَدُّ عَلَى مَنْ كَانَ يَقُولُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لم يمت وإنما ذهب إلى لقاء رَبِّهِ - وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^١. قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ - أي: عامة الصحابة لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ، إن صحَّ هذا القول فالويل لمن يقتدي بما يرويه الصحابة ان كانوا يجهلون مثل هذه الآية، وإن كان كذباً فالويل لمن يقول بأن كلَّ من رأى رسول الله ﷺ، رؤيته تمنع من الكذب، كائناً من كان..

موقف عمر بن الخطاب بعد كلام أبي بكر

قَالَ: وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَقْوَاهِهِمْ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعَقَرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ - يعني: رجلاه لم تقدر على حمله فصعق ووقع مغشياً عليه، وعلى مصطلح الفعلي أنه أصبح في حالة ما يسمونه «بالكُما» كما يقال عن بعض الساسة أن غشيتهم كانت اختيارية^١.

على أي حال، لا ندري هل كان حاضر يومنا بياضي يوم الصحابة أم شيء آخر؟! - وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَدْ مَاتَ^٢ - وقد ورد في هذه الأحاديث اعتذار عمر عما قاله حينما أخبر الناس بموت رسول الله ﷺ في

١. وأنا أذكر أن صاحب الغشية وهو كان من الأقلية المعارضة في المجلس السادس عشر في العهد المبدا، جاء رزم آرا يطلب الثقة، فقال صاحب الغشية: إنك أنت هنا في بيت الشعب (بيت الأمة) ونحن وكلاء للأمة وأنا لا أخشاك بلباسك العسكري وإنما أقدر على أن أضرب على رأسك، فذهب لكي يضربه، في الطريق أغمي عليه. ورحم الله السيد صدر الدين شرف الدين «صاحب السياسة العراقية يومذاك» كتب بأن الغشية خير ما يأتي للسياسي حينما لا يقدر أو لا يصح له أن يفعل ذلك الفعل. (العلامة الجعفري رحمه الله)

٢. ابن هشام، السيرة النبوية (تمريض رسول الله في بيت عائشة)، ٤/ ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته)، ١ - ٤/ ١٨١٥ - ١٨١٧ (طبعة دار المعارف: ٣/ ٢٠٠ - ٢٠١)؛ البلاذري، أنساب الأشراف (أمر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حين بُدِيَ)، ١/ ٥٦٥ - ٥٦٦ = ١١٤٩.

اليوم الثاني بعد بيعة السقيفة حينما تمت البيعة لأبي بكر^١، وإن شاء الله سنأتي إلى أحاديث آخر فيها الطامات وما أكثرها..

١. انظر: أحاديث أنس بن مالك الأول والثاني والثالث.

أحاديث ابن عباس

الحديث الأول

مسايرة ابن عباس عمر في خلافته

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَإِنْ كَانَ فِي السَّنَدِ عِكْرِمَةُ^١ (وهو مولى لابن عباس وله آراء خاصة، لأنه من الأزارقة الشُّراة الخوارج الذين لهم آراء خاصة ومن أحاديثه تظهر آراؤه التي يحكيها عن ابن عباس، وهناك أخبار تنقل عن ابن عباس بأن عكرمة كان يكذب على ابن عباس)، ولكن نحن لا نناقش في السند لأن السند الآخر لا ينتهي إلى عكرمة وإنما ينتهي إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (وهو راو شهير)، عن ابن عباس - قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عُمَرَ - أَي: كنت أسايره - فِي خِلَافَتِهِ - يعني: الفترة من السنة الرابعة عشرة إلى السنة الثالثة والعشرين من الهجرة - وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى حَاجَةِ لَهُ، وَفِي يَدِهِ الدَّرَّةُ - درّة عمر كانت مشهورة وهي عصا قصيرة (والظاهر أنها غليظة) كان

١. انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٩/٢٠ - ٤٠ = ٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٧ - ١٨١ = ١٨٧؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٢٦٣/٧ - ٢٧٣ = ٤٧٦.

يضرب بها من شاء أن ينهره، أو من شاء أن يُبرز له وُدّاً ومحبةً، ولا ندري ما هو الجامع بين الودّ والمحبة وبين أن ينهر الشخص بالضرب بالدرّة؟! - وَمَا مَعَهُ غَيْرِي، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، وَيَضْرِبُ وَحْشِيَّ قَدَمَهُ بِدَرَّتِهِ.

المكان الذي لا يستره الحذاء أو النعل يسمّى «وحشيّ القدم»^١، لأنّ النعل إنّما يستر بطن القدم والأطراف إنّ كان نعلاً مخصوصاً أيضاً يستر وأما هنالك مقدار من القدم لا يستره النعل فيسمّى «وحشيّ القدم»، فحينما يقول: «ويضرب وحشيّ قدمه بدرّته» معناه أنّ الدرّة كانت طويلة بحيث أنّه كان إذا أراد أن يضرب بها أحداً تصل إليه وإنّ بعد عنه، لأنّه لم يكن يمشي مُطْطِئاً، وإذا علمنا بأنّ أبا حفص كان طويلاً جداً^٢ - في أحاديث منها أنّه كان يعلو على الناس برأسٍ ورقيةٍ وصدر، يعني: كان يعلوهم بما يكون رؤوسهم على حدّ صدره - نعلم أنّ درّته أيضاً كانت طويلة، وإلاّ كيف يمكنه أن يضرب وحشيّ قدمه بدرّته وهو غير مُطْطِئٍ وإنّما يمشي كما يمشي الناس؟! بالإضافة إلى هذا أنّ الدرّة كانت إلى حدّ ما غليظة بحيث تُؤلم الآخرين.^٣

١. «وقال بعضهم: إنسي القدم: ما أقبل منها على القدم الأخرى، ووحشيها ما خالف إنسيها». (الزبيدي، تاج العروس، ١٧/ ٤٤١؛ ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٣٦٩؛ ابن سيّدة، المحكم والمحيط الأعظم، ٣/ ٤٦٨؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ٥/ ٩٤)

٢. انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤/ ٥٨٩ = ٥٧٤٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٤٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢١/ ٣٢٣؛ محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ٢/ ٢٧٤.

٣. وهناك قصص للدرّة وقضاياها في كتب الأدب لا أحبّ أن أذكرها [انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٨١، ٢/ ١٨٠، ٤/ ٦٧، ٦٨، ١٢/ ٤٢، ٦٧، ٧٣، ٩٦، ١٠١، ١٣٧، ١٤٥، ١٦/ ١٦٥، ١٨/ ٢٣٣؛ الأميني، الغدير، ٦/ ١١٢، ١٥٧، ١٦١ - ١٦٢، ١٨٣ - ١٨٦، ٢٦٧ - ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٩٢، ٢٩٥ - ٢٩٨]. (العلامة الجعفري رحمه الله)

السبب في المقالة التي قالها أبو حفص عند وفاة النبي ﷺ

قَالَ: إِذْ التَقْتُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ حَمَلَنِي عَلَى مَقَالَتِي الَّتِي قُلْتُ حِينَ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم؟ - وقد ذكرنا أنه قال: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لم يمت ولكنه ذهب إلى لقاء ربه وليرجعن بعد أربعين يوماً وليقطعن أيدي وأرجل أناس يزعمون أنه قد مات^١ - قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَعْلَمُ.

ابن عباس لا بد وأن يخاطب أبا حفص بقوله يا أمير المؤمنين، وإلا كان يضربه أقل تقدير بالدرّة التي يشجّ بها رأسه كما صنع بالنسبة إلى كثير من القضايا التي أُشير إليها: ضرب بالدرّة شخصاً فشجّ رأسه، فهو كان يعرف كيف يتملّق! لغرض صحيح أم لا، ذاك شيء آخر.

قَالَ: فَإِنَّهُ وَاللَّهِ، إِنْ كَانَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^٢ - هذه الآية لم ينسها، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^٣، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^٤

١. انظر: حديث عائشة الخامس وحديث أبي هريرة وحديث أصحاب السيرة.

٢. البقرة (٢)/ ١٤٣.

٣. الزمر (٣٩)/ ٣٠.

٤. آل عمران (٣)/ ١٤٤.

لم يسمع بها كما هو يقول في حديث «كأنّي لم أسمعها»^١ - فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بأخيراً أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت^٢.

هذا الحديث اعتذار من أبي حفص بعد سنين من أحداث السقيفة، يزعم أن هذه الآية هي التي حملته على أن يقول بأن رسول الله ﷺ يكون آخرهم موتاً، ولا ندري أنه قبل أن يتداركه صاحبه أبوبكر كيف كان يفسر هذه الآية؟! فهل كان يفسرها بأن الأمة المعاصرة لرسول الله ﷺ هي التي تكون ثابتة على الإسلام وأما الأبناء والأحفاد فكلهم سيرجعون مرتدين عن الإسلام إلى الشرك؟! أو كان يفسرها بأن رسول الله ﷺ سيكون آخر من رآه موتاً، لأن أمته تنتهي بذلك ويكون النسل التالي من العرب وغير العرب يرتدون على أدبارهم؟! أم كان يفسرها بأن رسول الله ﷺ سوف يستمر حياً إلى يوم يبعثون، لأنه لم يثبت أن عمر كان يعتقد أو يُخبر بظهور مهدي هذه الأمة (ﷺ)؟! فإن كان أمد الأمة إلى الصعقة الأولى^٣ وكان

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٤، ١٢/ ١٩٦.

٢. ابن هشام، السيرة النبوية (أمر سقيفة بني ساعدة)، ٤/ ٣١١ - ٣١٢؛ وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤/ ١٨٢٩ - ١٨٣٠ (طبعة دار المعارف: ٣/ ٢١١)؛ البلاذري، أنساب الأشراف (أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بُدئ)، ١/ ٥٦٨ = ١١٥٢.

٣. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾. (الزمر ٣٩/ ٦٨)

عمر يرى أنّ رسول الله ﷺ يمتدّ به عمره إلى آخر لحظة من الصعقة فيكون آخر أمته صعقة، فلا نظنّ أنّ عاقلاً يرتضي أن ينسب هذا إلى أبي حفص.

ولكن نحن نثق من أنّه في قرارة نفسه لم يكن يعتقد بما يزعمه في تفسير الآية الكريمة، لأنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^١ أنّ أمة النبي ﷺ بطبقاتها تشهد على غيرها في الأداء والبلاغ، بمعنى أنّ كلّ مسلم عليه أن يبلغ غيره ما تلقاه من الكتاب والسنة، فالمجموع شاهدٌ على المجموع، أمّا الرسول ﷺ فشهادته ليست كشهادة الأمة التي مجموعها يشهد على المجموع بالأداء والبلاغ للكتاب والسنة، وإنّما أساسها أنّه ﷺ يعلم بالأمة أنّ الكتاب والسنة قد وصلا إليها أم لا؟

والخلاصة أنّ الله سبحانه وتعالى يجعل من ضمن رسالة الرسول الشهادته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^٢، فلو قلنا بأنّ رسول الله ﷺ رسول إلى أيّ فرد من الأفراد وأنّه ﷺ خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده، فرسالته مجزئة، وحيث أنّ أول شيء يذكر في الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ فإنّ كانت رسالة رسول الله ﷺ خاصّة بالذين كانوا يعيشون في زمن حياته، معنى ذلك أنّه لم يُبعث لغيرهم من الذين يأتون بعده - أي: الجيل الثاني، فكيف بالجيل الذي يأتي قبيل الحشر؟! فالنتيجة أنّ رسول الله ﷺ هو الذي يشهد على الأمة بأجياها كما أنّه رسولٌ على الأمة بطبقاتها.

١. البقرة (٢)/ ١٤٣.

٢. الأحزاب (٣٣)/ ٤٥ - ٤٦.

فنحن نشق بأن أبا حفص لم يكن يؤمن بهذا التفسير، وإنما كان يتستر على نواياه التي إن لم يتستر عليها تكون هناك أشياء لا يحب أبو حفص أن تنكشف عما في نفسه، وهو أنه صنع شيئاً كي يأتي أبوبكر فيندارك الأمر قبل أن يتولاه غيره، حينما جاء أبوبكر وتلا الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^١ هنا جاءته الصعقة: «فصعقت ما تحملني رجلاي»^٢، وبعد ذلك وجد بأنه لا بد له من أن يلتمس عذراً بآية تكون تلك الآية معارضة للآية التي قرأها صاحبه، فالتمس هذه الأعاذير وما أكثر ما كان يلتمس هذه الأعاذير.

بالإضافة أن هذه الآية لم يذكرها أبو حفص حينما عوتب بعد يوم السقيفة واعتذر، وإنما تنبه لها كحجة يتذرع بها بعد أيام، بل وبعد سنين من ذلك العهد القصير - أي: عهد أحداث السقيفة -، لأن الحديث يقول: كنت أُمَاشِي عمر بن الخطاب في أيام خلافته^٣، ولا ندري هذه الأيام كانت في أوائل أيام خلافته أم في أواخرها التي كانت تفصل عن أحداث السقيفة بأكثر من عشرة أعوام؟! ومن العجيب أنه يومذاك كيف كان الصحابة يجدون عيّنهم تناقض سمعهم، فعينهم كانت ترى رسول الله ﷺ مسجى تحت برد حبرة، والحال أن سماعهم كانت

١. آل عمران (٣)/ ١٤٤.

٢. هكذا جاء في بعض النصوص: «فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقْلِنِي رَجُلَايَ»، «فَعَقِرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رَجُلَايَ» [انظر: حديث عائشة الأول وحديث أبي هريرة].

٣. نص الحديث هكذا: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ».

تسمع كلام عمر: أن رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم ذهب إلى لقاء ربّه وسيعودنّ بعد أربعين يوماً، ومع هذا لم يردّوا على أبي حفص بشيء؟! على كلّ، لا أبو حفص اعتذر يومذاك ولا هو يطمئن في قرارة نفسه إلى هذا التفسير. نعم، له أن يعتذر وليس لغيره أن يعترض، كما له أن يضرب بالدرّة وليس لغيره أن يتوجّع، وهذه مذكورة في عدّة قضايا جمّعها شيخنا العلامة الأميني - أعلى الله مقامه - في بحثه «نوادير الأثر في علم عمر»^١، منها: النهي عن السؤال عمّا لم يقع^٢ وهي خاصّة بنهي أبي حفص، وهو أنّه كان يُسأل عن قضية، فيقول: أَوْقَعْتُ؟! فإنّ قال السائل: نعم، أحالهُ على غيره من الصحابة، وإنّ قال: لم تقع، علاهم بالدرّة، وكان يقول: نُهِينَا عن السؤال عمّا لم يقع. هذه درّة أبي حفص الذي كانت تُؤلم كما أنّ كلامه كان لا بدّ وأن يُقبّل ولا يُعترض عليه بشيء^٣.

١. الأميني، الغدير، ٦/ ٨٣.

٢. الأميني، الغدير، ٦/ ٢٩٣.

الحديث الثاني

موقف أبي بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ

عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعُمَرُ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَمَضَى حَتَّى الْبَيْتِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم وَهُوَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ.

هنا لا ندري أن ابن عباس هو الذي قال هذا، أم قال عنه الناقلون؟! وهل قاله لأجل أن رسول الله ﷺ توفي في بيت عائشة، أم قاله لأجل أن عائشة استولت على بيت رسول الله ﷺ أيام خلافة أبيها بسطوته وقدرته.

فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ بُرْدَ حَبْرَةٍ كَانَ مُسَجًى عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ، لَقَدْ مِتَّ الْمَوْتَةَ الَّتِي لَا تَمُوتُ بَعْدَهَا أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ! فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ، فَكَلَّمَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَتَشَهَّدَ، فَأَقْبَلَ النَّاسَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَتَرَكَوا عُمَرَ، فَلَمَّا قَضَى أَبُو بَكْرٍ تَشَهُدَهُ، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۖ^١ الْآيَةُ كُلُّهَا، فَلَمَّا تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ (رح) أَثَقَنَ النَّاسُ بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، وَتَلَقَّوْهَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى قَالَ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ أُنْزِلَتْ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ.

كانوا يرون رسول الله ﷺ مسجى، وقد مُدَّ على وجهه وجسده برد حبرة، ولكن مع هذا لم يُصَدِّقُوا حتى تلا أبو بكر الآية، لا ندري أين ذهبت عقولهم؟! قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ وَأَنَا قَائِمٌ خَرَرْتُ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَدْ مَاتَ.^٢

١. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٢. عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب المغازي (بدء مرض رسول الله ﷺ)، ٥ / ٤٣٦ - ٤٣٧ = ٩٧٥٥؛ وانظر أيضاً: أبونعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١ / ٢٩.

الحديث الثالث

موقف أبي بكر وعمر بن الخطاب بعد وفاة النبي ﷺ

أَخْبَرَنَا أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَنَبَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنَبَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رض) يُحَدِّثُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ (رض) دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَتَى الْبَيْتَ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ بُرْدَ حَبْرَةٍ، وَكَانَ مُسَجًى بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ لِيُقَبِّلَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ بَعْدَ مَوْتِكَ الَّتِي لَا تَمُوتُ بَعْدَهَا. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ. فَأَبَى، فَكَلَّمَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَأَبَى، فَقَامَ فَتَشَهَّدَ فَلَمَّا قَضَى تَشَهُدَهُ، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾^١، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿١﴾ وَتَلَا إِلَى: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾^١، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَلَاهَا فَأَيَّقَنَ النَّاسُ بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَالَ قَائِلٌ: لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلْتُ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ - إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، مِنْ أَيْنَ وَثَقُوا بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، مَعَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ فَرَضَ أَنْ يُؤْتَى بِشَاهِدَيْنِ يَشْهَدَانِ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟! فَهَذَا عَمْدًا وَضَعُوا شَيْئًا يَكُونُ مَثَارَ شَكٍّ لِلْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^٢ بِحَيْثُ إِنَّ حُوصِرُوا يَنْفَعِدُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ -.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ عُقِرْتُ حَتَّى خَرَرْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ.^٣

١. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٢. الحاكم النيسابوري، المستدرک عن الصحیحین، کتاب التفسیر (تفسیر سورة آل عمران)، ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة»، وأورده الذهبي في التلخيص وذكر بعده: «خ م» يعني: على شرط البخاري ومسلم.

الحديث الرابع

الرجلين الذين أخبرا أبا بكر وعمر باجتماع السقيفة

أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقِيَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَهُمَا يُرِيدَانِ سَقِيفَةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَذَكَرَا مَا تَمَلَّأَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، وَقَالَا: أَيُّنَا تُرِيدَانِ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَا: نُرِيدُ إِخْوَتَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَا: لَا عَلَيْكُمُ أَنْ لَا تَقْرُبُوهُمْ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ.^١

يذكر ابن عباس أنهما أشارا على المهاجرين بأن يستبدوا برأيهم بلا أن يجتمعوا مع الأنصار في مجلس واحد.

١. ابن سعد، الطبقات الكبير (عويم بن ساعدة)، ٣ - ٢ / ٣١.

الحديث الخامس

قعود أمير المؤمنين عليه السلام عنبيعة أبي بكر وموقفه

وحدثني بكر بن الهيثم، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي (رض) حين قعد عن بيعته، وقال: اثني به بأعنف العنف - جئني بعلي عليه السلام وتعنف به بأقصى ما يمكن من العنف، ونحن لا تسمح قلوبنا بأقل العنف بالنسبة إلى أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة عليها السلام، فكيف بأعنف العنف؟ - فلما أتاه، جرى بينهما - أي: بين أمير المؤمنين عليه السلام وأبي بكر - كلام، فقال: احلب حلباً لك شطراً.

يعني أن الخلافة تكون للحالب والحالب يقسمه بينك وبين الذي ينتفع به، فأنت تحلب حلباً لك شطره لا أنك تحلب حلباً يكن لغيرك، ويقول عليه السلام في خطبته الشقشقية: «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّي مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً،

١. كما أن اللذين كانوا يجلبون البقار - ومنها البقار التي كانت تُحَلَّبُ في أزقة مدينتنا، مدينة النجف الأشرف - هؤلاء المساكين كانوا يجلبون ويبيعون لغيرهم ولم يكن يبقى لهم شيء مما يجلبون.
(العلامة الجعفري رحمته الله)

وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ^١ إِلَى أَنْ يَقُولَ ﷺ: «بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدِّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعِيهَا»^٢.

إنما قرأنا هذا حتى نقول بأنَّ كلَّ ما جاء في الخطبة الشقشقية التي ذكرها السيد الرضي في ما اختاره من الخطب والكلمات لأمر المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة، جاء مروياً في كلام غير الشيعة بإسناد غير شيعي، ولو جئنا مَنْ يَتَّقِدُ نهج البلاغة - لأنَّ فيها من الطعن على الصحابة ما لا يصدر عن عليٍّ ﷺ - من نواصب الماضين ومَنْ يتبعهم من الحاضرين بمليون حُجَّةٍ لما اقتنعوا، لأنَّ القرآن الكريم أيضاً لو بَلَغَتْ آياته مليون آية لم يكن يؤمن بها مشركوا قريش، فهؤلاء أيضاً لم تكن تُقْنِعهم حجج مَنْ يَحْتِجُّ بصحة ما جاء في نهج البلاغة.

والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثر كغداً.

لأنَّك كنت تعلم أنَّك إن لم تعقد الخلافة لصاحبك الأوَّل لم تتمكَّن من أن تكون خليفة أبداً، لأنَّ خشونة أبي حفص كان يتداركها الرقة التي كان يُظهرها الخليفة الأوَّل، ولو لم يبكي الخليفة حينما أنهت الصديقة الطاهرة ﷺ خطبتها لهاج الناس وخلعوه عن الخلافة، ولكنه بكى، وقال: والله أنت أعزُّ عليَّ من ابنتي عائشة،

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٥١.

٢. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٨ (خ ٣ «الشقشقية»؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٢).

ولكنني سمعت أباك يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث^١، فبكأؤه هو الذي أنقذ موقفه من التداعي، لأنّ المسلمون كانوا في أحسّ حالاتهم بحيث لم يكونوا يدركون نفعهم في الدنيا - لا الآخرة، لأنّه ليس من المعلوم كم واحد منهم كان يؤمن بها - كما تقول الصديقة الطاهرة (عليها السلام) في خطبتها الصغرى: «وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! ﴿أَنْزَلِ مُكُومَهَا وَآنْتُمْ هَا كَارِهُونَ﴾^٢».

[فقال عليّ:] وَمَا نَنْفُسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ هَذَا الْأَمْرَ وَلَكِنَّا أَنْكَرْنَا تَرْكَكُمْ مُشَاوَرَتَنَا، وَقُلْنَا: إِنَّ لَنَا حَقًّا لَا يَجْهَلُونَهُ. ثُمَّ أَنَاهُ فَبَايَعَهُ^٣.

إنّ صحّ هذا الكلام عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو إشارة إلى أنّه لما تركوا المشورة معه (عليه السلام)، لأنّ له حقّاً لا ينكرونه ولكنهم أنكروا هذا الحقّ.

١. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٥٢/١٦؛ الطبرسي، الإحتجاج، ١/١٤١ - ١٤٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٧/٢٨، ٢٩/٢٣٠ - ٢٣١؛ ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/٢٠؛ الطبرسي، دلائل الإمامة/١١٨؛ الأميني، الغدير، ٧/٢٢٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٣١٨.

٢. هود (١١)/٢٨.

٣. الطبرسي، الإحتجاج، ١/١٤٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/١٦١؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٣٢٠.

٤. البلاذري، أنساب الأشراف (أمر السقيفة)، ١/٥٨٧ = ١١٨٨.

الحديث السادس

موقف العباس بن عبدالمطلب في مرض النبي ﷺ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ الزُّهْرِيِّ - وَيَكْفِينَا وجود الزهري الذي اتَّفَقُوا على وثاقته، وهو عندنا دليل على أنه كان يقول بما يوافق هواهم، مَنْ وافق هواهم اتَّفَقُوا على وثاقته وَمَنْ خالفهم طعنوا عليه بكلِّ ما يقدرُونَ عليه - قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ نَبَّ عَلَيْهِمْ - وهذا افتراء على القرآن بشيء لم يقله، لأنَّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^١، فمعنى ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أنَّ الله رفع عنهم العقوبة التي كانت ليتوبوا، والحال أنَّهم لم يتوبوا لأنَّ أحدهم وهو كعب بن مالك بقي عثمانياً إلى آخر دهره - أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رض)، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فِي وَجَعِهِ

الَّذِي تُؤْفِي فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّم؟ فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا.

ظاهر هذا القول أنه كان في يوم الاثنين الذي تُؤْفِي فيه رسول الله ﷺ، ويوم الاثنين كانت الأمور من أصعب ما تكون على رسول الله ﷺ بحيث أنه جاء في أحاديث عائشة: أنه ﷺ دُعِيَ لصلاة الصبح فتوضأ، فذهب لينهض فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قالوا: هم ينتظرونك يا رسول الله، فجيء بمخضب فتوضأ فذهب ليقوم أو لينوء فأغمي عليه، فلما أفاق، قال: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قالوا: هم ينتظرونك يا رسول الله، وهناك يأتي: فخرج يُهادى بين رجلين أحدهما العباس، ثم يسأل الراوي من ابن عباس بأن هذا الرجل الثاني من كان؟! فيقول ابن عباس: هو علي بن أبي طالب ولكن عائشة لا تطيب لها نفساً بخير^١، فكيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام أصبح رسول الله ﷺ بحمد الله بارئاً؟! إن صحَّ حديث ابن عباس مع أنه فيه ما فيه ومن فيه، يقصد أنه ﷺ يستطيع الآن أن يواجه الناس، لا أنه زال

١. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان (باب إننا جعل الإمام ليؤتم به)، ١/١٦٦ - ١٦٧؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصلاة (باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما...)، ١/٣١١ = ٩٠ (٤١٨)؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب ما جاء في تنبيه الإمام على من يراه أهلاً للخلافة بعده)، ٨/١٥١ - ١٥٢؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ١٤/٤٥٤ - ٤٥٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر استئذان رسول الله ﷺ عليه وآله [وَأَلِهِ] وسلم نسائه أن يُمرَّض في بيت عائشة)، ٢ - ٢٩/٢؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٦/٣٤؛ عبدالرزاق الصنعاني، المصنف (بدء مرض رسول الله)، ٥/٤٢٩ - ٤٣٠ = ٩٧٥٤؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١١/١٧٥.

عنه المرض، وإلا هذا ينافي استمرار مرض النبي ﷺ وانتهائه بوفاته ﷺ.

فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللَّهِ بَعْدَ ثَلَاثِ عِبْدِ الْعَصَا.

هذا تعبيرٌ جاهلي ومَشَتْ عليه الشعراء بعد الإسلام، يقول فيه أبو النجم العجلي الراجز المعروف: «الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ»، يعني: العبد لا يُطِيع إِلَّا أَنْ يُضْرَبَ بالعصا وأما الْحَرُّ فكفيه اللوم والعدل، تعذل الْحَرُّ فتلجئه أو فتجعله يفعل ما يكون أَنْ يفعل، يقول العباس بن عبد المطلب لأُمير المؤمنين ﷺ: «أنت بعد ثلاثِ عبد العصا»، يعني: تُعامل معاملة العبيد.

السؤال هنا أَنَّ العباس كيف عَلِمَ أَنَّ أُمير المؤمنين ﷺ بعد ثلاث، بل بعد هذه اللحظات عبد العصا، يعني: يُؤمَر عليه مَنْ يظلمه بأن يعامله معاملة العبيد، لا أَنْ يعامله معاملة الأحرار فيلومه؟! والحال أَنَّهُمْ يقولون: إِنَّ رسول الله ﷺ توفي ولم يوصي فالتجأوا إلى بيعة السقيفة، لم يخبرهم سوى أَنْ يُؤمروا بأبكر في قضايا اتفقوا عليها؟!!

وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وَجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

هذا يدلّ على أَنَّ العباس كان يجد رسول الله ﷺ قد أشرف على الموت، لا أَنَّهُ

١. ابن عساکر، تاریخ مدینة دمشق، ٤٠/٤٨٥؛ الخطیب البغدادي، تاریخ بغداد، ٧/٦١٠؛ الجاحظ، البیان والتبيين، ١/٦٣، ٣/٢٦؛ ابن حمدون، التذکرة الحمدونية، ١/٢٨٧؛ الذهبي، تاریخ الإسلام، ١٠/٨٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٩/٣١٤ (والشعر في المصادر المذكورة لبشار بن برد).

يمتدّ به مرضه إلى أن يموت.

أَذْهَبَ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فَلَنَسَأَلُهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللَّهِ لَنُحِبُّ سَأَلَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فَمَنْعَنَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم.^١

وليس بمعلوم أنّ هذا الحديث كله مفترى مجعولاً على ابن عباس، أم أنّه تلفظ بشيء منه، أم أنّه كان يقول شيئاً يتزلف به إلى الأمراء وإذا جاءوا عليه يأتي بالمناقب العشرة. إنّ صحّ الحديث عن ابن عباس وكان يقصد بأننا فلنسأل رسول الله ﷺ عن مستقبل أمرنا، سواء أكنّا مُحَقِّقِينَ في شرع الله أم كان غيرنا هو الذي يفوز

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلم ووفاته)، ١٤/٦ - ١٥؛ وانظر أيضاً: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان (باب المعانقة وقول الرجل كيف أصبحت)، ٧٣/٨ - ٧٤؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٢٦٣/١ و ٣٢٥ (تحقيق أحمد محمد شاكر: ١١٦/٤ = ٢٣٧٤، ٤/٥ = ٢٩٩٩)؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، رسول الله (ذكر ما قال العباس بن عبدالمطلب لعليّ بن أبي طالب في مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلم)، ٢ - ٣٨/٢؛ عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب المغازي (بدء مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلم)، ٥/٤٣٥ - ٤٣٦ = ٩٧٥٤ (جزء من الحديث)؛ ابن هشام، السيرة النبويّة (تمريض رسول الله في بيت عائشة)، ٤/٣٠٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب الاستخلاف)، ١٤٩/٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ١١ هـ)، ١ - ٤/١٨٠٧ - ١٨٠٨ (طبعة دار المعارف: ١٩٣/٣ - ١٩٤)؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/٢٢٧؛ السيرة النبويّة، ٤/٤٥٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥١/٢؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١١٠٢ = ١٧٧/٧.

ويغلب، فله وجه، وإلا فأدلة الإمامة وافرة ويكفيها يوم الغدير وحديثه.
 ويوم الغدير استوضح الحق أهله بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر^١
 ولم أرى مثل ذلك اليوم يوماً ولم أرى مثله حقاً أضيعاً^٢
 إن كان هناك حديث متواتر فحديث الغدير له أعلى نسبة في التواتر، إذ يكفيه
 الرواة الذين روه فيما وصلنا بغض النظر عن الذين روه ولم يصلنا^٣، فإذا رسول
 الله ﷺ بين الأمر بصورة واضحة.

١. آغا بزرك الطهراني، الذريعة، ٩ (القسم الأول)/٣٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٤٢١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/٢٤١؛ الأميني، الغدير، ١/٣٤٢، ٢/٣٣٠.

٢. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/٢٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٧/١٥٠ - ١٥١.
 ٣. وأنا أقولها بصراحة: إن أحاديث الغدير التي جمعها شيخنا الأميني - أعلى الله مقامه - وبلغت مائة وعشر من الصحابة، وخمس وثمانين من التابعين، وحدود ثلاثمائة وخمسين من أعلام الرواة، لو أننا راجعنا إلى الأحاديث المسندة - وأنا راجعت - والتي يومذاك لم يكن شيخنا الأميني - أعلى الله مقامه - يملكها بأسانيدها، مما جاء في ابن عساكر، ومما جاء في الطبراني (المعجم الكبير، والمعجم الأوسط)، ومما جاء في صحيح ابن حبان، ومما جاء في غيرهم، يفوق عددهم على الأكثر حدود ثلاثة آلاف وخمسمائة من أعلام المحدثين، لأن تلك المراسيل إن أُرْجِعَتْ إلى أسانيدها يفوق عددهم أكثر من هذا.

ورحم الله شيخنا الأميني فيما كان يحاول أن يضعه «مسند الصحابة ومرسلها» والذي كان يومذاك يستغرق ستة أجزاء من الغدير - وأنا كنت أرى أنه يستوعب أكثر من هذا - لو كان ذلك نُبِشَ لعلنا كيف كان؟ ولكن والله في خلقه شئون، وفي تقديره صروف، ولا نرضى إلا ما يرضى الله ورسوله، ونعلم أن العاقبة للمتقين وإن كره الكافرون، وإن كره المشركون.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

وأيضاً متى كان يتوقع أمير المؤمنين عليه السلام في أنهم إذا منعهم رسول الله ﷺ يُعطونه، فيأبى أن يسأل حتى لا يواجه بالمنع من قبل رسول الله ﷺ حتى يكون له بارقة أمل في الخلافة؟! ويشهد الله أنهم اضطروا إلى الخليفة بعد عثمان حيث لم يجدوا ملاذاً فأعطوها أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنهم كانت قلوبهم وسيوفهم مع معاوية في زمن أمير المؤمنين عليه السلام وألفاظهم تتمدح - لا أنها تمدح - بعلي عليه السلام خشية أن يقال أنهم منافقون، حيث أنه جاء في الحديث: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم إِلَى: أَنْ لَا يُجْبَنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^١.

نعم، كان العباس بن عبدالمطلب يقترح على أمير المؤمنين عليه السلام أن القوم هل يُسلمون ويُسلمون لنا أم يعاندون ويتهي بهم عنادهم ولجاجهم إلى استحداث إمرة غير الإمرة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لوليّه وهو أمير المؤمنين عليه السلام. ذكرنا هذا الحديث لأنه من أشهر الأحاديث الذي يحتجّون بها على أن رسول الله ﷺ مات ولم يستخلف، لأنهم وجدوا فيه ما لا يوجد في غيره، فعارضوا به كلما جاء في اثبات الإمامة وإمارة المؤمنين من الأحاديث التي يبلغ بعضها حد التواتر فيكف بمجموعها، وكلّ هذا أشادوا به وروّجوه وأخرجوه وفسّروه بما يُرضيهم ويُرضي هواهم ونزعاتهم.

١. مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان (باب الدليل على أن حبّ الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق)، ٨٦/١ = ٧٨ (١٣١)؛ ابن عبد البر، الاستيعاب (عليّ بن أبي طالب)، ٣/١١٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٨/٣٤٩، ٤٢/٢٧١ - ٢٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/١٤٤، ١٢/٥٧٣ - ٥٧٤.

الحديث السابع

اجتماع بني عبدالمطلب عند العباس وموقف أمير المؤمنين عليه السلام من كلام العباس

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ - الواقدي -، أَنَا عُمَرُ بْنُ عُقْبَةَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - وهو غير شعبة المحدث الشهير، والظاهر أَنَّهُ كان كعكرمة الخارجي الصُّفري، ولا ندري هل ابن عباس كان يبعث بمواليه إلى فئاتٍ يُحاول أن يكسب وُدَّهُم ولا يعمل هو شيئاً لكسب الوُدِّ، أم شيءٌ آخر؟! -، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَرْسَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجَمَعَهُمْ عِنْدَهُ.

ولا ندري من كانوا؟ أمّا حمزة وهو سيدهم بعد أمير المؤمنين عليه السلام كان قد استشهد، وأمّا جعفر أيضاً كان قد استشهد، فبنو عبدالمطلب مَنْ كانوا؟! وهنا نشير إلى قول أبي جعفر الباقر عليه السلام في الحديث الذي ذُكِرَ في فتن البحار: قال الراوي: سألت أبا جعفر عليه السلام لَمْ كان عليّ يوم يُقاد إلى البيعة، يقول: وا حمزته ولا حمزة لي اليوم، وا جعفر اه ولا جعفر لي اليوم، فأين عقيل والعباس؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أمّا عقيل فكانت تستضعفه قريش - أي: لم يكن عند قريش بالقدر الذي يهابونه -، وأمّا

العباس بن عبدالمطلب فكان مستضعف الإيمان^١.

قَالَ: وَكَانَ عَلِيٌّ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِهَا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا لَمْ أَحِبُّ أَنْ أَقْطَعَ فِيهِ شَيْئًا حَتَّى أَسْتَشِيرَكَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمْ فَنَسْأَلُهُ إِلَى مَنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنْ كَانَ فِينَا لَمْ نُسَلِّمْهُ وَاللَّهُ مَا بَقِيَ مِنَّا فِي الْأَرْضِ طَارِفٌ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا لَمْ نَطْلُبْهَا بَعْدَهُ أَبَدًا. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا عَمَّ، وَهَلْ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا إِلَيْكَ؟ وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَنَازِعُكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: فَتَفَرَّقُوا، وَلَمْ يَدْخُلُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمْ^٢.

صياغة هذا الحديث معلومة، إنما صيغ انتصاراً للعباس بن عبدالمطلب، وأنه هو من كان الناس يرونه أهلاً للخلافة!!

١. «مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ سَدِيدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرْنَا مَا أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَبْدَلَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَإِنَّ كَانَ عَزُّ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؟ إِنَّمَا كَانَ جَعْفَرٌ وَحَمْزَةٌ فَمَضِيًا، وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلَانِ ضَعِيفَانِ ذَلِيلَانِ حَدِيثَا عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ، عَبَّاسٌ وَعَقِيلٌ، وَكَانَا مِنَ الطُّلَقَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمْزَةً وَجَعَفَرًا كَانَا يَحْضُرَتُهُمَا مَا وَصَلَا إِلَى مَا وَصَلَا إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَا شَاهِدِيهَا لَأَتَلَفَا نَفْسَيْهِمَا». (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨ / ٢٥١ = ٣٣)

٢. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر ما قال العباس بن عبدالمطلب لعلي بن أبي طالب في مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم)، ٢ - ٢ / ٣٨ - ٣٩.

حديث النعمان بن بشير الأنصاري

ادعاء وصية النبي ﷺ لأبي بن كعب في من يلي الأمر بعده

ومن حديث النعمان بن بشير الأنصاري: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلم الناس من يقوم بالأمر بعده، فقال قوم: أبوبكر، وقال قوم: أبي بن كعب. قال النعمان بن بشير: فأتيتُ أباي، فقلت: يا أباي، إنَّ الناس قد ذكروا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستخلف أبا بكر أو إياك، فانطلق حتى ننظر في هذا الأمر. فقال: إنَّ عندي في هذا الأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ما أنا بذاكره حتَّى يقبضه الله إليه، ثمَّ انطلق، وخرجت معه حتَّى دخلنا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الصُّبح، وهو يحسو حسواً في قَصْعة مَشْعُوبة، فلما فرغ أقبل على أبي، فقال: هذا ما قُلْتُ لك. قال: فأوص بنا. فخرج يخطُّ برجليه حتَّى صار على المنبر، ثمَّ قال: يا معشر المهاجرين، إنَّكم أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار كما هي لا تزيد، ألا وإنَّ الناس يكثرون وتَقِلُّ الأنصار حتَّى يكونوا كالملح في الطَّعام، فمن ولي من أمرهم شيئاً فليَقْبَل من مُحْسِنهم، وليَعْفُ عن مسيئهم، ثمَّ دخل.

فلما توفي، قيل لي: هاتيك الأنصار مع سعد بن عبادة يقولون: نحن الأولى بالأمر، والمهاجرون يقولون: لنا الأمر دونكم، فأتيت أبيتاً ففرعت بابه، فخرج إليّ مُلتحفاً، فقلت: لا أراك إلا قاعداً ببيتك مُغلِقاً عليك بابك، وهؤلاء قومك من بني ساعدة ينزعون المهاجرين، فاخرجُ إلى قومك، فخرج، فقال: إنكم والله ما أنتم من هذا الأمر في شيء، إنه لهم دونكم، يليها من المهاجرين رجلان، ثم يُقتل الثالث، ويُنزع الأمر فيكون ها هنا، وأشار إلى الشام، وإنّ هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أغلق بابه ودخل.^١

مناقشة في الحديث

إنما وُضع هذا الحديث لصالح معاوية وُضع على لسان رسول الله ﷺ، لأنه: أولاً: لو كان رسول الله ﷺ أوصى أبيتاً بأنّ الخليفة الأوّل أبو بكر، والخليفة الثاني عمر، وعثمان ثالثهم، ثمّ اختلافٌ في الأمر بحيث ألغى أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ ينتهي الأمر ويستقرّ في معاوية، لما احتاجوا إلى بيعة السقيفة والاختلاف في شخص الخليفة؟!

ثانياً: إنّ أبيتاً كان من الطاعين على أبي بكر، فلو كان سَمِعَ مِنْ رسول الله ﷺ التبشير بالأوّل، والثاني، وعثمان، ثمّ الخلاف وحذف الخليفة الرابع وانتهاء الأمر إلى معاوية، لماذا أخفاه؟! فإنّ خفائه فيه تجهيل للأمة، أو تضييع لحقّها، أو تحميق لخلافها.

١. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٤/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

ثالثاً: لم يكن أبي يومياً ما مرشحاً للخلافة، إنما هذا وُضِعَ لكي يوهم أنّ الخلاف كان في زمن رسول الله ﷺ، لا أنّ الأمر كان في زمن رسول الله ﷺ متفقاً عليه وبعد ذلك حدث الخلاف.

رابعاً: يردّ هذا قصّتهم في الخلافة، حيث أنّهم يقولون: توفي رسول الله ﷺ ولم يوصي.
فالنتيجة أنّ هذا كلّ مكدوب.

حديثي البراء بن عازب

الحديث الأول

قصة حب البراء لبني هاشم

وقال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم مُحِبًّا.

هذا الكلام له قصة يذكرها المحدثون غير الإمامية بأسانيد صحيحة عن بريدة بن الحصيب، وعن البراء بن عازب، وعن آخرين، وهي: أن بريدة وبراء ذكرا أن رسول الله ﷺ بعث سرية بإمرة خالد بن الوليد، وسرية أخرى تحت إمرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال لهما: إن تفرقتما فكل واحد منكما أمير على أهله وإن اجتمعتما فأمركم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاجتمعنا وغزونا فأخذ علي رضي الله عنه من السبي امرأة خصّصها لنفسه^١، فحسنا خالد على أن نشكوا لرسول الله ﷺ في أول ما ندخل عليه،

١. خصّصها لأنّها كانت ممتازة ومن الأنفال، فهي تعود إلى رسول الله ﷺ وإلى أمير المؤمنين رضي الله عنه، ولكن بريدة وبراء وأمثالهما لم يكن يفقهوا هذا النوع من الحديث ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال (٨) / ١] إلى آخر الآية الكريمة. (العلامة الجعفري رضي الله عنه)

وكان من عادتنا أن إذا خرجنا من المدينة [ورجعنا] نبدأ برسول الله ﷺ فنسلم عليه ثم نذهب إلى أهالينا، فجئْتُ إلى رسول الله ﷺ وكنت رجلاً مكباباً - أي: حينما أكلتم الناس أطرق برأسي ولا أرفع رأسي بحيث تكون عيني في عين مَنْ أخاطبه - فشكوت علياً، فلما رفعت رأسي رأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ، فقلت: المعاذ بك يا رسول الله ﷺ، فقال في لفظ: «ما تريدون من علي؟» وفي لفظ آخر: «لا تقع في علي، إنَّ علياً مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي»^١.

هذه القصة أثَّرت في براء بن عازب، والظاهر أنَّها أثَّرت في بريدة بن الحصيب، لأنَّ كلاهما يرويان عن رسول الله ﷺ، ولن تؤثر في خالد ولا مَنْ حَصَرَ رسول الله ﷺ ممَّن ائتمروا على أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ والرسول بعد مسجى لم يُغسَل ولم يُصلَّ عليه فكيف بأن يُدفن.

خوف البراء من إخراج الخلافة عن بني هاشم ووقوع ما خاف منه

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وسلم] خِفْتُ أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم - أي: عن أمير المؤمنين عليه السلام، لأنَّه كان سيدهم بعد رسول الله ﷺ - فأخذني ما يأخذ الواهة العجول، مع ما في نفسي من الحُزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكنت أتردُّ إلى بني هاشم، وهم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحجرة.

١. انظر: أحمد بن حنبل، المسند، ٣٥٦/٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٢٧/٩ - ١٢٨ = ١٤٧٣٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٨٩/٤٢ - ١٩٠.

كان بنوهاشم قد اجتمعوا في تلك الحجرة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، والظاهر أنَّ حال بعض بني هاشم معلوم، لأنَّ الرواية التي نرويها من طُرُقنا عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، تقول: قال الراوي: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يوم أن أُخْرِجَ عليّ السلام للبيعة فكان يصيح وا حمزته ولا حمزة لي اليوم، وا جعفر اه ولا جعفر لي اليوم، فأين عقيل والعباس؟ قال أبو جعفر عليه السلام: أمّا عقيل فكانت تَسْتَضِعِفُه قريش وما كانت تهابه، وأمّا العباس فكان مَسْتَضَعَفَ الإيمان، ورحم الله السيد الروحاني، كان يقول: «هذا العمّ في قلبي منه شيء».

واتفقَّ وجوه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدتُ أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بُوع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر، وأبو عبيدة، وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأُزر الصنعائيّة.

الأُزر الصنعائيّة أزر كانت لها قيمة هناك، لأنّ الذي كان يُحَاك في الحجاز هي ثياب من صوف، ولا يُتَخَيَّل أَنَّهُ صوفٌ كان يُحَاك في المصانع، بل هو غزلٌ صوفٍ

١. «مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ سَدِيدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرْنَا مَا أَخَذَتْ النَّاسُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَبَدَّ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَأَيْنَ كَانَ عِزُّ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؟ إِنَّمَا كَانَ جَعْفَرٌ وَحَمَزَةٌ فَمَضَبَا، وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلَانِ ضَعِيفَانِ ذَلِيلَانِ حَدِيثَا عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ، عَبَّاسٌ وَعَقِيلٌ، وَكَانَا مِنَ الطُّلَقَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمَزَةً وَجَعْفَرًا كَانَا بِحَضْرَتَيْهَا مَا وَصَلَا إِلَى مَا وَصَلَا إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَا شَاهِدَيْهَا لَأَثَلْنَا نَفْسَيْهِمَا». (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨ / ٢٥١ = ٣٣)

بما له من الخشونة فكان من لبس العامة ولأجل هذا اتخذته الصوفية شعاراً لها، فقال قائلهم: مَنْ لَبَسَ الصوف على الصفا فهو صوفي^١ وإلا كلب فلان أفضل من الصوفي. والأزر الصنعائية إما كانت من القطن أو من الكتان، ولا يؤتى بها إلا من اليمن أو من مصر، لأن زراعتها كانت فيهما، وأما الحجاز فكلهم كانوا صوفية إلا ما يُجَلَّب إليهم من الأزر اليمانية، أو الصنعائية، أو المصرية.

فحينما يقول: وهم مجتمعون بالأزر الصنعائية معناه أنهم هيئوا لأنفسهم ملابس يتجملون بها أمام غيرهم، وهذا يدل على أنهم كانوا أعدوا لهذا اليوم عدته قبل أيام، إن لم نقل قبل شهور.

لا يمرُّون بأحدٍ إلا خبطوه - أي: هجموا عليه، فإمّا أوسعوه ضرباً أو ألقوه أرضاً - وقدموه فمدُّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يُبايعه، شاء ذلك أو أبى.

إخبار البراء بنى هاشم ببيعة أبي بكر وموقف العباس من ذلك

فأنكرت عقلي، وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق - أي: رأيت هذا في أزقة المدينة فرجعت إلى المجلس الذي كان فيه بنو هاشم والباب مغلق - فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً، وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر.

١. آغا بزرك الطهراني، الذريعة، ٢٨٦/٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٨٠/٢؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٤٩/٣؛ السمعاني، الأنساب، ١٨٩/٦.

كنايةً عن أنَّهم ييقون صُفْر الأيدي إلى آخر الدهر، ورحم الله دعبل بن عليّ الخزاعي، حيث يقول:

أرى فيئهم في غيرهم مُتَقَسِّمًا وأيديهم من فيئهم صفرات^١
أما إني قد أمرتكم فعصيتُموني.

هذه القصّة جاءت في عدّة من الأحاديث أو الآثار التي تحكى ما وقع بعد رسول الله ﷺ وأنّ العباس اقترح على أمير المؤمنين عليه السلام أن يمدّ يده فيبايعه العباس، فيقولون: إنّ عمّ النبيّ ﷺ بايع ابن عمّ النبيّ ﷺ^٢، ونقول هنا: أوّلاً: الحديث يدلّ على أنّ العباس بن عبدالمطلب كان يعلم بائتمار القوم فيما بينهم، ولا ندري هل كان يعلم بموقف الأنصار بالإضافة إلى موقف قريش أم أنّه كان يحدّس في ذلك؟ على أيّ حال، كان يعلم بائتمار قريش، ولأجل هذا أراد أن

١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٧/ ٢٦٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ١٨/ ٢٦٣؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢١/ ١٥١؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣/ ١٢٨٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/ ٥٣، ٣/ ٤٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٩/ ٢٣٩ و ٥٠/ ٢٥٠؛ الأميني، الغدير، ٢/ ١٩٧، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٩ و ٣٦٠، ٨/ ٣٣٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣١٨، ٤١٥/ ٦.

٢. في بعض المتون هكذا: «... فقال العباس لعليّ وهما في الدار: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٠ - ١٦١، ٩/ ١٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/ ٣٢٩) وفي بعضها الآخر هكذا: «فلما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال العباس لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: ابسط يدك أبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ويبايعك أهل بيتك، فإنّ هذا الأمر إذا كان لم يقل». (ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/ ١٢؛ الأميني، الغدير، ٥/ ٣٤٣).

يَسْبِقُهُمْ بَيْعُهُ يَعْقِدُهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حتى تكون البيعة السابقة هي التي تشمل الوفاء بالعهد، أو بالوعد، أو بالبيعة.

ثانياً: حديث العباس وبيعة السقيفة وإمرة الأنصار كلّها تعتمد على أن البيعة هي التي توجب عقد الإمارة أو عقد الخلافة وتُلْزَمُ الذي بايع بالوفاء، وهذا خلاف منطق الإمامية، وخلاف النصّ عن الأئمة وأولهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وخلاف البيعة التي جاء بها القرآن الكريم.

في معنى البيعة

بيان ذلك: البيعة التزامٌ وتعهدٌ بوجوب الوفاء بالذي أوجب الله عليه الوفاء به، لا أنه بها يُجَدِّثُ وجوب الوفاء ويُحَقِّقُ «للمبايع له» أن يطلب من «المبايع» أن يفي بعهدته وبيعته، فالبيعة تأكيدٌ من «المبايع» على أداء الحق لا إحداثٌ له.

توضيح ذلك: «البيع» مصدرٌ «باع» يبيع، ومعناه كما ورد في «المصباح المنير»^١ وفي رأي الشيخ في أول كتاب المتاجر^٢ أنه «مبادلة مالٍ بمالٍ»؛ و«المبايع» مصدرٌ «بايع يبايع».

القرآن الكريم أيضاً استعمل هذه الألفاظ في آيات متعددة، قال سبحانه وتعالى:

١. ونذكر نحن عند ما كنّا طُلابَ صرفٍ ونحو، يقال: أن «باع» قد يكون فِعْلُهُ المجهول شاذّاً «بوع»، «ليت شباباً بوع فاشترت»، والقاعدة هي «بيع».

(العلامة الجعفري رحمته الله)

٢. الفيومي، المصباح المنير، ١/ ٦٩.

٣. الشيخ الأنصاري، المكاسب، ٣/ ٧.

﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾^١، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ﴾^٢، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٣، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^٤.

يقول سبحانه وتعالى في كيفية البيعة: ان المبايع حينما يريد أن يبايع رسول الله ﷺ يضع يده تحت يد رسول الله ﷺ، وحينما كان يريد رسول الله ﷺ أن يأخذ البيعة منه، كان يضع يده فوق يد المبايع، وهذا كناية عن تسلط «المبايع له» على «المبايع»، ولذا يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لا يدك وهذا من المجاز، ثم يذكر: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: لا يُحِيلُ إليه أنه يبايع ثم ينكث ولا يضره شيء، بل إنه حينما ينكث، ينكث بما يضره

١. التوبة (٩)/ ١١١.

٢. الممتحنة (٦٠)/ ١٢.

٣. الفتح (٤٨)/ ١٠.

٤. الفتح (٤٨)/ ١٨.

٥. القرآن الكريم يذكر البيعة في الطرفين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ... فَبَايِعْهُنَّ﴾، ولكن أنا هنا أُعَبِّرُ يأخذ البيعة حتى أَوْضَح.

(العلامة الجعفري)

هو وحده، ولا يضر الله سبحانه وتعالى القاهر عليه الذي لا يضره معصية من عصاه كما لا ينتفع بطاعة من أطاعه، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وفي الآية الأخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، لم يذكر الذي يبايع كان مؤمناً أم فاسقاً، كان يريد الوفاء بالبيعة أم يريد نكث البيعة، ولكن يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، وحيث أنهم مؤمنون والله عليم ما في قلوبهم ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خيبر، لا فتح مكة الذي جاء بعد بيعة الرضوان.

فالمراد من «البيعة» هنا تعهد وتأكيد على أداء حق الله ورسوله بالطاعة لا إحداث حق للمبايع له، ولأجل هذا يذكر بالنسبة إلى رسول الله ﷺ أنه يجب على المسلمين الطاعة، وعلى هذا، إن كانت البيعة لمن تجب طاعته كانت بيعة مشروعة، وإن كانت لمن لا تجب طاعته فإحداث البيعة لا يوجب حقاً لمبايع له.

وقد جاء في الحديث: إن رسول الله ﷺ حينما جاءه سهيل بن عمرو من قبل قريش يطلب منه الصلح والرجوع، كان الكاتب أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو، فقال سيهل: لو كنا نشهد بأنك رسول الله لما حاربناك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا أمحو كلمة رسول الله فعين

موضعه، بل في روايات البخاري: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَرَقَةَ فَمَحَاهَا^١ - وهذا يدل على أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مع أَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا (لم يتعلَّم القراءة والكتابة قبل البعثة) كان بالإعجاز يقرأ ويكتب بعد البعثة -، ثُمَّ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «إِنَّكَ تُدْعَى إِلَى مِثْلِهَا فَأَجِبْ»^٢، وهذا إشارة إلى ما وقع بين أمير المؤمنين ﷺ ومعاوية من كتاب الصلح.

فالببيعة إنما توجب التأكيد على الحقّ للذي يَحَقُّ له أَنْ يكون مولًى للأُمَّة، ولذا

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلح (باب كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه)، ٣/ ٢٢٨.

٢. قد ورد هذا الكلام عن رسول الله ﷺ بالفاظ مختلفة، منها:

* «فإن لك مثلها تعطيتها (أو: ستعطيتها) وأنت مضطهد». (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٧؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/ ٣٣٥، ٣٢/ ٥٤٢، ٣٣/ ٣١٤؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/ ٣٦٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٢؛ ابن مزاحم، وقعة صفين/ ٥٠٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٢٦٩ و ٤٠١)

* «يا علي إنك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره». (الطبري، المسترشد/ ٣٩١؛ الطبرسي، الإحتجاج، ١/ ٢٧٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/ ٣٧٨)

* «ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض». (ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/ ٣٦٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/ ٣٥٩ و ٣٦٢؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٠١)

* «يا علي، إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة، فوالذي بعثني بالحقّ نبياً لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضطهد». (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/ ٣٥٣، ٣٣/ ٣١٧)

* «ستسام يا أبا الحسن مثلها فتجيب وأنت مضطهد». (السيد شرف الدين، النص والإجتهد/ ١٧٥)

حينما طُلبَ من أمير المؤمنين عليه السلام أن يُبايع، قال: «اجعلوني وزيراً خيراً لكم من أمير»^١، فأبوا وألحوا عليه حتى وصل الأمر إلى قوله عليه السلام: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الصَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحُسَيْنَانِ^٢ وَشُقَّ عِطْفَايَ^٣ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٤، بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرُجُهَا، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ - يعني: قبل هذا لم يكن لي ناصر إلا أهل بيتي فظننتُ بهم على الموت، كما يقول هو عليه السلام في كلامه^٥ -

١. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ٣٥هـ (خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، ١ - ٣٠٦٦/٦ (طبعة دار المعارف: ٤/٤٢٧)؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧/٣٢؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٤٤٤؛ (وقد جاء في المصادر المذكورة هكذا: «فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً»)

٢. الحسينان كانوا هناك جلوساً حول أمير المؤمنين عليه السلام والناس وقوفٌ حوله، فهجموا على أمير المؤمنين عليه السلام ووطئوا الحسنين عليه السلام الذين كانا جالسين حوله. (العلامة الجعفري عليه السلام)

٣. «وشُقَّ عِطْفَايَ»، يعني: الإزار الذي كان يتزر به أمير المؤمنين عليه السلام جُرَّ من كلِّ جانبٍ حتى شُقَّ عِطْفَاهُ، لأنَّ العقدة كانت مُتَحَكِّمَةً فلم يقدر على حلِّها فَشَقَّوْا عِطْفَايَ إِزَارَ أمير المؤمنين عليه السلام.

(العلامة الجعفري عليه السلام)

٤. القصص (٢٨)/٨٣.

٥. «فَنظَرْتُ إِذَا لَيْسَ لِي مَعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/٣١٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١/٢٣٣)

وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبٍ مَظْلُومٍ، لَا لَقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْهَلَا، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ. قَالُوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ، قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ. فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا بَنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شَقِيشَةٌ^٢ - أَي: مَا تَسْمَى فِي الْعِرَاقِ «الْوَقْف»^٣، يَعْنِي: نَتِيجَةُ الْهِيَاجِ يَجْتَمِعُ الْبُصَاقُ فِي فَمِ الْجَمَلِ فَيُخْرَجُ ثُمَّ يَرْجِعُ - هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ^٣.

معنى ذلك أنه ﷺ أراد أن يؤكد على طاعتهم في كل ما يأمر ويَنْهَى، ولأجل هذا، ما جاء في كُتُبِ أمير المؤمنين ﷺ التي كتبها إلى معاوية - لعنه الله - يدل على أن البيعة لا توجب حقاً للمبايع له وإنما أساسها الإلتزام بالحق المفروض وأدائه ممن يجب عليه الطاعة وتمكّن الذي يبايع له من القيام بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا لم يتمكن سقط عنه هذا التكليف.

١. هؤلاء العلماء علماء لا نجدُهم - لا نحن، ولا غيرنا - إلا فئة قليلة، أولهم أمير المؤمنين ﷺ، وآخرهم الإمام العسكري ﷺ، وثاني عشرهم يظهر بعد غيبته الطويلة، وأما غيرهم فلا يُبالي إلا ما يُعطي ثمالة وما يرشّف غيره من ثمالته.

(العلامة الجعفري ﷺ)

٢. «والشَّقِيشَةُ، بالكسر: شيء كالرَّثَّةِ يُخْرِجُهُ الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ». (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١/٨٩٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٠/١٨٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٥/٥٢١؛ الجوهري، الصحاح، ٤/١٥٠٣)

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/٢٠٠، ٢٠٢ و٢٠٣؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٩ - ٥٠ (خ ٣ «الشَّقِيشَةُ»).

وجاء في الحديث أيضاً: عن عبادة بن الصامت - وهو عقبي بدرّي أُحدي -، قال: «دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فَبَايَعَنَا (وذلك ليلة العقبة بمكة)، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا (يعني: بايعناه على أن نسمع ونطيع فيما ننشط له - أي: فيما نرغب إليه -، وفيما نكره له - أي: فيما لا نرضاه -، يعني: لا نُفَرِّق بين ما نكرهه فيما إذا أَمَرَ به رسول الله ﷺ أَنْ نَأْتِي بِهِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الَّذِي نُحِبُّهُ إِذَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَفْعَلَهُ) وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَآثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ (يعني: أخذ رسول الله ﷺ من الأنصار البيعة على أن لا ينازعوا الأمر أهله، ومعنى ذلك أن الأمر عليهم أن يسمعوا ويطيعوا وأن لا ينازعوا فيما لو كان الأمر في غيرهم) إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»^١.

رسول الله ﷺ أخذ البيعة من الأنصار أن لا ينازعوا الأمر أهله، معنى ذلك أن للأمر أهلاً يستحيل أن يأخذ رسول الله ﷺ البيعة من الأنصار ولا يُبَيِّنَهُ ويتركه للشورى التي في أحاديثنا عمّ شؤونها الإسلام.

المهم في الحديث هذه الفقرة: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»، وهي التي قد يستدل بها على حرمة الخروج على ولي الأمر. يقول ابن تيمية: «الكفر البواح» هو الكفر الذي يكون على شرع غير شرع الإسلام، فيستدل

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الفتن (باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم سترون بعدي أموراً تنكرونها)، ٥٩/٩ - ٦٠.

على أن جميع من تصدى للخلافة هو مسلم ولم يكن فيه كفرٌ بواح، وإن فعل ما فعل وترك ما ترك، ولا يجوز الخروج عليه، بل لابد من الإلتزام بالتسليم له.

نعم، المغول كانوا يقولون ويعملون بـ «ياسا»^١ الذي وضعه «چنكيزخان» وهو في رأي ابن تيمية كفرٌ بواح، فهم وإن أصبحوا فيما بعد مسلمين ولكن لا يجب الوفاء بالطاعة لهم.^٢

وهذا الكلام يستدل به الكثيرون من الذين يرون الخروج على حكام الوقت، لأنهم يرون أن الأحكام الوضعيّة التي تُوضع من قبل الحكام وتُملى على الشعوب - سواء أكانت بأساليب ديمغراطية، أم بأساليب يفرضها الحاكم على شعبه - فيها كفرٌ بواح، لأن الأحكام الوضعيّة على خلاف الشرع. نعم، عدم التقيد بالشرع لا يوجب الخروج، أمّا التقيد بالأحكام الوضعيّة الإنسانيّة يكون فيه كفرٌ بواح، وللذي يُخرج فيه حجة وبرهان.

فأساس تكفير الفئات التي تُكفر الذين يلتزمون بالأحكام الوضعيّة، هذا الحديث الذي يرويه البخاري بأحد سنديه. نعم، في السند الآخر^٣ ليس فيه: «إلا أن

١. ياسا، يعني: السُّنة التي كان عليها المغول وهي قواعد معيّنة. (العلامة الجعفري رحمه الله)

٢. انظر: عبدالرحمن بن صالح، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ١/ ١٢٥ - ١٣٤.

٣. «حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام (باب كيف يبايع الإمام الناس)،

تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ.

فالكفر البواح يوجب الخروج ولأجل هذا القوانين الوضعيّة كلّها - سواء أكانت بأساليب ديمقراطية، أم بأساليب يفرضها الحاكم على الشعب بإرادة خاصّة، أم بمجالس الشورى^١ - كفر بواح عند هؤلاء.

١. نعم أنا حينما كان عقلي أخف من هذا، بل لم يكن لي عقل، كنت أقول بأنّ الشورى أصلٌ مُحَكَّمٌ في القرآن الكريم، والشورى أساسها أنّها إنّما تجري في الأمور المباحة لا الأمور اللازمة التي أوجبها الشارع، مثلاً: قلت في ذلك الوقت: نفرض أنّ الحج واجبٌ على كلّ مسلم لمن استطاع: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران (٣/٩٧)] وعلى الدولة أنْ تُتِمَّنَ الحاج من الحج. نعم، التمكن يكون على أقسام: الطريق البرّي، الطريق البحري، الطريق الجوي، فلو كان في الطريق البرّي مخاطرة، لَزِمَهُمْ أَنْ يُسَيِّرُوا الحاج عن طريق الباطنة كما كان المتعارف قبل هذا، وأنا أذكر كثيرون سافروا عن طريق البحر، أنّهم ركبوا الكذا، ثمّ تحوّلوا إلى بيروت، ومنها إلى جدّة، ومن جدّة سافروا بمسافة قصيرة إمّا إلى المدينة المنورة وأحرموا منها، أو إلى أماكن أخرى من المواقيت، وهناك «يَلْمَلَمُ»، يُقال بأنّه ساخ في البحر «لو أنّها حلّت بيلملم لساخ يلملم».

على كلّ، هنا الكلام في كيفية أداء الحج، لو كان للحج طرق متعددة لم يتمكن من أحدها فعليه الآخر، إنّ حصلت استطاع وإلا سقطت استطاعته مثلاً. الشورى مُحَكَّمٌ لا في أصل الحج، أصل الحج واجبٌ لا مجال فيه للإجتihad إلاّ مَنْ يقول بأنّ الإجتihad كما عن بعض منافقي الشيعة - وأنا سمعته منه وقرأته في كتابه حينما ناقشني في الغيبة -، كان يقول: «حتى بالنسبة إلى الصلاة، الأمر شورى»، الشورى مُحَكَّمٌ، فلو أنّ مجلس الشورى وجد أنّ في الصلاة أو الصوم مفسدة ألغاهما من الأصل، كما أنّ «حبيب بورقيبة» [أول رئيس للجمهورية التونسية] أفتى بأنّه مَنْ تعب من العمل بحيث قلّ إنتاجه في ما لو صام في شهر رمضان سقط عنه فرض الصوم، لأنّ الإنتاج ضروريٌّ للأمة ولا تحيد عن سقوط الصوم لمن كان يتعب من الصوم، إلى آخر ما كان يقول [الحبيب بورقيبة - خطب - الوزارة الأولى - نشرات كتابة الدولة للإعلام - ١٩٦٠ - ١٩٦١].

(العلامة الجعفري رحمه الله)

العقد الابتدائي وارتباطه بالبحث

نعم، هناك بحثٌ وهو أنَّ الجماعة المُفتون كلَّهم يقولون: بأنَّ العقد إنَّ كان شرطاً في عقدٍ لازم - لا الشرط الابتدائي - يجب الوفاء به، لأنَّ وجوب الوفاء بالعقد اللازم يتبعه وجوب الوفاء بهذا العقد، والقرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^١.

ولكن فتوى السيّد الأستاذ الخوئي رحمته الله أنَّ الإلتزام بالعقد الابتدائي واجب، أي: وجوب الوفاء بالعقد لا يُشترط فيه أن يكون شرطاً ضمن عقدٍ لازمٍ شرعيٍّ حتى يجب الوفاء به لوجوب الوفاء بالمشروط.^٢

١. المائدة (٥) / ١.

٢. «الجو الذي عاشه سيّدنا الأستاذ رحمته الله كان جَوْاً خاصّاً، هذا الجوّ الخاصّ أوجب له رحمته الله كما أوجب لكثير من المفكرين أن يُفتوا بفتاوى هم أجّل من أن يفتوا بها» [ثمّ يذكر نماذج لتلك الفتاوى ويناقش فيها، ويقول: «وهذه الفتاوى حدثت بعد ما انتقلنا من النجف الأشرف وأصبح السيّد رحمته الله مُحاطاً بفتنة، ولا أعلم بأنَّ هذه الاستفتاءات هل هو أجاب عنها أم أوكّلها إلى غيره فأجاب عنها ولم يقرأها أو لم يتمكن من قرائتها؟ أقول هذا لأنّي أشكُّ في صحّة الإسناد»]. ثمّ يقول: [وعلى كلّ، قلت بأنَّ سيّدنا الأستاذ رحمته الله أفنى بفتاوى لا أدري كيف صدّرت من قلمه - إنَّ كانت قد صدّرت من قلمه الشريف - وأما لو كُتبت ونُسبت إليه ولم يكن يتمكن من أن يُعارضها فشيءٌ آخر. أقول شيئاً أنا شهدته بنفسِي: صدر هناك كُتَيْبٌ في الزمن الذي كان بعض علماءنا ومنهم سيّدنا الأستاذ الخوئي - أعلى الله مقامه - يُعارض شاه إيران، بعنوان «تصرّيات خطيرة للسيّد الخوئي» وانتشر في كافة مناطق العراق ومناطق الخليج. أنا يومذاك ذهبت إلى الكاظميّة لأنّه كان لي شغل عند سيّدي الأستاذ الروحاني رحمته الله وهو كان كزائر هناك، وكان ينزل في

بيت السيّد الخراساني - أحد أئمة الكاظمية يومذاك - فقال لي: إنّ الشيخ على الكلّيدار - خادم الروضة الكاظميّة - قد قُتِل أخوه في حادثة فعلينا أن نحضر الفاتحة. قلت: أنا هنا لا أبقى إلّا إلى العصر وأمّا بعد ذلك أذهب إلى كربلاء - لأنّ الليلة كانت ليلة الجمعة - وأزور الحسين سلام الله عليه ومنها أذهب إلى النجف الأشرف. فقال: من المناسب أن نزور الشيخ على الكلّيدار في بيته، فأخذنا ربّلاً وذهبنا إلى بيت الشيخ - رحمة الله عليه - بمجرد أن رأني، عزّيته، قال: دعني من هذا الكلام، إنّ كتاب السيّد الخوئي - يعني ذلك الكُتَيْب الذي عُنُون بـ «تصريحات خطيرة للإمام الخوئي» - قد قرأته، وأخذ يتّهجم عليّ بشدّة بحيث لم أتمكن من أن أدافع عنه ولو في مورد واحد، وأنا يومذاك لم أكن قد وفّقت إلى قرائته والله الحمد. قال: أُحمّلك رسالة إلى السيّد الخوئي، فقال: [قل له:] «أنت تعلم بأنّي أنا أفلّذك وأمّا هذا الكُتَيْب فقد عمّلت فيه بما يعملّه يومذاك جمال عبدالناصر وغير جمال عبدالناصر من أقطاب السياسيين ولم تُبقي شيئاً للدفاع».

ومن جملة الأماكن التي ذهبت إليها في الكاظميّة منزل المرحوم السيّد إسماعيل الصدر، منزله كان في دورة الكاظميّة، فهناك وجدت كثيرين منهم: السيد مهدي الحكيم - رضوان الله عليه - وآخرين، فدار الحديث وهم لم يكونوا قد اهتموا بهذا وأنا أيضاً لم أكن أهتم، وكان من الذين حضروا هناك السيّد محمد مهدي الخلخالي - الذي هو الآن العالم الورع التقّي في خراسان - فأخذ يتّهجم ويتحامل على السيّد الخوئي بما لا يليق التحامل على فردٍ عادي، ولم يبق شيء، فضح نفسه وفضح تلامذته، وأنا لم أعنتي بحديثه - لأنّي كنت أعرفه حقّ المعرفة -، فلمّا ذهبت إلى النجف، ذهبت ليلة السبت إلى بيت السيد الخوئي وذكّرت له القصّة: إنّ الشيخ على الكلّيدار كان يقول هكذا، قال لي: هذا مُفْتَعَل عليّ، كتبه شخص - سمّاه لي ولكن أنا هنا لا أسمّيه - وافتعلّه عليّ، ولم أر الكتاب إلّا بعد أن طُبِع، والأمن قد يَحْمِي الكاتب والكتاب ولا أقدر على الاعتراض، في الأثناء دخل السيّد محمد مهدي الخلخالي، قال له السيّد الخوئي: أين كنت؟ ثمّ قال: هذا الكتاب الذي نُسِب لي كيف كان؟ قال: ما تعلم كيف كان صَدَر؟ كان طلاب وأساتذة الجامعة هكذا يمدحون، كانوا في الشوّة هكذا يمدحون، وفي أيّ مكان ذهبت كانوا يمدحونه بشيء لم يُكْتَب مثله أبداً. فجعلني أنا والشيخ على الكلّيدار الأحمق الذي يَنْتَقِد وأنا الأحمق الثاني الذي يَنْقُل نقد الشيخ على الكلّيدار إلى السيّد الخوئي. هذا نموذج من البلاء المُحاط بالمرجعيّة يومذاك.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

وهنا لا نريد أن نناقش في ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وهو أساسه أن يكون عقداً، ومن غير عقد لا يكون، وأيضاً لا نريد أن نناقش في أنه قد يُستدل على العهد بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾^١، فلنفرض أنه يجب الوفاء بالعقد ابتداءً، ولنفرض أنه يجب الوفاء بالعهد ابتداءً، ولكن الكلام في أن الذي يجب الوفاء به «فيما لو كان مباحاً»، أما لو كان مخالفاً للشرع، الحديث فيه يكون حديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^٢.

ورد في روايات أهل السنة: أن رسول الله ﷺ أرسل سريةً ونصب عليها شخص وأرسل سريةً أخرى ونصب عليها أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: إن اجتمعتم فأمركما علي عليه السلام وإن تفرقتما فكل منكما أميراً على سرية، فاجتمعا بعد ما حدث خلاف بين أمير تلك السرية وجنده، وأساسه أنه قال: بأن رسول الله ﷺ نصبني عليكم وأمركم بطاعتي، فلو أنني أمرت بقتل أحدكم وجب عليكم طاعتي وإنفاذ هذا القتل، فلما اجتمعوا حَكُوا لأمر المؤمنين عليه السلام القصّة، وقالوا: إنه يقول: أمير السرية تجب طاعته وإن الطاعة تشمل القتل وشبه القتل. فقال عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، فلما عادوا بسريتهم واجتمعوا برسول الله ﷺ وحَكُوا له القصّة، قال: صدق علي «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

فأساس البيعة أنها أداءٌ للحق لا إيجادٌ له، وأما الذي جاء في كلام بعض الأعلام

١. الإسراء (١٧) / ٣٤.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٦ / ٣٢٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٨ / ١٧٠ = ٣٨١؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ١٠ / ٦٣.

من أن البيعة تُحدث الحقّ أو توجب الحقّ، وأنّ الإمامة لا يشترط فيها العصمة وغيره، فيه مناقشات كثيرة.

ما يُستدلّ على خلاف المعنى الذي ذُكر للبيعة

إنّ المعنى الذي استشهدنا فيه بحديث عبادة بن الصامت - وهو أن البيعة أداءٌ للحقّ لا إيجابٌ له - ووافقه أحاديث كثيرة، قامت بيعة السقيفة على النقيض منه، وهو أنّه إن حَدَّثت بيعةٌ لأحدٍ أوجبت الالتزام بالوفاء بالذي بوع له وإن لم يكن له أيُّ حقٍّ في أن يبايع له، وحيث أنّ هذا البحث هامٌّ جدّاً نستعرض بعض الأحاديث التي تدلّ على هذا المطلب، لأنّه إذا كانت البيعة توجب حقّاً فلا بدّ وأنّ تنتهي إلى مطلبٍ نَقْطع أو نطمئنّ به.

الحديث الأوّل:

وهو حديث صحيح عند العامة يُستدلّ به على أنّ الذي سَبَقَ بالبيعة لأحدٍ لا يجوز لغيره أن يبايع غيره.

عن أبي حازم، قال: «قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ (أبوهريرة انتقل من المدينة إلى الشام وعاش فيها أكثر من خمس سنين، يقول أبو حازم: جالست أبا هريرة خمس سنين) فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ (أي: تتولّى أمورهم) كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي (إنّ صحّ هذا القول عن رسول الله ﷺ، معناه أنّ الذي يُخْلَفُهُ ﷺ وصيّ لا نبيّ، لأنّه لا نبيّ بعده، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من

موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^١، أو قوله ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^٢ وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ. قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»^٣.

أولاً: قياس مَنْ يَخْلَفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بالنبي الذي كان يخلف نبياً قبله في بني إسرائيل، لا معنى له، لأن الذي يأتي بعد رسول الله ﷺ فهو وصي وليس نبياً، حيث أن رسول الله ﷺ خُتِمَتْ بِهِ النُّبُوَّةُ، فهنا حينما يذكر أبوهريرة أنه سيكون بعدي خلفاء فيكثرون، لا معنى له، لأن الذين يأتون بعده ﷺ مهما كثروا لا يُقاسون بمن سبق رسول الله ﷺ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الذي كَلَّمَاهُ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ.

ثانياً: حينما يقول: «كَلَّمَاهُ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»، معنى ذلك أن التالي لا يكون نبياً إلا بعد هلاك الأول، فلا معنى للذين يكونون متعاصرين من الخلفاء بأن يُقاسوا بالأنبياء الذين كانوا قبله ﷺ.

١. مسلم، المسند الصحيح، ٤/ ١٨٧٠ = ٣٠ (٢٤٠٤)؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٣/ ١٥١، ٧/ ٣٨، ٢٠١/ ٣٩، ١٤٣/ ٤٢، ١٨٥ - ٧٤/ ٥٩، ٣٦/ ٧٠؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٥/ ٢٨٧ = ٥٣٣٥، ٦/ ٧٧، ٥٨٤٥ = ٣١١/ ٧، ٧٥٩٢؛ المعجم الكبير، ١/ ١٤٨ = ٣٣٤، ٢/ ٢٤٧ = ٢٠٣٥، ٤/ ١٨٤ = ٤٠٨٧، ٢٤/ ١٤٧ = ٣٨٧ - ٣٨٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٠٩ - ١١١ = ١٤٦٤٢، ١٤٦٤٦، ١٤٦٥٢.

٢. أحمد بن حنبل، المسند، ١/ ١٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/ ١١١، ١١٢، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧ - ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٩٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٠٩ = ١٤٦٤٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/ ١٣.

٣. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء (باب ما ذكر عن بني إسرائيل)، ٤/ ٢٠٦.

نعم، السر في ذلك أنهم وجدوا كثرة مدّعي الخلافة فأوجبوا أن يكون السابق إلى البيعة لا يجوز لغيره أن يخلفه - أي: أن يُحدّث بيعةً أخرى لآخر -، ولأجل هذا مع أن عمر بن الخطاب كان يرى أن أبابكر عُقِدَت له البيعة بلا مشورة من الحاضرين من الصحابة في المدينة - سواءً أكانوا المهاجرين أم الأنصار -، قال: «فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا بيعة له»^١.

وهنا يُذكر أن عمر الزم الصحابة كلّهم باستخلاف أبي بكرٍ له، فكانوا يقولون: كُنّا في مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل عمر وبه جريدٌ نخلٍ يضرب به رؤوس الناس، وقال: اسمعوا لخليفة رسول الله ﷺ وأطيعوه - ولم نعلم ماذا يقصد؟! - وبيننا كذلك إذ دخل يرفع - غلام أبي بكر - فصعد المنبر وقرأ وصية أبي بكر باستخلافه لعمر.^٢

١. انظر: حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

٢. * «حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُثْمَانَ الْقُرْقُسَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُجْلِسُ النَّاسَ مَعَهُ، وَبِيَدِهِ جَرِيدَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، إِنَّهُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَكُفُّمْ نَصْحًا. قَالَ: وَمَعَهُ مَوْلًى لِأَبِي بَكْرٍ يُقَالُ لَهُ: شَدِيدٌ، مَعَهُ الصَّحِيفَةُ الَّتِي فِيهَا اسْتِخْلَافُ عُمَرَ». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٣ هـ - «ذكر استخلافه عمر بن الخطاب»، ١ - ٤/ ٢١٣٨ «طبعة دار المعارف: ٤٢٩/ ٣»)

* «حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَبِيَدِهِ عَصِيبٌ نَخْلٍ، وَهُوَ يُجْلِسُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: اسْمَعُوا لِقَوْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: فَجَاءَ مَوْلًى لِأَبِي بَكْرٍ يُقَالُ لَهُ شَدِيدٌ بِصَحِيفَةٍ، فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِمَنْ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَوَاللَّهِ مَا أَلَوْتُكُمْ. قَالَ قَيْسٌ: فَرَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ». (ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب المغازي «ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب»، ١٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤ = ١٨٩٠٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٩٦ = ٢٣٩٢)

وحينما كُتِبَت الوصية كان الخليفة مُغماً عليه، فكتب عثمان من نفسه: أن الأمر بعدي لعمر بن الخطاب، فلما أفاق أبو بكر، قال: ماذا كتبت؟ قال: كتبت أن الأمر بعدي لعمر بن الخطاب، فقال: يا أبا الله ورسوله والمؤمنون إلا ابن الخطاب؟! ولاندرى هل أُوحِيَ إليه وهو مُغماً عليه، أم شيء آخر؟! ولماذا عمر في رزية يوم الخميس واجه النبي ﷺ بتلك الكلمة القارصة التي تكشف عن كثير من المعاني «إن الرجل ليهجر^١ [قد غلبه الوجع] حسبنا كتاب الله^٢» ونسبي هذه الكلمة حينما

١. «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: دَعَا أَبُو بَكْرٍ عُمَانًا خَالِيًا، فَقَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهْدَ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ، قَالَ: ثُمَّ أَعْمِي عَلَيْهِ، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَكَتَبَ عُمَانٌ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَلَمْ أَلْكُمْ خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَكَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَرَأَيْكَ خِفْتُ أَنْ يَخْتَلِفَ النَّاسُ إِنْ أَفْتَلَتَ نَفْسِي فِي عَشِيَّتِي! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَقْرَها أَبُو بَكْرٍ (رض) مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١٣هـ «ذكر استخلافه عمر بن الخطاب»، ١ - ٤ / ٢١٣٨ - ٢١٣٩ «طبعة دار المعارف: ٤٢٩/٣»؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٩٦/٥ - ٣٩٨ = ٢٣٩٣ و ٣٩٩ = ٢٣٩٧)

٢. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبي صلى الله عليه وآله) وسلم ووفاته، ١١/٦؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الهبات (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه)، ١٢٥٧/٣ - ١٢٥٨ = ٢٠ - ٢١ (١٦٣٧)؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم أن يكتبه لأُمَّته في مرضه الذي مات فيه)، ٢ - ٢/٣٦ و ٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٢٤.

٣. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب مرض النبي صلى الله عليه وآله) وسلم ووفاته، ١٢/٦؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الهبات (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه)، ١٢٥٩/٣ - ١٢٥٩ = ٢٢ (١٦٣٧)؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم أن يكتبه لأُمَّته في مرضه الذي مات فيه)، ٢ - ٢/٣٧؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١/٣٢٤ - ٣٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٢٤.

تلا وصية أبي بكر له بالخلافة؟!

ثالثاً: في قوله: «فُوا بِيَعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»، نعم الله سبحانه وتعالى يسأل كل إنسان، حيث يقول: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً^١، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٢ هذا صحيح، ولكن هذه البيعة لا تحدث حقاً، ولذا اضطروا إلى «فُوا بِيَعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ» حيث أنهم لم يجدوا مناصاً إلا هذا الذي التزموا به.

الحديث الثاني:

عن نافع، قال: «لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ (في واقعة الحرّة التي فعل بأهل المدينة ما فعل) جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ، حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (يقصد أن الذي يغدر لا يُحْشَرُ مع المسلمين يوم القيامة، بل يُنْصَبُ له لواء يختص به) وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (ماذا يعني؟! هل يعني بايعوا يزيد كما بايعوا رسول الله ﷺ، فيقيس يزيد بن معاوية - لعنه الله - برسول الله ﷺ؟! أو كانت صيغتهم في مبايعة يزيد كالصيغة التي كانوا يقولونها حينما يبايعوا رسول الله ﷺ في يوم بيعة

١. الإسراء (١٧)/ ١٣ - ١٤.

٢. يس (٣٦)/ ٦٥.

الرضوان؟! أو حينما جاءت هند إلى رسول الله ﷺ تُبَايع فتلا عليها رسول الله ﷺ الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١، فقالت هند: وهل تزني الحرّة؟! فضحك من ضحك وسكتت هند، لأنها كانت تعلم بأنّ الذي ضحك كان يعلم بقضاياها، ثم قال: (وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ (أي: خلع يزيد بن معاوية)، وَلَا بَايَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِلَّا كَانَتْ الْفَيْصَلُ (أي: القطيعة التامة) بَيْنِي وَبَيْنَهُ^٢.

الحديث الثالث:

عن نافع، قال: «لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ ثُمَّ يَنْكُثُ بَيْعَتَهُ،

١. الممتحنة (٦٠)/ ١٢.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الفتن (باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه)، ٧٢/٩؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب اثم الغادر للبر والفاجر)، ١٦٠/٨.

فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ، وَلَا يَشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم بَيْنِي وَبَيْنَهُ»^١.

أولاً: هذا الحديث إن صحَّت ألفاظه عن النبي ﷺ، أساسه أن البيعة توجب الحق لا أتمها تكون لمن له الحق في أن يبايع، لأن معنى قوله ﷺ: «إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ» أنه لم يف بالحق الذي أوجبه الله ورسوله ﷺ عليه فلا يُخْشَر في ضمن المسلمين، وليس معناه أنه بالبيعة يحدث حقاً للمبايع له.

ثانياً: حديث أبي هريرة وما شابهه الذي يقول: إذا تعددت البيعة فوا بالأوّل فالأوّل، ينافي هذا الحديث.

ثالثاً: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي يقول: «عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم أَنَّهُ قَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ [حَقٌّ] عَلَى الْمُرءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^٢، أيضاً يُناقض هذا الحديث.

١. أحمد بن حنبل، المسند، ٤٨/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٢/٨ - ٢٣٣ (عن أحمد بلفظ البخاري، وقال: «وقد رواه مسلم والترمذي من حديث صخر بن جويرية، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، عن صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عمر، فذكر مثله»).

٢. أبوداود السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الجهاد (باب في الطاعة)، ٤٠/٣؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١٤٢/٢؛ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام (باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، ٧٨/٩؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإمارة (باب وجوب طاعة

ومن عجيب الأمر أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يُحدِّث بهذا الحديث أيام صفين، فدعاه معاوية، فقال: إذا فما الذي أدخلك في حربنا هذا وأنت تقول ما تقول وإنَّك سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا القول؟! قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي آمرك أن تسمع لأبيك وتطيع، فأبي [أي: ابن النابغة] هو الذي قال لي اصحبني فصحبته^١، وهذا منتهى العقل والذكاء - أي: الغباء إن لم يكن نفاقاً - من عبد الله بن عمرو بن العاص.

أيضاً: «عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ (رض) مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَلَمَّا دَعَا مُعَاوِيَةُ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: أَتَرَوْنَ هَذَا أَرَادَ أَنْ دِينِي إِذَا عِنْدِي لَرَحِيصٌ. زَادَ فِيهِ غَيْرُهُ: فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى يَزِيدَ بَايَعَهُ»^٢.

فالصيغة وحدها لا تكفي في البيعة، لأنَّ رسول الله ﷺ له الحقُّ أن يُبايع لأنَّه يجب شرعاً أداء الحقِّ له، أمَّا غيره فلا يحقُّ له أن يطلب البيعة، لأنَّه لا حقَّ له على المبايع حتى يطلب منه أن يؤدِّي بالبيعة حقَّه.

الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية)، ٣/ ١٤٦٩ = ٣٨ (١٨٣٩)؛ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب السمع والطاعة للإمام ومن ينوب عنه ما لم يأمر بمعصية)، ٨/ ١٥٥ - ١٥٦.

١. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣١/ ٢٧٢، ٤٣/ ٤٢٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٦٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٧/ ٤٣٧ - ٤٣٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٢٤٤ = ١٢٠٦٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/ ١٢ = ٣٧٤.

٢. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي (باب اثم الغادر للبر والفاجر)، ٨/ ١٥٩.

فإذا البيعة إنّما تكون تعهداً والتزاماً بأداء الحقّ لمن له حقّ الطاعة والولاية، لا أنّها توجد هذا الحقّ ولم يكن بعد للمبايع له الحقّ.

واحتجت لها الصديقة الطاهرة (عليها السلام) حينما جاءت إلى معاذ بن جبل وذكّرتة، فقال: «لو أنّ أبا حسنٍ عهدَ إلينا قبل أن نبرمَ العهد ونحكم العقد لما عدّلنا عنه إلى غيره»^١.

فهذا كلّ إفتئات على البيعة، كإفتئات القائل: «إنّ الحدود لا تُدرأ بالجهاالات وإنّما تُدرأ بالمشابهات»، فإنّ كانت الحدود تُدرأ بالمشابهات، فهنا أيضاً «إنّا بايعنا هذا الرجل كما بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» تُدرأ بالمشابهات، وإلا فلا معنى لأنّ تكون البيعة موجبةً للحقّ.^٢

١. الطبرسي، الإحتجاج، ١/ ١٤٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ١٦١؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٢٠ (باختلاف يسير في اللفظ، وهو اعتذار وجوه المهاجرين والأنصار).
٢. هناك في كتاب الحدود رأيٌّ لأبي حنيفة، خلاصته: أنّ الحدود تُدرأ بالشبهات أي: بالجهاالات، ولا أقصد الذي كان أحدُ القضاة يُمثّل به، وهو: أنّ مَنْ جَهِل أو تَحَيَّل أنّ امرأةً أجنبيةً زوجته فوَأَقَعَهَا، هنا الحدود تُدرأ بالجهاالات. يقول أبو حنيفة: فلو عقد رجلٌ على امرأةٍ، على أخته، أو بنته، أو عمّته، أو خالته، عالماً بفساد العقد فوطئها دُرّاً عنه الحدّ، لأنّ هذا وطئٌ فاسدٌ يُشبه الصحيح، والوطئ الصحيح أنّه يعقد على امرأةٍ تحلّ له أن يعقد عليها فيطئها، أمّا الوطئ الفاسد هو الذي يُشبه الصحيح. ثمّ يُشكّل على نفسه: فلو عقد على غلام عالماً بفساد العقد دُرّاً عنه الحدّ لأنّه وطئٌ فاسدٌ يشبه الصحيح. يُجيب: بأنّه الغلام من القُبُل لا يُمكن أن يوطأ. فيُشكل، فيُجيب: بأنّ الغلام صحيح من القُبُل لا يمكن أن يوطأ، من الدُّبر فماذا؟ إلى آخر ما هنالك من هُراء.

وهذا يذكره صاحب كتاب الهداية لشيخ الإسلام المرغيناني وهو من أعظم الحنفية في باب الحدود، هذا يُشبه استدلاله أنّ الخليفة بُويع كما بُويع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). (العلامة الجعفري (رحمته الله))

نعم البيعةُ أداءٌ للحقِّ، يعني: واجب على المبايع أن يؤدِّي حقَّ الذي يحقُّ له أن يبايع، فأمر المؤمنين ﷺ حينما طلب منهم البيعة لم يطلبها لكونه إماماً وإنَّما طلبها كي يُلزمهم بأداء ما يحقُّ عليهم حينما يُبايع، ولأجل هذا قال ﷺ: «اجعلوني وزيراً خيراً لكم من أميرٍ»، فلم يرضوا بأن يكون ﷺ مُستشاراً وإنَّما الحوا عليه بالبيعة.^٢

١. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ٣٥ هـ (خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، ١ - ٦ / ٣٠٦٦ (طبعة دار المعارف: ٤ / ٤٢٧)؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢ / ٧؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١ / ٤٤٤؛ (وفي المصادر المذكورة: «فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً»)

٢. وهناك مناسبة ذكرتها حينما عُقد مؤتمر الغدير في لندن، هناك ذُكرت ما ذكرت، ومن جملة ما ذكرت أنهم قالوا: إنَّ أمير المؤمنين ﷺ قال كلمته المشهورة: «لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً» [المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩ / ٦١٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦ / ١٦٦].

فقلت: إنَّ أمير المؤمنين ﷺ قال هذا الكلام في أوَّل ما طُلب منه البيعة والتسليم لأبي بكر، معنى ذلك أنَّ الجور يتحمَّله أمير المؤمنين ﷺ إنَّ كان جوراً عليه خاصة ولم يكن فيه جور على المسلمين ومصالحهم. وقلت: هل اختصَّ هذا الجور بأمر المؤمنين ﷺ وسَلِمَتْ مصالح المسلمين في زمن أبي بكر وعمر وعثمان؟! نعم، أمير المؤمنين ﷺ يقول: أنا أرضى بالجور عليَّ خاصة ما لم يشمل المسلمين، ولكن هو كان ينظر إلى المستقبل بشفافية أنَّ هذا الجور لا يشملُه وحده وإنَّما يشملُ كلَّ مسلم، كما أنَّه هناك خطبة لأبي بكر قالها بعد ما عُقد له الخلافة، قال: «إني وُلِّيتُ أُمُورَكُمْ وَلَسْتُ بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني، وإنَّ أسأت فقوموني، إنَّ لي شيطاناً يعتريني، فإياكم وإياي إذا غضبت، لا أُوثر في أشعاركم وأبشاركم» [ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦ / ٢٠]، فقام إليه رجلٌ وسلَّ سيفه، فقال: إنَّ ضربتنا فليس لك إلَّا السيف.

وقلت: يا ليت غير هذا القائل كان صريحاً كهذا الشخص، أنَّه أحسَّ أنَّ الخليفة يستأثر بالمال ولا يُوزَّعها كما يلزم، فلمَّا وَصَلَتِ القصة إلى الأموال أحسَّ ذلك العربي بأنَّه الصلاة تُقصر (تقصير الصلاة في السفر، تسليم الصلاة في السفر وأمثال ذلك، هذا لا يهَمُّه) المهمُّ أنَّه يأتي، يعني: أنَّ المال يُقسَّم بالسوية، ولكنَّه لم يسَلِّم لا هذا المال ولا غيره. (العلامة الجعفري ﷺ)

فالنّتيجة أنّ البيعة لا تكون إلّا لمن يجب للناس الطاعة له بقضاء الله ورسوله، فمن وجبت لهم طاعته، عليه أن يأخذ البيعة كي يطمئنّ من أداء ما يجب عليهم من حقّه، وأمّا البيعة وإن كانت مشابهة لبيعة رسول الله ﷺ فلا تُحدث حقّاً. نعم، هذه بيعة السقيفة، ويشهد الله نحن نحمل أوزار السقيفة كما هم يحملونها، بُلينا بسقيفة مَنْ كانوا يومذاك مِنْ أصحاب السقيفة كما هم بلوا، ولكن نحن وَجَدْنَا مَنْقِذاً اعتقاديّاً، فقلنا: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث ما دار»^١، وهؤلاء المساكين لم يجدوا مَخْرَجاً يَتَنَصَّلُونَ مِنْ أوزارها، ورحم الله الشاعر يقول:

حَمَلُوهَا يَوْمَ السَّقِيفَةِ أَوْزَاراً تَخَفُ الْجِبَالُ وَهِيَ ثِقَالُ
ثُمَّ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهَا يَسْتَقِيلُونَ وَهِيَ هَاتِ عَشْرَةَ لَا تُقَالُ^٢

جعل نصيباً من الإمرة للعباس وأولده لتحكيم أمر البيعة

ثمّ يستمر الحديث ويقول: فمكثتُ أكابدُ ما في نفسي، ورأيتُ في اللَّيْلِ المقداد، وسلمان، وأبذر، وعبادة بن الصّامت، وأبا الهيثم بن التّيهان، وحذيفة، وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر سُورَى بين المهاجرين - يعني: يجعلون مَنْ يبايع، يبايع بنصّ من المبايع - وبلغ ذلك أبابكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده

١. المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/٣٦٨.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/١٦٨ - ١٦٩؛ الأميني، الغدير، ٤/٢٣٥.

في هذه الإمرة نصيباً، ليقطعوا بذلك ناحية عليّ بن أبي طالب. فانطلق أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم]، فحمد أبوبكر الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الله ابتعث لكم محمداً صلى الله عليه وآله [وسلم] نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن الله عليهم بكونه بينَ ظَهرانيهم - على الظاهر يقصد أنّه ﷺ حينما كان بمكة - حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أُمُورَهم ليختاروا لأنفسهم مُتَّفِقِينَ غير مُخْتَلِفِينَ - ذكرُوا أنّ رسول الله ﷺ تُوفّي ولم يعيّن لهم مَنْ يَخْلُفه فيهم، وجعل لهم الْخِيَرَةَ لأنفسهم، شريطة أن يَتَّفِقُوا على ذلك ولا يَخْتَلِفُوا - فاخْتارُونِي عليهم واليًّا، ولأُمُورهم راعياً، فتولّيتُ ذلك، وما أخافُ بعون الله وتسديده وَهَنًا ولا خِيَرَةً ولا جُبْنًا، وما توفّقي إِلَّا بالله عليه توكلْتُ وإليه أُنيب - اختاروني وأنا والله لبي ما يُؤَهِّلُنِي من القوَّة والشِدَّة والعلم والحكمة - وما أنفَكُ يبلِغُنِي عن طاعنٍ يقول بخلاف قول عامَّة المسلمين - بل يبلِغُنِي أنّ طاعناً يطعن في صحَّة إمرتي وخلافتي الذي أجمع عليها المسلمون كلُّهم - يَتَّخِذُكم لجأ فتكونوا حِصْنَه المنيع، وخطبه البديع - يبلِغُنِي أنّ طاعناً يطعن في صحَّة خلافتي ويتَّخذ منكم لجأ يلجأ إليه ويستند إلى مقامكم بين المهاجرين مثلاً - فإِما دخلتم فيها دخل فيه الناس، أو صرَفْتُمُوهم عمّا مالوا إليه - يقترح على العباس أن يدخلوا فيها دخل فيه الناس، أو يصرفوا من يلجأ إليهم من طاعنٍ يَطْعَن في صحَّة خلافة أبي بكر - فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ولمن بعدك من عقبك - هل المقصود أن نعطيك من المال الذي يُجَلَب إلينا نصيباً؟ أو نعطيك من المنصب الذي نحن نتولّى نصيباً؟ - إذ كنتَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم]، وإن كان

المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله [وسلم] ومكان أهليك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله [وسلم] منا ومنكم - هنا يجعل للعباس نصيباً على أنه البارز في أهل رسول الله ﷺ كي يتنقص من موضع أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا ندري ما الذي يقصده أبو بكر من أن النبي ﷺ يشترك في نسبه بينهم وبين بني هاشم، والحال أنه من تيم وهو أبعد الناس في سلسلة عمود نسب رسول الله ﷺ وأبعد منه عديّ -.

فاعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة، والوعيد، وإتيان الأمر من أصعب جهاته.

ذكرنا سابقاً في الحديث الذي أجمع عليه المحدثون على وصف ما جرى بعد رسول الله ﷺ، يقول فيه أبو حفص عن أبي بكر: «وكنْتُ أداري منه بعض الحدّ»^١ يقصد أن لا يكون حاداً عليّ فكنت أعمل على أن لا أغضبه أو أعصيه، فنقول: عمر وُصف عند المؤرخين بالشدة والحدة، وهو يصف أبابكر بالحدة، فالجمع بينهما: أن أبابكر كان يُخفي حدّته أمام الناس ويحتدّ أمام عمر بن الخطاب كي يُسكّته، فكان عمر يُداري بعض الحدّ من أبي بكر كي لا يثير غضبه، فإذا كان كذلك فلماذا هنا لما أبدى عمر حدّته وغلظته وخشونته سكت عنه أبو بكر؟!

النكتة في ذلك أن هذه الحدة إنما أُفرغت أمام شخصٍ كان أبو بكر يطمّع في كسبه بلين كلامه وكان أبو حفص ينوب عنه في حدّته وغلظته وخشونته، فكانت الحدة

١. انظر: حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

لصالح أبي بكر لا أمام أبي بكر، ولكن هناك كانت الحدة أمام أبي بكر، ولهذا كان أبو بكر يُقابل حدة عمر بحدة أشد كي يخضع له عمر حينما يُواجه الحدة التي هي أشد بحدته المعهودة التي إن وجدَ ضعيفاً لم يجد بأساً في أن يُظهر حدته وغضبه، وإن لم يجد إلا مَنْ هو قويّ مثله أو أقوى منه فكان يملك غَضَبه، وهنا لا نريد أن نذكر المصائب التي مرّت على الصديقة الطاهرة عليها السلام من حدته وحدة زبانيته.

فقال: إي والله، وأخرى إنّا لم نأتكم حاجة إليكم - أي: لم نأتكم لأننا نحتاج إليكم - ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم - يُهدّده بأنكم أمام عامة المسلمين، فإن تنازعتم وتصارعتم فالمسلمون أقوى منكم - فانظروا لأنفسكم ولعائمتهم، ثم سكت.

فتكلّم العباس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ الله ابتعث محمداً نبياً كما وصفت.

الآن هنا كلّهم حينما يبدأون بالكلام يحمدون الله سبحانه وتعالى إظهاراً للتوحيد، ويذكرون نبيه ﷺ اعترافاً بالرسالة، والحال أن يزيداً أيضاً حينما كان يخطب يوم الجمعة لم يكن يبدأ بـ «شغلّتي نعمة العيدان * عن صوت الأذان»، وإنّما كان يحمّد الله، ويصليّ على النبي ﷺ، ويقول اتّقوا الله، وإن كان يقصد منه ما يقصده أمثاله من الذين يقول عنهم ابن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة: أنّه لم يكن يتورّع عن نكاح الأمّهات والأخوات والعَمّات.

ووليّاً للمؤمنين، فمن الله به على أُمّته، حتى اختار له ما عنده، فخلّى الناس على أمرهم، ليختاروا لأنفسهم، مصييين للحق، مائلين عن زَيْغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبتَ فحقّاً أخذتَ، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، ما تقدّمنا في أمركم فرطاً، ولا حللنا وسطاً ولا نزحنا شحطاً، فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب، إذ كنّا كارهين، وما أبعد قولك: إنهم طعنوا، من قولك: أنهم مالوا إليك، وأمّا ما بذلتَ لنا، فإن يكن حقّك أعطيتناه فأمسكه عليك، وإن يكن حقّ المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض. وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها من البيان. وأمّا قولك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] منّا ومنكم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] من شجرة نحن أغصانها، وأنتم جيرانها، وأمّا قولك يا عمر: إنك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدّمتموه أوّل ذلك، وبالله المستعان.^١

ولكنّهما فيما بعد اتّفقا على أن يجعل أبو بكر للعباس ولولده نصيباً. على كلّ، كان العباس ساكتاً بعد ما شاهد ما شاهد ورأى ما رأى ولم يغضب. نعم، يوم أن قُلِعَ ميزابُه، ثار واستنجد بأمر المؤمنين عليه السلام، فلمّا رأى عمر أمير المؤمنين عليه السلام، قال: لا يغضبنّ أبو الحسن، لا يغضبنّ أبو الحسن^٢، لأنّه كان يعلم أنّها ليست من الوصايا التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسكت عنها أمير المؤمنين عليه السلام ولو فعلوا ما فعلوا، وأمر بردّ الميزاب إلى موضعها ثم اشترى من العباس حُجْرَتَه.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢١٩ - ٢٢١.

٢. انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠/ ٣٦٣ - ٣٦٥.

الحديث الثاني

نفس الحديث السابق بإسناد وإضافات

قال أبوبكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري -: حدثني المغيرة بن محمد المهلب من حفظه، وعمر بن شبة من كتابه بإسنادٍ رَفَعَهُ إلى أبي سعيد الخُدْريّ، قال: سمعتُ البراء بن عازب يقول - تقدّم هذا الحديث بلا إسناد وهنا يأتي مع إسناد -: لم أزل لبني هاشم محبًّا، فلَمَّا قُبِضَ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله وسلم] تَخَوَّفْتُ أَنْ تَتَّأَلَأَ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم - لأنَّه كان يعلم بِحَقِّ قريش على صاحبَي الدعوة والإمامة - فأخذني ما يأخذ الوالدة العجول.

ثمّ ذكر ما قد ذكرناه نحن في أوّل هذا الكتاب في شرح قوله عليه السلام: «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا فلان»^١، وزاد فيه في هذه الرواية:

فمكثتُ أكابد ما في نفسي، فلَمَّا كان بليّلاً - أي: ليلة الثلاثاء - خرجتُ إلى المسجد، فلَمَّا صرتُ فيه تذكّرتُ أنّي كنتُ أسمعُ همهمةَ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله وسلم] بالقرآن - وهذه أوّل ليلةٍ لم يكن يَسْمَعُ همهمةَ رسول الله ﷺ بالقرآن -

١. تقدّم في الحديث السابق.

فامتنعتُ من مكاني - أي: لم أكد استقر في مكاني في مسجد رسول الله ﷺ - فخرَجْتُ إلى الفضاء، فضاء بني بياضة، وأجد نفراً يتناجون، فلَمَّا دَنَوْتُ منهم سكتوا، فانصرفْتُ عنهم، فعرفوني وما أعرفهم - حينما رأوني مُقْبِلًا عليهم في ظلام الليل سكتوا، فلَمَّا انصرفت عنهم عرفوني وما أعرفهم - فدعوني إليهم فأتيتهم، فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكوننَّ ما أخبرْتُكم به، والله ما كُذِبْتُ ولا كَذَبْتُ - حذيفة في أحاديث شبه متواترة (إن لم تكن متواترة) يُسمونه صاحب سرِّ رسول الله ﷺ، فكان يعرف المنافقين ويُمَيِّزهم، ولأجل هذا الأيام التي كان في المدينة إذا جيء بميت من الصحابة لم يصلَّ عليه أبو حفص إلا بعد أن يستشير حذيفة في إيمانه أو نفاقه - وإذا القوم يريدون أن يُعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين - هؤلاء هم الذين قاموا واحداً بعد واحد وأنكروا على أبي بكر بيعته وإمرته - ثم قال: اتُّوا أبي بن كعب، فقد علم كما علمتُ. قال: فانطلقنا إلى أبي فضربنا عليه بابَه حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلَّمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بابك، فإنَّ الأمرَ أعظم من أن يُجْرِيَ من وراء حجاب. قال: ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفتُ ما جئتُ له، كأنكم أردتم النظرَ في هذا العقد. فقلنا: نعم. فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم. قال: فالحول ما قال، وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجري على ما هي جارية، ولما يكونُ بعدها شرٌّ منها، وإلى الله المشتكى.

قال: وبلغ الخبرُ أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة، والمغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرَّأي، فقال المغيرة: أن تَلْقُوا العباسَ فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له

ولعقبه، فتَقَطَّعُوا به من ناحية عليٍّ، ويكون لكم حِجَّةٌ عند الناس على عليٍّ، إذا مال معكم العباس. فانطلقوا حتى دخلوا على العباس في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله [وسلم].

ثم ذكر خطبة أبي بكر وكلام عمر وما أجابهما العباس به، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في الجزء الأول.^١

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥١ - ٥٢.

حديث أبي الأسود

الهجوم على بيت فاطمة ؑ

قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز - الجوهري -: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن هُيعة، عن أبي الأسود - الكندي عامر بن واثلة وهو آخر الصحابة الذين رأوا رسول الله ﷺ وسمعوا حديثه، وكان من شيعة أمير المؤمنين ؑ، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مَشُورَةٍ، وَغَضِبَ عَلِيٌّ والزبير، فدخلوا بيت فاطمة عليها السلام، معها السلاح - أمير المؤمنين ؑ كان في بيت فاطمة ؑ وهو بيته فلم يكن بحاجة إلى أن يُجَلِّبَ معه السلاح من خارج البيت، وأبو الأسود بعيد أن يكذب هذه الكذبة، لكن الذين رَوَوْا أضافوا كذبة كي يُخَفِّفُوا عَمَّا صنعه أبو حفص وَمَنْ صاحبه - فجاء عمر في عصابة، منهم أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ، وَسَلَمَةُ بن سلامة بن وَقْشٍ، وهما من بني عبد الأشهل، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهم الله، فأخذوا سيفي عليّ والزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما - إِنَّ صَحَّ هذا الكلام معناه أنَّ أمير المؤمنين ؑ والزبير لم يحاربا وإلا هذا غير معقول نظراً لشجاعة أمير المؤمنين ؑ التي شهد لها عمرو بن عبدود ومرحب وآخرون، والزبير الذي عندهم هو مَنْ

شهدت له حروبه، وإن كنتُ أنا في شكٍ بل في ريبٍ من ذلك - ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا.

كلام أبي بكر حول بيعته واعتذاره إلى الناس

ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم - من تصديه للإمرة بغير مشورة لهم في إمرته - وقال: إن بيعتي كانت فلتةً وقى الله شرّها - قلنا: بأن صاحبه أبا حفص يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ولكن وقى الله شرّها، وذكرت هناك بعض المعنى لهذه الجملة^١، وخشيئ الفتنة.

هذا يُكرّر من زعماء بيعة السقيفة، نقول: من أين جاءت هذه الخشية؟ إن جاءت من ردة الناس فردة الناس لم تحدث بعد في نظر أصحاب السقيفة، نعم ردة الناس حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث انهم ارتدوا عما سمعوه من رسول الله ﷺ في شأن أمير المؤمنين عليه السلام منذ السنة الثالثة من البعثة إلى أواخر أيامه ومنها يوم الغدير ووصيته بذلك.

وايم الله ما حرصتُ عليها يوماً قطّ.

نقول: قال عزّ من قائل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ

١. انظر: حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ * وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ^١.

ولقد قُلِدْتُ أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدان.

يعتذر، ورحم الله الشاعر يقول:

حَمَلُوهَا يَوْمَ السَّقِيفَةِ أَوْزَاراً تَخَفُ الْجِبَالُ وَهِيَ ثِقَالُ
ثُمَّ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهَا يَسْتَقِيلُونَ وَهِيَ هَاتِ عَشْرَةَ لَا تُقَالُ^٢
وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهِ مَكَانِي.

إنَّ أقوى الناس «ولو قلّدوها الأجلح»، هذا ما قاله صاحبه أبو حفص حينما أراد أن يذكر أصحاب الشورى الستة، من جملة ما قال، هكذا: «ولو قلّدوها [إنَّ ولوها] الأجلح - يعني: أمير المؤمنين (عليه السلام) - لسار [سلك] بهم الطريق المستقيم»^٣.

«الأجلح في الرأس» هو انحسار شعر الرأس من الطرفين، في قبال «الأصلع» وهو الذي سَقَطَ شعره مِنْ مُقَدَّمِ رأسه أصلاً. أمير المؤمنين (عليه السلام) في أوّل أمره كان مُشَعِراً ثُمَّ بدأ شعره يتساقط وأوّل ما تساقط، تساقط من جانبيه ثُمَّ إلى أن بَلَغَ من السن مَبْلُغاً تساقط منه شعر مُقَدَّمِ رأسه كُلِّهِ.

١. البقرة (٢) / ٢٠٤ - ٢٠٧.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٨ - ١٦٩؛ الأميني، الغدير، ٤/ ٢٣٥.

٣. انظر: حب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ٢/ ٤١١، ٣/ ٢٢٨؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٨٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب (عمر بن الخطاب)، ٣/ ١١٥٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢/ ٢٦٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٦٣٩؛ سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٠٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣١/ ٣٩٣؛ الأميني، الغدير، ٧/ ١٤٤، ٩/ ١٠.

ومعذرة من أمير المؤمنين عليه السلام، شعر أبي النجم العجلي يقول:
 قد أصبحت أمّ الخيار تدّعي عليّ ذنبا كله لم أصنع
 ما إن رأت شعري كشعر الأصلع مَيزَ عنه قُنْزَعاً عن قُنْزَع
 صرف الليالي أقبلي ثم أقبلي^١
 وجعل يعتذر إليهم، فقبل المهاجرون عذره.

لا ندري مَنْ هُمّ المهاجرون؟ إن كان يقصد أبا عبيدة وأبا حفص فكانا صاحبيه
 يوم السقيفة، وإن كان يقصد بسيد المهاجرين بعد أمير المؤمنين عليه السلام حمزة فقد قُتِلَ يوم
 أُحُد، وإن كان يقصد بسيد المهاجرين جعفر بن أبي طالب فقد قتل يوم موتة، نعم
 الذي بقي هو الذي كان يُساوم فإن أرضي رضي وأما الآخرون...
 وقال عليّ والزبير: ما غَضِبْنَا إِلَّا فِي الْمَشُورَةِ - أي: حيث أننا لم نستشار - وإنّا
 لنرى أبابكرٍ أحقَّ الناسِ بها، إنّه لصاحب الغار، وإنّا لنعرف له سنّه، ولقد أمره
 رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم [بالصلاة بالناس وهو حيّ].^٢

هذا الحديث فيه ما فيه، نعم بلا شك هجموا على بيت الصديقة الطاهرة عليها السلام
 ولكن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مأموراً بالمناهضة، فلم يكن يحتمل سيفاً حتى يُؤخذ
 فيضرب به الحجر، وإنّا كان جليس دارٍ هجموا عليه فأخرجوه مُلَبَّأً بِحَمَائِلَ سيفه^٣

١. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ١/ ٨٨ (وفيها: جذب الليالي أبطني أو أسرع)؛

الجرجاني: أسرار البلاغة/ ٣٨٩ (وفيه: مرّ الليالي أبطني أو أسرع).

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥٠.

٣. حمائل السيف، يعني: الخيط الذي يوضع فيه غمد السيف. (العلامة الجعفري رحمته الله)

لا بسيفه، أمّا الزبير فجاء في مصادر كثيرة عنه بأنّه خرج وأخذ سيفه فضرب به الحجر، ولعلّ هذا - إن أحسنّا الظنّ به - كان كي يُوجد لنفسه عُذراً في بيعته لصاحب يوم السقيفة من جهة، ومن جهة أخرى يرى بنوهاشم أنّه أخلص لهم، وأمّا البقيّة فهي مُفتعلة ومُقحّمة ونُجلُّ أبا الأسود الدؤلي - إن كان أبو الأسود هو الدؤلي عامر بن واثلة -.

حديثي سالم بن عبيد

الحديث الأول

هذا الحديث قد ورد بألفاظ مختلفة وهو أيضاً من الأحاديث المشهورة التي يستندون بها:

صلاة أبي بكر في مرض النبي ﷺ

حدثنا أسلم، قال: ثنا وهبُ بنُ بَقِيَّةٍ؛ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بنُ بَيَّانٍ، قالا: ثنا إِسْحَاقُ، عَنْ سَلَمَةَ بنِ نُبَيْطٍ (وَهُوَ أَبُو فِرَاسٍ)، عَنْ نُعَيْمِ بنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ نُبَيْطٍ (وَهُوَ ابْنُ شُرَيْبٍ)، عَنْ سَالِمِ بنِ عُبَيْدٍ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ - يعني: كان من الفقراء الذين قد صنع لهم رسول الله ﷺ صُفَّةً يجلسون عليها كي ينحازون عن غيرهم من المسلمين ولكي تأتيهم الصدقات - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ، أُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ، قَالَ: مُرُّوا بِلَاأٍ فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُّوا أَبَابَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ (رض): إِنَّ أَبِي أَسِيفٌ (وَالْأَسِيفُ الرَّقِيقُ) - أي: رقيق القلب - فَلَوْ أَمَرَ غَيْرُهُ؟

عائشة كانت تدّعي أنّ أباهما رجل رقيق القلب إذا قام مقام رسول الله ﷺ لم يملك نفسه من البكاء، ولكنه بعد ما قام مقام رسول الله ﷺ في أول يوم توفي فيه النبي ﷺ لم يبك أبداً، والسؤال هو أنّه كيف بالذي حينما يذكّر الموت المحتمل برسول الله ﷺ يبكي ولكن حينما حلّ الموت برسول الله ﷺ لم يُنقل عنه البكاء؟! ثمّ أفاق، وقال: أُقيمت الصلاة؟ فقالت عائشة: يا رسول الله، إنّ أبي أسيف فلو أمرت غيره؟ فقال: إنّك صواحبات يوسف، مُروا بلائاً فليؤذن، ومُروا بأب بكر فليصل بالناس. ثمّ أغمي عليه، فلما أفاق، قال: أُقيمت الصلاة؟ قالوا: نعم. قال: ادعوا لي إنساناً أعتمد عليه، فجاءت بريرة وإنسان آخر (قال أبو الحسن: كان عليّ عليه السلام الآخر)، فانطلقوا يمشون وإنّ رجله يخطان في الأرض، فأجلسوه إلى جنب أبي بكر (رض)، فذهب أبو بكر يتأخّر، فحبسه حتى فرغ من الصلاة.

موقف أبي بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا قوماً أميين لم يكن فيهم نبيّ قبله، فقال عمر (رض): لا يتكلّم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا. فقالوا لي: اذهب إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يعنون أب بكر - رض -) فادعُه، فذهبت، فوجدته في المسجد، فأجهرت أبكي، فقال: لعلّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي. قلت: إنّ عمر قال: لا يتكلّم بموته أحد إلا ضربته بسيفي هذا، فأخذ بساعدي، ثمّ أقبل يمشي حتى دخل، فأوسعوا له، فأكبّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كاد أن يمس وجهه وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنظر نفسه وعمره حتى استبان له أنّه قد توفي، فقال: إنّك ميت وإنيّ ميتون. قالوا: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم. قالوا: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

[وآله] وَسَلَّم: هل يُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَمَا قَالَ. قَالَ: يَحْيَىُّ نَفَرٌ مِنْكُمْ فَيَكْبَرُونَ وَيَدْعُونَ وَيَذْهَبُونَ. وَيَحْيَىُّ آخَرُونَ حَتَّى يَفْرُغَ النَّاسُ. قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ يُدْفَنُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم؟ قَالَ: أَيْنَ؟ قَالَ: يُدْفَنُ حَيْثُ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ، فَإِنَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لَمْ يَقْبِضْهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ. فَعَرَفُوا أَنَّهُ كَمَا قَالَ. ثُمَّ قَالَ: عِنْدَكُمْ صَاحِبُكُمْ، ثُمَّ خَرَجَ.

الحجج التي صيغت لبيعة أبي بكر

فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ أَوْ مِنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: انْطَلِقْ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِنَّ لَهُمْ فِي هَذَا الْحَقِّ نَصِيبًا. فَذَهَبُوا حَتَّى أَتَوْا الْأَنْصَارَ، وَإِنَّهُمْ لَيَتَأَمَّرُونَ بَيْنَهُمْ، إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَكْرًا، وَقَالَ: سَيَفَانِ فِي غِمْدٍ؟ إِذَنْ لَا يَصْلَحَا! وَلَكِنْ مَنْ لَهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ؟ ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، مَنْ هُمَا؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^١، مَعَ مَنْ؟ فَبَسَطَ يَدَ أَبِي بَكْرٍ فَضَرَبَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: بَايَعُوا. فَبَايَعَ أَحْسَنَ بَيْعَةٍ^٢.

وفيه: يقول: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا لِي: اذْهَبْ إِلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْحَالُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ قَدْ بُويعَ حَتَّى يُسَمَّى بِالْخَلِيفَةِ، أَوْ بِالْأَمِيرِ، أَوْ بِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، وَإِلَى آخِرِ مَا هُنَالِكَ مِنْ مَفَارِقَاتٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ.

١. التوبة (٩)/ ٤٠.

٢. بَحْثُ الشُّرَاطِ، تاريخ واسط (من روى عن نبيط بن شريط) / ٥٧ - ٥٨؛ وانظر أيضاً: الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الخلافة (باب الخلفاء الأربعة)، ٥ / ١٨٢ - ١٨٣، ٨٩٣٥، وقال: قلت: روى ابن ماجه بعضه، رواه الطبراني ورجاله ثقات.

الحديث الثاني

الحج التي صيغت لبيعة أبي بكر

قال أبو بكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب «السقيفة» -: حدثني أبو يوسف يعقوب بن شيبه، عن بحر بن آدم، عن رجاله، عن سالم بن عبيد، قال: لما توفي رسول الله وقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، أخذ عمر بيد أبي بكر، وقال: سَيِّفَانِ فِي غَمْدٍ وَاحِدٍ! إِذَا لَا يَصْلِحَانِ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَهُ هَذِهِ الثَّلَاثُ؟ ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، مَنْ هُمَا؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾، مَنْ صَاحِبُهُ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^١، مع مَنْ؟ ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ أَحْسَنَ بَيْعَةٍ وَأَجْمَلَهَا.^٢

قلنا بأنّ هذا الحديث لم يرد يوم السقيفة وإنّما افتُعل فيما بعد حيث أنّهم احتاجوا إلى الحُجَج، فالتجّأوا إلى «تقديم أبي بكر للصلاة» - وقد بيّنا بأنّه لا أكثر من مشهور فيه - و«ثاني اثنين»، وأشبه ذلك من الاحتجاجات.^٣

١. التوبة (٩)/ ٤٠.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣٨.

٣. انظر: حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة.

وأما حول آية الغار^١ نشير فقط إلى أنّ الشيخ المفيد يذكر رؤياً رآها وهو في بغداد، يقول: إني رأيت في المنام رجلاً جالس وقد اجتمع حوله الناس، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: عمر بن الخطاب يَحْتَجُّ لصاحبه أبي بكر في صحّة الخلافة، فسألته: ما الحُجّة؟ قرأ الآية المشار إليها، ثمّ يُشكِّل الشيخ المفيد على الإستدلال بهذه الآية الكريمة بسّنة مناقشات^٢، ويُشير إليه الشيخ الطبرسي - رحمه الله عليه - في تفسير مجمع البيان، وحينما يذكر الآية يقول: «ولأصحابنا في هذا المجال مقامٌ أعرضنا عن ذكره لئلا نَتَّهَم بالتعصُّب»^٣.

١. ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (التوبة ٩/ ٤٠)

٢. انظر: كتاب «شرح المنام» للشيخ المفيد^{رحمته}؛ وانظر أيضاً: أبحاث العلامة الجعفري^{رحمته} حول آية الغار ويقول فيها: بأن هذه الآية تدلّ على عكس حجة القوم.

٣. نصّ كلامه: «وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي^ﷺ، في هذه الآية بالسكينة، كلاماً رأينا الإضراب عن ذكره أخرى، لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء». (الطبرسي، مجمع البيان، ٥/ ٥٨)

حديث سويد بن غفلة

ومن جملة ما جاء حاكياً عما شَجَرَ بين المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ الحديث الذي يَتَّبَحُّ به الكثير إِسْتِناداً وإِعْتِداداً وطعنًا وسبًّا، وهو الحديث الذي يُروى عن سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي^١، هذا الحديث يستند إليه كثيرٌ من النواصب لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، والحديث من أوله إلى آخره مكذوبٌ على أمير المؤمنين عليه السلام، جملةً وتفصيلاً، وأمّا نصّ الحديث:

أخبرناه بطوله أبو محمد عبدان بن رزين^٢ الاذري^٣ الدويني، أنبأ أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر، أنا عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن برهان، أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبيد الدقاق، نا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المحرمي^٤ في سنة إحدى وثلاثمائة، نا علي بن عيسى الكراجكي،

١. سويد بن غفلة معروف وكثيرون يحكون عنه كثيراً ممّا شَجَرَ بين المسلمين. (العلامة الجعفري عليه السلام)

٢. كذا في مخطوطة العلامة عليه السلام، وأمّا في المطبوع: «زرين»، وقال في الهامش: «إعجامها مضطرب بالأصل وم، والصواب ما أثبت ترجمته في سير الأعلام، ٢٥٦/٢٠، ومشیخة ابن عساكر، ص ١٢٣/ب، وانظر: تبصير المنتبه، ٦٠٢/٢، والمشتبه، ص ٣١٦».

٣. كذا في مخطوطة العلامة عليه السلام، وأمّا في المطبوع: «الأزدي».

٤. كذا في مخطوطة العلامة عليه السلام، وأمّا في المطبوع: «المخرمي»، وقال في الهامش: «بالأصل وم: "المحرمي"، والصواب ما أثبت ترجمته في سير الأعلام، ١٩٦/١٤».

نا حجين^١ [؟] بن المثنى، نا كثير بن مروان، عن الحسن بن عمار، عن المنهال بن عمرو، عن^٢ سويد بن غفلة^٣، قال:

تناول الشيعة أبابكر وعمر

مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبابكر وعمر - في تاريخ واسط أضيف: «ويذكرونهما وينقصونهما بغير الذي هما له أهل»، لا فقط يتناولون، ينتقصون أبابكر وعمر بما لا يستحقانه - فدخلتُ على عليٍّ، فقلت: يا أمير المؤمنين، مررتُ بنفر من أصحابك أنفأ - يعني قبيل أن أدخل عليك - يتناولون أبابكر وعمر بغير الذي هما

١. كذا في مخطوطة العلامة^٤، وأما في المطبوع: «حجين».

٢. كذا في مخطوطة العلامة^٥، وأما في المطبوع: «وعن» ولعله خطأ مطبعي.

٣. حديث طويل يعني سند طويل، ولا يهمني لأن هذا السند فيه المجاهيل، والذي يهمني «سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي»، وأنا هنا وإن كنت أملك الكثير ولكني لا أملك القدرة إلى الرجوع إلى الكثير وإنما أنقل لكم ترجمة «سويد بن غفلة» من كتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي، وخير الدين هو كان مدة عشرين سنة يُمثّل المملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة، فهو غير متهم بالخطأ على الوهابية وتراجمه أدخل الكثير من أعلام الوهابية في أعلام المسلمين، يقول:

«سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي، توفي سنة: ٨١ هـ / ٧٠٠ م، كان شريكاً لعمر بن الخطاب في الجاهلية - أنعم بشراكتهم، ما أحسنها من شراكة في الجاهلية والإسلام - وعاش في البادية، وأسلم ودخل المدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فهو لا يُعدُّ ممن رأى النبي ﷺ، وقد أسلم كما هو الشأن في كلِّ صحابي ترجموه على أساس أنه رأى النبي ﷺ مسلماً، وإلا فلو أنهم ترجموا لمن رآه ﷺ وهو مشرك، لملكوا أضعاف أساء هؤلاء الصحابة من المشركين - مات وهو ابن ١٢٥ سنة». (الزركلي، الأعلام، ٣/ ١٤٥ - ١٤٦)

الظاهر أنه لا يُناقش فيه، فلو أنه صحَّ عنده لكان قد أسلم مثلاً في سنة ٥٠ أو ٦٠ قبل الهجرة. على كلِّ: كان شريكاً لعمر بن الخطاب في الجاهلية. (العلامة الجعفري^٦)

له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُضمّر على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرّأ^١ على ذلك. يعني: لولا أنك تُضمّر ما أعلنوا عنه لما تجرّأ إن كنت تخالفهم بالرأي. هذا الحديث يدلّ على أن تناول أبي بكر وعمر كان في عصر أمير المؤمنين عليه السلام لا أنّه حَدَثَ في زمن التابعين، أو تابعي التابعين، أو أنّ الشيعة إنّما حَدَثَتْ بعد وقعة كربلاء - كما يقول البعض - أو بعد محاربة صفين - كما يدّعي آخرون الذين هم يُرجعون أصل الشيعة إلى ما شَجَرَ بين معاوية وبين أمير المؤمنين عليه السلام ولا يرتفعون بالشيعة إلى ذلك الزمان -، وهناك شواهد على أنّ هذا كان من أوّل الأمر. نعم، كلّما اشتدّ الخلاف اشتدّت النعمة والانتقاص من أحد الطرفين للآخر كانتنقص العثمانية من العلوية^٢، وانتقاص العلوية من العثمانية.

موقف أمير المؤمنين عليه السلام من كلام سويد بن غفلة كما يدّعي

فقال عليّ: ما أضمر لها إلا الذي أتمنى المضيّ عليه - عجيب، يقول سويد بن غفلة: قال عليّ عليه السلام: الذي أتمنى المضيّ عليه (أي: المضيّ على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله) هو الذي أضمر لها - لعن الله من أضمر لها إلا الحسن الجميل - ونحن نقول: لعن

١. كذا في مخطوطة العلامة رحمته الله، وأمّا في المطبوع: «تجرّأ»، والظاهر أنّ الصحيح: «تجرّأ».

٢. ونقصد بالعلوية الذين شايعوا أمير المؤمنين عليه السلام زمن وقوع الخلاف في الإمامة والخلافة - أي: زمن أبي بكر -، لا بالعلوية الذين نصرّوا عليّاً عليه السلام في حروبه يوم الجمل وصفين والنهروان، إنّما أقول العلوية، يعني: الذين شايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ودافعوا عن حقّه في قبال البكرية التي شابت أبابكر، وأستغفر الله وأعوذ بالله العُمرية التي لا أقول أنّها موجودة، نعم الذي هو موجود شيء لا أقدر أن أسمّيه، رجوع إلى الجاهلية الأولى قبل الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(العلامة الجعفري رحمته الله)

الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل الصادق..

ثم نهض دافع العين يبكي، قابضاً على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً، قابضاً على لحيته، ينظر فيها وهي بيضاء.

هناك حديث يقول فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمُنْيَةِ وَأَبْرَدَ بُرْءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لَحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ»^١، والظاهر أن سويد بن غفلة هنا - إن صحَّ الحديث عنه - رأى شيئاً فأدخله في شيء آخر يُنمَّق به حديثه.

حتى اجتمع له الناس.

يظهر أن الحديث كان في الجامع الأعظم بالكوفة ولا يقول سويد أنه كان في زمن بني الصَّلَوَات التي كان يأتي فيها المُصَلِّون المسجد للصلاة أم في غيرها. نعم، في شبه هذه الموارد زمن رسول الله (ﷺ) كان يُنادى «الصلاة جامعة»، ولا يُقصد بأن وقت الصلاة قد حان، وإنما يُقصد بالإشارة إلى أنه كما أن الصلاة تَجْمَع المسلمين كذلك عرضت حاجة لرسول الله (ﷺ) فأمر بالنداء هكذا، على خلاف ما ذكره كثير من المترجمين.

ثم قام فخطب خطبةً بليغة موجزة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين.

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٢٦٤ (خ ١٨٢)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٩٩.

وهذا من عجيب الأمر أن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «سيدي قريش»، وأباسفیان يقول: «أياخذها أذلاً قريشٍ حَسَباً وَنَسَباً تيمٌ وعدي؟! نعم، سيّدا قريش المهاجرين الذين كانوا يشتركون مع الباقين في مكّة في أنّهم على عقيدة واحدة، ولكن أولئك كانوا أعف وأشرف وأكرم من أن يقولوا ما لا يعتقدون، وهؤلاء قالوا ما لا يعتقدون ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^١، ولا زالت جيوش النفاق والشرك تدعوا إلى التوحيد والإخلاص في العبوديّة لله سبحانه وتعالى، كما أنّه هناك كتاب يعبر هذا التعبير: هزيمة جيوش المشركين بسيف الموحدين في الدفاع عن ابن تيميّة وابن عبد الوهاب.

أنا ممّا قالوا بريء، وعلى ما قالوا معاقب، ألا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، أنّه لا يحبّها إلّا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلّا فاجر رديّ.

هنا سويد بن غفلة - إن صحّت النسبة إليه، لأنّه في السند ممّا يحتمل ألف طعن - ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن حبّ أبي بكر وعمر علامة الإيمان، وبغضهما علامة الكفر، والحال أن الحديث الذي اتفق عليه المحدثون وصحّحوه، ومنهم مسلم في حديثه في كتاب الإيمان، «باب الدليل على أن حبّ الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق»، يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه

قال: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^١.

أيضاً جاء في الحديث: «انَّ حَبَّ الْأَنْصَارِ علامة الإيمان وبغضهم علامة النفاق»^٢، إنَّ صحَّ هذا الحديث فهو يذكر حَبَّ وبغض الأنصار - لا قبيلة الخزرج، أو الأوس، أو غيرهم - ومعنى ذلك أنَّ هذه السِّمَة جاءت لهم لُنُصرة رسول الله ﷺ، ومن البديهي الواضح أنَّ الإنسان لا يمكن أن يرضى بعملٍ وهو يكره أو يبغض الذي قام به، فُنُصرة رسول الله ﷺ هي الصفة التي وُصف بها الأنصار بعنوان أئمتهم أنصار، ولأجل هذا نحن نقول: ربَّنَا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان - لا الأنصار خاصَّة، بل «الذين سبقونا بالإيمان»، ولو أنَّهم جاءوا بعد الأنصار بعشرة قرون - كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٣.

١. مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان (باب الدليل على أنَّ حَبَّ الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق)، ٨٦/١ = ٧٨ (١٣١)؛ ابن عبد البر، الاستيعاب (عليّ بن أبي طالب)، ٣/١١٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٨/٣٤٩، ٤٢/٢٧١ - ٢٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/١٤٤، ١٢/٥٧٣ - ٥٧٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان (باب علامة الإيمان حَبَّ الأنصار)، ١/١٢؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان (باب الدليل على أنَّ حَبَّ الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق)، ١/٨٥ = ٧٤ - ٧٥ (١٢٨ - ١٢٩).

٣. الحشر (٥٩)/١٠.

صحباً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصدق والوفاء.

ينقل شيخنا الأميني - أعلى الله مقامه -: أن أبا بن كعب وآخرين حكوا عن رسول الله ﷺ شيئاً سمعوه، فلما سمع عمر ذلك، قال: «ألهاني عنه الصفق بالأسواق»^١، يعني: أني كنت أتلها عن مجلس رسول الله ﷺ بأن أحصل القوت في الأسواق التي كانت تُقام في البقيع، ومنها البرطشة - وهي بيع الدواب بأجرة -، يعني: من أراد أن يبيع دابة يطلب ممن أصبح بعد ذلك خليفة أن يبيعها له فيأتي بها السوق ويبيعها.^٢

يأمران وينهيان - يأمران وينهيان من؟! المسلمين زمن رسول الله ﷺ، أم رسول الله ﷺ؟! - وما يحاقدان فيما يضعان على رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى بمثل رأيها رأياً، ولا يحب كحبهما أحداً، مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهما راضٍ، ومضيا^٣ والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر

١. الأميني، الغدير، ٦/ ١٥٨.

٢. ورحم الله الشيخ عباس علي المحقق الخراساني - رضوان الله عليه - كان غزير المادة في المنبر ومن جملة قضاياه: أنه قال: جاء رجل إلى سوق الدواب يبيع دابة له، فوجد الذين يأتون إلى السوق يصف كل واحد منهم صفةً لدابته، فمنهم من يقول: إنه سريع العدو، ومنهم من يقول: إنه يمشي كما يمشي الفرس، ومنهم ومنهم، فقال: ألا أصف لكم دابتي؟ اجتمعوا عليه، قالوا: نعم. قال: إنها دابة مؤدبة جداً. قالوا: كيف هي مؤدبة؟ قال: لأنها إذا سمعت وقع حوافر الدواب خلفها توقفت وقالت: تفضلوا.

(العلامة الجعفري)

٣. كذا في مخطوطة العلامة، وأما في المطبوع: «ومضاً».

بصلاة المؤمنين، فصلّى بهم سبعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فلما قبض الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه [وآله] وسلم واختار له ما عنده، ولّاه المؤمنون أمرهم وفوضوا إليه الزكاة لأنّهم مقرونتان - هنا لا نناقش، لأنّ هذا معلوم الكذب - ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أوّل من سنّ ذلك من بني عبدالمطلب، وهو لذلك كاره، يود لو أنّ أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من اتّقى^١، أرحمه رحمةً وأرافه رافةً - هكذا وضعها سويد بن غفلة، إن صحت النسبة إليه - وأثبتته ورعاً، وأقدمه سنّاً وإسلاماً، شبّهه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بميكائيل رافةً ورقّةً - وبعزرائيل زيادةً - وبإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار فينا سيرة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم وصاحبه يتبع آثارهما كاتباع^٢ الفصيل أمّه، وكان والله رفيقاً رحيماً، وللمظلومين عزاً وراحماً وناصراً، لا يخاف في الله لومة لائم، ثم ضرب الله بالحقّ على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنّا نظن أنّ ملكاً ينطق على لسانه، أعزّ [الله] بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواماً، ألقى الله له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة، شبّهه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بجبريل عليه السلام

١. كذا في مخطوطة العلامةؒ، وأمّا في المطبوع: «بقي».

٢. كذا في مخطوطة العلامةؒ، وأمّا في المطبوع: «كتباع».

فظّاً غليظاً على الأعداء، أو بنوح عليه السلام حنقاً مغتاضاً، انصراً^١ على طاعة الله تعالى أمر عنه من السرا^٢ على معصية الله [؟] فمن لكم بمثلها (رض)، وورزقنا المضيّ على سبيلهما، فإنّه لا يبلغ مبلغهما إلّا باتباع^٣ آثارهما والحبّ لهما، ألا من أحبني فليحبّهما، ومن لم يحبّهما فقد أبغضني وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشدّ العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أتيت به بقولي هذا بعد اليوم، فإنّ عليه ما على المفترى، ألا وخير هذه الأئمة بعد نبيّها أبوبكر وعمر، ولو شئت سمّيت الثالث لكم - لا بدّ أنّه يقصد «عثمان» - وأستغفر الله لي ولكم.^٤

١. الكلمة في مخطوطة العلامة رحمته بدون نقطة.

٢. كذا في مخطوطة العلامة رحمته، وأمّا في المطبوع: «... وبنوح عليه السلام [وقال هنا في الهامش: «ثلاث كلمات غير مقروءة»] على طاعة الله تعالى [وقال هنا في الهامش: «كلمة غير مقروءة»] من السراء».

٣. كذا في مخطوطة العلامة رحمته، وأمّا في المطبوع: «اتباع».

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/ ٣٨٤ - ٣٨٥؛ تاريخ دمشق الشام، مخطوطة الف (عتيق بن عثمان بن قحافة - أبوبكر -)، ٣١/ ١١٣ - ١١٤ [قال العلامة الجعفري رحمته: هذه المخطوطة، مخطوطة مصوّرة كانت في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام التي أسّسها شيخنا الأميني - أعلى الله مقامه - في النجف الأشرف، وقد طالعتها كلّها بجميع اجزاءها وصعوبة قراءتها، ومنها هذا الحديث، وأمّا الذي طُبع من تاريخ ابن عساكر فلم أتمكن الآن من أن أقارنه بما جاء في هذه المخطوطة، وإن كان بعض قرائتي في المخطوطة أصحّ ممّا جاء في مطبوعة ابن عساكر من تاريخ دمشق الشام؛ بحسب، تاريخ واسط (الهيثم بن سعيد أخو عبد الله) / ١٨٥ - ١٨٧.

قصيدة النعمان بن عجلان

«النُّعْمَانُ بْنُ عَجْلَانَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقِ الزُّرَيْقِيِّ الْأَنْصَارِيِّ» كان لسان الأنصار وشاعرهم وكان سيِّداً، وهو مذكور في كتب الأدب مفصَّلاً، وهو الذي نَصَبَهُ أمير المؤمنين عليه السلام والياً على البحرين وله قضايا معروفة، منها: أنّه كان يأتيه الأنصار فيُعطيهم من ثمر البحرين وأشياء أُخر ما يستفيدون به^١، وعلى هذا كان يطعن بعض الخبثاء.

يمرّون بالدهنا خفافاً عياهمم ويرجعن من دارين^٢ بُجر الحقائب
على حين ألهمى الناس جُلّ أمورهم فندلاً زُرَيْقُ المال ندل الثعالب^٣
وله قصيدة طويلة ينتصر فيها لقومه الأنصار، ويرى أنّ خسارة الأنصار إنّما كانت بأنهم خُدعوا بالمهاجرين الثلاثة الذين أرادوا أن يجعلوها مشورة - لا إستحقاقاً -، فدفعوهم إلى المشورة وانتهوا إلى «أنّ العرب لا ترضى إلّا بهذا الحيّ

١. انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٧/٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب (النعمان بن العجلان)، ٤/ ١٥٠١.

٢. دارين: منطقة بالبحرين [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٢٩٩ - ٣٠٠، ١٣/ ١٥٤؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/ ٣٩٤ و ١١٩٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ١١/ ٣٣٤، ٩/ ٣٥].
(العلامة الجعفري رحمته الله)

٣. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١٠/ ٢٢٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٦٥٣.

من قريش، ولا يجتمع سيفان في غمد، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء»، وكذبوا في أول يومهم لأنّه لا فقط لم يجعلوهم وزراء، بل لم يستشيروهم في شيء أبداً، يقول:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة	ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحد والنضير وخيبر	ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بأرض الشام إذ قيل جعفر	وزيد وعبد الله في علق يجري
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله	نطاعن فيه بالمتنفقة السمر
ونضرب في يوم العجاجة رؤساً	بيض كأمثال البروق على الكفر
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف	صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم	وأهلاً وسهلاً قد أمنتكم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا	كقسمة أيسار الجزور على الشطر

١. الجزور الذي ينحره ناحره، يقسم بينه وبين صاحبه، وهذا يذكرنا بشعر دعل الخزاعي - رضوان الله عليه -، الشعر الذي لم يأتي إلا في مورد واحد عن أحد الأشخاص الذين كانوا يتصلون بالمأمون، يقول: انّ المأمون طلب دعبلاً، فقال له: أنا أميتك وأميتك بعد هذا شريطة أن تقرأ لي قصيدة رثيت بها الإمام الرضا عليه السلام، فمن جملة ما قال دعل:

إلا وهم شركاء في دمائهم	كما تشارك أيسار على جزر
قتلاً وأسراً وتحريقاً ومنهبة	فعل الغزاة بأرض الروم والجزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا	ولا أرى لبني العباس من عذر
أبناء حرب ومروان وأسرتهم	بنو معيط ولالة الحقد والوغر
قوم قتلتم على الإسلام أولهم	حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر

[المفيد، الأمالي / ٣٢٤ - ٣٢٧ = ١٠؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٣٧ / ٥ - ١٣٨؛ الأميني، الغدير، ٣٧٥ / ٢ - ٣٧٦] يُشير إلى أن بني العباس لم يكونوا معذورين في ما فعلوا بآل علي عليه السلام،

إلى هنا الشاعر المعاصر للأحداث يقول بصراحة: بأنَّ كلَّ مآثرةٍ وموقفٍ يُشَرِّفُ عليه مسلمٌ هو كان للأنصار وهذا فخرٌ لهم، ولكنَّ المهاجرين الذين وفَدُوا ليس لهم فخرٌ إلاَّ أنَّ الأنصار أغنَوْهم عن خصاصة.

ونكفكم الأمر الذي تكرهونه	وكنّا أناساً نذهب العُسرَ باليسر
وكان خطأ ما أتينا وأنتم	صواباً كأنّا لا نرِش ولا نبري
وقلتم حرام نضبُ سعدٍ ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال أبابكر
وأهل أبوبكر لها خير قائم	وإنّ عليّاً كان أخلقَ للأمر
وكان هواناً في عليٍّ وإنّه	لأهلٌ لها من حيث ندرى ولا ندرى
وهذا بحمد الله يشفي من العمى	ويفتحُ آذاناً ثقلن من الوقر

ولكنَّ بني أُميّة قد يكون لهم العذر في جوازهم على صنّعة آل عليٍّ عليه السلام، لأنهم أدخلوهم في الدين، ولذا انتقموا منهم عليه السلام بأنَّ أبدوا كُفْرَهم ونَقَمَتَهم على الذين أدخلوهم في الإسلام، وكما قال القائل: «إنّهم دخلوا في الإسلام كرهاً وخرجوا منه طوعاً» [جاء في كتاب قيس بن سعد إلى معاوية: «أما بعد: فإنّما أنت وثن ابن وثن دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً». (ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ٢/ ٢٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ١٦؛ الأُميني، الغدير، ٢/ ١٠٠، ١٠٧/ ١٠؛ الموفق الخوارزمي، المناقب/ ٢٥٨؛ وانظر أيضاً: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٣/ ١٦؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٨/ ٤٥٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/ ٥٢؛ أبو الفرج، مقاتل الطالبين/ ٤٣)، وفي لفظ آخر قال: «إنّما أنت وأبوك صنّان من أصنام الجاهلية دخلتما في الإسلام كرهاً وخرجتما منه طوعاً». (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٩/ ٤٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ١١١). (العلامة الجعفري رحمته الله)

١. وهنا يُصرّح بأنَّ الأنصار كان هواهم في أمير المؤمنين عليه السلام، بالإضافة إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى قد نَصَبَ - شاء القوم أم أبوا - وإنّما استغلَّهم المهاجرين الثلاثة، وأرى أنَّ الذي دَفَعَ سعد وسقيفة بني ساعدة، دَفَعَهُمْ لِكِي يَحْضُرَ المهاجرون ويستدلُّوا عليهم بما لَفَّقوه في حُجَجِهِمْ.

(العلامة الجعفري رحمته الله)

نجي رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في سالف الدهر
فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها ولكن هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرض إلا بالرضا لرّبما ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر^١

فتعقياً على القصيدة، نقول: وعِدَ الأنصار يوم السقيفة بأن تكون الوزارة لهم، وتكون الإمرة للفئة الخاصة من المهاجرين - أي: الثلاثة الذين حضروا يوم السقيفة- لأن سيّدا المهاجرين (حمزة، وجعفر بن أبي طالب) كانا قد استشهدا، وأمّا سيّد الكلّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مشغولاً بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلم يبق إلاّ المهاجرة التي طمعت في المال بعد أن خانها السيف، ولكن انتهى بهم الأمر إلى أنهم أقصوا عن تولّي الوزارة، بحيث أن الأول والثاني استعانا بأهل مكّة، والثالث استعان بقومه، وأحسنهم وخيرهم أبوسفیان الذي يذكر المؤرخون: «أنّه لما بوع عثمان دخل عليه، فقال: أفيكم غيركم؟ قالوا: لا. قال: «تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبوسفیان ما من جنّة ولا نار»^٢، فنهره عثمان.

ولكن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعطاهم حقهم، حيث أنّه (عليه السلام) استعان بسهل بن حنيف وهو بدريّ عقبيّ، فجعله والي المدينة حينما ترك المدينة لغزو الجمل لإخماد فتنة فلانة

١. ابن عبد البر، الاستيعاب (النعمان بن العجلان الزرقعي الأنصاري)، ٤ / ١٥٠١ - ١٥٠٢.

٢. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩ / ٥٣، ١٥ / ١٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٢٨٤هـ)، ٣ - ١٣ / ٢١٧٠ (طبعة دار المعارف: ١٠ / ٥٨)؛ المسعودي، مروج

الذهب، ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣؛ الأميني، الغدير، ٨ / ٢٧٨.

وفلانٌ وفلانٌ^١، وجعل عثمان بن حنيف والياً على البصرة^٢ وهو عقبي بدريّ، ولقد أحسن السيرة بحيث وصّاه أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّكَ تَدْخُلُ فِي بَلَدٍ قَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ^٣، وهو الذي كتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام كتابه المعروف: «أَمَّا بَعْدُ يَا بَنَ حَنِيفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادُبَةٍ...»^٤ إلى آخره.

فأمير المؤمنين عليه السلام كان يرأف بالأنصار، ولأجل هذا احتشد عليه الكثير من الأنصار أيام خلافته، ولذا تقول الروايات: حضر حرب صفين سبعون بدرياً^٥، فالأنصار بعد ما خُدِعُوا - إمّا من قِبَل المهاجرين، أو من قبل بني أُمَيَّة - عادوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر المؤرخون: أنّه ثالث يوم من السقيفة صاحت الأنصار لا نبايع إلا عليّاً^٦، والشواهد تدلّ على أنّ الأنصار دُفِعُوا يوم السقيفة كي تأتيهم

١. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٣٧هـ)، ١ - ٦ / ٣٣٩٠ (طبعة دار المعارف: ٩٣ / ٥)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢ / ٥١٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢ / ٥٧٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ١٢ / ١٨٤ - ١٨٥ = ٢٦١٠.

٢. ابن الأثير، أسد الغابة، ٢ / ٥٧، ٣ / ٥٧٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب (باب عثمان)، ٣ / ١٠٣٣ = ١٧٦٩؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٩ / ٢٦٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤ / ٦. ٣. لم نعثر عليه في المصادر.

٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ٢٠٥.

٥. انظر: الأُمَينِي، الغدير، ٩ / ٣٦٢.

وقد جاء في بعض النصوص: «ثمانون بدرياً». (الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ٣ / ١٠٤؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٢ / ٩ = ٣٩٢)

٦. «وقال أبو جعفر: إنّ الأنصار لما فاتها ما طلبت من الخلافة، قالت - أو قال بعضها -: لا نبايع إلا عليّاً». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢ / ٢٢؛ وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ «ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنّه يوم وفاته»، ١ - ٤ / ١٨١٨ «طبعة دار المعارف: ٣ / ٢٠٢»؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢ / ١٨٧)

الحُجَج التي تَرَدُّعُهُم عن دعواهم الخلافة.

فالنَّتيجة أنَّ الأنصار بعد ما كانوا أسياداً، شرفاء، أنجابه، وكرماء في يثرب قبل هجرة رسول الله ﷺ بحيث قاسموا الذين هاجروا إليهم في الأموال والبيوت وجعلوهم شركاء في مالهم وبيوتهم^١، بعد هجرة رسول الله ﷺ ابتلوا بالفقر، لأنَّ الشراء كان لغيرهم.

هناك حديثٌ يذكر: أنَّ معاوية قال لخطيب الأنصار: أين فَنيتَ رَواحِمُكم؟ يعني: أين فَنيتَ الجِمال التي كنتم تستعينون بها في معيشتكم؟ قال: أفينها في جهادنا معك ومع أبيك.^٢

١. حيث أنَّ القرآن المجيد يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر ٥٩/٩)

٢. بعض ما عثرنا عليه في المصادر بهذا المضمون:

* «أنَّ معاوية لما قدم المدينة، لقيه أبوقتادة الأنصاري، فقال له معاوية: يا أبا قتادة، تلقاني الناس كلَّهم غيركم يا معشر الأنصار! ما منعكم؟ قال: لم يكن معنا دواب. قال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبوقتادة: عقربناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر». (ابن عبد البر، الاستيعاب «معاوية بن أبي سفيان»، ٣/١٤٢١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧/١٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٤/٢٩٦)

* «حجَّ معاوية فتلقته قريش بوادي القرى، والأنصار بأبواب المدينة، فقال: يا معشر الأنصار ما منعكم أن تلقوني حيث تلقنتني قريش؟ قالوا: لم يكن لنا دواب. قال: فأين النواضح؟ قال الغمر بن عجلان: أنضيناها يوم بدر، في طلب أبي سفيان وأصحابه، فسكت مفجعاً». (الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ٢/٦٥)

* «قدم معاوية حاجاً في خلافته المدينة بعد ما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وصالح الحسن

فأمير المؤمنين ﷺ لا أنه كان يتغاضى عن عماله وإنما كان يجد فيهم بؤساً فيرضى
ببرفدهم، ونفس القصة دليل على ذلك، وإلا فذهاب الأنصاري إلى البحرين وهو
ابن النخل^١ يدل على حاجة الأنصار في يوم خصاصة.

- وفي رواية أخرى: بعد ما مات الحسن عليه السلام - واستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذي
استقبله من قريش أكثر من الأنصار، فسأل عن ذلك؟ فقليل: إنهم يحتاجون ليست لهم دواب،
فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عباد، فقال: يا معشر الأنصار، ما لكم لا تستقبلوني مع
إخوانكم من قريش؟ فقال قيس - وكان سيد الأنصار وابن سيدهم -: أقعدنا - يا أمير المؤمنين -
أن لم يكن لنا دواب. قال معاوية: فأين النواضح؟ فقال قيس: أفئيناها يوم بدر ويوم أحد وما
بعدهما في مشاهد رسول الله حين ضربناك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنت
كارهون». (المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/ ١٧٣ - ١٧٤)

١. لأن مكة يومذاك لم يكن فيها نخيل والطائف كان نخليها قليل، فالنخيل كان يوجد في المدينة وفي
مناطق أم القرى وتبوك ومناطق السكنية لليهود الذي هجم عليها رسول الله ﷺ يوم خيبر.
(العلامة الجعفري)

﴿الفصل الثاني﴾

ما روي عن التابعين وغيرهم في أحداث السقيفة

تمهيد

استعرضنا كثيراً من أحاديث الصحابة بمعناها العام، وإن دققنا في المصطلح، نقول: من الآثار^١ التي جاءت عن الصحابة مما يرجع إلى وفاة رسول الله ﷺ وأحداث السقيفة، وبقي الآثار التي جاءت عن التابعين وغيرهم، هذه الآثار وإن لم تكن بعضها موصول السند - لأنّ الذي حدّث تابعي ليس بصحابي - ولكنها تكشف عن شيوع نقل هذه الأحداث في يومها الأوّل، لأنّه وإن كان الشخص ليس بصحابي ولكنه يحكي ما كان شائعاً، والدليل على ذلك تكرّر النقل من عدّة مصادر ومن عدّة أشخاص.

ونذكر ابتداءً بما جاء في سيرة ابن هشام التي لخصّ فيها سيرة محمد بن إسحاق، لأنّ هذه السيرة سيرة شاعت كمصدرٍ للتاريخ الإسلامي بين الخواص والمحقّقين،

١. لأنّ ما يُروى عن الصحابة ولا يُنسب إلى رسول الله ﷺ يسمونه الآثار [انظر: ابن حجر العسقلاني، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر/ ٦٤ - ٦٧؛ ابن جماعة، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي/ ٤٠؛ الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح، ٤١٧/١ - ٤١٨؛ السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ٢٠٢/١ - ٢٠٣؛ الكحلاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ٢٣٧/١]. (العلامة الجعفري رحمه الله)

ومرجعاً لفهم التاريخ الإسلامي عند عامة المسلمين، وقد عُنِيَ بها ويُعْنَى بها، ولا ينبغي لنا أنْ نَغْفَلَها، فبعد ما ندرس تلك الآثار نسعى أنْ ننتهي منها إلى رأيٍ دقيق في ما يُحْكى فيها.

حديث محمد بن إسحاق

انحياز الأنصار والمهاجرين بعد وفاة رسول الله ﷺ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم انْحَاَزَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَاعْتَزَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ - انْحَاَزَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ ﷺ - وَانْحَاَزَ بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَانْحَاَزَ مَعَهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ.

ظاهر كلام ابن إسحاق أنَّ الانحياز كان قبل اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، بعد ما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار كي ينصبوا أميراً لأنفسهم، وانحاز الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله إلى أمير المؤمنين ﷺ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر قبل أن يعلموا بسقيفة بني ساعدة، وهذا سيأتي أنه كذب محض.

موقف أبي بكر وعمر من انحياز الأنصار

فَأَتَى آتٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، قَدْ انْحَاَزُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ حَاجَةٌ فَادْرِكُوا قَبْلَ أَنْ يَتَّفَقَ أَمْرُهُمْ - جاء شخصٌ إلى أبي بكر وعمر، وقال: إِنَّ الْأَنْصَارَ انْحَاَزُوا فِي

سقيفة بني ساعدة لكي ينصبوا أميراً لهم، فإن كان لكم في الناس إرب^١ فتداركوا الأمر - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فِي بَيْتِهِ لَمْ يُفْرَغْ مِنْ أَمْرِهِ - هذا مسلّم - قَدْ أَغْلَقَ دُونَهُ الْبَابَ أَهْلُهُ - يعني: الذين كانوا في بيت رسول الله ﷺ، أي: عليّ وفاطمة عليهما السلام، ولم يكن معهما امرأة من أزواجه المعنّيات، وأمّا «غير المعنّيات» فلم يُذكر أنّ امرأة من أزواجه كانت في البيت الذي أغلق دونه الباب أهله - قَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ^٢.

١. «أرب: الإزبة والإرب: الحاجة. وفيه لغات: إرب وإزبة وأرب ومأربة ومأربة». (ابن منظور، لسان العرب، ٢٠٨/١؛ الجوهري، الصحاح، ٨٧/١؛ وانظر أيضاً: الزبيدي، تاج العروس، ١٦/٢؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ١٥/١٨٤).

٢. ابن هشام، السيرة النبوية (أمر سقيفة بني ساعدة)، ٤/٣٠٦-٣٠٧.

حديثي عروة بن الزبير

الحديث الأول

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ
لَقُوا مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ ذَهَبُوا إِلَى السَّقِيفَةِ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، وَالْآخَرُ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ،
أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ.

أولاً: بلا شك أنّ هذا الحديث في مصطلحهم حديثٌ صحيح ولكنّه منقطع،
لأنّ عروة بن الزبير تابعيٌّ لم يدرك رسول الله ﷺ. نعم، يذكرون أنّ عبد الله بن
الزبير كان من صغار الصحابة، توفي رسول الله ﷺ في حال أنّ عمره كان حدود
العشر سنوات، أمّا عروة فلم يدرك رسول الله ﷺ، فلو سلّمنا أنّ الصحابة إنّ لم
يشهدوا حادثه زمن رسول الله ﷺ فإنّهم يعتمدون على مَنْ شَهِدَ الحادثة وهم
يرسلون الحادثة ارسال المسلّمات، وبهذا المعنى مثلاً أبا هريرة يحكي قصّة عن

رسول الله ﷺ، فيقول: نظرت إلى رسول الله ﷺ يُفَرِّجُ بين فخذي الحسن ويقبل زُبَيْتَهُ^١، بلا شك أن أبا هريرة لم يكن يومذاك لا مُسْلِمًا ولا في المدينة، لأنه أسلم في السنة السابعة من الهجرة^٢ والحال أن هذه الحادثة كانت في السنة الرابعة من الهجرة، فيقولون: إن الصحابي يكتفي بالحادثة ولا يذكر الصحابي الذي حدثه بها، إن سلّمنا ذلك فإن هذا خاصٌ بالصحابي لا بالتابعي.

ثانياً: هل أن عروة يحكي فَضْلَ الرجلين الذين سعيًا إلى إخبار أبي بكر وعمر باجتماع السقيفة عن خالته، وأنها هي التي افتعلت هذين المنقبتين لهذين الرجلين، أم أنه وضعه من نفسه؟!

ثالثاً: إذا فرضنا وسلّمنا أن عروة يروي عن خالته عائشة - لأن عروة أمّه أسماء بنت أبي بكر، وهو كان ملازماً لخالته عائشة - فإن كان هذا الحديث عن عائشة فإنه يعتمد على إرسال التابعي، وأهل السُّنَّة لا يقولون بصحة إرسال التابعي. نعم، إن ثبت أن التابعي لا يُرْسِلُ إلّا عن صحابي، وبناءً على أن كل صحابي معصوم، هنا يجوز أن يقال ما يقال في الدفاع.

رابعاً: إن عائشة أيضاً لم تكن حاضرة يوم السقيفة في مجمع الأنصار. فَأَمَّا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم: مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ

١. انظر: الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ٢/ ٢٤٦ = ٧١٣.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٦/ ٢٢٩؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٦٨.

المُطَهَّرِينَ؟^١ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: نِعَمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، وَأَمَّا مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ، فَبَلَّغْنَا أَنَّ النَّاسَ بَكَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ حِينَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا مُتْنَا قَبْلَهُ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ. قَالَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ: لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنِّي مُتُّ قَبْلَهُ حَتَّى أَصَدِّقَهُ مَيِّناً كَمَا صَدَّقْتُهُ حَيًّا، فَقُبِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيداً فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ.^٢

أما بالنسبة إلى منقبة عويم بن ساعدة: الآية الكريمة هكذا تقول: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، في المراد من المسجد الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، قولان: أحدهما: مسجد النبي ﷺ، والثاني: مسجد قباء، إن كان المسجد يُقصد به مسجد رسول الله ﷺ فلا نظنَّ أَنَّ الْعَامَّةَ يَقُولُونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ امْتَنَعُوا مِنَ الْحُضُورِ فِي مَسْجِدِهِ ﷺ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ كَذَا؟» وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَسْمَى النَّبِيُّ ﷺ شَخْصاً بَعِينَهُ، فَهَذَا مُفْتَعَلٌ قَطْعاً، وَإِنْ كَانَ يُقصدُ بِهِ مَسْجِدُ قَبَاءَ فَأَيْضاً كَذَلِكَ. نَعَمْ، فَهَذَا يَكُونُ تَارَةً يَقَالُ فِيهِ: «كُلُّ مُؤْمِنٍ»، أَمَّا يَخْصُ بِهِ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ فَهُوَ كَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُفْتَعَلٌ، حَتَّى يَقَالُ أَنَّ الَّذِي

١. التوبة (٩)/ ١٠٨.

٢. ابن هشام، السيرة النبوية (أمر سقيفة بني ساعدة)، ٤/ ٣١٠ - ٣١١؛ وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤/ ١٨٢٤ (طبعة دار المعارف: ٢٠٦ - ٢٠٧).

تَجَسَّسَ عَلَى الْأَنْصَارِ كَانَ صَالِحاً تَقِيّاً لِأَنَّهُ وَإِنْ تَجَسَّسَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ تَجَسَّسَ لَتُقَاهِ وَزَهْدِهِ فِي الدُّنْيَا، لَا لِمَالٍ كَانَ يَأْخُذُهُ لِلتَّجَسُّسِ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَضْلِ مَعْنِ بْنِ عَدِي: يَكْفِينَا أَنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ مُنَاصِراً لِلْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ حِينَ اسْتَحَرَّ الْقَتْلَ بِالْقَرَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي رَوَايَاتِ جَمْعِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّ مَعْنَ بْنِ عَدِي كَانَ مِنَ الْقَرَاءِ.

فَإِذَا هَذَا الْحَدِيثُ إِنَّمَا سَيِّقَ لِبَيَانِ فَضِيلَةِ افْتُعِلَتْ، حَتَّى يَكُونَ سَعْيُ السَّاعِيَيْنِ اللَّذَيْنِ بَلَغَا اجْتِمَاعَ الْأَنْصَارِ فِي السَّقِيفَةِ تَدْيِناً، لَا تَزَلُفَاً إِلَى فِتْنَةٍ مَعِينَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ الْعِلْمِ بِفَوْزِهِمْ، أَوْ حَسِداً لِفِتْنَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ عَدَمِ الرِّضَا بِانْتِصَارِهِمْ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ عُوَيْمَ بْنَ سَاعِدَةَ وَمَعْنَ بْنَ عَدِي هُمَا مِنَ الْأَوْسِ، وَهَذَا يَكْفِي لِلتَّنَافُسِ بَيْنَ الْحَيَيْنِ، وَحَيْثُ أَنَّ الْخُزْرَجِ قَدْ اجْتَمَعُوا حَوْلَ رَأْسِهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَالَّذِينَ أَبْلَغَا الْخَلِيفَتَيْنِ هُمَا كَانَا يَنْفَسَانِ عَلَى الْخُزْرَجِ إِمْرَتَهُمْ.

الحديث الثاني

الرجلين اللذين لقياً أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقُوهُمَا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ. فَأَمَّا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ: مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^١؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: نِعَمَ الْمُرءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ. قَالَ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّهُ ذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا غَيْرَ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ.^٢

إن كان المسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجد رسول الله ﷺ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ كيف خصَّ رسول الله ﷺ منهم عويماً ولم يذكر غيره؟! وهذا طعن من عروة أو من وازع الحديث على أبي بكر، وعمر، وعثمان، الذين كانوا يشتركون في الصف الأول من مسجد رسول الله ﷺ في صلواته وفي جمعته.

١. التوبة (٩)/ ١٠٨.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبير (عويم بن ساعدة)، ٣ - ٢ / ٣١.

حديث إبراهيم [النخعي]

مجيء أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ وموقفه

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ زِيَادِ بْنِ كُثَيْبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ - وهو ليس الصحابي الكبير الذي نزل في بيته رسول الله ﷺ حينما حلَّ بالمدينة المنورة أول ما نزل - عَنْ إِبْرَاهِيمَ - على الظاهر أنه إبراهيم النخعي، وهو ناصبي -، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم كَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، فَجَاءَ بَعْدَ ثَلَاثٍ - الأحاديث التي تقدّمت والتي ستأتي، تقول: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ حَضَرَ يَوْمَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ هُنَا يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ - وَلَمْ يَجْتَرِئُ أَحَدٌ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ وَجْهِهِ، حَتَّى ارْبَدَّ بَطْنُهُ.

الظاهر أَنَّ وفاة رسول الله ﷺ كان في الصيف، يعني: في الأيام التي يشتدُّ فيها الحرُّ في الحجاز، طبعاً الحرُّ في مكّة أشدَّ منه في المدينة ولكنَّ الحرَّ فيها شديد، ويختلفان جملةً وتفصيلاً عن سيبيريا والمناطق التي لا ينقطع عنها الثلج صيفاً وشتاءً، هنا يقول إبراهيم: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان مسجىً بعد وفاته ثلاثة أيّام ولم يجرأ أحد أن يكشف عن وجهه، بحيث كان مُغَطّاً - والغطاء نفسه يعين على ما يحكيه هذا الحديث - حتى اربد بطنه، لا لأن الصحابة كانوا ينتظرون أبا بكر، بل لأنهم انشغلوا

بما جرى بعد رسول الله ﷺ، فلم يُدفن ﷺ إلا ليلة الأربعاء^١، أو يوم الأربعاء^٢، أو ليلة الخميس^٣، مع أنه توفي في الضحى من يوم الاثنين.

فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طُبْتَ حَيًّا وَطُبْتَ مَيِّتًا! ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^٤، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: لَمْ يَمُتْ، وَكَانَ يَتَوَعَّدُ النَّاسَ بِالْقَتْلِ فِي ذَلِكَ.

١. أحمد بن حنبل، المسند، ٦/٦٢، ١١٠، ٢٤٢ و ٢٧٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/٣١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٢ (طبعة دار المعارف: ٣/٢١٣)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/٣٩؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٤/٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/١٩٤؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٢/٣٣٤؛ المزي، تهذيب الكمال، ١/١٩٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٣٤ و ٣٤٢؛ تاريخ الإسلام، ١/٥٧٠؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٢٩٥.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كم مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الذي توفي فيه)، ٢ - ٥٨/٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٣٤ و ٣٤١؛ تاريخ الإسلام، ١/٥٧٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢/٥٣٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٢٩٥.

٣. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٠ (طبعة دار المعارف: ٣/٢١١)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/٣٥، ٣٦ و ٣٧ (حيث أنه ﷺ دفن بعد وفاته بثلاثة أيام).

٤. آل عمران (٣)/١٤٤.

طبعاً هنا فيه مسامحة، لأنَّ عمر كان يتوعَّدُ الناس بأنَّ رسول الله ﷺ ذهب، وسيرجع بعد أربعين يوماً، وليقطعنَّ أيدي وأرجل أناس يزعمون أنَّه قد مات^١، يعني: أنَّه لم يكن يتوعدهم بفعل نفسه وإنَّما كان يتوعدهم بما كان يخبره عن عمل رسول الله ﷺ.

اجتماع الأنصار في السقيفة وموقف أبي بكر وعمر من ذلك

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لِيُبايعُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، فَأَتَاهُمْ وَمَعَهُ عُمَرُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِنَّا الْأُمَرَاءُ وَمِنْكُمْ الْوُزَرَاءُ. ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم جَاءَهُ قَوْمٌ، فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا أَمِينًا. فَقَالَ: لَا بَعَثَنَّ مَعَكُمْ أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَبَعَثَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ^٢ - إنَّ صحَّ الحديث، فهنا إبراهيم يفتري على رسول الله ﷺ، لأنَّ

١. انظر: حديث عائشة الخامس وحديث أبي هريرة وحديث أصحاب السيرة.

٢. هنا أذكر قصّة وهي أنَّه شاع عند جماعة - لا أقول مَنْ هُمْ - وقد سمعتُ بتهميهم في عدّة سنين تشرّفت فيها للحجّ في المدينة المنورة ومكّة المكرمة، بل وفي بعض صلوات الجُمُع ونحن في مدينة الحاج، اتهم كانوا يقولون تهريجاً بالشيعة: انَّ الشيعة يقولون: «خان الأمين، خان الأمين، خان الأمين»، ولأجل هذا أنا كنتُ في صلواتي، التكبيرات التي أكبر فيها، كلّها كانت بغير رفع الصوت إلّا التكبيرات الثلاث التي كنتُ أكبر بها بعد إتمام الصلاة حتى يَسْمَعَنِي من يسمعي. خان الأمين ويقصدون يعني يهيجون على الشيعة أنَّهم يقصدون بأنَّ جبريل تواطى مع سيدنا رسول الله ﷺ مع أنَّه كان مأموراً بأنَّ ينزل بالوحي على عليّ، فتواطى عليه وأنزل الوحي على رسول الله ﷺ [انظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٤٣/١؛ ابن حزم، الفصل في الملل

ذلك اليوم لم يذكر أبوبكر منقبة لأبي عبيدة بن الجراح - وَأَنَا أَرْضَى لَكُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَخْلُفَ قَدَمَيْنِ قَدَمَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم! - يقصد أن رسول الله ﷺ قدّم أبابكر للصلاة، فلا يصحّ لغيره أن يتقدّم على أبي بكر - فَبَايَعَهُ عُمَرُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ، أَوْ بَعْضُ الْأَنْصَارِ: لَا نُبَايِعُ إِلَّا عَلِيًّا.^١

والأهواء والنحل، ١٤٠/٤؛ التستري، الصوارم المهرقة/٧٨ و١١٨؛ الإيجي، المواقف، ٦٨١/٣ - ٦٨٢؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف/٦٢٣؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ١٣١/٥؛ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/٥٩ - ٦٠].

القصة أساسها «أنّ الأمين لا يخون ولكن قد يؤتمن الخائن فيخون» وهي أنّ أبا عبيدة كان قد خان رسول الله ﷺ، فوجدوا أنّ «خان الأمين، خان الأمين» في أبيات عدّة من الصحابة فحوّلوا هذه الخيانة إلى جبريل، فالقصة قصّة ترجع إلى أبي عبيدة وخيانتة فيما أمره رسول الله ﷺ لا إلى جبريل، وخلاصتها: «أنّ الأمين لا يخون ولكن قد يؤتمن الخائن»، فهنا الحديث فيه شيء من الصحة ولكن طعن في أبي عبيدة لا طعن في جبريل وغيره. (العلامة الجعفري ﷺ)

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ومبلغ سنه يوم وفاته)، ١ - ٤/١٨١٧ - ١٨١٨ (طبعة دار المعارف: ٣/٢٠١ - ٢٠٢)؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/٣٧٤ = ٢٣٤٥.

حديث إبراهيم التيمي

عرض البيعة على أبي عبيدة

قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَنَا الْعَوَّامُ [بن حوشب]، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ - وهو من التابعين ومن الأصحاب الذين يصدّقون بكلّ ما ينتفع به أبو بكر وعمر، ولا يقول شيئاً يخالف هواهما -، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، أَتَى عُمَرُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ - وَرَحِمَ اللَّهُ شَيْخَنَا الْأَمِينِي، كَانَ يَقُولُ: حَفَّارُ الْقُبُورِ بِالْمَدِينَةِ شَخْصَانِ، كَانَ أَحَدُهُمَا يَضْرَحُ^١ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَالْآخَرُ يَرْضَحُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ^٢ -، فَقَالَ: ابْسُطْ يَدَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَإِنَّكَ أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِعُمَرَ: مَا رَأَيْتُ لَكَ فَهَةً^٣

١. «يضرح: أي: يشق ويحفر له ضريحاً». (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥٢٦/٢؛ الجوهري،

الصحاح، ٣٨٦/١؛ الزبيدي، تاج العروس، ٥٦٨/٦؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ١٢٢/٤)

٢. انظر: الأمين، الغدير، ٣٦٧/٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر حفر قبر رسول الله صلى الله

عليه وآله [وسلم] واللحد له)، ٢ - ٢/٧٤ - ٧٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١٣/٤.

٣. «...وَفِي الْحَدِيثِ: مَا سَمِعْتُ مِنْكَ فَهَةً فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَهَا، يَعْنِي السَّقَطَةَ وَالْجَهْلَةَ وَنَحْوَهَا. وَفِي

حَدِيثِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ: أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ (رض)، حِينَ قَالَ لَهُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعُكَ:

مَا رَأَيْتُ مِنْكَ فَهَةً فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَهَا، أَتُبَايِعُنِي وَفِيكُمْ الصَّدِيقُ ثَانِي اثْنَيْنِ؟ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْفَهَةُ مِثْلُ

قَبْلَهَا مُنْذُ أَسْلَمْتُ - أي: أوَّل خطأ أراه منك يا أبا حفص هذه الكلمة - أَتْبَايَعُنِي
وَفِيكُمْ الصَّدِيقُ، وَثَانِي اثْنَيْنِ؟^١

متى عرض أبو حفص البيعة على أبي عبيدة؟! هل عرضها عليه حين ما اجتمعوا
في السقيفة أم قبله؟! إنَّ صَحَّتْ القِصَّةُ أنَّ أبا حفص كان يتجسَّس على الآخرين بأنَّه
هل هناك أحدٌ غير أبي بكر يطمح إلى الخلافة فيعالجه بما يعالج به خصومه أم لا؟
وإلا لا يُعْقَل.

والمعالجة كانت بهذه الصورة: إنَّ لله جنوداً من عسل، وهذه الجنود لم تُخْلَقْ زمن
معاوية، ولم يكن الذين يدسُّون السَّمَّ في الدسم جاءوا بعد معاوية، المثل العربي
يقول: «يَدُسُّ السَّمَّ فِي الدَّسَمِ» سواء كان الزيت أو العسل، ولعلَّه العسل كان
قليل، أو لعلَّ المثل روعي فيه نوعٌ من الجناس اللفظي^٢.

السَّقِطَةُ وَالْجَهْلَةُ ونحوها. يُقَالُ: فَهَ يَفَهُ فَهَاهُ وَفَهِي فَهَوُ فَهَ وَفَهِي إِذَا جَاءَتْ مِنْهُ سَقِطَةٌ مِنَ الْعِي
وغیره». (ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٥٢٥؛ وانظر أيضاً: ابن الأثير، النهاية في غريب
الحديث والأثر، ٣/٤٨٢؛ الجوهري، الصحاح، ٦/٢٢٤٥؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ٥/٢٤٦)
١. ابن سعد، الطبقات الكبير، أبوبكر الصديق (ذكر بيعة أبي بكر)، ٣ - ١/١٢٨؛ وانظر أيضاً:
البلاذري، أنساب الأشراف (أمر السقيفة)، ١/٥٧٩ = ١١٧٢.

٢. «الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي
ومعنوي، والجناس اللفظي ينقسم إلى أقسام: منها الجناس التام والجناس غير التام، ومنها
الجناس المطلق وجناس الاشتقاق، ومنها الجناس المذيل والجناس المطرّف، ومنها الجناس
المضارع والجناس اللاحق، ومنها الجناس اللفظي، ومنها الجناس المحرّف والجناس المصحّف،
ومنها الجناس المركّب والجناس الملفق، ومنها جناس القلب...» (انظر: الهاشمي، جواهر
البلاغة/ ٣٢٥ - ٣٣٠، وقد تتطرق لهذا البحث بصورة مفصّلة).

حديث حميد بن عبدالرحمن الحميري

كلام حول سند الحديث

هذا الحديث وإن ذكروا بأنّ سنده صحيح ولكن حميد بن عبدالرحمن الحميري لم يدرك أبابكر، كما جاء في مجمع الزوائد: «رواه أحمد وفي الصحيح طرف من أوله ورجاله ثقات إلا أنّ حميد بن عبدالرحمن لم يدرك أبابكر»^١، وكما جاء في كنز العمال: «قال ابن المنذر: هذا الحديث حسن وإن كان فيه انقطاع - أي: غير موصول السند إلى الصحابة - فإنّ حميد بن عبدالرحمن بن عوف لم يدرك أيام الصديق، وقد يكون أخذه عن أبيه، أو عن غيره من الصحابة، وهذا كان مشهوراً بينهم»^٢، هذا فيه نوع من الحدس الغير العلمي، لأنّ الذي لم يدرك الصحابة ولم يدرك تلك الأحداث، إن لم يكن كاذباً لا بدّ أنّه أخذه من غيره، وهذا نوع من الحدس الغير العلمي.

١. الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الخلافة (الخلافة في قريش والناس تبع لهم)، ١٩١/٥ = ذيل الحديث رقم: ٨٩٧٣.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٧٣/٥ = ذيل الحديث: ٢٣٤١.

تَوَعَّدَ عَمْرَ النَّاسِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَوْقِفِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ مَجِيئِهِ

حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى الضَّرِيرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُمَيْرِيِّ، قَالَ: تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ - «طَائِفَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ»، يَعْنِي: الْمَكَانَ الَّذِي يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي الصَّيْفِ، وَإِنْ كَانَ هُنَا لَيْسَ لَهَا مَعْنَى وَالحَالُ أَنَّ الْمَطْبُوعَ فِي طَبْعَةِ لَيْدَنَ وَطَبْعَةِ دَارِ الْمَعَارِفِ هَكَذَا - فَجَاءَ فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا! مَاتَ مُحَمَّدٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ! قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَنْبَرِ، فَوَجَدَ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَائِمًا يُوعِدُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَإِنَّهُ خَارِجٌ إِلَى مَنْ أَرْجَفَ بِهِ، وَقَاطِعٌ أَيْدِيَهُمْ، وَضَارِبٌ أَعْنَاقَهُمْ، وَصَالِبُهُمْ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَنْصِتْ. قَالَ: فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يُنْصِتَ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^١، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^٢ حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ، فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَقَدْ مَاتَ إِلَهُهُ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ. يُصَرِّحُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَأَنَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا وَيَعْتَقِدُ بَأَنَّهُ إِلَهُ، فَإِنَّ إِلَهَهُ قَدْ مَاتَ، لَا «فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ» حَتَّى يُؤَوَّلَ بِبَعْضِ التَّأْوِيلَاتِ، بَلْ يَقُولُ: «فَقَدْ مَاتَ إِلَهُهُ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ».

١. الزمر (٣٩) / ٣٠ - ٣١.

٢. آل عمران (٣) / ١٤٤.

وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: فَحَلَفَ رَجُلَانِ
أَدْرَكْنَاهُمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم: مَا عَلِمْنَا أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ
نَزَلَتَا حَتَّى قَرَأَهُمَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ.

وهذا - إن صح - يدل على مدى علم هؤلاء بالقرآن الكريم، لأن الآية الأولى:
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ في سورة الزمر وهي مكية، والآية الثانية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ في سورة آل عمران وهي مدنيّة، فهذا
يكشف عن أن هؤلاء كانوا يعلمون القرآن بكل ما أنزل مكيه ومدنيه، وهذا القول
من باب التندر لا من باب التعبد والعقيدة.

إخبار أبي بكر وأبي حفص باجتماع الأنصار وما جرى في السقيفة

إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى، فَقَالَ: هَاتِيكَ الْأَنْصَارُ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِي ظِلِّ بَنِي سَاعِدَةَ،
يُبَايِعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ، يَقُولُونَ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْ قُرَيْشٍ أَمِيرٌ. قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
يَتَفَاوَدَانِ حَتَّى أَتِيَاهُم، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَتَهَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَا أَعْصِي خَلِيفَةَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا
نَزَلَ فِي الْأَنْصَارِ، وَلَا ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم مِنْ شَأْنِهِمْ إِلَّا
وَذَكَرَهُ - مع أن صاحبه عمر يذكر القصة ولا يذكر هذه التفاصيل - وقال: لقد
عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا سَلَكَتُ
وَادِي الْأَنْصَارِ.

هذه الرواية قالها رسول الله ﷺ حينما جاءته مغانم الطائف، فجاء أبوسفيان
وآخرون يطلبون المغانم فأعطاهم رسول الله ﷺ ما كانوا يطلبون، فهَمَسَ المنافقون
بأن هذا - أي: رسول الله ﷺ - رأى قومه فاخترهم وميزهم على من كان من قبل

جنداً له وعوناً له - أي: الأنصار -، كانت هناك همسة - بل أكثر من همسة - بأن رسول الله ﷺ بعد ما فتح مكة لا يعود إلى المدينة بل يبقى في مكة، فقال رسول الله ﷺ من جملة ما قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بإبلهم وشياهم وتذهبون برسول الله ﷺ»، فصاحت الأنصار: رضينا برسول الله ﷺ، ويومذاك قال رسول الله ﷺ: «لو سلك الأنصار مسلكاً وسلك الناس مسلكاً لسلك مسلك الأنصار»^١.

وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ: قُرَيْشٌ وَوَلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ، فَبَرَّ النَّاسُ تَبَعَ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعَ لِفَاجِرِهِمْ. إن كان هذا الحديث من رسول الله ﷺ، معناه أن الخلافة في قريش - أي: فيمن عينهم رسول الله ﷺ - وهم لا شك أنهم عين قريش، يعني: إن كان لقريش منقبة فلاجل وجود المنقبة في ولادة الأمر، وعلى هذا تميز قريش بأن الأئمة منهم. فرسول الله ﷺ يوصي بأن غير قريش ليس لهم أن يحدثوا أمر الخليفة ولا الخلافة، وإنما هم تبع لقريش، فمن كان براً فهو تبع للبر من قريش وهم الأئمة عليهم السلام،

١. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب غزوة الطائف)، ٥/ ٢٠٠ - ٢٠٣؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الكسوف (باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتبصر من قوي إيمانه)، ٢/ ٧٣٨ = ١٣٩ (١٠٦١)؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٥٧/ ٣، ١٥٧ - ١٥٨، ٢٤٦، ٤/ ٤٢؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٧/ ١٥١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٠/ ٣٠ - ٣١ = ١٦٤٨٠؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ٣/ ١٨٦، ٥/ ٤٠٣.

وَمَنْ كَانَ فَاجِرًا فَهُوَ تَبِعَ لِفَاجِرٍ قَرِيشٍ، وَيَكْفِينَا التَّارِيخُ الَّذِي يَكْشِفُ عَنِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

أبوبكر وعمر، وترشيح كل منهما الآخر للبيعة

قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: صَدَقْتَ، فَتَحْنُ الْوُزَرَءَ وَأَنْتُمْ الْأُمَرَاءُ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَلَأَبَايَعَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلْ أَنْتَ يَا عُمَرُ، فَأَنْتَ أَقْوَى لَهَا مِنِّي. قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ، قَالَ: وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرِيدُ صَاحِبَهُ يَفْتَحُ يَدَهُ يَضْرِبُ عَلَيْهَا. فَفَتَحَ عُمَرُ يَدَ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّ لَكَ قُوَّتِي مَعَ قُوَّتِكَ.

تخلف أمير المؤمنين (عليه السلام) والزبير عن البيعة

قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسُ وَاسْتَنْبَتُوا لِلْبَيْعَةِ، وَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ، وَاخْتَرَطَ الزُّبَيْرُ سَيْفَهُ، وَقَالَ: لَا أَعْمِدُهُ حَتَّى يُبَايَعَ عَلِيٌّ. فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: خُذُوا سَيْفَ الزُّبَيْرِ، فَاضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ. قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ، فَجَاءَ بِهِمَا تَعَبًا، وَقَالَ: لَتُبَايَعَانِ وَأَنْتُمَا طَائِعَانِ، أَوْ لَتُبَايَعَانِ وَأَنْتُمَا كَارِهَانِ! فَبَايَعَا.^١

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته)، ١ - ٤/١٨١٨ - ١٨٢٠ (طبعة دار المعارف: ٣/٢٠٢ - ٢٠٣).

حديث زياد بن كليب

الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ كُليبٍ، قَالَ: أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْزِلَ عَلِيٍّ وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ. فَخَرَجَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ مُضِلِّتًا بِالسَّيْفِ - أَي: أَخْرَجَ سَيْفَهُ مِنْ غَمَدِهِ (كناية عن استعداده للحملة أو للدفاع عن النفس إن واجهه شخص) - فَعَثَرَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ.^١

هذا الحديث معروفٌ عند العامة، ومن جملة من أشار إليه «الحافظ إبراهيم» في قصيدته العُمريَّة:

حسب الهدايا وحسبي حين أهديها	أنِّي إلى ساحة الفاروق أُلقيها
وقولة لعليٍّ قالمها عمر	أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها	إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها	أمام فارس عدنان وحاميها ^٢

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته)، ١ - ٤ / ١٨١٨ (طبعة دار المعارف: ٣ / ٢٠٢).
٢. الأُميني، الغدير، ٧ / ٨٦؛ السيد شرف الدين، النص والاجتهاد/ ١٦ - ١٧ (ما عدا البيت الأوّل في المصدرين).

يفتخر بأنّ هذه جرأة لم يكن يجراًها أحد على فارس عدنان - وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) - غير عمر، إنّ كان هناك حشّر - ونحن نقطع بوجوده - فالله سبحانه وتعالى سوف يُري الذين يحشرون بمقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومقام غيره، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من أولياء أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا نكون من أعداءه.

حديث ابن الحر

كلام أبي سفيان حول إمرة أبي بكر وموقف أمير المؤمنين عليه السلام من كلامه
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَفْوَانَ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا
مَالِكٌ - يَعْنِي: ابْنَ مِغْوَلٍ -، عَنْ ابْنِ الْحَرِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِعَلِيٍِّّ: مَا بَالُ هَذَا الْأَمْرِ
فِي أَقْلٍ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ؟!

سيأتي أن أبا سفيان لم يكن موجوداً حينما توفي رسول الله ﷺ، فدخل المدينة
وكان رسول الله ﷺ قد تُوفي، فنادى: أين الأذلان عليّ والعباس أياخذها أذلاً
قريش حسباً ونسباً تيمم وعدي، إلى آخر ما جاء في الأحاديث، ولكن هنا بالإجمال
يقول: «ما بال هذا الأمر في أقْلٍ حَيٍّ من قريش»، إن قبيلتنا تيم وعدي - عند
الجماعة - كانتا أذلاً قبائل قريش، ونحتمل أن عدد كلٍّ منهما في مكة يومذاك لم يكن
يتجاوز العشرة بيوت.

وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتَ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِ - أي: على أبي بكر - خَيْلاً وَرِجَالاً. قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌُّّ:
يَا أَبَا سُفْيَانَ، طَالَمَا عَادَيْتَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، فَلَمْ تَضُرَّهُ بِذَاكَ شَيْئاً!

طالما كدت للإسلام وعاديته ولكنّ الله غلب أمره على عدائك فاضطّرت أن تُسلم كُرْهاً بعد ما عاديت الإسلام وأهله باختيارٍ منك.

إِنَّا وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلًا.^١

وأظنّ أنّ هذه الكلمة مُقْحَمَةٌ مِنْ قِبَل مَنْ كَانَ يَتَرَلَّفُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، لأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إن كان وجد أبا بكر لها أهلاً فما باله لم يبايعه حتى ماتت فاطمة (عليها السلام) - كما تقول عائشة وغير عائشة - ؟!

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤ / ١٨٢٧ (طبعة دار المعارف: ٢٠٩/٣).

حديث ثابت البناني

موقف أبي سفيان بعد استخلاف أبي بكر

حدثني محمد بن عثمان الثَّقَفِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ - وهو ثابت البناني، أشهر مَنْ يروي عن أنس بن مالك -، قَالَ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: مَا لَنَا وَلِأَبِي فَصِيلٍ - «أَبُو فَصِيلٍ» نَبَزُ كَانَتْ قَرِيشُ تَنْبِزُ بِهِ أَبَا بَكْرٍ قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ - إِنَّهَا هِيَ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ! - يَعْنِي: أَنَّ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ هُمُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الزَّعَامَةَ، فَخَذًا عَنْ فَخِذٍ، وَبَيْتًا عَنْ بَيْتٍ - قَالَ: فَفَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ وَلَّى ابْنُكَ.

يظهر أنَّ أبا سفيان لم يكن له علمٌ بأنَّ أبا بكر قد وَلَّى ابنه يزيد على الشام، لأنَّ أبا بكر في اليوم الثاني من خلافته - بإصرار من عمر - وَلَّى يزيداً على الشام، وجعل معاوية رِدْفاً له، وأرسلهما إلى الشام.

وهناك نكتة نشير إليها وهي أنَّ معاوية يعترف بأنَّ قريشاً كانت تَنْسِبُهُ وَأَخَاهُ يزيداً - من جهة الأب - إلى العباس بن عبد المطلب، فَهُمْ وَلَدُ الْعَبَّاسِ بِاعْتِرَافٍ مِنْ معاوية فِي رَحِمِ هِنْدٍ، وَأَمَّا هِنْدٌ حِينَما جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْ تُبَايِعَ قَرَأَ رَسُولُ

الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾^١ إلى آخر الآية، فقالت هند: وهل تزني الحرّة يا رسول الله، أو يا محمد؟! نعم، الأمة كانت تزني وتكتسب، ولكن هل تزني الحرّة؟ فضحك رسول الله ﷺ ونظر إلى عمر، وعمر توجه وضحك، وهذه إشارة ولا تُريد أن نفصل.

قال: وَصَلَتْهُ رَحِمٌ.^٢

نستبعد أن أبا سفيان لم يكن يعلم باستخلاف يزيد ومعاوية، وإنما أراد أن يؤمن لنفسه يداً عند أبي بكر، من جهة أنه أراد أن يُظهر بنصرته لأُمير المؤمنين عليه السلام ولكن علّم أُمير المؤمنين عليه السلام بنيتّه وبفأبه عليه.

١. الممتحنة (٦٠)/ ١٢.

٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤ / ١٨٢٧ (طبعة دار المعارف: ٢٠٩/٣).

حديث عوانة

موقف أبي سفيان منبيعة أبي بكر

حَدَّثْتُ عَنْ هِشَامٍ - بن محمد بن السائب الكلبي -، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوَانَةُ - الحديث مرسل -، قَالَ: لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ - أي: في اليوم الثلاثاء وهو اليوم الثاني من استخلاف أبي بكر حينما تمت البيعة العامة له على حَسَبِ رَأْيِ هَؤُلَاءِ - أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى عِبَاجَةً لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا دَمٌ! - يعني: أَنْ هَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِاقْتِتَالِ يَفُوز فِيهِ الْغَالِبُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، كَمَا كَانَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ (لعنة الله عليه) يَقُولُ: «يَا رَبِّ هِيَجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا»^١ - يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ فِيمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ؟! - لماذا يتدخل أبو بكر في أمورك؟! هو أحقر من أن يكون له رأي فكيف بأن يكون هو المتولي - أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ؟! أَيْنَ الْأَذَلَانِ عَلَيَّ وَالْعَبَّاسُ؟! -

لا شك أن أباسفيان كان يعلم بأن رسول الله ﷺ قد استخلف علياً عليه السلام، لا يوم الغدير وإنما أيام سبقت يوم الغدير، ولحققتها أيام وأيام، ولكن هنا يريد أن

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/٥٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٣/٢٩٠؛ أبو الفرج، مقاتل الطالبين/٤٩؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/١٢٩؛ الطبري، دلائل الإمامة/١٦١؛ المفيد، الإرشاد، ٢/١٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/٢٠٤.

تكون القصة صراعاً بين قبائل قريش لا دعوة إلى الدين وانتصاراً لمن جعله الله إماماً على الأمة.

عرض البيعة على أمير المؤمنين عليه السلام

وَقَالَ: أَبَا حَسَنِ! ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أَبَايَعَكَ - يضيف ابن أبي الحديد على هذا: «فوالله إن شئت لأملأتها على أبي فصيل (أي: أبابكر) خيلاً ورجلاً» - فَأَبَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِشَعْرِ الْمُتَلَمَّسِ:

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ

أي: لن يقيم أحدٌ على ذلٍّ يراد به إلا شيئان ذليلان وهما: عير الحي - يعني: الحمار الذي يجلبُ الحيُّ به الماء إليهم، ولأجل هذا يربطونه، ولكن الخيول تطلق فتسرح وتمرح، وإلى الآن لا زال في القبائل العربية لا تُربط الخيول أبداً، - والوتد - أي: حينما تُقام الخيمة يُجعل لشدِّ حبالها وتدّاً من خشب في الأرض، لأن ذلك اليوم لم تكن مسامير حديد، فيطرق عليه بالأحجار ثم يُشدُّ به حبل الخيمة -.

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ^١ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

يعني: حمار الحي مربوط برُمته، يُجعل في رقبتِه رَسَنٌ، فيربطُ إمّا بسارية الخيمة أو بأطنابها، والثاني - أي الوتد - يُشَجُّ فلا يبكي له أحد.

قَالَ: فَزَجَرَهُ عَلِيٌّ، وَقَالَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلَّا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ الْإِسْلَامَ شَرًّا! لَا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ^٢.

١. في الهامش: الرمة: الحبل، والعكس: شدّ عنق الدابة إلى إحدى يديها.

٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١ هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤ / ١٨٢٧ - ١٨٢٨ (طبعة دار المعارف: ٢٠٩ / ٣).

حديث أبي محمد القرشي

مما قاله أبو سفيان لأمير المؤمنين عليه السلام والعباس بعدبيعة أبي بكر
قال هشام بن محمد: وأخبرني أبو محمد القرشي، قال: لما بُيعَ أبو بكر، قال
أبو سفيان ليعلي والعباس: أنتم الأذلان، ثم أنشد يتمثل:
إِنَّ أَهْلَ هِمَازٍ أَهْلٌ يَعْرِفُهُ وَالْحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالرُّسُلَةُ الْأَجْدُ
وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَدُ
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَنْكِحِي لَهُ أَحَدُ^١

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤ / ١٨٢٨ (طبعة دار المعارف: ٣ / ٢١٠).

حديث فاطمة بنت الحسين عليها السلام

كلام حول سند الحديث

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ.

يعني: الواقدي، هناك خلاف في ضعف الواقدي والظاهر أنَّ الخلاف في الضعف في الفقه، لا في السيرة والمغازي، وإنَّما كلَّهم يعتمدون عليه في المغازي، ويقولون: هو كان في الفقه ضعيفاً، ولا ندري ما الذي يقصدونه، على الظاهر أنَّ ضعفه له مناشئ مختلفة، منها: قال محمد بن إسحاق (ابن النديم) في الفهرست في ترجمته: «أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي مولى الأسلميين من سهم بن أسلم، وكان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى [لا أنَّه كان من رأيه] أنَّ علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام، وغير ذلك من الأخبار»^١، وعلى كلِّ هو في السيرة والمغازي مُعْتَمَد عليه.

١. ابن النديم، الفهرست / ١٢٧.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ يُحَدِّثُ عَمِّي الزُّهْرِيَّ.

ابن أخي الزهري يقول: كنت حاضراً مجلس عمي الزهري (محمد بن مسلم بن شهاب الزهري)، فسمعت عبدالله بن الحسن المثنى بن الإمام المجتبى عليه السلام يحدث عمي الزهري.

ومن عجيب الأمر أنّ الزهري يُدّكر بأنّه كان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام ولكن قطعاً لم يأخذ آراؤه من سيد الساجدين عليه السلام. نعم، له لفتات، منها: ما يرجع إلى المهدي، قال: كنّا في المدينة في دار الزهري، فسمعنا جلبة فأخرج رأسه من كوة في البيت، ثمّ أرجع رأسه واسترجع، وقال: إنّما أهلك أهل هذا البيت العجلة. قلنا: وماذا؟ قال: رأيت رأس زيد بن عليّ - رضوان الله عليه - يطاف به في أزقة المدينة وشوارعها. قلت: فما قولك: إنّما أهلك أهل هذا البيت العجلة، أو تراهم يملكون؟ قال: نعم، حدثني عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن أمّه، عن عليّ بن أبي طالب، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال لها - يعني: قال رسول الله ﷺ - لفاطمة ابنته الصديقة الطاهرة عليها السلام: - ألا أُبشّرك أنّ المهدي من ولدك.

نعم، يذكر أحاديث ولكنه يذكرها حينما يريد أن ينتقد عملاً لأهل البيت عليه السلام، لا أنّه يؤسّس كياناً لهم، وهناك فرق بين الاثنين.

١. انظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٧/ ١٢١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٩/ ٤٧٤ - ٤٧٥؛ أبو الفرج، مقاتل الطالبين/ ٩٧ - ٩٨؛ الطبري، دلائل الإمامة/ ٤٤٣ - ٤٤٤ = ٢١ (٤١٧).

عرض البيعة على أمير المؤمنين عليه السلام من قبل العباس

يَقُولُ: حَدَّثَنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ حُسَيْنٍ - فاطمة بنت الحسين كانت زوجة الحسن المثنى، فهي لم تشهد أحداث رسول الله ﷺ، ولعلها تنقل عن عمّتها زينب، أو عمّتها أم كلثوم، أو عن أبيها الحسين، أو عن عمّها الحسن عليه السلام، لأنهم هم اللذين شهدوا أحداث السقيفة ولكن هي لم تدرك تلك الأحداث، يقول عبدالله بن الحسن المثنى: حَدَّثَنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ عليها السلام، قَالَتْ: لَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا عَلِيُّ، قُمْ حَتَّى أَبَايَكَ وَمَنْ حَضَرَ - ولا ندري مَنْ الحضور كانوا - فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِذَا كَانَ لَمْ يَرَدْ مِثْلُهُ وَالْأَمْرُ فِي أَيْدِينَا - هكذا جاء في بعض المتون: «حتى يُقال عمّ رسول الله ﷺ بايع ابن عمّ رسول الله ﷺ، فلا يَرُدُّ عليك أحد»^١ - فَقَالَ عَلِيٌّ: وَأَحَدٌ؟ يَغْنِي: يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُنَا - أي: وهل هناك أحد غيرنا يطمع فيه؟ - فَقَالَ الْعَبَّاسُ: أَظُنُّ وَاللَّهِ سَيَكُونُ.

تحكي السيدة فاطمة حكاية يوم الاثنين، يوم وفاة رسول الله ﷺ، وإن كانت سمعته بدقة فإن معناه أن العباس كان قد حَضَرَ حينما توفي النبي ﷺ وبعد لم يكن

١. في بعض المتون هكذا: «...فقال العباس لعليّ وهما في الدار: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/١٦٠ - ١٦١، ٩/١٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/٣٢٩)

وفي بعضها الآخر هكذا: «فلما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم قال العباس لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: ابسط يدك أبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم، ويبايعك أهل بيتك، فإنّ هذا الأمر إذا كان لم يقل». (ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/١٢؛ الأميني، الغدير، ٥/٣٤٣)

هناك علمٌ - لمن يكون علمه مُكتسباً عن طريق الإخبار - باجتماع السقيفة، وإلا لو كان ذلك بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن حضر في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبلغهم أن اجتماع السقيفة أنتج أميراً أو خليفة، فقال العباس: «أظنّ والله سيكون»، معنى ذلك أن العباس كان يعلم بالاثتار على تركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته.

فَلَمَّا بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍ وَرَجَعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَمِعَ عَلِيٌّ التَّكْبِيرَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: هَذَا مَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ فَأَبَيْتَ عَلَيَّ.

معنى ذلك كما قلنا أن العباس كان يعلم باثتار القوم على إرث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأنه يعرف مزاج القوم ويعلم بأنهم لا يضيّعون هذه الفرصة التي أُتيحت لهم، سواء تمت بيعتهم أم لم تتم، ورحم الله الشريف الرضي يقول:

رُدُّوا ثَرَاتِ مُحَمَّدٍ رَدُّوا ليس القضيْبُ لكم ولا البردُ^١
فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيَكُونُ هَذَا؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: مَا رُدَّ مِثْلُ هَذَا قَطُّ.

أنه مثل هذه المحاولة لا يُسكت عنها، سواء نجحت المحاولة أم لم تنجح، فلو حَدَثَ ما اقترحه لم يردّه أحد.

فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم حِينَ تُوفِّي، وَتَخَلَّفَ عِنْدَهُ عَلِيٌّ، وَعَبَّاسٌ، وَالزُّبَيْرُ، فَذَلِكَ حِينَ قَالَ عَبَّاسٌ هَذِهِ الْمَقَالَةُ.^٢
خرج أبو بكر من عند النبي (صلى الله عليه وآله) لأن عمر كان يزبد، ويرعد، ويقول، ويهدد بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليعودن بعد أربعين يوماً وسوف يفعل كذا وكذا، فأراد إسكاته فلم

١. الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، ٣١٣/١.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر ما قال العباس بن عبدالمطلب لعلي بن أبي طالب في مرض

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، ٢ - ٣٩/٢.

يسكت، فقال قوله المشهور: «من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»^١.

وهذا يدل على أن الائتثار على إرث رسول الله ﷺ قد سبق وفاته، وأراد العباس أن يسبق القوم بالبيعة لأمر المؤمنين ﷺ فأبى عليه أمير المؤمنين ﷺ.

سبب إمتناع أمير المؤمنين ﷺ من البيعة

لماذا امتنع أمير المؤمنين ﷺ من البيعة؟ لأن البيعة إن كانت برضى من رسول الله ﷺ فيكفيها أدلة الإمامة والوصاية والوراثة التي تدل على أن أمير المؤمنين ﷺ قد عينه رسول الله ﷺ لا يوم أن توفي، بل في مطلع بعثته ﷺ، أي: في أول السنة الثالثة من البعثة، حيث قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوه»^٢، وفي بعض ألفاظه قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

١. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كلام الناس حين شكوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله وسلم])، ٢ - ٢ / ٥٤ - ٥٧؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٧ / ١٦٠ - ١٦٢ = ١٠٧١ - ١٠٧٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢ / ٤٠؛ عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب المغازي (بدء مرض رسول الله ﷺ)، ٥ / ٤٣٦ - ٤٣٧ = ٩٧٥٥؛ أبونعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٩ / ١.

٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل إليه بوحيه)، ١ - ٣ / ١١٧٢ (طبعة دار المعارف: ٢ / ٣٢١)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٢١١؛ الطوسي، الأمالي، ٥٨٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٨ / ١٩٢، ٣٨ / ٢٢٢؛ الأميني، الغدير، ١ / ٢٠٧؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١ / ٨١، ٢٣١ و ٣٦١؛ ٨ / ١٢٥.

مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^١، فخرج القوم يتضحكون ويقولون لأبي طالب عليه السلام: إِنَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْمَعَ لَابْنِكَ وَتَطِيعَ، وأمير المؤمنين عليه السلام يومذاك أكثر ما قُدِّرَ عمره الشريف ١٤ سنة، فَإِنْ كَانَ هَذَا، فَلَا مَعْنَى لِأَنْ يَعْمَلَ مَا يُوْجِبُ الْإِخْتِلَافَ بَيْنَ عَمَلِ السَّقِيفَةِ وَبَيْعَةِ أُخْرَى بِحَيْثُ يَقَعُ السِّيفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

ولعل ذلك كَانَ بِإِصْصَاءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَسَبَ رَوَايَتِنَا كُلَّهُ كَانَ بِإِصْصَاءٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، يَنْقُلُ الشَّيْخُ الْكَلِينِيُّ - أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ - فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ، فِي بَابِ «أَنَّ الْأُتَمَّةَ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا وَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْرٍ مِنْهُ لَا يَتَجَاوَزُونَهُ» مَا مَضْمُونُهُ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ كَانَ جَالِسًا إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ كَلَامَ جَبْرِيلَ يَقُولُ: خَذْ مِنْهُ الْعَهْدَ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ، وَسَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَخَذْتُ مِنْهُ الْعَهْدَ، قَالَ: خَذْ مِنْهُ الْعَهْدَ وَإِنْ انْتَهَكْتَ حُرْمَتَهُ، يَعْنِي: وَإِنْ اعْتَدَى عَلَى الصَّدِيقَةِ الطَّاهِرَةِ ﷺ أَنْ يَسْكُتَ»^٢.

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْحَالُ فَلَا مَعْنَى لِأَنْ يَسْبِقَ السَّقِيفَةُ بَيْعَةَ أُخْرَى تَقَعُ فِتْنَةً، لِأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا يَجْجُمُونَ عَنْ مَنكَرِ فَعْلُوهُ، لِبُسِّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَلِبُسِّ مَا فَعْلُوهُ، وَلِبُسِّ مَا صَنَعُوا، بِحَيْثُ أَنَّ آثَارَ مَا صَنَعُوا تَسْتَمِرُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا ظُهُورُ

١. مسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل علي بن أبي طالب)، ٤/ ١٨٧٠ = ٣١ (٢٤٠٤)؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١/ ١٨٢ - ١٨٣؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤٥، ١٥٦، ١٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٦٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٠٩ = ١٤٦٤٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/ ١٢ - ١٣.

٢. انظر: الكليني، الكافي، ١/ ٢٨١ - ٢٨٣ = ٤.

الإمام الحجّة فلا نظنُّ أنْ يقدر على إسكات صوت المنافقين وإدخال الإيمان في قلوبهم، بل إسكات صوتهم، بحيث أنَّهم لا يقدرّون على الخلاف كما كان شأنهم وحالهم زمن رسول الله ﷺ.

حديث البهي

غياب أبي بكر عن المدينة حين وفاة النبي ﷺ

أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ - وهو من رواة العامة، وثقة، ولكن من عجيب الأمر أن ابنه من رواة الإمامية، وكان شيعياً صلباً، وهو ثقة عندنا -، نَا شَرِيكُ - المحدث المعروف -، عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الْبَهِيِّ - وهو إما تابعي، أو تابع التابعين - أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَشْهَدْ مَوْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، فَجَاءَ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَبَّلَ جَبْهَتَهُ.

ذكرنا أن عائشة تذكر مسرحية لتقبيل أبي بكر رسول الله ﷺ، تقول: قَبَّلَ جَبْهَتَهُ، قَبَّلَ جَبِينَهُ، قَبَّلَ فَمَهُ، وفي كلٍّ موردٍ قال: وا نبيّاه، وا رسولا ه، وا إماماه.^١
ثُمَّ قَالَ: مَا أَطْيَبَ مَحْيَاكَ وَمَمَاتِكَ لَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَسْقِيكَ مَرَّتَيْنِ.^٢

١. ورحم الله المرحوم السيد حسن الشخص، كان جَهْوَريّ الصوت، ويقول: رحم الله رجلاً قال: وا إماماه، وا سيّده، بحيث أنهم مرّة وضعوا له في الصحن العلوي الشريف منبراً ليالي شهر رمضان فاضطروا إلى أنهم قطعوا عنه «مكبرات الصوت» لأنّ صوته بمفرده بلا تكبيره - أي: بلا أن يُكَبَّرَ - كان يبلّغ أطراف الصحن - لا الصحن وحده -.. (العلامة الجعفري رحمته)
٢. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر تقبيل أبي بكر الصديق رسول الله ﷺ عليه [وآله] وسلم بعد وفاته)، ٢ - ٥٢ / ٢؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ١٥٩ / ٧ = ١٠٦٧.

أبوبكر بمجرد ما رأى رسول الله ﷺ، قال: أنت أكرم على الله من أن يميتك مرتين، ولكنّ صاحبه كان يرعد، ويزبد، ويرغو، ويقول: لم يميت رسول الله ﷺ وإنّما ذهب إلى لقاء ربّه^١.

١. انظر: حديث عائشة الخامس وحديث أبي هريرة وحديث أصحاب السيرة.

حديث الحسن بن أبي الحسن البصري

ادعاء عدم وفاة رسول الله ﷺ

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، أَخْبَرَنِي عَوْفٌ، عَنِ الْحُسَيْنِ - بن أبي الحسن البصري، أدرك عثمان وعلياً رضي الله عنهما -، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ انْتَمَرَ أَصْحَابُهُ - فيما بينهم بأنه هل يدفنونه أم لا؟ -، فَقَالُوا: تَرَبَّصُوا بِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَعَلَّهُ عُرِجَ بِهِ - لأنهم لم يجدوا فُسْحَةً لِنَشَاطِهِمْ إِلَّا أَنْ يُوْحُوا كَمَا يُوْحِي الشَّيَاطِينُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لم يمت - قَالَ: فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى رَبَا بَطْنُهُ.

ربا بطن رسول الله ﷺ إمّا [ليلة الأربعاء، أو] يوم الأربعاء [أو ليلة الخميس]، لأنه ﷺ توفي في الضحى من يوم الاثنين ودُفِنَ إمّا [ليلة الأربعاء، أو] يوم

١. أحمد بن حنبل، المسند، ٦/٦٢، ١١٠، ٢٤٢ و ٢٧٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/٣١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٢ (طبعة دار المعارف: ٣/٢١٣)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/٣٩؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٤/٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/١٩٤؛ الصالحى الشامى، سبيل الهدى والرشاد، ١٢/٣٣٤؛ المزي، تهذيب الكمال، ١/١٩٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٣٤ و ٣٤٢؛ تاريخ الإسلام، ١/٥٧٠؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٢٩٥.

الأربعاء^١، أو ليلة الخميس^٢ - والظاهر والأشهر ليلة الخميس - وكان جوّ المدينة يومذاك جوّ خاصّ، ولم تكن فيه وسائل حفظ الجناز كما هو المعهود عندنا، ولكن هذا كلّه بالإضافة إلى أنّه مفتعل، إساءة لرسول الله ﷺ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.^٣

-
١. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كم مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الذي توفي فيه)، ٢ - ٥٨/٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٣٣٤ و ٣٤١؛ تاريخ الإسلام، ١/٥٧٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢/٥٣٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٢٩٥.
 ٢. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه)، ١ - ٤/١٨٣٠ (طبعة دار المعارف: ٣/٢١١)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/٣٥، ٣٦ و ٣٧ (حيث أنّه ﷺ دفن بعد وفاته بثلاثة أيام).
 ٣. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كلام الناس حين شكّوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، ٢ - ٥٦/٥٧؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٧/١٦٢ = ١٠٧٣.

حديث زيد بن أسلم

سؤال العباس عن عهد النبي ﷺ وإعلان وفاته

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ خَرَجَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فِي وَفَاتِهِ فَيُحَدِّثُنَاهُ؟

أي: هل عهد رسول الله ﷺ عند أحد منكم عهدٌ في شأن وفاته بحيث أنه يموت أو لا يموت، وكيف يموت، ومتى يموت؟

فَقَالُوا: لَا. قَالَ: هَلْ عِنْدَكَ يَا عُمَرُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ الْعَبَّاسُ: أَشْهَدُوا أَنَّ أَحَدًا لَا يَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ بِعَهْدٍ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ إِلَّا كَذَّابٌ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ ذَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ الْمَوْتَ.^١

١. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كلام الناس حين شكوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم)، ٢ - ٢ / ٥٧.

قبل أن يأتي أبوبكر أشهدهم العباس بأنه هل عهد إليكم رسول الله ﷺ في أمره شيء؟ قالوا: لا. قال لعمر: هل عهد إليك رسول الله ﷺ في أمره شيء؟ قال: لا. فقال العباس بقول قاطع: لقد مات رسول الله ﷺ، ولكن عمر لم يسكت إلا بعد أن جاء صاحبه.

حديثي القاسم بن محمد بن أبي بكر

الحديث الأول

ما جرى بين الأنصار والفئة الخاصة من المهاجرين في السقيفة

قَالَ - محمد بن سعد -: أَخْبَرَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ - بن أبي بكر من صغار التابعين، فهو وإن لم يعش تلك الأحداث ولكن يقولون بأنه سمع الصحابة يتذكرون فيما بينهم فحكاها، ورحم الله شيخنا الأميني كان يقول: وأرسلها إرسال المسلم -.

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لَمَّا تُوُفِّيَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَأَتَاهُمُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ، قَالَ: فَقَامَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَكَانَ بَدْرِيًّا، فَقَالَ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَنْفُسُ هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ، وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَلِيَهَا، أَوْ قَالَ: يَلِيَهُ أَقْوَامٌ قَتَلْنَا آبَاءَهُمْ وَإِخْوَتَهُمْ.

هذه الجملة لم تأتي إلا في حديث القاسم بن محمد، يقول: قال الحباب بن المنذر وكان بدريًّا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، نحن لا نفلس هذا الأمر عليكم، أي: لا نحسدكم على أن تستولوا على الإمرة المطلقة ولكن نخشى أن يليها أو يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم في حروبنا مع رسول الله ﷺ، قتلنا قتلاً نخشى أن يكون أبناءهم أو إخوتهم ينتقمون أو يثأرون لهم منّا.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَمُتْ إِنْ اسْتَطَعْتَ.

إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَمُوتَ لَا أَنْ تَحْصِلَ عَلَى إِمْرَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا شَتَاتُ قَوْمِكَ. وَصَدَقَ عُمَرُ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ مِنْ ثَوْبِ رَقِيقٍ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي مَنَاسِبَةٍ أُخْرَى - بِأَنَّ هَذِهِ الْإِمَارَةَ الَّتِي نُصِبَتْ يَوْمَ السَّقِيفَةِ تَثَارُ لِلْأَبْنَاءِ وَلِلْإِخْوَةِ بِمَقْتَلِ آبَائِهِمُ الْمَشْرِكِينَ.

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ.

أَيُّ: إِمْرَةٍ وَاحِدَةٍ لَا إِمْرَتَانِ، فَنَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَلَكِنْكُمْ أَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَهَذَا وَعْدٌ لَا أَنَّهُ لَمْ يَتَحَقَّقْ، بَلْ أَقْصُوا الْأَنْصَارَ مَا اسْتَطَاعَ الْوَلَاةُ وَالْأُمَرَاءُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. وَهَذَا الْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ نِصْفَيْنِ كَقَدِّ الْأَبْلُمَةِ، يَعْنِي: الْخُوصَةَ.

«الْأَبْلُمَةُ»، يَعْنِي: خُوصَةُ النَّخْلِ^١، أَوْرَاقُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْجَارِ يُمْكِنُ أَنْ تُنْقَسِمَ عَرْضًا، أَمَّا خُوصَةُ النَّخْلِ لَا تُنْقَسِمُ إِلَّا طَوْلًا، لِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ أَنْ تُنْقَسِفَ عَرْضًا، يَعْنِي: نَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهَا فَتُنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ طَوِيلَيْنِ بَطُولِ الْخُوصَةِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ «كَقَدِّ الْأَبْلُمَةِ» لِأَنَّ الْخُوصَةَ تُنْقَسِمُ طَوْلًا لَا عَرْضًا.

قَسَمَ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ الْبَيْعَةِ

فَبَايَعَ أَوَّلَ النَّاسِ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ أَبُو النُّعْمَانِ. قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ قَسَمًا.

١. الأزهري، تهذيب اللغة، ١٥/٢٦٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/٣٤٤ - ٣٤٥، ١٠/١٨٢،

١٢/٥٣ - ٥٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ٩/١٢، ٢٥/٥١٤.

فأبوبكر في ابتداء بيعته قَسَمَ بين الناس قَسَمًا، لَأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ بِأَنَّ النَّاسَ إِنْ مُلِيَ جِيهًا، أَوْ حَصَلَ لَهَا مَالٌ، تَرْضَى ببيعته، وَأَمَّا الْمُتَأَخَّرُونَ فَقَدْ أَكَلُوا الْمَالَ إِعْطَاءً مِنَ الْأُمَّةِ لَهُمْ لَا تَوْزِيْعًا لَهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ، وَالْعَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ وَتُغْنِيهِ عَنْ أَلْفِ تَصْرِيحٍ. فَبَعَثَ إِلَى عَجُوزٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ بِقِسْمِهَا مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ. فحينما قسم بين الناس بعث إلى عجوز من بني عدي بن النجار بقسمها مع زيد بن ثابت.

فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَسَمْتُ قَسْمَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنِّسَاءِ.

أبوبكر قَسَمَ قَسَمًا لِلرِّجَالِ وَقَسَمًا لِلنِّسَاءِ وَبَعَثَ قَسَمَ النِّسَاءِ مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَلَا نَدْرِي هَلْ لَأَنَّهُ كَانَ فِي غَنَى عَنِ النِّسَاءِ أَمْ شَيْءٌ آخَرُ؟! وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَالَتْ: أَتُرَاشُونِي عَنْ دِينِي؟

أَرَشُوهُ لَأَجْلِ الدِّينِ أبيعُه بِرَشْوَةٍ أُرْشَى بِهَا؟

فَقَالُوا: لَا. فَقَالَتْ: أَتَخَافُونَ أَنْ أَدْعَ مَا أَنَا عَلَيْهِ؟

أَي: إِذَا أَعْطَيْتُ بِيْعَتِي مِثْلًا لِأَبِي بَكْرٍ، تَخَافُونَ أَنْ أَتْرِكَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَأَنْقُضُهَا

وَأَحْنَتُ بِهَا إِنْ لَمْ يَصِلْنِي مَالٌ؟

فَقَالُوا: لَا. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَخْذُ مِنْهُ شَيْئًا أَبَدًا. فَرَجَعَ زَيْدٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَا

قَالَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَنَحْنُ لَا نَأْخُذُ بِمَا أَعْطَيْنَاهَا شَيْئًا أَبَدًا.^١

وَلَا نَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ الْمَالُ؟! هَلْ بَقِيَ فِي جَيْبِ زَيْدٍ أَمْ ذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ؟!

الحديث هنا ساكت.

١. ابن سعد، الطبقات الكبير، أبوبكر الصديق (ذكر بيعة أبي بكر)، ٣ - ١/١٢٩؛ وانظر أيضاً: البلاذري، أنساب الأشراف، (أمر السقيفة)، ١/٥٨٠ = ١١٧٤؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٥٢/٥ - ٣٥٣ = ٢٢٩٠.

الحديث الثاني

اختلاف الأنصار والمهاجرين الثلاثة في السقيفة

أيضاً ينقل هذا الحديث باختلاف يسير أبوبكر الجوهري في أحداث السقيفة على ما يذكره ابن أبي الحديد حيث يقول:

وروى أبوبكر - أي: أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، في كتاب السقيفة -، قال: أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح، قال: حدثنا عبدالله بن عمر، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد.

القاسم بن محمد بن أبي بكر هو الذي احتضنته عمته عائشة، بعد ما توفي أو بعد ما أُحرق أبوه الذي بعثه أمير المؤمنين عليه السلام والياً على مصر، فعثر عليه جيش معاوية فقتله، ثم سلخ جلد حمار فدهسه فيه وأحرقه، فكانت عائشة تقول: إني بعد ما قُتل أخي محمد لم أذق شواء أبداً، يعني: حينما قُدم لي الشواء ذكّرني بمقتل أخي فلم أتمكن من أن أذوقه، فاحتضن القاسم ورؤي في حجرها، ولا ندري هل كان يروي عن عمته عائشة أو عن من كان كعائشة.

قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة، فأتاهم أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة.

وهم المهاجرون الذين حضروا يوم السقيفة حينما اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة.

فقال الحُباب بن المنذر: منّا أمير ومنكم أمير، إنّنا والله ما ننفسُ هذا الأمر عليكم أيّها الرّهط، ولكنّا نخاف أن يّليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم. لا أنّنا نفس الإمرة عليكم، وإنّا نخاف من يأتي بعدكم.

بعبارة أخرى: لا أنّنا نخشى إمّرتكم بحيث لو كانت هناك إمرة نخشاها، وإنّا نسعى لأن تكون لنا إمرة خاصّة بنا تجمعنا لأنّا قتلنا كثيرين في حروبنا مع رسول الله ﷺ كانوا لهم أبناء وآباء وإخوان، فنخشى أن يأخذ هؤلاء الباقون بثأر قتلناهم. فقال عمر بن الخطّاب: إذا كان ذلك قمت - والصحيح: فمّت - إن استطعت.

الحباب بن المنذر بدريّ عقبيّ، يقول له عمر بن الخطّاب: إذا رأيت ذلك فمت إن استطعت، يعني: أن الموت أيضاً يُستأثر عليكم، تريدون أن تموتوا ولا تتمكّنون من ذلك، فالاستيثار ليس باستيثار نعمة وإنّا استئثار حتى بالموت عليكم، وهذه كلمة تليق بحدّة أبي حفص وهي كلمة لا يقوها إلّا هو.

وهنا نشير إلى أن الخليفة الأوّل كان يأخذ باللين وكان يُعطي دور الشدّة إلى صاحبه أبي حفص، فإن اشتدّ صاحبه فهو يأخذ باللين.

الشيء بالشيء يُذكر ولا نريد أن نقيس: كان الحجاج خليفة عبد الملك بن مروان على الكوفة والبصرة، فالذين كان يلاحقهم الحجاج يهربون إلى عبد الملك بن مروان، فيجيرهم ويقضي حوائجهم، فكتب إليه الحجاج: إنّك تأوي كلّ هارب

مَنِّي، فكتب إليه: أنت عليك الشدة وعليّ اللين والسماح، لأنّه لا يتمّ أمرنا إلّا بشدّتك وليني وسماحي.^١

فتكلّم أبوبكر، فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، والأمر بيننا نصفان كشقّ الأُبُلّة.

قلنا: «الأُبُلّة»، يعني: الخوصّة، وهي لا يمكن أن تُشقّ من منتصفها وإنّما تُشقّ من أعلاها إلى أسفلها، بحيث تنقسم إلى قسمين لا من جهة نصفها الأوّل والآخر بل من جهة نصفها اليمين والشمال، يقصد هنا أنّ لكم من الحقوق ما لنا وعليكم ما علينا، لا نستأثر دونكم بشيء ولا تستأثرون علينا بشيء.

فبُويع، وكان أوّل مَنْ بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير.

أوّل من بايع أبابكر بشير بن سعد، وكان موالياً لأبي بكر، وابنه نعمان بن بشير أيضاً كان موالياً، وبقي على ولائه لمعاوية ولم يُبايع أمير المؤمنين (عليه السلام)، هاجر إلى الشام وبايع معاوية بدمشق وعيّنه معاوية والياً على الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبه، فكان والياً عليها إلى أن ورد مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فكان نعمان بن بشير يكره منازلته مسلم، فكتب مَنْ كَتَبَ من شيعة معاوية إلى يزيد - لعنه الله - أنّه إن كان لك بالكوفة طمّع أو حاجة فاعزل النعمان بن بشير واجمع مَنْ شئتَ مِنْ له حزم، فعَمَد يزيد إلى ابن زياد وجمع له الكوفة والبصرة في قصّة معروفة.^٢

١. لم نعرّض عليه في المصادر.

٢. «وخرج عبدالله بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ

قَسَمَ أَبِي بَكْرٍ لِلنِّسَاءِ بَعْدَ بَيْعَتِهِ

فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَسَمَ قَسَمًا بَيْنَ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.
 هُنَا يَذْكُرُ أَنَّ الْقَسَمَ كَانَ خَاصًّا بِنِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقَسَمَ لَمْ
 يَكُنْ خَاصًّا بِهِنَّ، لِأَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا أَحْوَجَ لَعَيْلُولَتِهِمْ إِلَى الْمَالِ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا أَنْ
 تَكُنْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ مَرَأَةً خَلِيَّةً مَاتَ بَعْلُهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا ابْنٌ يَكْفُلُهَا، فَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي
 الْحَدِيثِ سَقَطٌ وَتَمَامُهُ مَا جَاءَ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» كَمَا مَرَّ سَابِقًا.

فَبَعَثَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ قَسَمَهَا مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَتْ: مَا
 هَذَا؟ قَالَ: قَسَمْتُ قَسَمَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنِّسَاءِ. قَالَتْ: أَتُرَاشُونَنِي عَنْ دِينِي؟!
 أَهِيَ رَشْوَةٌ كَيْ أَقْبَلَ بِبَيْعَتِكُمْ، أَمْ هِيَ رَشْوَةٌ حَتَّى أَبَايَعَكُمْ بَيْعَةً مَالٍ لَا بَيْعَةَ
 عَقِيدَةٍ؟ الْعَامَّةُ يَفْسِرُونَ بِالتَّفْسِيرِ الثَّانِي، وَنَحْنُ نَمِيلُ إِلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ لَوْ

أَمَرَكَ، وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِكَ فِي عَدْوِكَ، فَإِنَّ النِّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَجُلٌ ضَعِيفٌ أَوْ هُوَ يَتَضَعَّفُ فَكَانَ
 أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ عِمَارَةُ بْنُ عَقْبَةَ بَنَحُو مِنْ كِتَابِهِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي
 وَقَاصٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ عَوَانَةُ: فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْكُتُبُ عِنْدَ يَزِيدَ لَيْسَ بَيْنَ كُتُبِهِمْ إِلَّا يَوْمَانِ، دَعَا يَزِيدُ بْنُ
 مُعَاوِيَةَ سَرَجُونَ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْكَ؟ فَإِنَّ حَسِينًا قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَمُسْلِمُ بْنُ
 عَقِيلٍ بِالْكَوْفَةِ يَبَايِعُ لِلْحُسَيْنِ، وَقَدْ بَلَغَنِي عَنِ النِّعْمَانَ ضَعْفٌ وَقَوْلُ سَيِّءٍ - وَأَقْرَأَهُ كُتُبَهُمْ - فَمَا تَرَى
 مِنْ أَسْتَعْمَلُ عَلَى الْكُوفَةِ؟ وَكَانَ يَزِيدُ عَاتِبًا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ سَرَجُونُ: أَرَأَيْتَ مُعَاوِيَةَ
 لَوْ نَشَرَ لَكَ، أَكُنْتَ آخِذًا بِرَأْيِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَ عَهْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى الْكُوفَةِ، فَقَالَ: هَذَا رَأْيِي
 مُعَاوِيَةَ، وَمَاتَ وَقَدْ أَمَرَ بِهَذَا الْكِتَابِ، فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ وَضَمَّ الْمَصْرِينَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ
 عَلَى الْكُوفَةِ. (الطَّبْرِي، تَارِيخُ الرِّسَالِ وَالْمُلُوكِ «أَحْدَاثُ سَنَةِ ٦٠ هـ»، ٢ - ٧ / ٢٣٩ «طَبْعَةُ دَارِ
 الْمَعَارِفِ: ٣٥٦ / ٥»؛ الْمَفِيدُ، الْإِرْشَادُ، ٤٢ / ٢؛ الْمَجْلِسِيُّ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ٤٤ / ٣٣٦ - ٣٣٧؛ ابْنُ
 الْأَثِيرِ، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ، ٣ / ١٣٥؛ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَمِينِ، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ، ١ / ٥٨٩ - ٥٩٠)

كانت المرأة تقصد التفسير الثاني لكانت كلمة «الرشوة» غير مناسبة وإنما كانت تقول: إنما أنا أبايع عن عقيدة ولا أحتاج إلى مالٍ كي أبايع. والله لا أقبل منه شيئاً فردّته عليه.

وهذا دليل على التفسير الأوّل، لأنّه لو كانت تقصد المال الذي يُمنَح لها في بيعه تعتقد بصحّتها لا معنى أنّها لا تقبل. نعم، تقبل، وتقول: إنّما عمِلْتُ بما أعتقد وبايعتُ مَنْ أرى صحّة البيعة له.

تعليق ابن أبي الحديد

وأضاف ابن أبي الحديد معلقاً في شرحه:

قلت: قرأتُ هذا الخبر على أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي الحسيني المعروف بابن أبي زيد نقيب البصرة - رحمه الله تعالى - في سنة عشر وستمائة من كتاب السقيفة لأحمد بن عبدالعزيز الجوهري، قال: لقد صدّقتُ فِرَاسَةَ الحُباب - الذي قال: «إنّا والله ما نفس هذا الأمر عليكم أيّها الرهط ولكنّا نخاف أن يليه بعدكم مَنْ قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم» - فإنّ الذي خافه وقع يوم الحرّة، وأُخذ من الأنصار ثأرُ المشركين يوم بدر.

يعني أنّ الثأر دائماً استمرّ في نفوس الذين أرادوا أن يثأروا، فأُتيحت لهم الفرصة يوم الحرّة، يوم أن هجم جيش يزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة المري - كما يسمّونه «مُسرف بن عقبة»^١ لكثرة ولوغه في دماء المسلمين - على المدينة.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/٢٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٨/٢٣٠،

لما بلغ خبر استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه سادة الشهداء كان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أمير المدينة يومذاك^١، فسمع الواقعة من دور بني هاشم، فقال شامتاً: «يومٌ بيوم بدر»، ثم قال:

عجت نساء بني زياد عَجَّةً^٢ كعجيج نسوتنا غداة الأرنب^٣

هذا شعرٌ جاهليّ، يقول: إنّ نسوتنا يوم الارنب عجت من كثرة قتلاها، فانتقمنا منهم فأكثرنا قتلاهم، فالإستشهاد بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء حرّف الشعر الجاهلي وصرّح بما يُريده أم كنى، معناه واضح.

ثم قال لي - رحمه الله تعالى -: ومن هذا خاف أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله وآله [وسلم] على ذريّته وأهله - أي: نفس هذا الخوف الذي كان يخافه الأنصار من ثأر

١١/٤١٦، ١٤/٣٨٦، ٢٣/٤٧٤، ٣١/٢٢، ٤٣/٣٣١، ٥٤/١٨١، ٥٦/٥٢٤، ٥٧/١٣٢، ٥٨/١٠٨، ٥٩/٣٦١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٣٧٤ و٤٦٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، باب عبدالله (عبدالله بن زمعة)، ٣/٩١١؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٨/٢٧٤ = ٦٠٩١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/١٢٢ - ١٢٣.

١. جاء في المصادر أنّ الوالي على المدينة يومذاك، عمرو بن سعيد. (انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك «أحداث سنة ٦١هـ»، ٢ - ٣٨٣/٧ «طبعة دار المعارف: ٥/٤٦٦»؛ الأميني، الغدير، ١٠/٢٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/١٩١؛ المفيد، الإرشاد، ٢/١٢٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/١٢١ - ١٢٢؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٣٨٣).

٢. في بعض المصادر: «عجت نساء بني عليّ عَجَّةً». (العلامة الجعفري (رحمته الله تعالى))

٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٦١هـ)، ٢ - ٣٨٤/٧ «طبعة دار المعارف: ٥/٤٦٦»؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢/٥٣٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/٤٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/١٢٢؛ الأميني، الغدير، ١٠/٢٦٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٣٨٣.

مَنْ قَتَلُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ، خَافَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِهِ - فَإِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ وَتَرَ النَّاسَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ مَاتَ وَتَرَكَ ابْنَتَهُ وَوُلْدَهَا سُوقَةً وَرَعِيَّةً تَحْتَ أَيْدِي الْوَلَاةِ، كَانُوا بَعَرَضَ خَطَرٍ عَظِيمٍ، فَمَا زَالَ يَقَرَّرُ لَابْنِ عَمِّهِ قَاعِدَةَ الْأَمْرِ بَعْدَهُ، حَفْظًا لِدَمِهِ وَدِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا وَلَاةَ الْأَمْرِ كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ أَقْرَبَ إِلَى الصِّيَانَةِ وَالْعَصْمَةِ، مِمَّا إِذَا كَانُوا سُوقَةً تَحْتَ يَدِ الْوَالِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَلَمْ يَسَاعِدْهُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا كَانَ، ثُمَّ أَفْضَى أَمْرَ ذُرِّيَّتِهِ فِيهَا بَعْدَ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ.^١

يقول: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُمَهِّدُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ قَاعِدَةَ الْأَمْرِ بَعْدَهُ، حَفْظًا لِدَمِهِ وَدِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ، لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا وَلَاةَ الْأَمْرِ لَمْ يَظْلَمُوا أَحَدًا وَكَانَتْ دِمَاؤُهُمْ أَقْرَبَ إِلَى الصِّيَانَةِ وَالْعَصْمَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا وَلَاةَ الْأَمْرِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْشَوْنَ أَنْ يَثَارَ الَّذِينَ كَانُوا فِي نَيْتِهِمُ الثَّارَ لِقَتْلِهِمْ زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ سَبَقَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ تَمْهِيدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

يعني يقول: إِنَّ الْوَلَايَةَ إِنْ كَانَتْ نَصًّا فَإِنَّهَا تَمْهِيدٌ لِحَقْنِ دِمَاءِ الْوَلَاةِ وَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَلِيٌّ ﷺ، هُنَا يَنْسَى أَوْ يَتَنَاسَى أَوْ لَا يَرِيدُ أَنْ يُفْصَحَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَصَّبَ عَلِيًّا إِمَامًا وَحُجَّةً إِلَهِيَّةً عَلَى الْأُمَّةِ، بِحَيْثُ أَنَّ الْإِمَامَةَ وَإِمْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِعَلِيِّ ﷺ كَانَتْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَدْرِي أَنَّهُ كَانَ يَجْهَلُ أَوْ يَغْفَلُ هَذَا،

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥٢ - ٥٣.

أم كان يتَّقِي لمنصبه لأنَّه كان نقيب العلويين بالبصرة، والنقابة يومذاك لم تكن تحصل إلا لمن يرضاه الخليفة العباسي نقيباً، هذا كله محتمل.

وأيضاً نقول: إنَّ صحَّ أن رسول الله ﷺ حاب ابن عمه بأن جعله ولي الأمر بعده وبهذا قد حقن دمه ودم ابنته الصديقة الطاهرة ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أجل من أن يُحابي أحداً، لأنَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^١، معناه أن الله أنزل أمراً لرسوله، ورسول الله ﷺ الذي مهمته الأوليّة أن يبلغ ما أمره الله سبحانه وتعالى فلم يبلغ ما أمره خوفاً من الناس، ولأجل هذا جاءت الآية الكريمة تقول: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

الله سبحانه وتعالى أنزل هذه الآية في أواخر حياة النبي ﷺ في ضمن ما نزل من سورة المائدة التي نزلت جملة واحدة في يوم عرفة من السنة العاشرة من الهجرة ورسول الله ﷺ واقفٌ على ناقته فبركت به ناقته، الآية لا تقول في أول ما أوحى الله سبحانه وتعالى على نبيه بأن يقول: «إنَّ الذي يأتيك مني عليك أن تبَّله»، هنا في أواخر أيام النبي ﷺ تقول: بأنَّه وإن لم تكن من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يمنع نبيه من القتل - حيث أنَّه يحكي في آيات كثيرة عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^٢، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ

١. المائدة (٥) / ٦٧.

٢. البقرة (٢) / ٨٧.

أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^١ - ولا يقبل مِنْ أَنْبِيَائِهِ خَوْفُ الْقَتْلِ، وَلَكِنَّهُ يَعِدُكَ بِأَنْ يَعِصَمَكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ بَلَغْتَ هَذَا، فَإِنَّكَ تُبَلِّغُ وَلَا بَدَّ عَلَيْكَ مِنَ التَّبْلِيغِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ.

فرسول الله ﷺ إِنْ كَانَ حَابِ ابْنَ عَمِّهِ وَحَابِ ابْنَتِهِ وَهُمَا سَادَةُ الْخَلْقِ بَعْدَهُ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُجَابِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا الصَّدِيقَةَ الطَّاهِرَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا لَمْ يُجَابِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

فَإِذَا الْقِصَّةُ لَيْسَتْ مُحَابَاتٍ وَإِنَّمَا إِمْرَةٌ أَشَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، بَلْ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وَحَدِيثُ الْمَنْزِلَةِ يَحْكِي أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْزِلَتِهِ وَلَكِنَّ الْقَوْمَ تَمَالَّوْا عَلَى انْكَارِ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاجْتَادَ مَا يَكُونُ لَصَالِحِهِمْ مِنْ بَيْعَةٍ عَمَّ شَوْمُهَا الْإِسْلَامُ.

حديث القاسم بن محمد بن أبي بكر أو أم معاوية

الشك في وفاة النبي ﷺ وما صنعتُه أسماء

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ - أَي: الواقدي -، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أَبِيهَا الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَوْ عَنْ أُمِّ مُعَاوِيَةَ، أَنَّهُ لَمَّا شُكَّ فِي مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، قَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ مَاتَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَمُتْ.

هنا يذكر ويُصنّف أنّ بعض الحاضرين قالوا: مات رسول الله ﷺ، وبعضهم قالوا: لم يمُت، والحال أنّ باقي الأحاديث تذكر أنّ الذي أوقع الشك ودعى إلى أنّ رسول الله ﷺ لم يمُت هو أبو حفص عمر بن الخطاب، وأمّا بقيّة الصحابة لا أنّهم وافقوا أبا حفص وإنّما هالهم الموقف فسكتوا عنه إلى أنّ تداركه الخليفة الأوّل. وَضَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ يَدَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقَالَتْ: قَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم قَدْ رُفِعَ الْخَاتَمُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ.^١

١. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر كلام الناس حين شكّوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، ٢ - ٥٧/٢.

إن كان للقصة أصل فالكلام هنا ليس في الخاتم بأنه كان شعار النبوة، أو علامة النبوة، أو شيء منحه الله سبحانه وتعالى لرسوله نوعاً من الميزة، وإنما الكلام أن هؤلاء كلهم قالوا شيئاً لم يُغن أبا حفص عن قوله حتى تداركه صاحبه، وهذا دليل على أن هذا التدارك هو الذي كان يرجو به أبو حفص في تسبيقه بالشك في موت رسول الله ﷺ.

حديث المدائني

أبو عبيدة وعرض البيعة على عمر وموقف أبي حفص

روى المدائني، قال: لما أخذ أبوبكر بيد عمر وأبي عبيدة، وقال للناس: قد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين - يقول: إنَّ أبابكر بدأ بعملية الانتخاب وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة الجراح، وقال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين بايعوا أيَّهما شئتم - قال أبو عبيدة لعمر: امدد يدك بُبايعك. فقال عمر: ما لك في الإسلام فَهَّةٌ غيرها - الفَهَّة: يعني: الخطأ أو الغلطة التي لا بدَّ وأنَّ يعذر عنها، طبعاً هنا عمر يمدح أبا عبيدة وهما اخوان في السراء والضراء، اخوان حينما كانا في مكَّة ولم يُسلما بعد وحينما أسلما - أتقول هذا وأبوبكر حاضر؟!!

جاء في المتون أنَّ عمر كان يقول: أشدَّ الناس حسداً في قريش أوَّل الخلفاء. فقليل له: كيف وهو قد أشار إليك بأنَّ تُبايع، فاخترارك واختار أبا عبيدة؟! قال: نعم، هذا كي يختبرني ليَجِد في نفسي طَمَعاً في الخلافة قبله أم لا، فلو أنَّني تقدَّمت بذلك لَصَنَع بي ما صنع، فهذا إمتحانٌ لا إنتخاب واختيارٌ لي ولأبي عبيدة.^١

١. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٠ - ٣٤.

ثم قال للناس: أَيُّكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يَتَقَدَّمَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله وسلم] للصلاة؟ رَضِيكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله وسلم] لديننا أَفَلَا نَرْضَاكَ لَدُنْيَانَا؟! ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ.^١

قلنا بأنَّ هذا لم يجري يوم السقيفة وإنَّما نُحِكُّ بعد السقيفة كي يكون جهة تقديم لأبي بكر، لأنَّ أبا بكر حينما قال الأنصار للمهاجرين: نحن نختار أميراً لنا واختاروا لكم أميراً، قال: إنَّ العرب لا تقبل هذا الأمر إلا في هذا الحيِّ من قريش لمكان رسول الله ﷺ، ولو صنعنا إمرتين لحصل هناك ضررٌ كبير للمسلمين، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، ويشهد بذلك خطبة عمر التي رواها كُلُّ المحدثين، فهناك لم يحتج لتقديم أبي بكر على المهاجرين وإنَّما احتجَّ بأنَّ أبا بكر من الشجرة التي منها رسول الله ﷺ، ولأجل هذا لما بلغ هذا القول أمير المؤمنين عليه السلام، قال كلامه المشهور: «اِخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ».^٢

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٥.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣ - ٤.

حديث أصحاب السيرة

عمر وادعاءه عدم وفاة النبي ﷺ

وروى جميع أصحاب السيرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] لما تُوفي كان أبوبكر في منزله بالسُّنْح، فقام عمر بن الخطاب، فقال: ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] - اتفقت كثير من الآثار على هذا - ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله، وليزججن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته.

هنا الحديث لا يقول: أنه ممن يقول بأنه مات، بل يقول: ممن أرجف بموته، والظاهر أنّ هذا نُحِتَ استيناساً بالآية الكريمة: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^١، ولت الله بعد ما هدّد المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في المدينة فعل، ولكنه لم يفعل، واستمر هؤلاء على عملهم حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته وإلى يومنا هذا، ونحن نعتقد بأن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام يحول

بينهم وبين نفاقهم وإرجافهم، وأما إخواننا فلا نُحَمِّلهم شيئاً لعلهم يقولون بأن الساعة هي التي تحول بينهم وبين إرجافهم ونفاقهم.
لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلا ضربته بسيفي.

مجيء أبي بكر من السنح وموقفه بعد وفاة رسول الله ﷺ

فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم]، وقال: بأبي وأمي! طُبِتَ حياً وميتاً - هنا أبو بكر بصورة قاطعة لا يعتني بإرجاف عمر في شأن موته ﷺ - والله لا يُذيقك الله الموتين أبداً. ثم خرج والناس حول عمر، وهو يقول لهم: إنّه لم يمت ويحلف، فقال له: أيُّها الخالف على رسلك! - أي: تأنّ - ثم قال: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^١، وقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^٢. قال عمر: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض - أي: أغمي عليه، ولا نريد أن نقول بأن الإغماء كان وسيلة للتهرب من مواجهة الموقف، وما أكثر الإغماءات التي كانت تُصيب المعارضين السياسيين أو الذين لهم نيات سياسية في مواجهة بعض المواقف - وعلمتُ أن رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] قد مات.^٣

١. الزمر (٣٩) / ٣٠.

٢. آل عمران (٣) / ١٤٤.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢ / ٤٠ - ٤١.

حديث مالك بن دينار

وروى أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب «السقيفة»، عن عمر بن شبة.

عمر بن شبة من ثقات مَنْ وثَّقه إخواننا غير الإمامية، له أحداث السقيفة وقد ذكر هذه الأحداث بتفصيل في كتابه «تاريخ المدينة المنورة» الذي طُبِعَ ولكنه مع الأسف الشديد حُذِفَ منه أو لم يوجد فيه الفصول التي تذكُر أحداث السقيفة وإنما اكتفَت بها وقع من أحداث عثمان، ولم يذكر شيئاً إلا النزر القليل اليسير ممَّا حَدَثَ في بيعة أمير المؤمنين ﷺ وهجرته من المدينة المنورة للقاء الناكثين والقاسطين والمارقين. وعلى كُلِّ المطبوع من تاريخ المدينة المنورة الذي طُبِعَ في أربعة أجزاء ليس بكامل.

عن محمد بن منصور، عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال:

رجوع أبي سفيان من جمع الصدقات وموقفه من بيعة أبي بكر
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث أباسفيان ساعياً.
جاء أبوسفيان وطلب من النبي ﷺ أن يبعثه ساعياً لجمع الصدقات لأنه شكى
الفقر، وهل كان فقيراً أم لا؟ لا نعلم، ولعله كان صديقاً للعباس بن عبدالمطلب
فإنه لما أُسِرَ يوم بدر، قال له رسول الله ﷺ: افد نفسك، فاحتجَّ العباس بأنه فقير،

فقال النبي ﷺ: تلك الصرّة التي دفنتها في دارك تحت الشجرة المعينة بحضور أمّ الفضل ابعت إليها فالتبعث إليك بتلك الصرّة. فقال العباس: الآن علمت أنّك رسول الله ﷺ. ^١ قبل هذا كان يدّعي بأنّه أسلم ولكنه خرج مُرغماً، لا لأنّه كان ممن يؤيد المشركين في قريش، وهنا يقول: الآن علمت أنّك رسول الله ﷺ، إذ لم يطلع على عملي هذا سوى أمّ الفضل، ولعلّ أبا سفيان أيضاً كان قد كنز أمواله بحيث لم يكن يراها أحد.

فرجع من سعائته، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقية قوم فسألهم، فقالوا: مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: مَنْ وليّ بعده؟ قيل: أبوبكر. قال: أبو فضيل؟! - أبو فضيل من الألقاب التي يذكرها أصحابه ومحبّوه، ونرى أنّه مُحَرّف من «أبوفصيل» الذي اصطلح عليه العراقيون بقولهم: «أبوفسوة» - قالوا: نعم. قال: فما فعل المستضعفان: عليّ والعباس؟! أما والذي نفسي بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما - يحلف بأنّه سوف يرفع من أعضادهما حتى يُقوّمهما من كبوتهما لأنّه يعتبر هذا كبوة لعليّ والعباس -.

١. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٦/٢٨٨ - ٢٨٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٣٩١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٦/٨٥ - ٨٦ = ١٠٠٠٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٤/١٨٣ - ١٨٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/١٣٠؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٢٥٠.

تطميع أبي سفيان

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وذكر الراوي - وهو جعفر بن سليمان - أنَّ أبا سفيان قال شيئاً آخر لم تحفظه الرواة، فلما قدم المدينة، قال: إنِّي لأرى عجاجة لا يُطْفئُها إلا الدم!

العجاجة حينما تُثار تُرَشَّ بالماء فتخمد، هنا يقول أبو سفيان: إنِّي أرى عجاجة لا ينفعُها الماء وإنَّها ينفعُها الدم.

قال: فكلم عمر - وهو المشير والمستشار الأوَّل لأبي بكر - أبا بكر، فقال: إنَّ أبا سفيان قد قَدِمَ، وإنَّا لا نأمنُ شرَّه، فدفع له - ولعلَّ الصحيح: فادفع له - ما في يده، فتركه فرضي؟^١

كان أبو سفيان ساعياً لجمع الصدقات، وأحد الأصناف الثمانية «السعاة» الذين يجمعون الصدقة فلهم ثمن الصدقة، ولكن حينما جاء أبو سفيان بالمال أعطاه أبو بكر المال كُلَّه فرضي.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٤.

أحاديث أبي بكر الجوهري

الحديث الأول

تهديد عمر بإحراق بيت الصديقة الطاهرة ﷺ

وروى أحمد بن عبدالعزيز - الجوهري في كتاب «السقيفة» -، قال:
لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى عليّ وهو في بيت فاطمة، فيتشاورون ويتراجعون أمورهم.
أحسّوا بالإفتئات عليهم فاجتمعوا كي ينظروا في ما يستقبلونه من الأحداث.
فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام، وقال: يا بنت رسول الله، ما من أحدٍ من الخلق أحبُّ إلينا من أبيك، وما من أحدٍ أحبُّ إلينا منك بعد أبيك،
وإنم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمر بتحريق البيت عليهم.
يهدّد الصديقة الطاهرة ﷺ من أن هؤلاء إن اجتمعوا عندك أُحرّق عليهم البيت.

فلما خرج عمر جاءوها، فقالت: تعلمون أنّ عمر جاءني، وحلف لي بالله إنّ عدتم ليحرقنّ عليكم البيت، وإنيّم الله ليمضينّ لما حلفَ له - أنّه يُنفذ ما عزم عليه - فانصرفوا عنّا راشدين، فلم يرجعوا إلى بيتها، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر.^١

القصة هنا مبتورة ولكن جاء في أحاديث أخر أنّهم لم يخرجوا إلّا بعد أن حرق عليهم البيت وفيه الصديقة الطاهرة وأمير المؤمنين عليه السلام، وخرج من خرج مصلاً سيفه فحمل عليه آخر فأخذ سيفه فضرب به صخرة فكسره.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٥ / ٢.

الحديث الثاني

موقف أبي سفيان بعد إمرة أبي بكر

وروى أحمد بن عبدالعزيز - الجوهري في كتاب «السقيفة» -، قال:

جاء أبوسفيان إلى عليّ عليه السلام، فقال: ولَيْتُم على هذا الأمر أذلّ بيت في قريش، أما والله لئن شئت لأملأَنَّها على أبي فُضَيْل - وقلنا أَنَّها مُحَرَّفَةٌ من «أبي فضيل» الذي اصطلح عليه العراقيون بقولهم: «أبوفسوة» حتى لا يَفْهَم الناس وجه الكنية - خيلاً ورجلاً. فقال عليّ عليه السلام: طالما غَشَشْتَ الإسلامَ وأهله فما ضررتهم شيئاً، لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك - لم يقبل أمير المؤمنين عليه السلام بنصيحته، أو لم يقبل بما أشار به، أو لم يقبل بنُصْرته - لولا أَنّا رأينا أبابكر لها أهلاً لما تركناه.^١

وهذه أيضاً مقحمة، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يُبايع إلّا بعد اللتيا والتي [أي: البيعة التي حصلت بالإجبار]، وبعد أن مُنِيَ بِهِم الرجال وذؤبان العرب إلى آخره.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٥.

الحديث الثالث

ثابت بن قيس من الجماعة التي هجمت على بيت فاطمة عليها السلام

قال أبوبكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري -:

وقد روى بإسنادٍ آخر ذكره: أنّ ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعة الذين
حَضَرُوا مع عمر في بيت فاطمة عليها السلام - وهو صاحب هؤلاء، رابعهم أو
خامسهم - وثابت هذا أخو بني الحارث بن الخزرج.^١

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٠ / ٢.

الحديث الرابع

محمد بن مسلمة من الجماعة التي هجمت على بيت فاطمة عليها السلام

وروى - أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري - أيضاً؛

أنّ محمد بن مسلمة كان معهم، وأنّ محمّداً هو الذي كسر سيف الزبير.^١

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥١ / ٢.

الحديث الخامس

الهجوم على بيت الصديقة الطاهرة ﷺ

قال أبوبكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري -:

وقد رُوي في رواية أخرى: أنَّ سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام، والمقداد بن الأسود أيضاً، وأتتهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصرح، فَتَهَنَّتْ من الناس، وقالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس، وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحفٍ واحد، ثم بايعوا أبابكر، فاستمر الأمر واطمأن الناس^١.

هذا الحديث يُضيف إلى الذين اجتمعوا في بيت الصديقة الطاهرة ﷺ سعد بن أبي وقاص، وهو إن لم يكن قد اشترك في بيت الصديقة الطاهرة ﷺ ليتجسس على الذين اجتمعوا هناك فحديثٌ وجوده في البيت مكذوب، لأنه من الستة الذين صحبوا أبابكر، وأسلموا حينما أسلم أبوبكر، ومن أصحاب الشورى، ومواقفه

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٦/٢.

كلّها لم تكن مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى يوم الشورى، «فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ - أي: سعد بن أبي وقاص - لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الْآخَرُ - أي: عبدالرحمن بن عوف - لِصِهْرِهِ، مَعَ هَئِ وَهَئِ»^١، فسعدٌ لم يكن في يومٍ من الأيام صديقاً لأمر المؤمنين عليه السلام فكيف يجتمع في بيت فاطمة عليها السلام في أوّل الأمر لكي يبايع أمير المؤمنين عليه السلام؟! نعم، إن يكن الحديث قد صحّ فوجود سعد بن أبي وقاص كان للتجسّس على الذين اجتمعوا في بيت فاطمة عليها السلام.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٨٤.

حديث غسان بن عبد الحميد

اشتداد أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السلام في البيعة وموقف أم مسطح من ذلك
قال أبو بكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري -: وأخبرنا عمر بن شبة، قال:
حدثني محمد بن يحيى، قال: حدثنا غسان بن عبد الحميد، قال: لما أكثر الناس في
تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر، واشتد أبو بكر وعمر عليه في ذلك - كي
يُجبراه على البيعة - خرجت أم مسطح بن أثانة، فوقفت عند القبر، وقالت:
كَانَتْ أُمُورٌ وَأَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لو كنت شاهدا لم تكثُر الخُطْبُ
أي: كان ارتجاف ورجفة وتزلزل، ولو أنك يا رسول الله ﷺ كنت حاضراً لم يقع
كل هذا.

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الْأَرْضِ وَإِبْلِهَا واختل قومك فاشهدهم ولا تغب^١

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٩/٢ - ٥٠.

حديثي رجل من زريق

الحديث الأول

خطبة أبي بكر بعد بيعته

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: وحدثني أحمد بن إسحاق بن صالح، قال: حدثني عبدالله بن عمر بن معاذ، عن ابن عون، قال: حدثني رجل من زريق - يعني: أنصاري - أن عمر كان يومئذ - قال: يعني: يوم ببيع أبو بكر - مُحْتَجِزاً يهرول بين يدي أبي بكر، ويقول: ألا إنَّ الناسَ قد بايعوا أبا بكر، قال: فجاء أبو بكر حتى جلس على منبر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله [وسلم] فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فَإِنِّي وَلِيُّكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ - لا أَيْ أَفْضَلُ مَنْ تَرَوْنَ - ولكنه نزل القرآن، وَسُنَّتِ السُّنَنُ، وَعُلِّمْنَا فَتَعَلَّمْنَا أَنَّ أَكْبَرَ الْكَيْسِ التَّقَى، وَأَحْمَقُ الْحُمُقِ الْفُجُورُ، وَأَنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخِذٌ لَهُ بِالْحَقِّ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ

حتى آخذَ منه الحقَّ، أيُّها الناس، إنما أنا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، إِذَا أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي،
وَإِذَا زُغْتُ فَقَوِّمُونِي.^١

كُلُّ هَذِهِ تَعَلَّمَهَا مِنْ غَيْرِهِ وَنَحْنُ نَشِيرُ فَقَطْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى - أَي: صَارَ فِي الْوِلَايَةِ لِأَعْرَاضٍ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَوْلٌ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ - سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^٢.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٥/٢ - ٥٦.

٢. البقرة (٢)/ ٢٠٤ - ٢٠٦.

الحديث الثاني

الحجج التي صيغت للخلافة وترشيح المهاجرين الثلاثة للبيعة

حَدَّثَنَا أَبُو سَامَةَ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ حَتَّى آتَيَا الْأَنْصَارَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّا لَا نُنْكِرُ حَقَّكُمْ، وَلَا يُنْكِرُ حَقَّكُمْ مُؤْمِنٌ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا أَصَبْنَا خَيْرًا إِلَّا مَا شَارَكْتُمُونَا فِيهِ، وَلَكِنْ لَا تَرْضَى الْعَرَبُ وَلَا تُقَرُّ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَنَّهُمْ أَفْصَحُ النَّاسِ أَلْسِنَةً، وَأَحْسَنُ النَّاسِ وُجُوهاً، وَأَوْسَطُ الْعَرَبِ دَاراً، وَأَكْثَرُ النَّاسِ سَحِيَّةً فِي الْعَرَبِ، فَهَلُمُّوا إِلَى عُمَرَ فَبَايَعُوهُ. قَالَ: فَقَالُوا: لَا. فَقَالَ عُمَرُ: لِمَ؟ فَقَالُوا: نَخَافُ الْأَثَرَةَ. قَالَ عُمَرُ: أَمَّا مَا عِشْتُ فَلَا. قَالَ: فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: أَنْتَ أَقْوَى مِنِّي. فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، فَقَالَا هَا الثَّانِيَّةُ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ، قَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّ قُوَّتِي لَكَ مَعَ فَضْلِكَ. قَالَ: فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَاتَى النَّاسُ عِنْدَ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ، فَقَالَ: أَتَأْتُونِي وَفِيكُمْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ - يَعْنِي: أَبَابَكْرٍ - . قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَقُلْتُ لِمَحَمَّدٍ: مَنْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟ قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾^١.

أولاً: «ثاني اثنين»، «ثالث ثلاثة»، وغيره، كلها مجعولة بعد يوم السقيفة، لأن الأدلة القطعية التي لا يكذب قائلها على أصحاب السقيفة وهو حديث عمر بن الخطاب لا يذكر كل هذا أبداً، فهذا كله كذبٌ ووُضِعَ لِتَلْمِيعِ الْقِصَّةِ^٢.
ثانياً: لم يكن لقريش ميزة على الأنصار، بل كانت وجوه الأنصار أنظر وأحلى وأجمل و...، ويدل على هذا شواهد كثيرة، ولأجل هذا كانت نساء الأنصار تغير من الضرائر، وكان رجالهم لا يرضون إلا بواحدة^٣.

١. التوبة (٩)/ ٤٠.

٢. ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي (ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة)، ١٤/ ٥٦٩ - ٥٧٠ = ١٨٨٩٧؛ وانظر أيضاً: المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٨٢ = ٢٣٥٨ (عن ابن أبي شيبة).

٣. انظر: حديث عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة.

٤. «أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا موسى بن محمد الأنصاري، عن ربيعة، عن عمرة بنت عبد الرحمن، قالت: قيل لرسول الله: ألا تتزوج يا رسول الله في نساء الأنصار فإنّ فيهم [فيهن] جالاً؟ فقال رسول الله: هنّ نساء فيهنّ غيرة شديدة ولا يصبرن على الضرائر وأنا صاحب ضرائر وأكره أن أسوء قومها فيها». (ابن سعد، الطبقات الكبير «ذكر ضرب النساء»، ٨/ ١٤٨؛ وانظر أيضاً: البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٦٣ = ٩٤٠؛ المقرئ، إمتاع الأسعاف، ٦/ ١١٢؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٨/ ١٣٩ = ٨٢٠٧).

حديث سلمة بن عبد الرحمن

تهديد عمر بإحراق بيت فاطمة عليها السلام

قال أبوبكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري -: وحدثني أبوزيد عمر بن شبة، قال: حدثنا أحمد بن معاوية، قال: حدثني النضر بن شميل، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن سلمة بن عبد الرحمن، قال: لما جلس أبوبكر على المنبر كان عليّ عليه السلام والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة، فجاء عمر إليهم، فقال: والذي نفسي بيده - لا ندري نفسه كانت بيد الدهر: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، أم كانت بيد الله؟ - لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم! فخرج الزبير مُصْلَتاً سيفه، فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لبيد، فدقّ به فبدر السيف، فصاح به أبوبكر وهو على المنبر: اضرب به الحجر. قال أبو عمرو بن حماس: فلقد رأيتُ الحجر فيه تلك الضربة، ويقال: هذه ضربة سيف الزبير.

لا ندري هذه المنقبة لمن؟! أهى للضارب، أم للزبير، أم لسيفه؟! إن كان يريد أنها فضيلة للزبير لبطشه وقوة بأسه فالزبير لم يضرب بسيفه على الحجر، وإن كان فضل لسيف الزبير، فأبوبكر قال: اضرب به الحجر، فضرب به الحجر فانكسر السيف، إلا أن يكون فضلاً لقوة الضارب، ولا ندري من هو؟! وهكذا الفضائل يُرمى بها من يد إلى يد كالخلافة التي يقول فيها سيدهم الذي كان يحكم على الخلفاء: «تلقفوها يا بني أُمّية تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبوسفيان ما من جنّة ولا نار»^١.

ثم قال أبوبكر: دعوهم فسيأتي الله بهم. قال: فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه^٢.

١. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٣/٩، ١٧٥/١٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٢٨٤هـ)، ٣ - ١٣/٢١٧٠ (طبعة دار المعارف: ٥٨/١٠)؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/٣٤٢ - ٣٤٣؛ الأُمّيني، الغدير، ٢٧٨/٨.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٦/٢.

أحاديث الشعبي

الحديث الأول

الإغارة على بيت فاطمة عليها السلام

قال أبوبكر - أحمد بن عبدالعزيز الجوهري -: وحدثنا أبوزيد عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبوبكر الباهلي، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال: سألت أبوبكر، فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند عليّ وقد تقلّد سيفه، فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتيا بهما.

فانطلقا، فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ فقال: نبايع عليّاً. فاخترطه عمر فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه، ثم دفعه، وقال: يا خالد دونكهُ فأمسكهُ، ثم قال لعليّ: قم فبايع لأبي بكر، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، فأخرجه.

ورأت فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجرة، وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرّتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله. قال: فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك وشفع لعمر، وطلب إليها، فرضيت عنه.^١

الحديث واضح، إنّما الكلام في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مأموراً بإشهار السيف، وإلاّ أبو حفص كان أذلّ وأحقّر وأخزى من أن يُمسك بأمير المؤمنين عليه السلام أو بالزبير. أمّا الزبير فهم يعترفون بأنّه فعل ما فعل يوم رسول الله ﷺ، وينقلون عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ عمرو بن جُرموز لما جاء برأس الزبير وسيفه في وقعة الجمل أخذ أمير المؤمنين عليه السلام السيف وهزّه، وقال: «سيفٌ طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ»، لا نقول بأنّ هذا القول صحيح مائة بالمائة، وإنّما عمر كان يخشى هذا السيف في حياة رسول الله ﷺ.

ولعلّه كان للزبير جانبان: جانبٌ يُرضي أخواله وهم بنوهاشم، وجانبٌ يُرضي أسماء ذات النطاقين، ولهذا الجانب الثاني تَغَلّب عليه بعد ما نشأ ابنه عبد الله بن الزبير^٢، أما أنّ الزبير يُمسك السيف فيحمل عليه عمر فيأخذه منه شيءٌ لا يليق بشخصيّة الزبير.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٧/٢.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٣٦/١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ٣٦هـ (مقتل الزبير بن العوام)، ١ - ٦/٣٢١٨ - ٣٢١٩ (طبعة دار المعارف: ٤/٥٣٥)؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣٦٤/٢.

٣. في كلام لأمير المؤمنين عليه السلام، يقول: «ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله». (القندوزي، يتابع المودة، ٤٥٠/١؛ وانظر أيضاً: الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٥٥٥)

أما أمير المؤمنين عليه السلام لم يشهر السيف - إن صحّ الحديث - وإنّما كان مأموراً بالسكوت والرضى إلا أن يُجبر على شيء فيأتي به عن كُره، نعم إنّه كان مأموراً من قبل رسول الله ﷺ بأن يصبر ويتجرّع الغُصص^١، فإن صحّ فأمر المؤمنين عليهم السلام دُفع لأنّه ما أراد أن يقاوم.

(ح ٤٥٣)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٩/٤، ١٠٢/٢٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٠٤/١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨٩/٣٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، (٢٣/١)

١. انظر: الكليني، الكافي، ١/ ٢٨١ - ٢٨٣ = ٤.

الحديث الثاني

الإغارة على بيت الصديقة الطاهرة عليها السلام

قال أبوبكر - الجوهري -: وأخبرني أبوبكر الباهلي، عن إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال:

عامر بن شراحيل الشعبي وُلِدَ في السنة التاسعة عشر من الهجرة فلم يحضر أحداث السقيفة، وهو عند القوم - إِنَّ صَدَقُوا - ثقةٌ كذابٌ^١، وكان من نُدَمَانِ عبدالمكِّ بن مروان^٢، وأنَّه كان يَمِيلُ إلى النظر إلى الصبيان، يرى في وجوههم عظمة الله، وأنَّه إِنْ شاء الله لم يكن يَنْظُرُ إليهم بشهوة وإنَّما كان ينظر بعرفانٍ وَجَدَ إليه العارفون فيما بعد سبيلاً.

قال أبوبكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا - يعني: حولك -، فقال: انطلقا إليهما - يعني: عليّاً والزبير - فأتياني بهما. فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج.

١. انظر ترجمته: المزي، تهذيب الكمال، ١٤/٢٨ - ٤٠ = ٣٠٤٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،

٢٥/٣٣٥ - ٤٣٠ = ٣٠٤٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/١٧١ - ١٨٤ = ٤٨١.

٢. الزركلي، الأعلام، ٣/٢٥١.

لعن الله من سمى خالد بسيف الله، والذي سمّاه هو الخليفة نفسه حينما أصرّ عليه عمر بن الخطاب بأن يعزله عن الإمارة على جُند الشام، قال: «لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوّه»^١، وكان ابنه من أصحاب معاوية وكان يرتجز يوم صفين، ويقول: «أنا ابن سيف الله ذاكم خالد»^٢.

فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعدّته لأبائع عليّاً.

يظهر أنّهم دخلوا من جانب الفناء، والذين كانوا في الفناء هم الذين أُخرجوا بعد ما أمرتهم الصديقة الطاهرة عليها السلام بأن ينصرفوا إلى أهاليهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام داخل البيت، أي: داخل الغرفة.

قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود، وجمهور الهاشميين. «جمهور الهاشميين» نوعٌ من المبالغة، لأنّ الرواية الواردة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام هكذا تقول: قال الراوي: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لم كان عليّ ينادي يوم أُخرج إلى البيعة وا حمزاه ولا حمزة لي اليوم، وا جعفره ولا جعفر لي اليوم، فأين كان عقيل والعباس؟ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ عقيلًا كانت تستضعفه قريش، وأمّا العباس بن عبدالمطلب فكان مستضعف الإيوان.^٣

١. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ١٦/ ٢٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٢٧؛ الأميني، الغدير، ٧/ ١٥٥.

٢. ابن مزاحم، وقعة صفين/ ٣٩٥؛ ابن أعثم، الفتوح، ٣/ ٩٧؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٥٠٠، ٤/ ٥٩.

٣. «مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ ابْنِ مُسْكَانَ،

فإذا «جمهور بني هاشم» مَنْ كانوا؟ سيّد بني هاشم، بل سيد المسلمين، بل بطل المسلمين بعد أمير المؤمنين عليه السلام قُتِلَ في أُحُد، وجعفر بن أبي طالب أخو أمير المؤمنين عليه السلام قُتِلَ يوم موتة، فلم يَبْقَ إِلَّا العباس الذي كان مِنْ هَمِّه الاحتفاظ بموارده المالية، والشاهد على ذلك أَنَّ من جملة ما قاله رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة - ما مضمونه -: «ألا وإنَّ كلَّ ربٍّ موضوع قد وضعته تحت قدميَّ هاتين فلا يحلَّ لكم أن تأخذوا ربًّا، ألا وإنَّ أوَّل ربٍّ أضعها تحت قدميَّ هاتين ربا العباس بن عبدالمطلب»، وكان للعباس بن عبدالمطلب عدّة مآثر، منها: أنّه كانت له الجواري في الطائف، هذه الجواري كُنَّ يسبحن الله سبحانه وتعالى ويقدّسنه، دائِمات الزهد يتمتع بهنَّ مَنْ

عَنْ سَدِيرٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرْنَا مَا أَحَدَثَ النَّاسُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَذَلَّ لَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَأَيُّ كَانَ عَزَّ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؟ إِنَّمَا كَانَ جَعْفَرٌ وَحَمْزَةٌ فَهَمْزِيَّةٌ، وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلَانِ ضَعِيفَانِ ذَلِيلَانِ حَدِيثَانِ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، عَبَّاسٌ وَعَقِيلٌ، وَكَانَا مِنَ الطُّلُقَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمْزَةً وَجَعْفَرًا كَانَا بِحَضْرَتَيْهَا مَا وَصَلَا إِلَى مَا وَصَلَا إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَا شَاهِدَيْهَا لَأَتَلَفَا نَفْسَيْهِمَا». (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨ / ٢٥١ = ٣٣)

١. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٧٠٩ (وفي الهامش: قال الشيخ أحمد شاكر - رح - في عمدة التفسير «١٨٩ / ٢»): «وهم الحفاظ ابن كثير - رح -، فإنَّ هذا لم يكن له يوم فتح مكّة، بل كان في حجة الوداع في خطبته صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم بعرفة». قلت: جاء هذا مصرحاً في رواية عمرو بن الأحوص، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ رَبٍّ مِنْ رَبِّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ...» فذكر الحديث، رواه أبوداود في السنن برقم: «٣٣٣٤» والترمذي في السنن برقم: «٣٠٨٧» [وقد أشار إلى الحديث ابن كثير نفسه في: ١ / ٧١٧].

يطلب السفاح، ومنها بيع الخمر، ومنها الربا، وأمّا عقيل كانت تستضعفه قريش ولا تهابه.

نعم، كان الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ من بني هاشم في البيت وهما كانا يسكنان فيه.

فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد، دونك هذا. فأمسكه خالد، وكان خارج البيت مع خالد جَمْعٌ كثير من الناس، أرسلهم أبوبكر رُدَّاءَ لهما.

يظهر أنّ أعيان المهاجرين هما عمر وخالد، وأمّا البقية كانوا رُدَّاءَ لهما.

ثم دخل عمر، فقال لعلّي: قم فبايع. فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير.

فأخرج محمولا، لا أنّه ﷺ أُخْرِجَ بإرادة منه، لأنّه كان مأمورا بالصبر والجلوس في بيته.

ثم أمسكها خالد، وساقها عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتلاّت شوارع المدينة بالرجال.

مجموع مَنْ كان يومذاك في المدينة من الرجال والنساء والأولاد والصبيان بل والرُّضْع لم يتجاوزوا أكثر من عشرة آلاف، أو أربعة عشر ألف نسمة، ولم يكن يومذاك تحضّر النساء مثل هذه المناسبات السياسية.

ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حُجْرَتِها - من داخل المسجد - ونادت: يا

أبأبكر، ما أَسْرَعَ ما أَغْرَثُم على أهل بيت رسول الله؟! والله لا أَكَلِّمَ عمرَ حتى أَلْقَى الله.

وهذا جزءٌ من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام الذي حُفِظَ، وهي تُسَمَّى المهجوم على بيتها «إِغارة».

قال: فلما بايع عليٌّ والزبير، وهدأت تلك الفَورَةُ، مشى إليها أبوبكر بعد ذلك فشَفَعَ لعمر، وطلب إليها، فَرَضِيَتْ عنه.^١

رَغِمَ أنفُ حديث عائشة الذي يذكره البخاري ومسلم، بل جميع من كانوا يَهْتَمُّون بحديث عائشة، أنَّها ما زالت غَضَبِي على الشيخين ولم يشفع إليها أحد، وحينما دخلا عليها حوَّلت وجهها إلى الحائط.^٢

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤٨ - ٤٩.

٢. انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/ ٣٠٣؛ الأميني، الغدير، ٧/ ٢٢٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة؛ ١/ ٣١٨؛ ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/ ٢٠ و ٣١.

الحديث الثالث

العباس وعرض البيعة على أمير المؤمنين عليه السلام

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، نَا زُهَيْرٌ، نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَامِرِ - بن شراحيل - الشَّعْبِيِّ - وهو مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ، وَكَانَ زَنْدِيقًا، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ السَّنَةِ مِنْ أَوْثَقِ النَّاسِ^١، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ فِي الْمَرَضِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ - يَعْنِي: النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ -: إِنِّي أَكَادُ أَعْرِفُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَنَسْأَلُهُ مَنْ يَسْتَخْلِفُ، فَإِنْ اسْتَخْلَفَ مِنَّا فَذَاكَ، وَإِلَّا أَوْصَى بِنَا فَحَفَظْنَا مَنْ بَعْدَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عِنْدَ ذَلِكَ مَا قَالَ، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَلِيِّ: ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ تَبَايَعَكَ النَّاسُ، فَقَبَضَ الْآخَرُ - أي: أمير المؤمنين عليه السلام - يَدَهُ^٢.

هذا الحديث ينافي الروايات الدالة على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأمير والولي بعد رسول الله ﷺ، لا بحسب الزمان بل بحسب الرتبة، ومنها قوله ﷺ

١. انظر ترجمته: المزي، تهذيب الكمال، ١٤/٢٨ - ٤٠ = ٣٠٤٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،

٢٥/٣٣٥ - ٤٣٠ = ٣٠٤٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/١٧١ - ١٨٤ = ٤٨١.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبير (ذكر ما قال العباس بن عبدالمطلب لعلِّي بن أبي طالب في مرض

رسول الله ﷺ عليه [وآله] وسلم)، ٢ - ٣٨/٢.

لأمير المؤمنين (عليه السلام): «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»^١، وكان هارون شريكاً لموسى في عصره لا بعد موته، حيث أن الآيات الكريمة تدلّ على هذا، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا *﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿فَاشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ يدلّ على أن اشتراك هارون مع موسى كان في عصر موسى لا بعد موته، وسائر أدلة الإمامة تعضد هذا.

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب (باب مناقب عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن)، ٢٤/٥؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل عليّ بن أبي طالب)، ١٨٧٠/٤ = ٣١ (٢٤٠٤)؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١٨٢/١ - ١٨٣، ١٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/١١١، ١١٢، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧ - ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦٠/٢، ٤٩٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٠٩/٩ = ١٤٦٤٢، ١٤٦٤٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ١٣-١٢/٤.

٢. طه (٢٠)/٣٢-٣٦.

حديث سعيد بن كثير

اجتماع الأنصار في السقيفة وخطبة سعد بن عبادة فيها

روى أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب «السقيفة»، قال: أخبرني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد بن سيار، قال: حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله [وسلم] لما قُبِضَ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم] قد قُبِضَ، فقال سعد بن عبادة لابنه قيس، أو لبعض بنيهِ: إني لا أستطيع أن أسمعَ الناسَ كلامي لمرضي، ولكن تلقَ منِّي قولي فأسمعَهُمْ - هذا التفصيل لم يأت في النصوص المجملّة -، فكان سعد يتكلّم ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليُسمعَ قومه.

قلنا: إن سقيفة بني ساعدة كانت مجتمعاً لبني ساعدة وهم فخذٌ من الخزرج، ولم تكن مجتمعاً للخزرج كلّهم، ولا نظنّ أن مجلسهم كان يستوعب أكثر من خمسين رجلاً، لأنّ السقيفة كانت لدرء حرّ الشمس، وإن كان هناك برْدٌ ليلٍ لدرء برد الليل، فكانت جذوعٌ تُنصب ويفرش عليها سعف النخل، فهذا لم يكن قد أُعدّ لاجتماع السقيفة، بحيث أنّهم يَبْنون فسطاطاً، أو ما يُشبهه الفسطاط، أو يستأجرون القاعات المعدّة لهذا كما نشاهد الآن في المؤتمرات، بل كان شيءٌ قد أُعدّه بنو ساعدة لجلساتهم فاجتمعوا وجليبوا سعداً إلى مجلسهم.

فكان من قوله، بعد حمد الله والثناء عليه، أن قال: إنَّ لكم سابقة إلى الدين، وفضيلةً في الإسلام ليست لقبيلةٍ من العرب، إنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا قليل.

أي: إلا فئة من بني هاشم، لأنَّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾^١، في حين أنَّ الآية نزلت وأهل مكة كانوا قد أسلموا، وفي قول البعض: «أسلموا كرهاً وخرجوا بعده طوعاً»^٢، فلو كان في الآية مبالغة لتحاملوا على مَنْ يستدل بالآية، ولا نقول لتحاملوا على الآية، لأنَّه من الجائز أن يقال: لم يكونوا يجروئون على ذلك، وإنَّ كان في أُنْدِيَّتِهِمْ يجروئون. نعم، أمّا الناس لا يجروئون على أقلِّ التقدير.

١. الأنعام (٦)/٦٦.

٢. جاء في كتاب قيس بن سعد إلى معاوية: «أما بعد: فإنَّما أنت وثن ابن وثن دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً». (ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ٢/٢٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/١٦؛ الأميني، الغدير، ٢/١٠٠، ١٠/١٥٧؛ الموفق الخوارزمي، المناقب، ٢٥٨؛ وانظر أيضاً: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/٤٣؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٨/٤٥٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/٥٢؛ أبو الفرج، مقاتل الطالبين/٤٣) وفي لفظ آخر قال: «إنَّما أنت وأبوك صنمان من أصنام الجاهلية دخلتما في الإسلام كرهاً وخرجتما منه طوعاً». (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٩/٤٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/١١١)

والله ما كانوا يقدرّون أن يمنعوا رسول الله، ولا يُعزّوا دينه، ولا يدفعوا عنه عِداه، حتى أراد الله بكم خيرَ الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصّكم بدينه، ورزقكم الإيَّان به وبرسوله، والإعزازَ لدينه، والجهادَ لأعدائه، فكنتم أشدَّ الناس على مَنْ تخلّف عنه منكم، وأثقله على عدوّه من غيركم، حتى استقاموا لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً داحضاً، حتى أنجز الله لنبِيِّكم الوعدَ، ودانتْ لأسيافكم العربُ، ثم توفّاه الله تعالى، وهو عنكم راضٍ، وبكم قريّرُ عَيْنٍ، فشدُّوا يديكم بهذا الأمر، فإنكم أحقُّ الناس وأولاهم به.

هذا الكلام لم يأت في المصادر الأخرى، لأنَّ فيه ممّا تأباه قريش التي حكمت فيما بعد، ونثّق بأنَّ قريشاً لم تؤمن بالإسلام كدين وإنَّما آمَنت به كسيادةٍ كَسَبَتْها لصالحها طوعاً أو كرهاً من غيرها على أكثر التقادير.

ترادّ الكلام بين الأنصار بعد خطبة سعد

فأجابوا جميعاً: أن وُفِّقَت في الرّأي، وأصَبَت في القول، ولن نَعُدّو ما أُمِرْتُ، نوَلِّيك هذا الأمر، فأنت لنا مَقْنَع، ولصالح المؤمنين - لا لعامة النَّاس، بل للذين يَرون أنَّهم يتقيّدون بالشرع - رضا.

ثم إنهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: إنَّ أبْتَ مُهاجرةٌ قريشٍ، فقالوا: نحن المهاجرون، وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم الأوّلون، ونحن عشيرتُه وأولياؤُه، فعَلَامَ تنازعونا هذا الأمرَ من بعده؟ فقالت طائفة منهم: إذاً نقول: منّا أمير ومنكم أمير، لَنْ نرضى بدون هذا منهم أبداً، لنا في الإيواء والنصرة ما لهم في الهجرة، ولنا في كتاب الله ما لهم، فليسوا يعدّون شيئاً إلّا ونعدُّ مثله، وليس

مِنْ رَأَيْنَا الإِسْتِثَارَ عَلَيْهِمْ، فَمِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْهُمْ أَمِيرٌ - فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: إِنَّ أَبِي الْمُهَاجِرُونَ، فَنَقُولُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ - فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ: هَذَا أَوَّلُ الْوَهْنِ. وَصَدَقَ سَعْدٌ، فَإِنَّهُمْ إِنْ بَقُوا عَلَى رَأْيِهِمْ لَا شَكَّ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ مَعَهُمَا غَلَوَا فِي عِدْدِهِمْ كَانُوا يَضْطَرُّونَ إِلَى أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْأَنْصَارِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْمُمَثِّلُونَ لِلرَّأْيِ الْعَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُمْ الْكَثْرَةُ الْكَاثِرَةُ، وَالْمُهَاجِرُونَ كَانُوا فِي قَلَّةٍ.

وصول خبر السقيفة إلى أبي بكر وعمر وذهابهما إليها

وَأَتَى الْخَبْرُ عُمَرَ، فَأَتَى مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَسَلَّمَ]، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ فِي الدَّارِ، وَعَلِيًّا فِي جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَسَلَّمَ]، وَكَانَ الَّذِي أَتَاهُ بِالْخَبْرِ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ، فَأَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ - وَهُوَ كَانَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَقَالَ: قُمْ. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ قِيَامٍ. فَقَامَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، مَعَهُمْ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، يَدُورُونَ حَوْلَهُ، وَيَقُولُونَ: أَنْتَ الْمُرْجِيُّ، وَنَجْلُكَ الْمُرْجِيُّ، وَثُمَّ أَنَاسَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَقَدْ خَشِيتَ الْفِتْنَةَ، فَانْظُرْ يَا عُمَرُ مَاذَا تَرَى!

وَإِذَا ذَكَرَ لِاخْوَتِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَابِ فِتْنَةٍ قَدْ فُتِحَتِ السَّاعَةُ إِلَّا أَنْ يُغْلِقَهُ اللَّهُ، فَفَزَعَ عُمَرُ أَشَدَّ الْفَزَعِ، حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ: قُمْ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَيْنَ نَبْرَحُ حَتَّى نَوَارِيَ رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ. فَقَالَ عُمَرُ: لَا بَدَّ مِنْ قِيَامٍ، وَسَنَرْجِعُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ عُمَرَ، فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، فَفَزَعَ أَبُو بَكْرٍ أَشَدَّ الْفَزَعِ، وَخَرَجَا مَسْرِعَيْنِ إِلَى سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِيهَا رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَيُمَهِّدَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ:

خشيت أن يقصّر أبوبكر عن بعض الكلام، فلما نبس عمر، كفّه أبوبكر، وقال: على رسلك، فتلقّ الكلام ثمّ تكلم بعد كلامي بما بدا لك.

خطبة أبي بكر في السقيفة

فتشهد أبوبكر، ثمّ قال: إنّ الله جلّ ثناؤه بعث محمّداً بالهدى ودين الحقّ. الخطب كلّها - حتى خطب يزيد، وعبد الملك، وهشام بن عبد الملك - كانت تبدأ بشهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسالة النبي ﷺ، وليس هذا شيء يمتاز به بعضهم، وإنّما الأفعال هي التي تُصدّق الأقوال أو تُكذّبها.

فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله بقلوبنا ونواصبنا إلى ما دعانا إليه، وكُنّا معاشر المسلمين المهاجرين أوّل الناس إسلاماً، والناس لنا في ذلك تبع، ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوسط العرب أنساباً، ليس من قبائل العرب إلا ولقریش فيها ولادة، وأنتم أنصار الله، وأنتم نصرتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ أنتم وزراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين، وفيما كنّا فيه من خير، فأنتم أحبّ الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحقّ الناس بالرضا بقضاء الله، والتسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين، وأحقّ الناس ألاّ تحسدوهم، فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة، وأحقّ الناس ألاّ يكون انتقاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة وعمر، فكلاهما قد رضيّا لهذا الأمر، وكلاهما أراه له أهلاً.

فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك، أنت صاحب الغار، ثاني اثنين، وأمرك رسول الله بالصلاة، فأنتم أحبّ الناس بهذا الأمر.

قلنا كل هذه الحجج صيغت بعد يوم السقيفة بعدة مواقع، حيث أنهم لم يجدوا حجة صاغوا هذه الحجج، والحال أن حديث عمر حين ما يحكي ما وقع في السقيفة ليس فيه شيء من هذا.^١

موقف الأنصار بعد خطبة أبي بكر وما قاله أبوبكر لهم

فقال الأنصار: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، ولا أحد أحب إلينا ولا أَرْضى عندنا منكم، ولكننا نَشْفِقُ فيما بعد هذا اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر مَنْ ليس منّا ولا منكم، فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا واحداً من الأنصار، فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة، كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم، فيشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي، ويشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري.

فقام أبوبكر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لما بُعِثَ عَظُمَ على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخالفوه وشاقّوه.

يقول أبوبكر: إن العرب شاقّوه وخالفوه، أمّا قريش فكلّهم بمجرد أن دعى رسول الله ﷺ آمنوا به بدون نزاع وجدال؟! مع أن القرآن الكريم يقول: كلّ العرب كانوا ينتظرون نتيجة نزاع مكة مع النبي ﷺ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾^٢.

١. انظر: حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة.

٢. الأنعام (٦)/٦٦.

وخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه - أي: المهاجرين في مكة، لا المهاجرين بعد ما هاجروا إلى المدينة المنورة - بتصديقه والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على شدة أذى قومه - نعم، هذه الصفات كانت في اثنين أم المؤمنين خديجة عليها السلام وأمير المؤمنين علي عليه السلام، ويشهد لذلك حديث عفيف الكندي^١ وغيره - ولم

١. «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ النَّاقِدُ، وَمُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَا: ثنا أَبُو خَيْثَمَةَ رُهَيْرٌ بْنُ حَرْبٍ، ثنا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِيَّاسٍ بْنِ عَفِيفٍ الْكِنْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَفِيفٍ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ امْرَأً تَاجِرًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ قَرِيبًا مِنْهُ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ، فَلَمَّا رَأَاهَا مَالَتْ قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ خَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْخَبَاءِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَامَتْ خَلْفَهُ تُصَلِّي، ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ حِينَ رَأَاهُ الْقُلَمُ مِنْ ذَلِكَ الْخَبَاءِ يُصَلِّي، قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ابْنُ أَخِي. قُلْتُ: وَمَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ. قُلْتُ: مَنْ الْفَتَى؟ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ. قُلْتُ: وَمَا هَذَا الَّذِي يَصْنَعُ؟ قَالَ: يُصَلِّي وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَهَذَا الْفَتَى ابْنُ عَمِّهِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيُفْتَحُ عَلَيْهِ كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرٍ».

(الطبراني، المعجم الكبير «عفيف بن معدي كرب الكندي»، ١٨ / ١٠٠ = ١٨١)

* «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضْرَمِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ خُثَيْمٍ.

(ح): وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ الْأَزْدِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ خُثَيْمٍ الْهَلَالِيُّ.

(ح): وَحَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَنَاطِيُّ الرَّامَهُرْمَزِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ رُشْدٍ بْنُ خُثَيْمٍ الْهَلَالِيُّ، حَدَّثَنِي عَمِّي سَعِيدُ بْنُ خُثَيْمٍ، عَنْ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَفِيفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، وَكَانَ أَخُو ابْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ الْقَيْسِ لَأُمِّهِ، قَالَ: وَرَدْتُ مَكَّةَ لِابْتِنَاءٍ لِأَهْلِي مِنْ طَيْبِهَا وَعِطْرَهَا فَأَوْبِتُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، فَأَنَا عِنْدَهُ، وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَأَنَا أَنْظُرُ إِذْ جَاءَ شَابٌّ فَقَلَبَ بَصَرَهُ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ صَرَبَ بَصَرَهُ قَبْلَ الْكَعْبَةِ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ غُلَامٌ، فَقَامَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِذْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَامَتْ خَلْفَهُمَا، وَكَبَّرَ الشَّابُّ فَكَبَّرَا، ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعَا، فَسَجَدَ

يستوحشوا لكثرة عدوّهم، فهم أوّل مَنْ عبد الله في الأرض، وهم أوّل مَنْ آمن برسول الله.

ولا ندري حينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾، فهل هؤلاء كانوا غير قوم رسول الله، أم كانوا قومه ﷺ ولكنهم كانوا يُسرّون النفاق، لأنهم كانوا يتزلفون إلى قريش بأنهم على دين آبائهم، وكانوا يتجسّسون على رسول الله ﷺ في النفر القليل الذي كان قد آمن به، وهذا يستفاد من عدة أحاديث. وهم أولياؤه وعترته.

العتره معناها واضح في اللغة^١، كيف يكون الأوّل وهو من تيم ويتّصل برسول الله ﷺ بعد تيم، والثاني وهو من عديّ ويتّصل برسول الله ﷺ في الثامن أو في التاسع في عمود النسب^٢، يُصيحان عتره رسول الله ﷺ؟! جاء في الحديث: ممّا

فَسَجَدَا، قُلْتُ: يَا عَبَّاسُ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قَالَ الْعَبَّاسُ: أَمْرٌ عَظِيمٌ، هَلْ تَعْلَمُ الشَّابَّ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ابْنُ أَخِي، هَلْ تَعْلَمُ مِنَ الْمَرْأَةِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ابْنِ أَسَدٍ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى سَيِّدَةُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، زَوْجُ ابْنِ أَخِي، وَهَذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ابْنُ أَخِي، زَعَمَ ابْنُ أَخِي أَنَّ رَبَّهُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَمْرُهُ بِهَذَا الدِّينِ، لَا وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ أَحَدًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عَلَى هَذَا الدِّينِ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ». (الطبراني، المعجم الكبير «عفيف بن معدي كرب الكندي»، ١٨ / ١٠١ = ١٨٢)

١. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤ / ٥٣٨؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ٢ / ١٥٧.

٢. نسب النبي ﷺ وأبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب:

* «محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان». (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣ / ٤٩)

* «عبدالله [أو: عتيق] بن عثمان [أبي قحافة] بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة

حفظ الناس من كلام الأنبياء قولهم: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^١، وهنا نطبِّقه على القول، ونقول: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَقُلْ مَا شِئْتَ».

وأحقُّ الناس بالأمر بعده، لا يَنَازِعُهُمْ فِيهِ إِلَّا ظَالِمٌ.

هل أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان يرى أَنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْأَمْرِ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون غريباً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهؤلاء الذين إنَّ اتَّصَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) اتَّصَلُوا بِهِ فِي الْعُمُودِ الثَّامِنِ وما بعد، يكونوا عترته وأحقُّ الناس بالأمر بعده لا يَنَازِعُهُمْ فِيهِ إِلَّا ظَالِمٌ؟! وأيضاً: ممَّا حفظ الناس من كلام الأنبياء قولهم: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

وليس أحد بعد المهاجرين فضلاً وقدماً في الإسلام مثلكم.

بعد المهاجرين مَنْ هُمْ؟! بعد عليٍّ (عليه السلام) نعم، بعد خديجة (عليها السلام) نعم، بعد حمزة نعم، بعد جعفر نعم، أمَّا الآخرين فلا ندري؟!!

بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان». (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/١٨)

* «عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك [بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]». (الطبراني، المعجم الكبير، ١/٦٤)

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب (باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت)، ٨/٣٥؛ أحمد بن حنبل، المسند، ٤/١٢١، ٥/٢٧٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٧/٢٣٠، ٦٤٠ = ٢٣٥ - ٢٣٧ = ٦٥١ - ٦٦١.

فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نمتازُ دونكم بمشورةٍ، ولا نقضي دونكم الأمور.

عجيب، اتفق الكل على أنّ أبا بكر الذي نُصب فيما بعد خليفة، قال وعداً قاطعاً صريحاً بأنهم الأمراء، فلا يكون أميرٌ إلا بعد أمير، ولأجل هذا لم يكن لأبي حفص مقاماً إلى جنب أبي بكر لأنّ الأمير يكون واحداً، وأمّا الوزراء الذين يُستشارون فعددهم قد يتجاوز عدد الأصابع، والتاريخ يشهد بأنّ هؤلاء الوزراء لم يُستشاروا ولا يوماً واحداً، أقصوا بحيث قدّموا الأبعد عليهم.

كلام الحباب بن المنذر وموقف عمر من كلامه

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أيديكم، إنّما الناس في فيئكم وظلّكم، ولا يجترئ مجترئٌ على خلافكم، ولا يصدر الناس إلا عن أمركم، أنتم أهل الإيواء والنصرة، وإليكم كانت الهجرة، وأنتم أصحاب الدار والإيمان، والله، ما عبد الله علانية إلا عندكم وفي بلادكم، ولا جُمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا عُرف الإيمان إلا من أسيافكم، فأملكوا عليكم أمركم، فإنّ أباي هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير.

هذا ما قاله الحباب بن المنذر بن الجموح، ولكنّ المشكلة أنّ المهاجرين كانوا على قسمين: قسّم شُغل برسول الله ﷺ وعلى رأسهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فلا يمكن لهم أن يتركوا النبي ﷺ، وقسّم أسرع إلى سقيفة بني ساعدة، فالذين كانت لهم المعارضه كانوا قد شُغلوا.

نعم، في اليوم الثاني احتجّوا ولكنّ حجّتهم دُحضت يوم الأوّل، وأمّا الأنصار فحملهم تنافسهم على الإمرة إلى شقّ العصا بينهم وتسليمها للمهاجرين، وهذه

هي المشكلة الكبيرة التي حَلَّتْ بأحداث يوم السقيفة، ولأجل هذا عبّروا عن المخالف بـ«الذي يَشُقُّ عصا المسلمين».

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع سفيان في غَمْدٍ - فلنكسر أحدهما يبقى الغمد لل سيف الآخر، كما كسر سيف الزبير وبقي غمده بلا سيف حينما خرج الزبير مصلاً سيفه، وقلنا بانّها كانت مناورة منه لا أنّه كان جاداً في عمله^١، لأنّه كما تقول العرب: أليس أنت بفارس؟ أليس أنت بسيّاف؟ فإن كنت سيّافاً فلا يمكنك بسهولة أن تُعطي سيفك وخاصّة «مقادة سيفك» بحيث تُمكّن الشخص الذي يهاجمك من أن يقبض على مقادة سيفك - إنّ العرب لا ترضى أن تُؤمّركم ونبئها من غيركم - لا ندري أن أباحفص حينما قال هذا الكلام، اعتمد على أيّ الوكالات التي تستطلع آراء الناس؟! - وليس تمتنع العرب أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم، وأولو الأمر منهم، لنا بذلك الحجّة الظاهرة على من خالفنا - ولكنكم نسيتم هذه الحجّة في مكّة وجئتم بها فريّة كاذبة في المدينة - والسلطان المبين على من نازعنا، من ذا يُخاصمنا في سلطان محمّد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلّا مُدْلٍ بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورّط في هلكة.

فقام الحُباب، وقال: يا معشر الأنصار، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر، فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فاجلّوهم عن بلادكم، وتولّوا هذا الأمر عليهم، فأنتم أولى الناس بهذا الأمر، إنّه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم

١. انظر: حديث الشعبي الأوّل وحديث أبي الأسود.

يكن يدين له، أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكَ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ، إِنَّ شَتَمَ لِنُعِيدَنَّهَا جَذَعَةً، وَاللَّهِ لَا يَرُدُّ أَحَدٌ عَلَيَّ مَا أَقُولُ إِلَّا حَطَمْتُ أَنْفَهُ بِالسِّيفِ.

كلام بشير بن سعد وترشيح المهاجرين الثلاثة للبيعة

قال: فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عُبَادَةَ - وكان حاسداً له، وكان من سادة الخزرج -، قام، فقال: أيُّهَا الْأَنْصَارُ، إِنَّا وَإِنْ كُنَّا ذَوِي سَابِقَةٍ، فَإِنَّا لَمْ نُرِدْ بِجِهَادِنَا وَإِسْلَامِنَا إِلَّا رِضَا رَبِّنَا وَطَاعَةَ نَبِيِّنَا، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْتَطِيلَ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَلَا نَبْتَغِي بِهِ عَوْضاً مِنَ الدُّنْيَا، إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَوْمُهُ أَحَقُّ بِمِيرَاثِ أَمْرِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَنَا زَعَمُهُمْ هَذَا الْأَمْرَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَنَازَعُوهُمْ، وَلَا تَخَالَفُوهُمْ.

فقام أبوبكر، وقال: هذا عمر وأبو عبيدة، بايعوا أيُّهُمَا شِئْتُمْ، فَقَالَا: وَاللَّهِ لَا نَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ، وَثَانِي اثْنَيْنِ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ أَفْضَلُ الدِّينِ، ابْسُطْ يَدَكَ نَبَايَعُكَ. فلما بسط يده وذُهِبَا بِيَايَعَانِهِ، سَبَقَهُمَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ فَبَايَعَهُ، فَناداهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذَرِ: يَا بَشِيرُ، عَقَّكَ عَقَاقُ، وَاللَّهِ مَا اضْطَرَّكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْحَسَدُ لَا بَنَ عَمَّكَ.

ولما رأت الْأَوْسُ أَنَّ رَئِيساً مِنْ رُؤَسَاءِ الْخَزْرَجِ قَدْ بَايَعَ، قَامَ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ - وَهُوَ رَئِيسُ الْأَوْسِ - فَبَايَعَ حَسِداً لِسَعْدٍ أَيْضاً، وَمُنَافِسةً لَهُ أَنْ يَلِيَ الْأَمْرَ، فَبَايَعَتِ الْأَوْسُ كُلُّهَا لِمَا بَايَعَ أُسَيْدٌ.

موقف سعد بن عبادَة بعد بيعة أبي بكر

وَحُلَّ سعدُ بنُ عبادَة وهو مريض، فأُدْخِلَ إلى منزله، فامتنع من البيعة في ذلك اليوم - أي: يوم السقيفة - وفيما بعده، وأراد عمر أن يُكرهه عليها، فأشير عليه ألا يفعل - أي: أشاروا أصحاب عمر عليه أن لا يفعل، لأنَّ سعداً وجد أنصاراً كما يقول الحديث، ولكنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يجد أنصاراً فأكرهه على البيعة - وإنَّه لا يبيع حتى يُقتل، وإنَّه لا يُقتل حتى يُقتل أهله - أي: أهله يحمونه فلا يُصار إليه إلا إذا قتلوا - ولا يُقتل أهله حتى يُقتل الخزرج، وإنَّ حُوربت الخزرج كانت الأوس معها - أشير على عمر بأنَّ الأنصار يتَحَزَّبون لسعد ويحمونه ولا يمكن لغيرهم أن يصلوا إليه، ولكنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يجد أنصاراً - وفسد الأمر فتركوه، فكان لا يصلِّي بصلاتهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضي بقضائهم، ولو وجد أعواناً لضاربهم - أي: لو وجد سعد بن عبادَة أنصاراً وأعواناً ينصرونه في ما إذا حَمَلَ عليهم (لا أن يحمونه إذا حملوا عليه) لضاربهم - فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر، ثم لقي عمر في خلافته وهو على فرس وعمر على بعير - ولا ندري أنَّ أَرْقَةَ المدينة يومذاك كانت تَسْعُ للتجوال على بعير أم لا؟! - فقال له عمر: هيهات يا سعد! - يعني: أنَّك لا تُفلح في مناهضتنا والمقاومة أماناً - فقال سعد: هيهات يا عمر! فقال: أنت صاحب مَنْ أنت صاحبه.

يعني: أنت تَصَحَّب شخصاً يُحْضِكُ على عدم البيعة والخضوع لنا ولإمرتنا، ولا ندري ما الذي يقصد؟! فإنَّ صحَّ الحديث الذي ذكره البعض أنَّ سعداً استشار أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل يوم السقيفة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مِنْ أَنَّهُ قال له: إنَّ هؤلاء القوم لا يدعونك تفوز بالإمرة والخلافة فهل تأذن لي بأنَّ أحتاط لنفسي ولأصحابي

فنجعل لنا إمرةً إن كانت لهم إمرة؟ فأذن له أمير المؤمنين عليه السلام، نعم، وإلا فلا نجد مَنْ يكون رأيه يَغْلِبُ على رأي سعد بن عبادَةَ، أو أنَّ سعداً يَأْتَمِرُ بأمره فيمن كان يُحِيط به.

قال: نعم أنا ذاك. ثم قال لعمر: والله ما جاورني أحدٌ هو أبغض إليَّ جواراً منك. إنَّ كان هذا رأي سعد بن عبادَةَ (وهو سيّد الأنصار وله فَضْلُهُ ومنقَبَتُهُ عندهم) في حُسن جوار عمر، فما هو الرأي الذي كان يرتأيه مَن لا يكون بمنزلة سعد، مَن قوَّة، وشكيمَة، وعُدَّة، وعدَد؟

قال عمر: فإنَّه مَنْ كَرِهَ جوار رجل انتقل عنه. مَنْ كَرِهَ جوار رجلٍ أن لا يُساكنه في مدينته انتقل عنه وتحوَّل إلى مدينة أخرى. فقال سعد: إنِّي لأرجو أن أُخْلِيقَ لك عاجلاً إلى جوار مَنْ هو أحبُّ إليَّ جواراً منك ومن أصحابك.

يعني: هل يرى سعد أنَّ جوار النصارى أحبُّ إليه مِنْ جوار المدينة التي يكون فيها أبوحفص؟! لأنَّ يومذاك كان غالب سكان الشام نصارى، وبَقُوا على نصرائَتِهِمْ إلى أن جاءهم المسلمون العرب شيئاً فشيئاً فأصبحت اللغةُ عربيَّةً وأصبح الجوّ عربياً، كما أنَّ الحيرة أيضاً كانت نصرائيَّة.

فلم يلبث سعدٌ بعد ذلك إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام فمات بحوران ولم يبايع لأحد، لا لأبي بكر، ولا لعمر، ولا لغيرهما.

ولهذا دَسُّوا إليه مَنْ كَمَنَ لَهُ فَرَمَاهُ بِسَهْمَيْنِ ثُمَّ حَمَلُوا الْجَنِّ الرَّمِيَتَيْنِ:
نحن قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزَرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهُ^١
معنى ذلك أَنَّ السَّهْمَيْنِ رُمِيَا بِحَيْثُ وَقَعَ الثَّانِي مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْأَوَّلِ، وَيُظْهِرُ أَنَّ
الرَّمِيَّةَ كَانَتْ مَسْدَدَةً، وَلَا نَزِيدَ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ هَذَا.

امتناع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة والهجوم على بيت فاطمة عليها السلام

قال: وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَبَايَعَهُ مَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَاجْتَمَعَتْ
بَنُو هَاشِمٍ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَعَهُمُ الزُّبَيْرُ، وَكَانَ يَعِدُّ نَفْسَهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ - الزُّبَيْرُ مَعَ أَنَّهُ مِنْ مَخْزُومٍ^٢ وَلَكِنْ حَيْثُ أَنَّ أُمَّهُ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ
هَاشِمٍ بَنَ عَبْدِ مَنَافٍ فَكَانَ يَرَى نَفْسَهُ تَبَعًا لِأَخْوَالِهِ بَنِي هَاشِمٍ - كَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ: مَا
زَالَ الزُّبَيْرُ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، حَتَّى نَشَأَ بَنُوهُ فَصَرَفُوهُ عَنَّا.

كَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ تَزَوَّجَ بِأَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أُخْتِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا نَشَأَ بَنُوهُ (وَهُمُ
عَبْدُ اللَّهِ، وَعُرْوَةُ، وَمُصْعَبُ، وَعَبَّادُ) حَوَّلُوهُ مِنْ أَخْوَالِهِ إِلَى مَنْ صَاهَرَهُمْ، وَهُمْ آلُ
تَيْمٍ، وَفِي كَلَامٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، يَقُولُ: «مَا زَالَ الزُّبَيْرُ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ
الْمَشْؤُومُ عَبْدُ اللَّهِ»^٣.

١. الذَّهَبِيُّ، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، ٣/ ١٤٩؛ الطَّبْرَانِيُّ، الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، ١٦/ ٦ = ٥٣٥٩ و ٥٣٦٠؛ ابْنُ أَبِي
الْحَدِيدِ، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ١٠/ ١١١.

٢. «الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ
بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ». (ابْنُ عَسَاكِرٍ، تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ، ١٨/ ٣٤١)

٣. الْقَنْدُوزِيُّ، يَنْابِيعُ الْمَوْدَةِ، ١/ ٤٥٠؛ وَانْظُرْ أَيْضًا: الشَّرِيفُ الرُّضِّي، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ/ ٥٥٥ (ح ٤٥٣)؛

واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان، واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبدالرحمن.

إنَّ صحَّ الحديث، فاجتماعهم لأجل أنَّهم كانوا يَرَوْنَ ويدَّخِرُونَ حصصاً لأنفسهم فيما بعد، وأنَّ بني أمية هي التي كانت الأساس، والتي كانت ترى أنَّ الذين سبقوا عثمان كانوا بمنزلة مُحلِّلين لكي تَصِلَ الإمرة إلى عثمان.

فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة، فقال: ما لي أراكم مُلتاثين؟ قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايع له الناس، وبايعه الأنصار، فقام عثمان ومن معه، وقام سعد، وعبدالرحمن، ومن معهما، فبايعوا أبا بكر.

وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، منهم أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ، وسَلَمَةُ بن أسلم، فقال - عمر - لهم: انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب.

خرج إليهم الزبير مُضَلِّتاً سيفه، فقال عمر: عليكم الكلب، يَظْهَرُ أَنَّهُ كان يُجْجَم أن يَهْجَمَ على الزبير فكان يأمر، شأنه شأن الشجعان الذين يُشْرَفُونَ مَنْ علو إلى الجيش الذي يحارب:

ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٩/٤، ١٠٢/٢٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،

١٨/٤٠٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨٩/٣٤؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٢٣.

قال العلامة الجعفري^(ع): سمعت من المرحوم العلامة الكبير الشيخ محمد علي العنقوي الكبير، حينما كان يذكر أيام استشهاد الصديقة الطاهرة^(ع) على المنبر بمناسبة أنَّ الصديقة الطاهرة أوصت إلى أمير المؤمنين علي^(ع) بأن لا يشهد الشيخان دفنها، ولا يحضرا للصلاة عليها، وقالت له: إن كان هذا صعباً عليك فإني أوصي إلى الزبير؛ إلى ذلك اليوم الزبير كان مَيْلُهُ - يعني: مَيْلُهُ السياسي، ولا أقول ميله القلبي - إلى أخواله بني هاشم، لا إلى عائشة وبيت عائشة.

إِذَا كُنْتُمْ مِّن يَّرُومٍ لِّحَاقِهِ فَهَلَّا بَرَزْتُمْ نَحْوَ عَمْرٍو وَمَرْحَبٍ
وَكَيْفَ فَرَرْتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَخَيْبٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ مَّهْرَبًا بَعْدَ مَهْرَبٍ^١
حِينَما عَلِمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَهْدَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ يَسْكُتُ
وَيَصْبِرُ وَيَتَجَرَّعُ الْغَصَصَ إِلَّا إِذَا وَجَدَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، حِينَ ذَاكَ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ كَمَا
قَالَ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّبِيرِ.

فَوُثِبَ عَلَيْهِ سَلْمَةُ بْنُ أَسْلَمٍ، فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ فَضْرَبَ بِهِ الْجِدَارَ.
قُلْنَا سَابِقًا أَنَّ الزَّبِيرَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْجَبَانَ الَّذِي يَخْشَى مِنْ عِدَّةٍ مَعْدُودَةٍ دُونَهُ فِي
الشَّجَاعَةِ وَالشَّرَفِ وَالْأَنْفَةِ، الظَّاهِرُ أَنَّ الزَّبِيرَ لَمْ يُخْرَجْ مُحَارِبًا وَإِنَّمَا خَرَجَ بِاتِّفَاقٍ سَرِّيٍّ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ السَّقِيفَةِ أَنَّ يُرْضَى أَحْوَالُهُ بَنِي هَاشِمٍ وَيَعْتَدَرُ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ مَعْدُورٌ
حِينَما بَايَعَ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ الزَّبِيرُ خَرَجَ مُصْلِتًا بِالسَّيْفِ يُرِيدُ أَنْ يَحَارِبَ لَمَا تَمَكَّنَ مِنْهُ
فُلَانٌ وَفُلَانٌ بِأَنْ يَأْخُذُوا سَيْفَهُ وَيَضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ، وَأَقْلَّ التَّقْدِيرُ أَنَّهُ كَانَ يُقَاوِمُ وَلَا
يُعْطِي السَّيْفَ إِعْطَاءً، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ وَأَخَذَ مِنْهُ السَّيْفَ عَلَى أَسَاسٍ
أَنَّهُ لَمْ يَقَاوِمُ وَلَا يَشُدُّ يَدَهُ عَلَى السَّيْفِ.

ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهِ وَبَعْلِيٍّ وَمَعَهُمَا بَنُو هَاشِمٍ، وَعَلِيٌّ يَقُولُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهُ: بَايِعْ. فَقَالَ: أَنَا
أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، لَا أَبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْبَيْعَةِ لِي.

الْبَيْعَةُ كَمَا قُلْنَا إِطَاعَةً لِمَنْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ بِأَنْ يُطَاعَ، لَا أَنَّمَا تُحْدِثُ الْأَحْقَقِيَّةُ
وَوَلَايَةُ الْأَمْرِ لِلْمَبَايِعِ لَهُ.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/٧ - ٨؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٥٣٠.

أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار.

في كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السلام يذكرُ بعضاً منه الشريف الرضي - أعلى الله مقامه - في نهج البلاغة: لما بلغه عليه السلام أنّ أصحاب السقيفة احتجّوا «بأنهم من الشجرة التي منها رسول الله صلى الله عليه وآله»، قال: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»^١، وفي كلام له يقول: فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ هَذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيِّبُوا وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَاجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ^٢ فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع - لأنه عليم بأن أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنّه مأمور بالصبر لا يلجأ إلى الشدة - فقال له علي: احلب يا عمر حلباً لك شطره! اشدّد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً!

هذه الجملة معروفة عن أمير المؤمنين عليه السلام، أيضاً يقول في خطبته الشقشقية: «لشدّ ما تشطّراً ضرّعها - أي: لا أن عمر أخلف أبا بكرٍ على ثدي الخلافة، بل أخذ أبو بكرٍ يحلب من ثدي الخلافة جانباً ويحلب معه عمر من جانبٍ آخر - فصيرّها في حوزة خشناء يغلظُ كلمها، ويخشُنُ مسّها، ويكثرُ العثارُ فيها، والإعتذارُ منها،

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٣ - ٤.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/٤١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩/٦٠٩.

فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ، إِنَّ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمٍ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم، فَمُنِّي النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطِ وَشَمَاسٍ، وَتَلَوْنِ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ^١.

ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه. فقال له أبوبكر: فإن لم تُبايعني لم أُكرِهك - هكذا يقول حديثهم، يعني: إن بايَعْتَ تُبايع طوعَ رَغْبَتِكَ، وإن لم تُبايع فلا أُكرِهك - فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن، إنك حديث السنن، وهؤلاء مَشِيخَةٌ قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور، ولا أرى أبابكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشدَّ احتمالاً له، واضطلاعاً به - إن لم يكن هذا رأي أبي عبيدة فلا معنى له، لأنَّه هو وعمر اللذان بايعا أبابكر يوم السقيفة وليس لهما ثالث من قريش - فسَلِّم له هذا الأمر وارض به، فإنَّك إنْ تعش ويَطْلُ عمركُ فأنت لهذا الأمر خليف وبه حقيق، في فضلك وقرابتك، وسابقتك وجهادك - لم يَذْكُر لأبي بكر سابقة ولا فضلاً، وإنَّما ذَكَرَ له أَنَّهُ أَسَنُّ مِنْ أمير المؤمنين ﷺ، وذوي السنن مُقَدَّم على غيره حينما يتعارض أحدهم بالآخر -.

فقال علي: يا معشر المهاجرين، الله الله! لا تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ عَنْ دَارِهِ وَبَيْتِهِ إِلَى بِيُوتِكُمْ وَدُورِكُمْ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحنُ - أهل البيت - أحقُّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارئ لكتاب

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٨ - ٤٩ (خ ٣ «الشَّقِيقِيَّة»); ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعيّة، والله إنّه لفينا، فلا تتّبِعُوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً.

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا.

بشير بن سعد هو صاحبُهم، حينما سمع حجّة أمير المؤمنين ﷺ لم يُنكرها، وإنّما قال بأنّ الأنصار إنّ كانوا سمعوها قبل أن يبايعوا أبابكر لما عدّلوا عنه ﷺ، وقلنا: إنّ البيعة إلترامٌ بالحقّ لا إيجاده.

وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع.^١
وقد ورد أنّ عمر يوم السقيفة أخذ بيد أمير المؤمنين ﷺ ومسح بها يد أبي بكر وانصرف أمير المؤمنين ﷺ، وإنّما هذا حديثٌ روته عائشة بأنّه «وكان لعليّ وجهٌ من الناس أيام فاطمة، فلما ماتت انصرف عنه وجوه الناس»^٢.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٥ - ١٢.

٢. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ (حديث السقيفة)، ١ - ٤ / ١٨٢٥ (طبعة دار المعارف: ٣/ ٢٠٨)؛ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب غزوة خيبر)، ٥/ ١٧٧؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير (باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»)، ٣/ ١٣٨٠ = ٥٢ (١٧٥٩)؛ ابن كثير، السيرة النبويّة، ٤/ ٥٦٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٧١.

حديث أبي جعفر عليه السلام

طلب أمير المؤمنين عليه السلام النصر من الأنصار

وقال أحمد بن عبدالعزيز الجوهري أيضاً: حدثنا أحمد، وقال: حدثنا ابن عفير، قال: حدثنا أبو عوف عبدالله بن عبدالرحمن، عن أبي جعفر محمد بن علي (رض)، أن علياً حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصر، وتسألهم فاطمة الانتصار له.

المعنى واضح والمأساة شهيرة، إن أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما لم ينجح في مسجد رسول الله ﷺ من جهة أن يجد له أنصاراً يأخذون بحقه، فكان يحمل الصديقة الطاهرة عليها السلام ليلاً إلى بيوت الأنصار، لأن المهاجرين في ما بعد انحازوا إلى أبي بكر لقتلهم ولأنهم من قريش.

وهناك رواية - والظاهر أنها صحيحة - يذكرها المجلسي - أعلى الله مقامه - في فتن البحار: قال الراوي: سألت أبا جعفر، قلت: لم كان أمير المؤمنين عليه السلام حينما كان يُقاد به إلى البيعة يصيح واهمزه ولا حمزة لي اليوم، واجعفره ولا جعفر لي اليوم، فأين عقيل والعباس؟ قال: فقال أبو جعفر: إن عقيلاً كانت تستضعفه قريش - لم

يكن في ذلك الموقع الذي تهاؤه قريش فتأتمر بأمره وتنهى عن نهيه، أو على الأقل تتأيس - وأما العباس فكان مُسْتَضْعَف الإيمان^١.

فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مَضَتْ بيعتُنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبابكر ما عدلنا به.

هذا الحديث أيضاً يأتي عن معاذ بن جبل أن الصديقة الطاهرة عليها السلام سألته النصره، فقال: لو سبق إلينا علي عليه السلام أبابكر لبايعناه، ولكننا أعطينا للرجل كلمتنا.

فقال علي: أكنْتُ أتركُ رسول الله ميّناً في بيته لا أجهّزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟!!

لأن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين، وانعقدت السقيفة في ذلك اليوم وأدّت إلى بيعة أبي بكر، وجيء به إلى مسجد رسول الله ﷺ يُزَفُّ كما يزف العروس، وصلى الظهر في مسجد رسول الله ﷺ، فالفاصل بين الضحى من يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وصلاة أبي بكر في مسجده لم يتجاوز الثلاث ساعات.

١. «مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ سَدِيرٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرْنَا مَا أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَبْدَلَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَأَيْنَ كَانَ عِزُّ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؟ إِنَّمَا كَانَ جَعْفَرٌ وَحَمْرَةٌ فَمَضَبَا، وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلَانِ ضَعِيفَانِ ذَلِيلَانِ حَدِيثَا عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، عَبَّاسٌ وَعَقِيلٌ، وَكَانَا مِنَ الطُّلُقَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمْرَةَ وَجَعْفَرًا كَانَا بِحَضْرَتَيْهَا مَا وَصَلَا إِلَى اللَّهِ وَلَوْ كَانَا شَاهِدَيْهَا لَأَثَلْنَا نَفْسَيْهِمَا». (المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨ / ٢٥١ = ٣٣)

وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله
حسبهم عليه.^١

نحن لا ندري، هل أنّ الأنصار - أو قائل هذا القول - أراد أن يُثير الصديقة
الطاهرة عليها السلام ويذكرها وفات أبيها عليه السلام ويثيرها على أمير المؤمنين عليه السلام، وبهذا يوقع
الخلافاً بينهما، أم كانت خَرَجَتْ كلمة من أفواههم عفويةً لا أنهم كانوا يقصدون
من ورائها شيء؟

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/١٣.

حديثي يعقوب بن شيبه

الحديث الأول

الحج التي صيغت لبيعة أبي بكر

قال أبو بكر - الجوهري -: وحدثنا يعقوب بن شيبه، قال: لما قُبِضَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم، وقال الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، قال عمر: أيّها الناس، أيكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدامين قدّمهما رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم في الصلاة؟! رضىك الله لديتنا أفلا نرضاك لدنيانا؟!^١

قلنا بأنّ هذه أيضاً حجّةٌ صيغت بعد يوم السقيفة، وإلاّ أساس ما يذكره عمر في خطبته المعروفة أنّ أبا بكر احتجّ بأنّهم من الشجرة التي منها رسول الله ﷺ، وأنّ العرب لا تخضع لهم، ولا يصحّ أن يكون هناك أميران، أميرٌ لقريش تخضع له العرب وأميرٌ للأنصار تنفرد الأنصار بإمرته، ولأجل هذا قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣٩.

الحديث الثاني

تخلف أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن

قال أبوبكر - الجوهري -: وحدثنا يعقوب، عن رجاله، قال: لما بويع أبوبكر تخلف عليّ فلم يبايع، ف قيل لأبي بكر: إنّه كره إمارتك، فبعث إليه: أكرهت إمارتي؟ قال: لا، ولكن القرآن خشيتُ أن يُزاد فيه، فحلفتُ ألا أرتدي رداءً حتى أجمعه، اللهم إلا إلى صلاة الجمعة. فقال أبوبكر: لقد أحسنت. قال: فكتبه عليه الصلاة والسلام كما أنزل، بناسخه ومنسوخه.^١

الحديث عن مصحف أمير المؤمنين عليه السلام حديثٌ مفصّل، وأنّه هو الذي جَمَعَ المصحف بأمر رسول الله ﷺ، فإنّ رسول الله ﷺ دعاه، وقال له: إنّ هذا المصحف الذي كتَبْتَه أنت - وهو الكاتب الوحيد للقرآن الذي أنزل على النبيّ ﷺ - قد جمعته في كيسٍ وهو معي عند رأسي، فخذهُ واجمع القرآن منه، فلمّا تُوفي النبيّ ﷺ أخذ أمير المؤمنين عليه السلام المصحف وجمعه كما أنزل، ولأجل هذا يقول ابن سيرين: فلو أصبناه لأصبنا علماً كثيراً.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤٠ - ٤١.

ولكن مع الأسف الشديد جُمع هذا القرآن [الذي بين أيدينا] على أساس «أعواد الثقب»^١، لأنّه بُدئ بفتح الكتاب - والحال أنّها من أوّل ما نزل، لا أنّها أوّل ما نزل على رسول الله ﷺ -، ثمّ تأتي السبع الطوال، ثمّ السور التي تتجاوز المائة ولا تبلغ المائتين، ثمّ بعدها السور التي تنقص المائة إلى أن تصل إلى السور التي جُمعت في أواخر القرآن الكريم، وكلّها سور قد يكون بعضها لا يتجاوز الخمس أو الست آيات، وأغلب هذه السور مكّية ومن حيث أنّ عدد آياتها كان قليلاً جداً فأُخِّرت.

هذا الترتيب القرآني لا ترتيب نزول ولا ترتيب ذكرٍ بحيث أنّنا نقف على الأوّل فالأوّل ممّا أنزل على رسول الله ﷺ، والذي أنزل عليه إلى سماء الدنيا بحيث يُؤمر بتبليغه قد أنزل نجوماً متفرقة لا جملة واحدة، حيث أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^٢.

أمّا المهم في هذا الحديث هو أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ولكن القرآن خشيت أن يزداد فيه»، هذا النص واردٌ في أكثر أحاديث جمع القرآن ويدلّ على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يخشى النقيصة وإنّما كان يخشى الزيادة، ولم يكن يخشى الزيادة أيّام الخليفة عثمان حينما جمع الناس على مصحف واحد، أو أيّام خلافته بالكوفة، وإنّما كان

١. كما يقال بالنسبة إلى العروض، فحينما يقولون: بأنّنا إذا أردنا أن نقيس بيتاً بيت أو نقيس صدرأ على عجز من البيت الواحد، نكتب ونجعل أعواد الثقب، فإن كانت أعواد الثقب متطابقة فالبيت كامل، وإن لم تكن متوافقة فالشعر ناقص.

(العلامة الجعفري)

٢. الفرقان (٢٥) / ٣٢.

يخشاه في أولى أيام خلافة أبي بكر، فما الذي كان يخشاه؟ لا أقول، «في فمي ماء» وهل ينطق مَنْ في فيه ماء»، لا أريد أن أتبسّط في هذا الحديث وإنما أقول بأنّ هذا شيء ثابت من أمير المؤمنين عليه السلام في أنّه كان يتخوّف من أن يزداد في القرآن، فجمعه كي يكون فاتحته وخاتمته مُشخّصة وترتيبه معيّن، ولكن مع الأسف الشديد مصحف أمير المؤمنين عليه السلام لم يصل إلينا، وبحسب رواياتنا هو مذخور لكي يأتي به مهدي آل محمد عليه السلام، ومن جملة خصائصه - كما يذكر الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد - أنّه يأتي به المهدي عليه السلام وأصعب الناس في قراءته الذين قرأوه كما هو الآن^١، لأنهم اعتادوا على القراءة القرآنية كما وصلنا فلم يكونوا قد أنسوا بقراءة أمير المؤمنين عليه السلام ومصحفه، بل قد لم يكونوا يأنسون بترتيبه، بل قد

-
١. «محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبدالرحمن بن أبي هاشم، عن سالم بن سلمة، قال: قرأ رجل على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبدالله عليه السلام: كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عزّ وجلّ على حده وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام، وقال: أخرجه عليّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عزّ وجلّ كما أنزله [الله] على محمد صلى الله عليه وآله وقد جمعته من اللوحين. فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه. فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنّما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه». (الكليني، الكافي، ٢/ ٦٣٣ = ٢٣)
 ٢. «وروى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إذا قام قائم آل محمد عليه السلام ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزل الله جلّ جلاله فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنّه يخالف فيه التأليف». (المفيد، الإرشاد، ٢/ ٣٨٦)

تكون الآيات التي تأتي في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام تتداخل عليهم حينما ألفوا القراءة كما هي موجودة في مصحفنا.

وهنا سؤال نُشير إليه: قد يقال: لماذا لم يجمع رسول الله ﷺ القرآن؟! الجواب: أن معنى جمع رسول الله ﷺ هو أنه يُنهي ما جاء في القرآن، بمعنى أنه يَقْطَع بأن هذا القرآن قد خُتِمَ، ومعنى ذلك أنه ﷺ هو الذي أنزل الآيات لا أن الآيات تُتلى عليه. وهذا غير ممكن، لأن رسول الله ﷺ كان في موقع الإنفعال لا في عالم الفاعلية. نعم، للشاعر أن يُنهي ديوانه بحيث لا ينظم بعده شيئاً أو إذا نَظَم لا يُدْخِلُه في ديوانه - كما يُقال عن بعض الشعراء: انهم خَفَّتْ قَرِيحَتُهُمْ في أواخر حياتهم فأخذوا لا يَنْظُمُونَ شيئاً يدخلونه في ديوانهم أو دواوينهم - ولكن هذا حال من كان فاعلاً لا من كان قابلاً لنزول القرآن، فرسول الله ﷺ كان الوحي يَنْقَطِعُ بمَوْتِهِ لا بتصميمه، ولأجل هذا جَعَلَ الذي يُخْلِفُه هو الذي يجمع القرآن وهو أمير المؤمنين عليه السلام.^١

١. انظر: كتاب «قرآن از تنزیل تا تدوین [القرآن من التنزيل إلى التدوين]» للعلامة الجعفري رحمته الله، حيث أنه بحث هذا الموضوع مفصلاً.

حديث عيسى بن زيد

موقف أبي سفيان منبيعة أبي بكر

قال أبو بكر - الجوهري -: وحدثني يعقوب، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن إسماعيل، عن مختار اليمان - أو اليماني -، عن عيسى بن زيد، قال: لما بويع أبو بكر جاء أبوسفيان إلى عليّ، فقال: أَغْلَبَكُمْ على هذا الأمر أذلُّ بيت من قريش وأقلُّها؟! أما والله لئن شئت لأملأَنَّها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً.

الظاهر أنَّ أباسفيان كان يُظْهِرُ أَنَّهُ ينتصر لبني هاشم ولكنه في الواقع أراد أن يُوطئَ لنفسه موطئَ قدمٍ عند أبي بكر، بحيث يجعل أبابكر يتعهد له، فلذا كان يحمل عليه كيَّ يَتَّفِقَا على جُعْلٍ يجعله أبو بكر له، ولا ندري حيث يقول: «أما والله لئن شئت لأملأَنَّها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً»، مِنْ أين كان يأتي بهذه الخيل والرجال؟!!

وَلَأَسُدَّنَّهَا عَلَيْهِ مِنْ أَقْطَارِهَا - يعني: أجعله في حصار لا يمكنه أن يخرج من المدينة أو من بيته - فقال عليّ: يا أبا سفيان، طالما كِدْتَ الإسلامَ وأهله فما ضرَّهم شيئاً، أمسك عليك فإننا رأينا أبابكر لها أهلاً.^١

إن كان هذا هو الذي حكاه أبو سفيان فالحمل عليه^٢، وإلا فالحمل على غيره من رواة هذا الحديث، وليس من البعيد أن أبا سفيان حينما حكى لأبي بكر أضاف إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام كلمة لم يقلها هو.

نعم، كان أمير المؤمنين عليه السلام يشك في نية أبي سفيان، وكان يراه أنه ممن كاد الإسلام وأهله إلى آخر حياة رسول الله ﷺ، بل إلى آخر حياته، حيث أنه يذكر المؤرخون: بأن عثمان لما اختير للخلافة دخل عليه أبو سفيان، فقال: أفيكم غيركم - لأنه كان أعمى يومذاك -؟ قالوا: لا. قال: «تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار»^٣، ولا شك أنه لم يقصد الحلف بالله عز وجل، وإلا الحلف به سبحانه وتعالى يلزم الإيمان بما أخبر به الله جل وعلا، بصريح أي الذكر الحكيم من أن وراء حياتنا هذه حياة وحشر، يُجزى فيها المحسن على إحسانه،

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤٠.

٢. يقول المحدثون: إن روى راو حديثاً فيه شيء، فيه مغمز ومطعن، فيقولون: فالحمل عليه.

(العلامة الجعفري رحمه الله)

٣. انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٥٣، ١٥/ ١٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (أحداث سنة ٢٨٤هـ)، ٣ - ١٣/ ٢١٧٠ (طبعة دار المعارف: ١٠/ ٥٨)؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣؛ الأميني، الغدير، ٨/ ٢٧٨.

ويعاقب المسيء على إساءته، فأبوسفيان لم يكن يؤمن بشيء، بل كان ممن قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^١، يعني: إنّ الأيام التي تتعاقب تُحْيِي أناساً وتُمِيتُ آخرين، وليس الله بموجود أو مُتَصَرِّف في عالم الكون والخلق حتى يكون هو المحيي وهو المميت.

حديثي عمر بن شبة

الحديث الأول

تحريض المغيرة أبابكر وعمر على البيعة

قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز - الجوهري -: وسمعت أبا زيد عمر بن شبة - وهو عند العامة من ثقة المحدثين - يحدث رجلاً بحديث لم أحفظ إسناده، قال: مرّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النبي حين قبض - يعني: في الحجرة التي قبض فيها رسول الله ﷺ -، فقال: ما يقعدكما؟ قالاً: ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه - يعنيان علياً -، فقال: أتريدون أن تنظروا حبل الحبلية من أهل هذا البيت؟!

«أنظر أو أنتظر حبل الحبلية» مثلاً كان يضرب في الجاهلية لمن لا يتوقع ما يطلبه من الشخص الذي يجده، فينتظر أن تحبل حبلية بما ينتج من هذا الرجل، فالمراد من قوله: «أن تنظروا حبل الحبلية من هذا البيت»، يعني: ماذا تتوقعون أن يأتي من هذا البيت الذي اجتمع فيه علي والصديقة الطاهرة ﷺ ومن كان معها، لأن النبي ﷺ توفي في بيت الصديقة الطاهرة ﷺ.

وَسَّعُوهَا فِي قَرِيشٍ تَتَّسِعُ.

جاء في مصادر كثيرة أنَّ المغيرة بن شعبة كان يقول: «وَسَّعُوهَا تَتَّسِعُ وَلَا تَضَيِّقُوهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ فَتَخْرُجَ مِنْ أَيْدِيكُمْ آخِرُ الدَّهْرِ»^١، يعني: لو حصرتموها في بني هاشم وعلى رأسهم عليٍّ عليه السلام لا تَشْمَلُكُمْ عَوَائِدُهَا مَهْمَا صَنَعْتُمْ وَفَعَلْتُمْ وَأَخَذْتُمْ وَتَرَكْتُمْ، لِأَنَّ هَذَا الْبَيْتَ إِنْ عَادَ فَلَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ بِنَفْعٍ^٢.

١. «عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنَّه قال: تمثل إبليس في أربع صور: ... تصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله في صورة المغيرة بن شعبة، فقال: أيها الناس لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية وَسَّعُوهَا تَتَّسِعُ، فلا تردوها في بني هاشم فتنتظر بها الحبال». (الطوسي، الأمالي/ ١٧٦ - ١٧٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/ ٢٠٥، ٦٠/ ٢٣٣ - ٢٣٤)

٢. هناك كتاب عنوانه: «السقيفة بحثٌ وتحليل» لعبد الفتاح عبد المقصود يذكر أحداث السقيفة، ويقول بأن هذه الأحداث كانت بسعي من المغيرة بن شعبة، وهو الذي أغرى أبابكر وعمر بأن يبايعا لأنفسهما من غير مشورة مع غيرهما، وخاصة مع أمير المؤمنين عليه السلام، حينما أَلَفَ الكتاب كُنْتُ فِي النَجَفِ، أَخَذْتُ نَسْخَةً وَجَلَبْتُهَا مَعِيَ إِلَى طَهْرَانَ، وَيَوْمَ ذَلِكَ دُعِيَ عَبْدُ الْفَتْاحِ عَبْدُ الْمُقْصُودِ إِلَى زِيَارَةِ إِيْرَانِ، دَعَتْهُ «حَسِينَةُ الْإِرْشَادِ»، وَدَعَاهُ الشَّيْخُ سَلْمَانَ الْخَاقَانِي - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - فزار خرمشهر أو المحمرة. فِي بَيْتِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ تَقِي الْفَلَسْفِي كَانَ مُجْمَعُ عُلَمَاءِ طَهْرَانَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا كَيْ يَلْتَقِيَ بِهِمْ عَبْدُ الْفَتْاحِ عَبْدُ الْمُقْصُودِ، وَكُنْتُ أَنَا الْمُتَكَلِّمُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا يُحْسِنُونَ قِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةِ فَلَمْ يَكُونُوا يَحْسِنُونَ النُّطْقَ بِهَا، فَتَكَلَّمْتُ، وَأَوَّلُ شَخْصٍ قَامَ فَقَبَّلَ فَمَي سَيِّدِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ السَّبْطِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - وَأَتْنِي وَأَتْنِي وَأَتْنِي، ثُمَّ عَاتَبْتَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ ذَكَرْتَ أَنَّ بَيْعَةَ السَّقِيفَةِ إِنَّمَا كَانَ تَخْطِيطُهَا لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَإِنَّ أَبَابَكَرَ وَعُمَرَ لَمْ يَكُونَا يَطْلُبَانِ الْإِمْرَةَ، وَالَّذِي حَرَّضَهُمَا عَلَيْهَا الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ فِي خَاطِرِي - لَا أَنِّي كُنْتُ مَهِيئاً لِهَذِهِ النَّاحِيَةِ - الْحَوَادِثُ الَّتِي تَحْكِي أَنَّهَا كَانَا يَطْلُبَانِ الْإِمْرَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ - بِحَقٍّ أَوْ بَغَيْرِ حَقٍّ - فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَيْفَ تُلْقِي اللَّوْمَ عَلَى الْمَغِيرَةِ وَلَا تُلْقِي اللَّوْمَ عَلَيْهِمَا؟! فَأَخَذَ يَضْحَكُ، وَقَالَ: يَا أَسْتَاذُ، أَنَا وَاثِقٌ مِنْ هَذَا، وَلَكِنْ هَلْ يُمْكِنُ لِي أَنْ أُؤَلِّفَ كِتَاباً يُطْبَعُ فِي مِصْرَ وَأُذَكِّرُ فِيهِ أَنَّ أَبَابَكَرَ وَعُمَرَ كَانَا يَعْلَمَانِ أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام هُوَ الْخَلِيفَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ سَطُّوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوا مِنْهُ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقُّهُ؟! وَهَذَا كَانَ أَمَامَ الْحُضُورِ، وَلَا أَدْرِي أَنَّهُمْ كَانُوا فَهَمُّوا كَلَامَهُ أَمْ لَا، لِأَنَّهُ كَانَ

قال: فقاما إلى سقيفة بني ساعدة، أو كلاماً هذا معناه.^١
 إنَّ صحَّ هذا، فإنَّهما أرادا أنْ يخدعا أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنَّهما يؤمنان بما له من الحقِّ
 ويقومان إلى السقيفة التي هي أنفع من الإسلام نفسه.

يتكلَّم بالعربية باللهجة المصرية، فهو - أي: عبدالفتاح عبدالمقصود رحمة الله عليه - كان صريحاً
 بأنَّه كان يعلم، ولكنه اتقى الجوّ الذي أُلِّف وطبَّع فيه هذا الكتاب.
 في الليلة التالية دعاه السيّد مرتضى الرضوي الكشميري - الذي كان قد تعرّف على عبدالفتاح
 عبدالمقصود أيام الذي كان في القاهرة - فاجتمعنا في بيت السيّد مرتضى الرضوي، اجتمعنا أولاً
 في غرفةٍ ثمّ فُتِحَتْ لنا غرفةٌ أخرى ومُدَّت فيها المائدة، على أساس أنَّه تتحوّل من غرفة الجلوس
 إلى تلك الغرفة التي فيها المائدة، قدّمني على أساس أنَّ عبدالفتاح عبدالمقصود كان هو المُحتَفَى
 به، فقدّمني وأصرَّ عليَّ أنْ أدخل أنا أولاً في الغرفة التي فيها المائدة، دَخَلْتُ الغرفة فجلست أمام
 الباب وتركت الصدر والصدارة والمتصدّرين والصدراء، فجاء عبدالفتاح عبدالمقصود وجلس
 إلى جنبي، ومن جملة مَنْ جَلَسَ، جلس أمامه الشيخ محمد مفتاح الذي كان يُرافقه من جهة
 «حسينية الإرشاد»، وجلسوا وجلسوا وامتلاّت بهم الغرفة، فقال: «أنا في القاهرة إذا أذكر
 النبي (صلى الله عليه وآله) لا أُصليّ الصلاة البتراء، وإنّا أقول: صلى الله عليه وعلى آله وسلّم» - نصّ كلامه هذا،
 وهنا في «حسينية الإرشاد» على عادتي قلت: «صلى الله عليه وعلى آله وسلّم»، لأنَّه قلت [في
 نفسي]: إنَّ كان الجوّ القاهري يَسْمَح لي ولا يَعْترِض عليّ، فكيف بالجوّ الشيعي الإيراني،
 فاعترض عليّ هذا الشيخ - وأشار إلى محمد مفتاح - وقال: بأنَّ «وآله» خلاف الوحدة ويُسيء إلى
 وحدة المسلمين - عين كلامه - فسمع محمد مفتاح، وقال: هو الحقّ.
 وأنا أضيف: نعم، إنَّ كنت أنت في القاهرة تتجنّب الصلاة البتراء، هنا حفظاً لوحدة المسلمين
 عليك أنْ تُصليّ كما يُصليّ خصوم أمير المؤمنين (عليه السلام)! كما يُصليّ ويُسلّم ويُصليّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله)
 عامة المسلمين! إذاً حينما أقول عبدالفتاح عبدالمقصود رحمة الله عليه، لأنّي لا أتوقّع من الشخص
 إلّا أنْ يكون مؤمناً حَسَب ما يعلم، لا أطلبه بعلم سلمان، ولا أبي ذر، ولا المقداد، ولا محمد بن
 مسلم، ولا زرار، ولا، ولا، إنّما أذكر أصحاب الأئمة، وإلّا الأئمة (عليهم السلام) أعلى مِنْ أنْ أتناول
 جذائهم إلّا بالتقبيل.

(العلامة الجعفري (عليه السلام))

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤٣ - ٤٤.

الحديث الثاني

هجوم عمر على بيت فاطمة عليها السلام

قال أبوبكر - الجوهري -: وحدثني أبوزيد عمر بن شبة، عن رجاله، قال: جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين. حينما يَصِفُ المهاجرين بـ«نفر قليل» لا يُحِيلُ للسامع أنَّ عدد الأنصار الذين حضروا الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام أنهم كانوا مثلاً المجموعة التي حَضَرَت يوم السقيفة، لأنَّه إنْ أَخَذْنَا المكانَ مجْمَعٌ لم يُبَيِّنْ لسقيفة الرأي وإنَّما كانت أعمدة من جذوع النخل عليها سعاف، وكان ذلك مجلساً متعارفاً يجتمع إليه بنو ساعدة من الخزرج، فغايته أنهم لم يكن يَسَعُهُمْ ذلك المجلس إلا لخمسين أو أقل، ونحن نعلم قطعاً بأنَّ أولئك لم يحضروا يوم الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ولكنَّه صَحَّحُوا، وفَنَدُوا، وكَذَّبُوا، وأَيَّدُوا، وافْتَرُوا، وصدَّقُوا بأشياء ليس لها أصل.

نعم، رجال الأنصار الذين والوا الأوَّلَ وبعده الثاني كان عددهم قليل جداً، وهم قيس بن شماس، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وكم واحد.

فقال: والذي نفسي بيده لتخرجنَّ إلى البيعة أو لأُحْرِقَنَّ البيتَ عليكم. فخرج إليه الزبير مصلاً بالسيف، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فنَدَرَ السيفُ من يده - أي: سقط من غير إرادةٍ منه، أو في حالة لا شعور، لم يَلْتَفِتْ إلى أنَّ

يُمسِك، بل كان أمسكه على حين غفلةٍ جاءته الضربةُ فنَدَرَ السيف من يده -
فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجَهُم بتلابيبهم يُساقون سَوْقاً عنيفاً حتى
بايعوا أبا بكر.^١

جاء في الحديث أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في جواب معاوية الذي كان يُعيرُهُ:
«وَقُلْتُ إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمُخْشَوْشُ^٢ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ
أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاظَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ
مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكَاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِبَيْعِيهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا،
وَلَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا»^٣.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٨/٦.

(العلامة الجعفري (عليه السلام))

٢. وإن كان في المشهور المغشوش وهو خطأ.

٣. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٣٨٧-٣٨٨ (ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً «٢٨»); ابن أبي

الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨٣/١٥.

حديث ليث بن سعد

تخلف أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر

قال أبو بكر - الجوهري -: وحدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الحكم، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن ليث بن سعد، قال: تخلف عليٌّ عن بيعة أبي بكر، فأُخْرِجَ مُلَبَّياً - الملَّبُّ هو الذي يؤخذ بمجاميع ثوبه بحيث لا يجد حركة إلا أن يتقاد للذي لَبَّه - يُمَضَى به رَكْضاً - بحيث أنه لم يكن يتمكن من أن يمشي ببطئ -، وهو يقول: معاشر المسلمين، علام تُضْرَبُ عنق رجل من المسلمين، لم يتخلف لخلاف، وإنما تخلف لحاجة؟!!

ومعنى ذلك أنهم كانوا هددوه بأن تُضْرَبَ عُنُقُهُ، ولذا كان يقول عليه السلام: «علام تُضْرَبُ عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف وإنما تخلف لحاجة؟»، والحاجة أيضاً كانت واضحة، لأنه تَخَلَّفَ كي يقوم بما يقوم به كل مسلم بالنسبة إلى سيد المسلمين، بل سيد الخلق قاطبة، وهو رسول الله ﷺ، فإنه عليه السلام كان قد اشتغل بتجهيزه لغسله وتكفينه والصلاة عليه ثم دفنه.

فأمير المؤمنين عليه السلام لم يَتَخَلَّفْ حاجةً شخصيَّةً، وإنَّما تَخَلَّفَ لأنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَهُ بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ثمَّ دفنه ﷺ، حينما قال: أنت تُغَسِّلني وتكفِنني وتُصَلِّي عليّ وتدخل حفرتي^١.

فما مرَّ بمجلسٍ من المجالس إلَّا يقال له: انطلق فبايع^٢.

وهذه المجالس هي المجالس التي كانت أسلم وغفار قد أَخَذَتْ من أزقة المدينة وسككها، يقول عمر: اننا ما أيقنا بالنصر إلَّا بعد أن أقبلت أسلم وغفار، وملأت أزقة المدينة وشوارعها، عند ذاك أيقنا بالنصر^٣، يعني: أيقنا بأنَّ الأمير الذي نصبناه قد فاز بالإمرة.

١. انظر: ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٢/٣٨٧؛ الموفق الخوارزمي، المناقب/٣٢٩ = ٣٤٦.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٤٥.

٣. «قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني أبوبكر بن محمد الخزاعي، أنَّ أسلم أقبَلَتْ بجماعتها حتى تضايَقَ بهم السكك، فبايعوا أبابكر، فكان عمر يقول: ما هو إلَّا أنَّ رأيتُ أسلم فأيقنْتُ بالنصر». (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة ١١هـ «ذكر الخبر عمَّا جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة»، ١ - ٤/١٨٤٣ «طبعة دارالمعارف: ٢٢٢/٣»).

حديثي ابن شهاب الزهري

الحديث الأول

الذين هجموا على بيت فاطمة عليها السلام

قال أبوبكر - الجوهري -: وذكر ابن شهاب بن ثابت - هذا الاسم محرف، وإنما هو «محمد بن مسلم بن شهاب الزهري»، قد يقال له ابن شهاب، وقد يقال له الزهري، وقد يقال له بألقابٍ أُخر، وهو ليس بِمَنْ يُتَّهَم بالتشيّع - أن قيس بن شماس أخا بني الحارث من الخزرج، كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت فاطمة.

قال - يعني: أبوبكر الجوهري -: وروى سعد بن إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ذلك اليوم، وأن محمد بن مسلمة كان معهم، وأنه هو الذي كسر سيف الزبير.^١

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤٨.

البيت الذي كان يؤذن فيه رسول الله ﷺ ستة أو تسعة أشهر، والبيت الذي نزلت فيه آية التطهير^١، هذا البيت هو الذي دخل فيه قيس بن شماس أو شماس، ودخل فيه عبدالرحمن بن عوف، ودخل فيه محمد بن مسلمة، وأنه هو الذي كسر سيف الزبير، وقلنا بأن محمد بن مسلمة وآخرون كانوا أحقر من أن يأخذوا سيف الزبير - إن صدق ما قالوه في شجاعة الزبير -، ولعل الزبير أصلت سيفه كي يعذره بنوهاشم أخواله، ولأجل هذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله»^٢، فإنه أماله إلى أخوال عائشة وأسماء ذات النطاقين.

١. تقول الروايات: كان رسول الله ﷺ إذا خرج لصلاة الغداة - يعني: لصلاة الصبح، وخروجه كان قبل طلوع الفجر - مرّ على بيت فاطمة (عليها السلام)، فيقول: قوموا للصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب (٣٣)/ ٣٣]. (انظر: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ٢/ ٧٤ - ٨٣ = ٦٩٤ - ٧٠٣)، مع أنه ﷺ لم يكن يمرّ على بيوت أزواجه أبداً، لأنّ الأزواج غاية ما كان لهنّ أن يأذين الصلاة الواجبة، وأمّا أكثر من ذلك فلم نجد ما يشير إلى زهدهنّ في الآجلة.

(العلامة الجعفري (عليه السلام))

٢. القندوزي، ينابيع المودة، ١/ ٤٥٠؛ وانظر أيضاً: الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٥٥٥ (ح ٤٥٣)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٧٩، ٢٠/ ١٠٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٨/ ٤٠٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٤/ ٢٨٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٢٣. قال العلامة الجعفري (عليه السلام): سمعت من المرحوم العلامة الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي الكبير، حينما كان يذكر أيام استشهاد الصديقة الطاهرة (عليها السلام) على المنبر بمناسبة أنّ الصديقة الطاهرة أوصت إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بأن لا يشهد الشيخان دفنها، ولا يحضرا للصلاة عليها، وقالت له: إن كان هذا صعباً عليك فإني أوصي إلى الزبير، إلى ذلك اليوم الزبير كان ميّله - يعني: ميّله السياسي، ولا أقول ميّله القلبي - إلى أخواله بني هاشم، لا إلى عائشة وبيت عائشة.

الحديث الثاني

إخبار أبي بكر وعمر باجتماع السقيفة وذهابهما إلى ذلك المكان
وحدثني محمد بن سعد، ثنا محمد بن عمر الواقدي، عن أبي مَعْمَرٍ، عن المقْبُرِيِّ
- أي: سعيد المقبري -، ويزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن ابن شهاب - وهو محمد
بن مسلم بن شهاب الزهري -، قال: بينا المهاجرون في حجرة رسول الله صلى الله
عليه وآله [وآله] وسلم وقد قبضه الله إليه - يعني: من الضحى من يوم الاثنين - وعليّ
بن أبي طالب والعباس متشاغلان به، إذ جاء معن بن عدي، وعُويم بن ساعدة
- وكانا مَنَّ يحسدان سعد بن عبادة -، فقالا لأبي بكر: باب فتنة، إن لم يغلقه الله بك
فلن يغلق أبداً - معنى ذلك أن هؤلاء كان يعرف بعضهم بعضاً، ولماذا لم يُفصحوا
هذا الكلام لأmir المؤمنين عليه السلام أو للعباس، وهما كانا في نفس الحجرة؟! - هذا سعد
بن عبادة الأنصاري في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوه.
فمضى أبوبكر، وعمر، وأبو عبيده بن الجراح حتى جاءوا السقيفة - هؤلاء
الثلاثة هم الذين حضروا السقيفة من المهاجرين - وإذا سعدٌ على طُنْفَسَةٍ - وهي
الملاءة التي توضع حتى يجلس عليها المصلي وغير المصلي، الجالس والنائم - مُتَكِنًا
على وسادةٍ وعليه الحُمَى، فقال له أبوبكر: ما ترى يا أبا ثابت؟ - الظاهر أن
المخاطب هو سعد، ومن الغريب أن يُلقَّب بأبي ثابت، والحال أن كنيته أبوقيس، إلا
أن يؤوَّل - فقال: أنا رجل منكم - وهذا يدل على أن سعد كان مُجَبَّرًا في الحضور ولم
يكن يريد أن يقوم بعمل -.

ترادّ الكلام بين أبي بكر والحُبَاب بن المنذر ومبايعة أبي بكر فقال الحُبَاب بن المنذر: منّا أمير ومنكم أمير، فإنّ عمل المهاجريّ شيئاً في الأنصار ردّ عليه الأنصاري، وإنّ عمل الأنصاري شيئاً في المهاجرين ردّ عليه المهاجري، أنا جديّلها المحكّك وعُذيقُها المرَجَّب، إنّ شئتم فرزنا فرددناها جَذَعَةً. هذا مثلٌ يُضْرَب في أواخر النزاع حينما يلوح في الأفق نوعٌ من المصالحة، ثمّ يختلفون بعد ذلك في كيفيّتها، يقولون: «نعيدها جذعة»، يعني: نعيدها طريّةً للفتنة كما في أوّل الأمر.

مَنْ يُنَازِعُنِي؟! فأراد عمر أن يتكلّم، فقال له أبوبكر: على رِسْلِكَ، ثمّ قال أبوبكر: نحن أوّل الناس إسلاماً.

إنّ أراد بأنّا سبقناكم بالإسلام لأنّنا أسلمنا بمكّة وأسلمتم بعد الهجرة أو بعد السنة السابقة على الهجرة، نعم، وإنّ أراد شيئاً آخر فهنا لا نناقش! وأوسطهم داراً.

ماذا يقصد؟! يعني أنّ مكّة تقع بين المدينة والطائف؟! فالحكّم بيننا وبينه الخريطة التي تُبيّن موقع «تهامة» و«نجد» وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية التي تبدأ من ساحل الخليج وتنتهي بساحل البحر الأحمر.

وأكرمهم أنساباً، وأمّسهم برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم رجماً، وأنتم إخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وآويتم وآسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

ما افتخر به أبوبكر، إمّا لا واقع له، أو «حَنَّ قَدْحُ لَيْسَ مِنْهَا وَطَفَقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا»^١ إلى آخره، كما عَبَّرَ مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في قصّة تشبّهِها. وَلَنْ تدين العربُ إلّا لهذا الحيّ من قريش، فقد يعلم مَلَأُ منكم أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم، قال: الأئمّة من قريش.

هذه الكلمة لم يقلّها أبوبكر يومذاك، وأمّا بعده فقد قيلت بصيغتها المحرّفة، إنّ كان المراد من «الأئمّة من قريش» بمعنى أنّ الأئمّة كلّهم من قريش، ليس فيهم قحطاني، ولا شخصٌ من فارس، ولا من الترك والديلم، نعم، لأنّ الأئمّة (عليهم السلام) كلّهم ينتسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهُمْ - كما يقول الذين يَهْتَمُّون ويُعْنَوْنَ بالأنساب القبليّة - «لَبَّةُ قريش»^٢، وأمّا إنّ كان المراد منها - كما هُمْ يفسّرونها - بأنّه لا بدّ وأنّ يكون الإمام قرشيّاً، وإنّ لم يوجد فعدناني، وإنّ لم يوجد فقحطاني، وإنّ لم يوجد نتحوّل إلى أنّ نَصَلَ إلى الإنسيّ، وإنّ لم يوجد فنختار من الجنّ لأنّ الجنّ أقرب المخلوقين إلى الإنس، فهذا غير مقبول.

فأنتم أحقّاء أنّ لا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم. إنّ كان يقصد أنّ الأئمّة (عليهم السلام) منهم فصحيح، ولكن نقطع بأنّه لم يكن يقصد ذلك وإنّما كان يقصد أنّ هذه هبة وضعها الله في قريش، فلهم أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها وأيُّ شيءٍ يَنْتِج ويخرج منها، سواء كان منّ فيها، أو منّ ثديها، أو

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٣٨٦ (ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً «٢٨»); ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/ ١٨١.

٢. «خالص كلّ شيء له». (الجوهري، الصحاح، ١/ ٢١٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ١٨٧)

مِنْ مَخَارِجِهَا، فَهَذَا مَا لَا نُنْكِرُهُ، وَهُوَ قَدْ حَصَلَ.

فَقَالَ الْحُبَابُ: مَا نَحْسَدُكَ وَلَا أَصْحَابَكَ، وَلَكِنَّا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي قَوْمٍ قَتَلْنَاهُمْ، فَحَقِّدُوا عَلَيْنَا - وَلَنَعْمَ مَا كَانَ يَنْظُرُ الْحُبَابُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ ثَوْبٍ رَقِيقٍ (كَمَا يَقُولُونَ) - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ تَطِيعُوا أَمْرِي تَبَايَعُوا أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: أَبَاعِبِيدَةَ - وَكَانَ عَنْ يَمِينِهِ -، أَوْ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وَكَانَ عَنْ يَسَارِهِ - . فَقَالَ عَمْرُ: وَأَنْتَ حَيٌّ؟! مَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤَخِّرَكَ عَنْ مَقَامِكَ الَّذِي أَقَامَكَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ - فِي أَيِّ يَوْمٍ؟! - فَابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعَهُ عَمْرُ، وَبَايَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَبَايَعَ النَّاسُ.

مَا الْمَقْصُودُ مِنْ «بَايَعَ النَّاسُ»، وَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ النَّاسُ؟! أَمَّا الْمُهَاجِرُونَ فَلَمْ يَكُونُوا سِوَى ثَلَاثَةٍ، وَأَمَّا الْأَنْصَارُ الَّذِينَ حَضَرُوا يَوْمَ السَّقِيفَةِ وَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ حَسَدًا لِسَعْدٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بَعْدَ الْأَصَابِعِ. نَعَمْ، فِي الْيَوْمِ الثَّانِي حِينَمَا جَاءَ بِأَبِي بَكْرٍ يُزَفُّ كَمَا يَزَفُّ الْعُرُوسُ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي سُمِّيَ «بَيْعَةَ الْعَامَّةِ» فَلَهُ وَجْهٌ، وَأَمَّا يَوْمَ السَّقِيفَةِ أَيْ نَاسٍ كَانُوا حَتَّى يَبَايَعُونَ أَبَا بَكْرٍ، أَوْ يَبَايَعُونَ مَنْ كَانَتْ الْخَزْرَجُ تُرَشِّحُهُ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟!!

وَازْدَحَمُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: قَتَلْتُمْ سَعْدًا - لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ إِلَى جَنْبِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَلَمَّا ازدحموا على أبي بكرٍ (ولو كانوا ستة) وطئوا سعد - وقد كادوا يطئونونه - وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يُوطِئَ سَعْدٌ - فَقَالَ عَمْرُ: اقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ فِتْنَةٍ. إِنَّ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا عَمْرُ يَوْمَ ذَاكَ، فَقَدْ فَعَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَمَا رَمَى سَعْدًا وَهُوَ فِي

الشام، وافتعل المفتعلون على الجنّ من أئمتهم قالوا:

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبّادَه فرَمِيناهُ بسَهْمَيْنِ فلم نُخْطِ فُرْأَدَهٗ^١
فبايع الناس أبا بكر.

قال: وقال ابن رومان - أحد روات الحديث -: وقد يقال: إنّ أوّل من بايع من الأنصار بشير بن سعد.

موقف أمير المؤمنين عليه السلام بعد بيعة أبي بكر

وأُتي بأبي بكر المسجد فبايعوه، وسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد، ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم.
أي: لم يفرغوا من مقدمات الغسل، وإلا الغسل تأخر عن بيعة السقيفة، وعن صلاة أبي بكر مقام رسول الله صلى الله عليه وآله.
فقال عليّ: ما هذا؟ فقال العباس: ما ردّه مثل هذا قطّ، لهذا ما قلت لك الذي قلت.

في بعض الأحاديث أنّ العباس بمجرد ما سمع بيعة السقيفة، قال
لأمير المؤمنين عليه السلام: امدد يدك أبايعك، فأبى عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ناقشنا في هذا^٢.

١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/١٤٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٦/١٦ = ٥٣٥٩ و ٥٣٦٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/١١١.

٢. انظر: حديث البراء بن عازب الأوّل وحديث فاطمة بنت الحسين عليها السلام.

قال: فخرج عليٌّ، فقال: يا أبابكر، ألم ترَ لنا حقًّا في هذا الأمر؟! قال: بلى، ولكنني خشيتُ الفتنة، وقد قُلِّدْتُ أمرًا عظيمًا.

هذا الحديث يُذكر في كلام كثير ممَّن يدافعون عن السقيفة بأنَّ أصحاب السقيفة بايعوا أبابكر خشية من وقوع الفتنة، والسؤال هو أنَّ هؤلاء ما الذي خَشَوْه من الفتنة؟! المدينة لم تكن محاصرة يومذاك بمن يريد الكيد بالإسلام - كما كانت محاصرة يوم أُحُد، ويوم الأحزاب (يوم الخندق)، ويوم خيبر، وأحداث بني النضير، وأحداث بني قريظة - حتى يُخشَون الفتنة أنْ تقع في يومهم ذلك، إنَّما كان فيها مَنْ يدَّعون الإسلام، ورؤية الرسول ﷺ، وسماع حديثه، والحال أنَّهم كانوا مسلمين متظاهرين بالإسلام.

نعم، لو قيل بأنَّ الفتنة التي يقصدها أبوبكر فتنة المنافقين، فهُمْ بعد ما تولَّى أبوبكر الخلافة، اطمأنَّوا وسكَّنت فورَّتْهم، ولم يفعلوا شيئاً، لا في زمنه، ولا في زمن صاحبه، ولا في زمن الثالث، وإنَّما أخرجت الفتنة رأسها زمن أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عليٌّ: وقد علمتُ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرَك بالصلاة، وأنَّك ثاني اثنين في الغار، وكان لنا حقٌّ ولم نستشر، والله يغفر لك، وبايعه.^١
هذه زيادة وقد ناقشنا فيها أنَّها كَذِب على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى أبي بكر نفسه.^٢

١. البلاذري، أنساب الأشراف (أمر السقيفة)، ١ / ٥٨١ - ٥٨٢ = ١١٧٧.

٢. انظر: حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة.

حديث النضر بن شميل

سيف الزبير بعد الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام

قال أبوبكر الجوهري: قال أبو زيد - يعني: عمر بن شبة -: وروى النضر بن شميل، قال: حُلَّ سيف الزبير لما نَدَرَ من يده إلى أبي بكر وهو على المنبر يخطب، فقال: اضربوا به الحجر.

قال أبو عمرو بن حماس: ولقد رأيتُ الحجرَ وفيه تلك الضربةُ، والناسُ يقولون: هذا أثرُ ضربةِ سيف الزبير.^١

هذه الأحاديث جاءت من الذاكرة التي كان يُحْتَفَظُ بها القوم على اختلاف ميولهم مُدَّة ثلاثين أو أربعين عاماً أو أكثر من ذلك.

يذكر أبو زيد عمر بن شبة، عن النضر بن شميل: أنَّ السيف حينما نَدَرَ من يد الزبير جيء به إلى أبي بكر وهو على المنبر يخطب، وهذا ليس معناه أنَّه أوَّل ما وقع السيف من يده كُسِر، بل جيء به إلى أبي بكر كي يرى فيه رأيه، فقال: «اضربوا به

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤٨.

الحجر»، يظهر أنّ هناك كان حجرٌ في المسجد فأمر أبو بكر بسيف الزبير أن يُضرب به الحجر.

ثمّ يقول: قال أبو عمرو بن حمّاس - يعني: هو الذي ذكّرتُ أنّه قيس بن شماس أو شماس -: «ولقد رأيت الحجر وفيه تلك الضربة، والناس يقولون: هذا أثر ضربة سيف الزبير»، وهذا لم يكشف عن قوّة ضربة الزبير لأنّه لم يكن هو الضارب، بل يكشف عن قوّة الضارب، ولذا تمجيد الناس بقوّة الفاعل لا بقوّة الزبير.

أحاديث الزبير بن بكار في الموفقيات

الحديث الأول

إفساد أمر سعد بن عبادة وتعليق ابن أبي الحديد

قال الزبير - بن بكار في «الموفقيات» -: وقد كان مالاً أبابكر وعمر على نقض أمر سعد وإفساد حاله رجلا من الأنصار ممن شهدا بدرًا، وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي.

وذكرنا أن هذين الرجلين هما اللذان أخبرا عمر، فأخبر عمر أبابكر وصحبا معهما أبا عبيدة فأتوا مجلس الأنصار في سقيفة بني ساعدة. يقول ابن أبي الحديد معلقاً في شرحه:

قلت: كان هذان الرجلان ذوي حُبٍّ لأبي بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم]، واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عبادة، ولها سببٌ مذكور في كتاب «القبائل» لأبي عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى - البصريّ الخارجي - فليُطْلَب من هناك.

وعويم بن ساعدة هو القائل لما نَصَب الأنصارُ سعداً: يا معشر الخزرج، إن كان هذا الأمر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك، وبرهنوا حتى نبايعكم عليه، وإن كان لهم

دونكم فسلموا إليهم، فوالله ما هلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرفنا أن أبابكر خليفة حين أمره أن يصلي بالناس. فشتمه الأنصار وأخرجوه، فانطلق مسرعاً حتى التحق بأبي بكر، فشحذ عزمه على طلب الخلافة - «شَحَذَ عَزْمَهُ على طلب الخلافة» فيه نوعٌ من المسامحة، وإلاَّ أبوبكر كان يطمع في الخلافة ويُمهد لها منذ سنين في حياة رسول الله ﷺ - ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار في «الموفقيات».

وذكر المدائني والواقدي أن معن بن عديّ اتفق هو وعويم بن ساعدة على تحريض أبي بكر وعمر على طلب الأمر وصرفه عن الأنصار، قالوا: وكان معن بن عديّ يُشخصُهما إشخاصاً، ويسوقُهما سوقاً عنيفاً إلى السقيفة، مبادرةً إلى الأمر قبل فواته.^١

في رأينا أنهما لم يكونا يرجوان بالفوز في سقيفة الأنصار، فكانا يريان أنهما يجتمعان في مكانٍ آخر وتكون لهما الإمرة الخاصة بالمهاجرين، والدليل على هذا: أنهما ابتداءً كانا يقولان - كما يذكر عمر بن الخطاب في حديثه حول السقيفة -: فقالا لا عليكم أن تأتوا هذا الرهط من الأنصار لأنكم لا تفلحون في مناهضتهم فأصرَّ أبوبكر على أن يأتيهم^٢، وهذا على خلاف ما يذكره ابن أبي الحديد.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩/٦.

٢. انظر: حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

الحديث الثاني

أول من بايع أبابكر

قال الزبير - بن بكار في «الموفقيات» -: وذكر محمد بن إسحاق: أن الأوس تزعم أن أول من بايع أبابكر بشير بن سعد، وتزعم الخزرج أن أول من بايع أسيد بن حضير.

هنا أيضاً تنافست الأوس والخزرج في البيعة لأبي بكر، الأوس تزعم أن أول من بايع أبابكر «بشير بن سعد، والد النعمان بن بشير»، والخزرج تزعم أن أول من بايع «أسيد بن حضير».

تعليق ابن أبي الحديد

يقول ابن أبي الحديد معلقاً: قلت: بشير بن سعد خزرجي وأسيد بن حضير أوسيّ، وإنما تدافع الفريقان الروايتين تفادياً عن سعد بن عبادة، وكراهية كل حيٍّ منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة صاحبه. فالخزرج هم أهله وقربته، لا يُقرُّون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبابكر وأبطل أمر سعد بن عبادة، ويحيلون بذلك على أسيد بن حضير، لأنه من الأوس أعداء الخزرج. وأما الأوس فتكره أيضاً أن يُنسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عبادة، كي لا يرموه بالحسد للخزرج، لأن سعد بن عبادة خزرجي، فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته - وهم

الخزرج -، ويقولون: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أَبَابَكْرَ وَنَقَضَ دَعْوَةَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، وَكَانَ بَشِيرٌ أَعُورٌ.

والذي ثَبَتَ عِنْدِي - أي: عند ابن أبي الحديد - أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ عُمَرُ، ثُمَّ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، ثُمَّ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ، ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ.^١

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٨.

الحديث الثالث

احتجاج الحارث بن هشام على الأنصار في السقيفة

وقال الزبير بن بكار في الموفقيات، من طريق محمد بن إسحاق، في قصة سقيفة بني ساعدة، قال: فقام الحارث بن هشام - بن المغيرة المخزومي، أخو أبي جهل، وابن عمّ خالد بن الوليد - وهو يومئذ سيّد بني مخزوم، ليس أحد يعدل به إلا أهل السّوابق مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم، فقال: والله، لولا قول رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم: الأئمة من قريش، ما أبعدنا منها الأنصار، ولكانوا لها أهلاً، ولكته قول لا شكّ فيه، فوالله لو لم يبق من قريش كلّها إلا رجل واحد لصيرّ الله هذا الأمر فيه.^١

١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ١/ ٦٠٧ - ٦٠٨.

الحديث الرابع

تعقيب حزن بن أبي وهب على كلام خالد بن الوليد

وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات، من طريق محمد بن إسحاق، قال: لما مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم... فذكر قصة السقيفة وبيعة أبي بكر مطولة، وفيها: فقام حزن بن أبي وهب، وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم سهلاً، فقال - تعقيباً على كلام خالد - لما سمع خطبة خالد بن الوليد في ذلك:

وقام رجال من قريش كثيرة	فلم يك في القوم القيام كخالد
أخالد لا تعدم لؤي بن غالب	يقاتل فيها عند قذف الجلامد
كساك الوليد بن المغيرة مجده	وعلمك الشيخان ضرب القماجد
وكنت لمخزوم بن يقظة جنة	كذا اسمك فيها ماجد وابن ماجد ^١

١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٢/ ٦٢.

حديث محمد بن عمر الواقدي

موقف عثمان من وفاة رسول الله ﷺ

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي إِسْنَادِهِ: أَنَّ عُثْمَانَ (رض) قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّهُ رُفِعَ كَمَا رُفِعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ.^١

هذا الموقف معروف من أبي حفص بحيث أنه أيضاً لم يستطع إنكاره وإن كان اعتذر فيما بعد، وقد اتفق على روايته الصحابة الذين حضروا وفاة رسول الله ﷺ من أنه قال: إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكنه ذهب إلى لقاء ربه، وسيرجعن بعد أربعين يوماً، وليقطعن أيدي وأرجل أناس يزعمون أنه قد مات^٢. وهذا الحديث يُردف عثمان بعمر، ومعنى ذلك أن ثالث القوم كان يرى رأي ثاني القوم، ولا ندري أن الثالث - إن صحَّ النقل عنه - بماذا كان يعتذر؟! ولكن صحة النقل يؤيدها أن الجماعة كانوا على وفاق فيما بينهم، حيث أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض كلامه: «احلب يا عمر حلباً لك شطره، أشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً»^٣، وقال عليه السلام:

١. البلاذري، أنساب الأشراف (أمر رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم حين يُدعى)، ١/ ٥٦٧ = ١١٥١.

٢. انظر: حديث عائشة الخامس وحديث أبي هريرة وحديث أصحاب السيرة.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ١١؛ الجوهرى، السقيفة وفدك/ ٦٢.

«لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءٍ يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَحْشُنُ مَسْهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاحِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم، فَمُنِّيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقَرَّنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُؤَا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيُضْغِنَهُ، وَمَالَ الْآخَرَ لِيُصْهَرَهُ، مَعَ هُنِ وَهَنِ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ^١ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ إِنْتَكَتْ عَلَيْهِ قَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ...»^٢.

أحداث الشورى تثبت أنها كانت من أقوى المناورات التي وضعها أبو حفص كي يضرب عدّة عصافير بحجرٍ واحد:
أولاً: لا يعيّن أحداً، لأنّ تعيينه كان مشكلاً.
وثانياً: يُرجع الأمر إلى بني أُميّة، لأنّ مخالفتَهُ لهم هي التي قرّبت موته.

١. في النسخ الموجودة من كتاب نهج البلاغة: «أبيه»، في بعض النسخ القديمة: «وقام معه بنو أُميّة»، ولا فرق، لأنّ «بنو أُميّة» هم «بنو أُميّة»، وبنو أُميّة هم «بنو أب عثمان»، لأنّ الأنساب عند العرب كانت تنزل من الآباء إلى الأولاد، ولم يكن للأُمّهات نصيبٌ في ذلك [كما في قول الشاعر: «بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبعاد»] [المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٨/١١؛ البغدادي، خزنة الأدب/ ٤٤٤]. (العلامة الجعفري رحمته الله)
٢. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٨ - ٤٩ (خ ٣ «الشَّقَشَقِيَّة»؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦٢/١، ١٨٤، ١٩٧).

حديث أبي عمرو [أبي عمران] الجوني

موقف سلمان الفارسي من بيعة أبي بكر

الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيِّ، عَنْ أَبِي عمرو [أبي عمران] الْجُونِيِّ، قَالَ: قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حِينَ بُويعَ أَبُو بَكْرٍ: «كرداذ وناكر داذ»، أَي: عَمِلْتُمْ وَمَا عَمِلْتُمْ، لَوْ بَايَعُوا عَلِيًّا لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ.^١

«كرداذ وناكر داذ» كلامٌ جاء في عدة آثار تحكي كلام سلمان الفارسي، إن كانت اللهجة لهجة الفُرس يومنا هذا لا بدَّ وأن تكون «كرديد وناكر ديد» لا «كرداذ وناكر داذ».

نعم، قد تكون مُحَرَّفَةً وَإِلَّا فَإِنَّ «الذال» الفارسيَّة كانت، ويشهد لذلك أَنَّ مَنْ كان يحكي الفارسيَّة - ولو كان عربيًّا - كان يقولها، منها:

أنَّه جاء في أحاديث الطبري وغيره: أَنَّ أَخَا عبيدالله بن زياد طلب من ابن زياد أَنْ يَصْحَبَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُنْزَغِ إِلَى مَقَرِّ عَمَلِهِ فِي آذربايجان، فَصَحَبَهُ فَأَسَاءَ صُحْبَتَهُ فَهَجَاهُ بِأَبْيَاتٍ، فَاحْتَالَ عَلَيْهِ عبيدالله إِلَى أَنْ أَخَذَهُ فَأَرْكَبَهُ «بِرْدُونًا»، وَجْهَهُ إِلَى قَفَى

١. البلاذري، أنساب الأشراف (أمر السقيفة)، ١ / ٥٩١ = ١١٩٧.

البرذون وظهره إلى جهة رأس البرذون، وقال بأنّه شرب الخمر فوجدت عقوبته هكذا، فكان يُطاف به في الكوفة، وكان من قوله الذي ذكره أغلب المؤرخين: «آب است نبذ است، عصارات زيب است، سمّية روسبيذ است»^١، يعني: ما تأكلونه أنتم بحبّاته أنا عَصَرْتُهُ فأكلته، فهو ليس بشيء، ولكنّ سمّية أمّ زياد بن أبيه بغية.

١. البغدادي، خزنة الأدب، ٤٦/٦؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ١/١٣٤.

أحاديث محمد بن سيرين

الحديث الأول

إمتناع أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، وَابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ -أَي: ابن سيرين-، قَالَ: نُبِّئْتُ أَنَّ عَلِيًّا أَبْطَأَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: أَكْرَهْتَ إِيمَارَتِي؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَلَيْتُ بِيَمِينٍ أَنْ لَا أَرْتَدِّي بِرِدَائِي إِلَّا إِلَى الصَّلَاةِ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ.

ما هي الأمانة التي استكشف منها أبو بكر كراهية أمير المؤمنين عليه السلام ضده؟ يومذاك حينما كانوا في البيوت يأتزرون بإزار، والإزار كان في الغالب أو الأغلب أو الشائع من الصُّرَّة إلى الركبة، وهناك قطعة أخرى كانوا يضعونها على أكتافهم وتُسَمَّى «الرداء»، فاللباس الكامل عندهم كان يتألف من قطعتين: «إزار» بحيث إذا وضعه الواضع يبقى عُرياناً، و«رداء» يرتدي به ويضعه على كتفيه.

وهنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَلَيْتُ بِيَمِينٍ أَنْ لَا أَرْتَدِّي بِرِدَائِي إِلَّا إِلَى الصَّلَاةِ»، يعني: لا أخرج خارج البيت إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، فإن كان الإستثناء للصلاة فأمر المؤمنين عليه السلام كان يحضر الصلوات التي تقام في مسجد رسول الله ﷺ،

والتي كان يؤمّمهم فيها خليفتهم الأوّل وهو عتيق^١ أو أبوبكر بن أبي قحافة، فلماذا

١. «عتيق» كان اسمه، ذكروا أنّه كان لجماله سُمّي عتيقاً، والظاهر أنّه «عتيق اللات» فأبدّله رسول الله ﷺ بـ«عبدالله»، وكان مدّة حياته لا يُسمّي نفسه عبدالله وإنّما كان يُسمّي نفسه بكنيته، وإنّ كانت ابنته عائشة تقول: إنّ «عتيق» سُمّي عتيقاً لجماله وصباحة وجهه، ولا أريد أن أُطيل هنا أنّه هل كان صبيحاً أم لا؟! وهل كانت ابنته...؟! [انظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٠/٣ - ٤٦١ = ٣٣٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤/١٦٩ - ١٧٥ = ٤٨٢٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، (أبوبكر)، ٣/١١٩ - ١٥٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/١٠٥ - ١٢١؛ سير أعلام النبلاء، ٢/٣٥٥ - ٣٩٦ = ٢].

وهناك كتاب ألفه بعض معاصرينا حول أزواج النبي ﷺ، هناك يحكي عن ابنة هذا الشخص أنّها أغارت على كلّ امرأة كان يتزوّجها رسول الله ﷺ، لأنّها كانت تجد أنّ تلك المرأة أصبح منها، وما ذُكر أو أُشيع من صباحة وجهها كلّ مردود، ولا أدري ما الذي وجد جبريل حيث أتى بها في سرقة من حرير وأراها رسول الله ﷺ، فهي تقول وتدّعي أنّ رسول الله ﷺ عَشَقَهَا وهي طفلة تبلغ السابعة لا أكثر وهي في سرقة من حرير - أي في قباط، والطفلة في القباط لا أدري ماذا أقول..

(العلامة الجعفري)

[وقد جاءت نصوص متعددة بهذا المضمون، نذكر نموذج منها:

* «عَنْ عَائِشَةَ (رض)، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلِكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكَ الثَّوبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح «باب

النظر إلى المرأة قبل التزويج»، ٧/١٨ - ١٩؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٢/١٤٠)

* «عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: أُرَيْتُكَ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُ الْمَلِكَ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنَّ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ، ثُمَّ أُرَيْتُكَ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التعبير «باب ثياب الحرير في المنام»، ٩/٤٦ - ٤٧)

يقول أبوبكر: «أكرهت إمارتي؟» معنى ذلك أن أبابكر كان يُريد أن يجعل أمير المؤمنين ﷺ من حاشيته - لا أنه يكتفي به بأن يخرج إلى الصلاة - بحيث لا نقول

* «عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: أُرِيتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتَ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يُمَضِّهِ». (مسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة «باب في فضل عائشة»، ١٨٨٩ / ٤ = ٧٩ «٢٤٣٨»؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٢٩ / ٣)

* «عن عائشة: أَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ خَضِرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٢٩ / ٣)

* «عَنْ عَائِشَةَ (رض)، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا: أُرِيتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب «باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله» وسلم عائشة وقدموها المدينة وبنائه بها»، ٧١ / ٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ١٣٩ / ٢)

* «عَنْ عَائِشَةَ (رض)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: أُرِيتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَأَكْشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التعبير «باب كشف المرأة في المنام»، ٤٦ / ٩؛ وانظر أيضاً: أحمد بن حنبل، المسند، ٤١ / ٦ و ١٢٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨٠ / ١؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣ / ٢٠ = ٤٣)

* «عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ: أُتِيتُ بِجَارِيَةٍ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ مِنْ بَعْدِ وَفَاةٍ خَدِيجَةٍ فَإِذَا هِيَ أَنْتَ، فَقُلْتُ: إِنَّ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ، ثُمَّ أُتِيتُ أَيْضاً بِجَارِيَةٍ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَكَشَفْتُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتَ، فَقُلْتُ: إِنَّ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ». (الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣ / ١٩ = ٤١)

* «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَدْ أَرَى عَائِشَةَ فِي الْمَنَامِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَتَوَفَّيْتُ خَدِيجَةَ، فَقَالَ: إِنَّ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ». (ابن عبد البر، الاستيعاب «عائشة بنت أبي بكر»، ٤ / ١٨٨١ = ٤٠٢٩).

يَتَزَيَّنْ بِهِ وَإِنَّمَا كَانَ تَزَيَّنَهُ بِصَاحِبِهِ أَبِي حَفْصٍ، كَمَا يَقُولُ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا صَرَْعِيهَا»^١، يَعْنِي: لَا أَتَّهَمُهَا تَعَاقِبًا عَلَى ضَرْعِي النَّاقَةَ بِحَيْثُ كَانَتْ النَّاقَةُ بِضُرُوعِهَا لِلأَوَّلِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ ثُمَّ لِلثَّانِي أَيَّامَ خِلَافَتِهِ، بَلْ جَعَلَا ضَرْعًا مِنْهَا لِلأَوَّلِ وَضَرْعًا آخَرَ لِلثَّانِي أَيَّامَ الأَوَّلِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى دَقَّةِ التَّعْبِيرِ فِي كَلَامِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

قَالَ: فَزَعَمُوا أَنَّهُ كَتَبَهُ عَلَى تَنْزِيلِهِ. قَالَ مُحَمَّدٌ - أَي: ابْنُ سِيرِينَ -: فَلَوْ أُصِيبَ ذَلِكَ الْكِتَابُ كَانَ فِيهِ عِلْمٌ.

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَسَأَلْتُ عِكْرِمَةَ - الْخَارِجِي الْحَرِّيَ الَّذِي كَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ صَاحِبُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَلْمِيزُهُ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَبًّا حَبَسَهُ وَيَقُولُ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ^٢ - عَنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ^٣ - مَعْنَاهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَدْ أَخْفَى مَصْحَفَهُ -.

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة/ ٤٨ (خ ٣ «الشقشقية»؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦٢/١).

٢. انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٩/٢٠ - ٤٠ = ٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٤/٧ - ١٨١ = ١٨٧؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٢٦٣/٧ - ٢٧٣ = ٤٧٦.

٣. ابن سعد، الطبقات الكبير، ذكر مَنْ كَانَ يُفْتَى بِالْمَدِينَةِ وَيُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلم عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلم وَبَعْدَ ذَلِكَ وَإِلَى مَنْ انْتَهَى عِلْمُهُمْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، ٢ - ١٠١/٢.

الحديث الثاني

إمتناع أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن

حدثنا عبدالله، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين، قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقسم عليٌّ أن لا يرتدي برداءٍ إلا لجمعةٍ حتى يجمع القرآن في مصحف. هنا يذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام أقسم أن لا يرتدي برداءٍ إلا لجمعة، لا للصلوات كلها التي كان من المفروض على أنصار الخليفة الأول أن يحضروها. ففعل، فأرسل إليه أبوبكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أنني أقسمتُ أن لا أرتدي برداءٍ إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع. معنى ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبابكر قبل هذا اليوم، فعلم أبوبكر من إمتناع أمير المؤمنين عليه السلام عن حضور الجمع أنه لا يحب إمرته، وهذا شيء غريب، لأنه يردّه كثير من الأحاديث التي تقول: «جيء به مُكَبَّأً بحمائل سيفه حتى يُبايع»^١.

١. انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/٣٩٣؛ الجوهري، السقيفة وفدك/ ٧١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٤٥؛ المفيد، الاختصاص/ ١١ و ١٨٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢/ ٨٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ١٠٩.

قال أبوبكر - أي: أبوبكر بن أبي داود^١ -: لم يذكر المصحف أحدًا إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رَوَوْا: حتى أجمع القرآن، يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن^٢.

وهذا يدل على تحلي خبث أبي بكر بن أبي داود.

١. هو ابن أبي داود السجستاني (صاحب السنن) وكان هو وأبوه لا يختلفان فحسب وإنما يُكذَّب كلُّ منهما الآخر، فيقول أبوداود السجستاني: «إنَّ ابني كَذَّابٌ خبيث» [الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤٣٣/٢؛ تاريخ الإسلام، ٥١٨/٢٣؛ سير أعلام النبلاء، ٢٢٨/١٣؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٢٩٤/٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٨٦/٢٩ (وقد جاء في المصادر المذكورة بهذا اللفظ: «ابني عبدالله كذاب»)]، بل كان يطعن في نسبه وهو أيضاً كان يطعن في أبيه.

ومن جملة ما قال: «لقد خَفِيَ أَظَاْفِرُ عَلِيٍّ بن أبي طالب وفاطمة من كثرة ما تسلقا على عائشه» [الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤٣٣/٢؛ تاريخ الإسلام، ٥١٧/٢٣؛ سير أعلام النبلاء، ٢٢٩/١٣؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٢٩٤/٣؛ ابن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ٤٣٧/٥ (وقد ورد في المصادر المذكورة هكذا: «خَفِيَتْ أَظَاْفِرُ عَلِيٍّ [وفي بعضها: فلان] مِنْ كَثْرَةِ مَا كَانَ يَتَسَلَّقُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»)].

يقول المترجمون: إنَّ هذا مكذوب مفترى [الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٣٨/٢؛ سير أعلام النبلاء، ٢٢٩/١٣] وَيُكَذِّونَ أَبَا بَكْرٍ بن أبي داود في فريته، ويقولون: «إنَّ عَلِيًّا وفاطمة لم يتسلقا على عائشه». وأنا أرى هذا بعض ما كان لعلِّي وفاطمة عليهما السلام من الغيرة على رسول الله ﷺ وعرضه، فهما كانا يُراقبان من كانا يريان أنه يجب عليهما وعلى المسلمين المراقبة.

(العلامة الجعفري رحمته الله)

٢. ابن أبي داود، المصاحف (جمع عليٍّ بن أبي طالب القرآن في المصحف)/ ١٠.

الحديث الثالث

عرض البيعة على أبي عبيدة بعد وفاة النبي ﷺ

قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَا: نَا أَبُو عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ - أَي: محمد بن سيرين -، قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم أَتَوْا أَبَا عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: أَتَأْتُونِي وَفِيكُمْ ثَالِثٌ ثَلَاثَةً؟!

مَنْ هُمْ الثَّلَاثَةُ؟! إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَ الَّذِي بُيِعَ فِيهَا بَعْدَ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ، وَثَانِيَهُمَ الَّذِي مَدَّ يَدَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَبَايَعَهُ وَهُوَ أَبُو حَفْصٍ، فَمَنْ الثَّلَاثُ؟!

قَالَ أَبُو عَوْنٍ: قُلْتُ لِمُحَمَّدٍ - يَعْنِي: ابْنَ سِيرِينَ -: مَا ثَالِثٌ ثَلَاثَةً؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى تِلْكَ الْآيَةِ: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^١.

الظاهر أَنَّ الثَّلَاثَةَ هُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَيَقْصِدُ بـ«ثَالِثٌ ثَلَاثَةً» أَبَا بَكْرٍ، حَيْثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَفَّى وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَبَايَعُوهُ، لِأَنَّهُمْ صَنَعُوا شَيْئاً كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

١. التوبة (٩)/ ٤٠.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبير، أبو بكر الصديق (ذكر بيعة أبي بكر)، ٣ - ١/ ١٢٨؛ وانظر أيضاً: البلاذري، أنساب الأشراف (أمر السقيفة)، ١/ ٥٧٩ = ١١٧٢.

يجدهم خالفوه، إذ أن الآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^١، يعني: الله سبحانه وتعالى هو الذي كان يأخذ البيعة، ولذا مَنْ خُلِّ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَبَايِعُ ثُمَّ يَنْكُثُ إِنَّمَا يَنْكُثُ بِمَا يَضُرُّهُ لَا بِمَا يَضُرُّ اللَّهَ، معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى اختبر أهل بيعة الشجرة فوجدهم بين ناكث - وهُم الأكثر - وبين موفٍ لعهد الله، ولأجل هذا لم يحضر بيعة السقيفة، ولأجل هذا يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا رضى عن كل مَنْ بايع ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^٢.

وأما الحديث حول آية الغار وصاحب الغار طويل، يقول شيخنا الطبرسي - أعلى الله مقامه - في تفسير آية الغار: ولأصحابنا في هذا المقام مجالٌ أعرضنا عن ذكره لأن لا تُتَّهَمَ بالتعصّب^٣، والعجيب أن الذين يذكرون ما يُخَيَّلُ إليهم من الاستنباط ضد الشيعة لا يُتَّهَمُونَ بالتعصّب، وأما الذين يستدلّون بالآية لهداية يُتَّهَمُونَ بالتعصّب!

١. الفتح (٤٨)/ ١٠.

٢. الفتح (٤٨)/ ١٨.

٣. نص كلامه: «وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ﷺ، في هذه الآية بالسكينة، كلاماً رأينا الإضراب عن ذكره أخرى، لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء». (الطبرسي، مجمع البيان، ٥/ ٥٨)

حديث عكرمة

إمتناع أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن

قَدْ وَرَدَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ أَخْرَجَهُ ابْنُ الضُّرَيْسِ فِي فَضَائِلِهِ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هُوْدَةُ بْنُ خَلِيفَةَ، حَدَّثَنَا عَوْنٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَعْدَ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ قَعَدَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي بَيْتِهِ، فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: قَدْ كَرِهَ بَيْعَتَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَكْرِهْتَ بَيْعَتِي؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ. قَالَ: مَا أَقْعَدَكَ عَنِّي. قَالَ: رَأَيْتُ كِتَابَ اللَّهِ يُزَادُ فِيهِ، فَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَلَّا أَلْبَسَ رِدَائِي إِلَّا لِصَلَاةٍ حَتَّى أَجْمَعَهُ. قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّكَ نِعَمَ مَا رَأَيْتَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقُلْتُ لِعِكْرَمَةَ: أَلْفَوْهُ كَمَا أُنْزِلَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ؟ قَالَ: لَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يُؤَلِّفُوهُ ذَلِكَ التَّأْلِيفَ مَا اسْتَطَاعُوا.^١

قد ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يكتب كل ما ينزل على رسول الله، بأمر منه ﷺ، يوماً بيوم، ولحظة بلحظة، بما أنزل عليه في مكة، وما أنزل عليه في المدينة، وما أنزل

١. السيوطي، الإتقان، النوع الثامن عشر (في جمعه وترتيبه)، ١/١٦٦، وقال: (وأخرجه ابن أشتة في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه أنه كتب في مصحفه النسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه).

عليه في أسفاره وغزواته، وأنه ﷺ حينما كان يَكْتُبُ كان يعلم عِلْمَ رسول الله ﷺ بما أنزل، بمكيه ومدنيه، أنزل في سهل أم في جبل، أنزل في وادٍ أم غير وادٍ - كما يقول هو عليه السلام -، إلا أن يقول قائل بأن رسول الله ﷺ أيضاً كان يجهل ذلك، وهذا كلام لا نعتقد به أبداً، لأنه ﷺ كان يعلم أن القرآن متى أنزل، وحينما يأمر أمير المؤمنين عليه السلام بجمعه معنى ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً كان يعلم بما يعلمه رسول الله ﷺ.

وهذا كله تنزيل منّا وإلا علم رسول الله ﷺ لا بالقرآن وحده بل بالشرعة كلها انتقل إلى وصيه وخليفته والإمام بعده - أي: بعده بالرتبة لا بالزمان - وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فحينما يقول عكرمة: «لَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يُؤْلَفُوهُ ذَلِكَ التَّأْلِيفَ مَا اسْتَطَاعُوا»، هذا لا يشمل رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فهما كانا يقدران على ذلك.

١. انظر: الأزرق، أخبار مكة، ١/ ٥٠؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١/ ٤٦٤؛ الثعالبي، الجواهر الحسان، ١/ ٥٢؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٦/ ١٩٢ = ١٠٥٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦/ ١٩٠، ٤٠/ ١٧٩، ٨٩/ ١٠٣ - ١٠٤؛ الأميني، الغدير، ٢/ ٤٤ - ٤٥.

حديثي أسلم

الحديث الأول

تهديد عمر بإحراق بيت الصديقة الطاهرة عليها السلام بعدبيعة أبي بكر

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، نَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ
حِينَ بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم كَانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ
يَدْخُلَانِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فَيُشَاوِرُونَهَا
وَيَرْتَجِعُونَ فِي أَمْرِهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ،
فَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ
أَبِيكَ - لَأَنَّهُ «بِمُحَمَّدٍ سَلَّوْا سِوْفَ مُحَمَّدٍ * رَضَخُوا بِهَا هَامَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ»^١ -
وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا بَعْدَ أَبِيكَ مِنْكَ.

مَنْ يَقْصِدُ مَنْ «إِلَيْنَا»؟ هل يقصد نفسه، أم يقصد صاحبه، حيث أَنَّ الصديقة الطاهرة عليها السلام استشهدت وهي غضبي عليها؟!
وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا ذَاكَ بِإِنْعِي إِنْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ عِنْدَكَ أَنْ أَمْرُهُمْ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ.

وهذا الحديث يدل على أَنَّ الصديقة الطاهرة عليها السلام رأت مَنْ عَزِيَمَتَهُ أَنَّهُ يَفْعَلُ، فَمَنَعَتِ الَّذِينَ كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهَا.

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ جَاءُوهَا، فَقَالَتْ: تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي وَقَدْ حَلَفَ بِاللَّهِ لَنْ عُدُّنَّكُمْ لِيَحَرِّقَنَّ عَلَيْكُمُ الْبَيْتَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ [لِيَمْضِيَنَّ^٢] لِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ، فَانْصَرَفُوا رَاشِدِينَ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَيَّ، فَانْصَرَفُوا عَنْهَا فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَايَعُوا لِأَبِي بَكْرٍ^٣.

١. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب غزوة خيبر)، ٥/١٧٧؛ كتاب الفرائض (باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث ما تركنا صدقة)، ٨/١٨٥؛ الجوهرى، السقيفة وفدك/ ٧٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٤٩ - ٥٠، ١٦/٢٣٢؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨/٣٠٣ و ٣١٦، ٣٠/٣٨٧؛ الأميني، الغدير، ٧/٢٢٨ - ٢٢٩؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٣١٨.

٢. في الهامش: «في الأصل بياض ملأناه من م والكنز».

٣. ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب المغازي (ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة)، ١٤/٥٦٧ - ٥٦٨ = ١٨٨٩١.

الحديث الثاني

توعد عمر بإحراق بيت فاطمة عليها السلام بعدبيعة أبي بكر

يذكر ابن عبد البر في الاستيعاب، في ترجمة عبدالله بن أبي قحافة - أي: في ترجمة أبي بكر -:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو^١ الْبَزَّازُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُسَيْرٍ^٢، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ^٣ بْنُ عُمَرَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ كَانَا حِينَ بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍ يَدْخُلَانِ عَلَى فَاطِمَةَ فَيُشَاوِرَانِهَا وَيَتَرَاوِعَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا عُمَرَ، فَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا كَانَ مِنَ الْخُلُقِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا بَعْدَهُ مِنْكَ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ يَدْخُلُونَ عَلَيْكَ، وَلَيْتَنِي بَلَغَنِي لِأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ. ثُمَّ خَرَجَ وَجَاءُوهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي وَحَلَفَ لِيْنِ عُدْتُمْ لِيَفْعَلَنَّ، وَإِنَّمِ اللَّهُ

١. في الهامش: «في ش: عمر».

٢. في الهامش: «في ش: بشر».

٣. في الهامش: «في ش: عبيدالله».

لَيَفِينَنَّ بِهَا، فَانْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا إِلَيَّ. فَانْصَرَفُوا فَلَمْ يَرْجِعُوا حَتَّى بَايَعُوا
لَأَبِي بَكْرٍ^١.

الحديث في نظرهم صحيح، ممّا يلاحظ على هذا الحديث أنّه لم يصرّح بقول أبي حفص، واكتفى بقوله: «لأفعلنّ ولأفعلنّ»، ولكن كلامه وكلام الصديقة الطاهرة عليها السلام في مسند ابن أبي شيبه صريح، لأنّه كلّما تأخّر الزمن عن الصدر الأوّل الجاهلي فعُميت علينا أن نُلزَم، لأنّ التعمية - أي: عمى القلب، لا عمى البصر - كانت هي الأصل، والنقطة تدلّ على موضع العمى للبصيرة لا للبصر.

١. ابن عبد البر، الاستيعاب (عبدالله بن أبي قحافة)، ٣ / ٩٧٥.

حديث الإمام علي بن الحسين عليه السلام

موقف أبي سفيان من بيعة أبي بكر

عن زيد بن علي، عن أبيه - علي بن الحسين عليه السلام -، [قال:] إنّ أباسفيان جاء إلى علي، فقال: يا علي، بايعوا رجلاً أذلّ قريش قبيلة، والله لئن شئت لنصد عنها عليه أقطارها ولأملأنها عليه خيلاً ورجلاً!

فقال له علي: يا أبا سفيان، إنّ المؤمنين وإن بعدت ديارهم وأبدانهم قومٌ نصحة بعضهم لبعض، وإنّ المنافقين وإن قربت ديارهم وأبدانهم قوم غششة بعضهم لبعض، وإنّا قد بايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلاً.^١

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٨٣ = ٢٣٦٢.

حديث أبي معشر^١ عن المقبري

ذكرنا الأحاديث أو السنن أو الآثار التي كانت تحكي ما شجر بين الصحابة حسب مصطلحهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهنا نأتي إلى فقيه يؤرّخ وهو متأخر عن عصر الصحابة والتابعين، ويُرسَل حديثه إرسال المسلم - كما يقولون -، وقد اعتنى به محمد بن سعد كاتب الواقدي فحكى عنه ما ذكره في كتبه، والكتاب الوحيد الذي ألفه كتاب «المغازي»، وقد ألفه مُرسلاً بحيث لم يُسند فيه إلى التابعين فكيف بالصحابة، ويحكي عنهم، وقد شاع ما ذكره هذا الشخص، وهو أبو معشر نجيب بن عبد الرحمن.

«أبو معشر: فقيه، له معرفة بالتاريخ، أصله من السند، كان أَلَكَن، يَقْلِبُ الكاف قافاً، أقام في المدينة إلى أن اصطحبه المهدي العباسي معه إلى العراق، سنة ١٦٠هـ، وأمر له بألف دينار، وقال له: تكون بحضرتنا فتفقّه من حولنا، واختلط في آخر

١. كنتُ أتخيل أنّه أبو معشر الفلكي المعروف الذي توفّي سنة «٢٧٢هـ»، وهو من أعلام الفلكيين ويُذكر أنّه كان يَطْعَن ويُزْعِي على مَنْ كانوا يتعاطون بالاسطرلاب وشبهه، فَرَّزَ له بعضهم أنّه أصبح فلكياً يَنْظُرُ في النجوم فَخَفَّ طَعْنُهُ على غيره [انظر: السيد ابن طاووس، فرج المهموم/ ١٥٧ - ١٦٣].
(العلامة الجعفري رحمه الله)

عمره، ومات ببغداد فصلّى عليه هارون الرشيد. له كتاب «المغازي»، نقل عنه الواقدي وابن سعد [يعني: تلميذ الواقدي]^١.

هذا نموذجٌ ممّا وضع لصالح الخلفاء أو لصالح من كان الخلافة العباسية تهتمُّ بشأنهم.

إخبار أبي بكر وعمر بإجتماع السقيفة وذهابهما إليها وما جرى فيها
أحمد بن الحارث، عن أبي الحسن، عن أبي معشر، عن المقبري - ولا نعرف من هو؟ -: إنّ المهاجرين بينما هم في حُجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قبضه الله إليه، إذ جاء معن بن عديّ وعويم بن ساعدة، فقالا لأبي بكر: باب فتنة إن يُغلّقه الله بك، هذا سعد بن عبادة والأنصار يريدون أن يُبايعوه. فمضى أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة حتى جاءوا سقيفة بني ساعدة وسعد على طنفسة مُتَكِنًا على وسادة، وبه الحمى، فقال له أبوبكر: ماذا ترى أبا ثابت؟ قال: أنا رجلٌ منكم. فقال حُباب بن المنذر: منّا أمير ومنكم أمير، فإن عمل المهاجري في الأنصاري شيئاً ردّ عليه، وإن عمل الأنصاري في المهاجري شيئاً ردّ عليه، وإن لم تفعلوا فأنا جذيلها المُحكّك وعُذيقها المُرجّب، لنُعِيدَنَهَا جَذْعَةً.

قال عمر: فأردتُ أن أتكلّم، وكنتُ زوّرتُ كلاماً في نفسي. فقال أبوبكر: على رُسُلك يا عمر، فما ترك كلمةً كنتُ زوّرتها في نفسي إلّا تكلّم بها، وقال: نحن المهاجرون، أوّل الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم

١. الزركلي، الأعلام (أبو معشر السندي)، ٨/ ١٤.

وجوهاً، وأمّسهم برسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم رحماً، وأنتم إخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلّا لهذا الحيّ من قريش، فلا تَنَفَسُوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به، فقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم: الأئمة من قريش. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين - يعني: عمر بن الخطاب، وأبا عبيدة بن الجراح -، فقال عمر: يكون هذا وأنت حيّ! ما كان أحد ليؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم، ثمّ ضرب على يده فبايعه، وبايعه الناس وازدحموا على أبي بكر. فقالت الأنصار: قتلتم سعداً. فقال عمر: اقتلوه قَتَلَهُ الله، فإنّه صاحبُ فتنة. فبايع الناسُ أبا بكر، وأتوا به المسجد يُبايعونه، فسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد، ولم يفرغوا من غسل رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم، فقال عليّ: ما هذا؟ قال العباس: ما رُئِيَ مثلُ هذا قطّ، أما قلتُ لك.^١

نعم، الخلاف بين المهاجرين الثلاثة والأنصار كان في السقيفة، أمّا ازدحام الناس على أبي بكر كان خارج السقيفة، حينما جيء به إلى مسجد رسول الله ﷺ ازدحمت عليه الأوس، والشاهد أنّ الخلاف وقع بعد ما أعطى أبو بكر تعهداً بأنّ الأنصار يكونوا الوزراء وأنّ الخلافة لا تكون إلّا في قريش، لأنّ العرب لا ترضى بهم، ولما دخلوا إلى مسجد رسول الله ﷺ ازدحمت عليه الأوس، ويشهد بذلك خطبة عمر التي يذكر فيها أحداث السقيفة وهي خطبة متفقٌ على إخراجها.

١. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ٤/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

حديث مسلم

ترشيح أبي عبيدة للبيعة

عن إسماعيل بن سميع، عن مسلم، قال: بعث أبوبكر إلى أبي عبيدة: هلمّ حتى استخلفك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إن لكل أمة أميناً وأنت أمين هذه الأمة.

فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم رجلاً أمره رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يؤمنا.^١

مع الأسف قصّة «خان الأمين» شائعة عند إخواننا العامّة، وسَمِعْتُهَا مِنْ مُتَقَفِّهِمْ فِي مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ وَهُمْ أَسَاتِذَةُ كَانُوا فِي جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى وَجَامِعَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، أَجْمَلُهَا أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّ الرَّافِضَةَ حِينَهَا يَخْتِمُونَ صَلَوَاتِهِمْ يَقُولُونَ بَدَل «اللَّهُ أَكْبَرُ»، «خَانَ الْأَمِينَ، خَانَ الْأَمِينَ، خَانَ الْأَمِينَ»، يَخْلُطُونَ بَيْنَ «خَانَ الْأَمِينَ» - أَي: جَبْرِيلَ - وَالْأَمِينَ، يَعْنِي: «أَمِينَ الْأُمَّةِ» وَتَقْصِدُ الشَّيْعَةُ أَبُو عَبِيدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ٥/ ٣٧١ = ٢٣٣٥.

الذي يسمّونه أهل السنة بالأمين^١، والقصة راجعة إلى «أنّ الأمين لا يخون، ولكن قد يعتمد الخائن فيخون»^٢.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين

١. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي (باب قصة أهل نجران)، ٢١٧/٥ - ٢١٨؛ كتاب أخبار الأحاد (باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام)، ١٠٩/٩؛ أحمد بن حنبل، المسند، ١٣٣/٣ و ١٧٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢١٠/١١، ٢٤١/١٦، ٣١٠/١٩، ٤٥٥/٢٥، ٤٦٥، ١٥١/٣٦، ٢٤٤/٦٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/٣ - ١٠ و ٢٢٧؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/٩ = ١٤٩١٥؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٤/١١٠ = ٣٨٢٥؛ المعجم الأوسط، ٦/٢٩٨ = ٦٤٦٣؛ ابن شبة، تاريخ المدينة، ٣/٨٨١ و ٨٨٦.

٢. انظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٤٣؛ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/١٤٠؛ التستري، الصوارم المهرقة، ٧٨ و ١١٨؛ الإيجي، المواقف، ٣/٦٨١ - ٦٨٢؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ٦٢٣؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/١٣١؛ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ٥٩ - ٦٠.

المصادر

١. القرآن المجيد

٢. ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله (٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨ - ١٣٨٣هـ / ١٩٥٩ - ١٩٦٤م، الطبعة الأولى.
٣. ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، الهند (حيدر آباد الدكن) - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٢٧١هـ / ١٩٥٢م، الطبعة الأولى.
٤. ابن أبي داود: عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (٣١٦هـ)، المصاحف، تحقيق: آثر جفري، ليدن - مطبعة بريل، ١٩٣٧م، مصر - المطبعة الرحمانية، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، الطبعة الأولى.
٥. ابن أبي شيبه: عبدالله بن محمد الكوفي (٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: عدة من المحققين، الهند (بومبائي) - الدار السلفية، ١٣٨٦ - ١٤٠٣هـ / ١٩٦٦ - ١٩٨٣م، الطبعة الأولى.
٦. ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ)، الأحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الرياض - دار الراية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، الطبعة الأولى.

٧. ابن أعثم: أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي (٣١٤هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، القاهرة - دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، الطبعة الأولى.

٨. ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (٦٣٠هـ).

الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت - دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت - دار صادر.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.

٩. ابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت - المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠. ابن العربي: محمد بن عبدالله أبوبكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الطبعة الثالثة.

١١. ابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري (٣١٩هـ)، كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، المدينة النبوية - دار المآثر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى.

١٢. ابن النديم: محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت - دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، الطبعة الثانية.

١٣. ابن جماعة: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي (٧٣٣هـ)، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دمشق - دار الفكر، ١٤٠٦هـ، الطبعة الثانية.
١٤. ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ). الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- تحرير تقريب التهذيب، تأليف: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.
- تهذيب التهذيب، الهند - دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ، الطبعة الأولى.
- لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند، بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م، الطبعة الثانية.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، الرياض - دار طريق للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
١٥. ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة - مكتبة الخانجي.
١٦. ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (٥٦٢هـ)، التذكرة الحمدونية، بيروت - دار صادر، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى.
١٧. ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت - دار صادر، ١٩٠٠ - ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.

١٨. ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ)، الطبقات الكبير، تصحيح: ادوارد سخي، ليدن - مطبعة بريل، ١٣٢٢ - ١٣٤٧هـ.
١٩. ابن سيده: علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.
٢٠. ابن شبة: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري (٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهم محمد شلتوت، جدة - السيد حبيب محمود أحمد، ١٣٩٩هـ.
٢١. ابن شهر آشوب: محمد بن علي (٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف - المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.
٢٢. ابن عبد ربّه: أحمد بن محمد الأنديسي (٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: أحد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٧ - ١٣٨١هـ / ١٩٤٨ - ١٩٦٢م، الطبعة الثانية.
٢٣. ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد (٤٦٣هـ). جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، المملكة العربية السعودية - دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مصر (الغزالة) - مطبعة نهضة مصر.

٢٤. ابن عدي الجرجاني: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد ابن مبارك بن القطان (٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

٢٥. ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ).

تاريخ دمشق الشام، مخطوطة الف (مخطوطة مصورة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف).

تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٦. ابن قتيبة الدينوري: عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ).

الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

الشعر والشعراء، القاهرة - دار الحديث، ١٤٢٣هـ.

المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، الطبعة الثانية.

عيون الأخبار، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٢٧. ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي البصري (٧٧٤هـ).

البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م.

تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، الطبعة الثانية.

٢٨. ابن مزاحم: نصر بن مزاحم بن سيار المنقري (٢١٢هـ)، وقعة صفين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة - المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ١٣٨٢هـ، الطبعة الثانية.

٢٩. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت - دار صادر، ١٤١٤هـ، الطبعة الثالثة.

٣٠. ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، بيروت - دار احياء التراث العربي.

٣١. أبو الفرج: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأصبهاني (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق: كاظم المظفر، النجف الأشرف - منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، الطبعة الثانية.

٣٢. أبوداود السجستاني: سليمان بن الأشعث بن إسحاق (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت (صيدا) - المكتبة العصرية.

٣٣. أبورية: محمود (١٣٩٠هـ)، شيخ المضيرة، مصر - دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٣٤. أبونعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر - السعادة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض - دار الوطن للنشر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.

٣٥. أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ).
المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت - دار الجيل / القاهرة - مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)، مصر - المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ، بيروت - المكتب الإسلامي / دار صادر، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، الطبعة الأولى.
٣٦. آقا بزرك الطهراني: محمد محسن منزوي (١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طهران - مطبعة المجلس، ١٣٧٣ - ١٣٧٤هـ / ١٩٥٣ - ١٩٥٥م / ١٣٣٢ - ١٣٣٣ش، الطبعة الأولى.
٣٧. الآجري: محمد بن الحسين بن عبدالله (٣٦٠هـ)، الشريعة، تحقيق: عبدالله بن عمر بن سليمان الدميحي، الرياض - دار الوطن، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، الطبعة الثانية.
٣٨. الأزرقى: محمد بن عبدالله بن أحمد (٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيروت - دار الأندلس للنشر.
٣٩. الأزهرى: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت - دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.
٤٠. الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق (٣٢٤هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فؤاد حسين محمود، القاهرة - دار الأنصار، ١٣٩٧هـ، الطبعة الأولى.
٤١. الاصفهاني: محمد حسين (١٣٢٠هـ)، الأنوار القدسية، تحقيق: علي النهاوندي، قم المشرفة - مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.
٤٢. الآمدي: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، بيروت - المكتب الإسلامي.

٤٣. الأميني: عبدالحسين أحمد (١٣٩٢هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، بيروت - دار الكتاب العربي، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، الطبعة الرابعة.
٤٤. الإيجي: عضدالدين عبدالرحمن بن أحمد (٧٥٦هـ)، المواقف، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، بيروت - دار الجليل، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.
٤٥. البحراني: عبدالله بن نور الله (ق ١٢)، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المشرفة - مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٧هـ / ١٣٦٥ش، الطبعة الأولى.
٤٦. البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، مصر - مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده.
٤٧. البغدادي: عبدالقادر بن عمر (١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة - مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الطبعة الرابعة.
٤٨. البلادي: عاتق بن غيث بن زوير (١٤٣١هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة - دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، الطبعة الأولى.
٤٩. البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ). أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، مصر - دار المعارف، ١٩٥٩م. فتوح البلدان، بيروت - دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.
٥٠. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ)، السنن الكبرى (وفي ذيله الجوهر النقي)، الهند (حيدرآباد الدكن) - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤ - ١٣٥٥هـ، الطبعة الأولى.

٥١. التستري: القاضي نور الله (١٠١٩هـ)، الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، طهران - مطبعة النهضة، ١٣٦٧.
٥٢. الثعالبي: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ، الطبعة الأولى.
٥٣. الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (٢٥٥هـ).
البيان والتبيين، بيروت - دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.
الحيوان، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، الطبعة الثانية.
٥٤. الجرجاني: عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة - مطبعة المدني/ جدة - دار المدني.
٥٥. الجوهري: أحمد بن عبدالعزيز (٣٢٣هـ)، السقيفة وفدك (رواية عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي)، جمع وتحقيق: محمد هادي الأميني، بيروت - شركت الكتبي للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، الطبعة الثانية.
٥٦. الجوهري: إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت - دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، الطبعة الرابعة.
٥٧. الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن عبدالله بن أحمد بن محمد النيسابوري الحنفي (بعد ٤٧٠هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، طهران - مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي/ قم المشرفة - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.

٥٨. الحاكم النيسابوري: محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه (٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين (وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي)، حلب - مكتب المطبوعات الإسلامية/ بيروت - محمد أمين دمج (حيدر آباد الدكن - مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٤١ - ١٣٤٢هـ).

٥٩. الحائري: محمد مهدي (١٣٦٩هـ)، شجرة طوبى، النجف الأشرف - منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٥هـ.

٦٠. الحر العاملي: محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرفة - مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٤هـ، الطبعة الثانية.

٦١. الخطيب البغدادي: أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت - دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى.

٦٢. الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي (١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، الطبعة الخامسة.

٦٣. الدارقطني: علي بن عمر بن أحمد (٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى.

٦٤. الدميري: محمد بن موسى بن عيسى بن علي (٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، الطبعة الثانية.

٦٥. الديلمي: الحسن بن محمد الديلمي (ق ٨)، إرشاد القلوب، قم المشرفة - منشورات الرضي، ١٤١٥هـ / ١٣٧٤ش، الطبعة الثانية.

٦٦. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، بيروت - دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، الطبعة الثانية.
- تذكرة الحفاظ، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
- سير أعلام النبلاء، القاهرة - دار الحديث، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م، الطبعة الأولى.
٦٧. الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (٦٠٦هـ)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، بيروت - دار الكتب العلمية.
٦٨. الزبيدي: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٦٩. الزحيلي: وهبة بن مصطفى (١٤٣٦هـ).
- التفسير الوسيط، دمشق - دار الفكر، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق - دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية.
٧٠. الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر (٧٩٤هـ)، النكت على مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، الرياض - أضواء السلف، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
٧١. الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد (١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، الطبعة الخامسة عشر.

٧٢. الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد (٥٨٣هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت - مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.

٧٣. السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية.

٧٤. السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، حيدر آباد - مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، الطبعة الأولى.

٧٥. السمعاني: منصور بن محمد بن عبد الجبار (٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض - دار الوطن، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

٧٦. السيد ابن طاووس: علي بن موسى بن جعفر (٦٦٤هـ)،
اللهوف في قتلى الطفوف، قم المشرفة - أنوار الهدى، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى.
فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، قم المشرفة - منشورات الرضي،
١٣٦٣ش.

٧٧. السيد شرف الدين: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١٣٧٧هـ).
أبوهريرة، قم المشرفة - مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.
أجوبة مسائل جار الله، صيدا - مطبعة العرفان، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م، الطبعة الثانية.

النص والإجتهد، تحقيق: أبو مجتبى، أبو مجتبى / قم المشرفة - مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى.

٧٨. السيد محسن الأمين (١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، بيروت - دار التعارف للمطبوعات.

٧٩. السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ).

الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، الطبعة الأولى.
الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، الطبعة الأولى.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

٨٠. الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (٢٠٤هـ)، مسند الإمام الشافعي، رتبته على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني والسيد عزت العطار الحسني، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.

٨١. الشربيني: يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر (بعد: ١٠٩٨هـ)، هزّ القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، بولاق مصر - المطبعة الأميرية، ١٣٠٨هـ، الطبعة الثانية.

٨٢. الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (٤٠٦هـ).

ديوان الشريف الرضي، بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

نهج البلاغة، تحقيق: صبحي صالح، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، الطبعة الأولى.

٨٣. الشهيد الأوّل: محمد بن مكي العاملي (٧٨٦هـ)، المزار، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المشرفة - مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى.
٨٤. الشيخ الأنصاري: مرتضى بن محمد أمين الأنصاري (١٢٨١هـ)، المكاسب، تحقيق: مجمع الفكر الإسلامي / لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤٢٠هـ، الطبعة الثالثة.
٨٥. الصالح الشامي: محمد بن يوسف (٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد عوض، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٨٦. الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ). كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم المشرفة - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ / ١٣٦٣ش.
- معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم المشرفة - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٧٩هـ / ١٣٣٨ش.
- من لا يحضره الفقيه، قم المشرفة - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٤هـ، الطبعة الثانية.
٨٧. الصفار: محمد بن الحسن بن فروخ (٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، طهران - منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ / ١٣٦٢ش.
٨٨. الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت - دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٨٩. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ).
- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة - دار الحرمين.
- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، القاهرة - مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
٩٠. الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب (٥٨٨هـ)، الإحتجاج على أهل اللجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف - دار النعمان للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
٩١. الطبرسي: الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ).
- مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.
- إعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرفة - مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى.
٩٢. الطبري: محمد بن جرير بن رستم (القرن الرابع).
- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: أحمد الحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.
- دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم المشرفة - مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ، الطبعة الأولى.

٩٣. الطبري: محمد بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ).
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ميخائيل دخوية، لندن - مطبعة بريل، ١٨٧٩ - ١٩٦٥ م.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر - دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨ م.
٩٤. الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي (٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.
٩٥. الطوسي: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ).
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، طهران - دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ش، الطبعة الرابعة.
- الأمال، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، قم المشرفة - دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى.
٩٦. الطيالسي: أبوداود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، مصر - دار هجر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، الطبعة الأولى.
٩٧. العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (٣٢٠هـ)، التفسير (تفسير العياشي)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طهران - السيد محمود الكتابجي وأولاده صاحب المكتبة العلمية الإسلامية.

٩٨. العيني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي (٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت - دار إحياء التراث العربي.
٩٩. الغروي: علي بن أسد الله الغروي (١٤١٩هـ)، التنقيح في شرح العروة الوثقى (تقرير أبحاث السيد أبو القاسم الخوئي رحمته الله)، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، الطبعة الثانية.
١٠٠. الفاكهي: محمد بن إسحاق بن العباس المكي (٢٧٢هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبدالله دهيش، بيروت - دار خضر، ١٤١٤هـ، الطبعة الثانية.
١٠١. الفراء: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (٤٥٨هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، الطبعة الثانية.
١٠٢. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بيروت - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، الطبعة الثامنة.
١٠٣. الفيض الكاشاني (القاساني): محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني (القاساني) (١٠٩١هـ).
- المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم المشرفة - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية.
- علم اليقين في أصول الدين، تحقيق: محسن بيدار فر، منشورات بيدار، ١٤٠٠هـ / ١٣٥٨ش.

١٠٤. الفيومي: أحمد بن محمد بن علي (نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت - المكتبة العلمية.

١٠٥. القاضي النعمان: النعمان بن محمد التميمي المغربي (٣٦٣هـ)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، قم المشرفة - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

١٠٦. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، بيروت - دار احياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

التذكار في أفضل الأذكار القرآن الكريم، تحقيق: السيد أحمد بن محمد بن الصديق، ١٣٥٥هـ، الطبعة الأولى.

١٠٧. القزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر (٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت - دار الجليل، الطبعة الثالثة.

١٠٨. القندوزي: سليمان بن إبراهيم (١٢٩٤هـ)، ينبع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ، الطبعة الأولى.

١٠٩. الكلاعي: سليمان بن موسى بن سالم (٦٣٤هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، الطبعة الأولى.

١١٠. الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق (٣٢٨ - ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران - دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٧ - ١٣٨٨هـ، الطبعة الثالثة.

١١١. الكحلاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (١١٨٢هـ)، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.
١١٢. الكوفي: محمد بن سليمان (بعد: ٣٢٠هـ)، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد باقر المحمودي، قم المشرفة - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.
١١٣. الماوردي: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، القاهرة - دار الحديث.
١١٤. المتقي الهندي: علاء الدين علي بن حسام الدين (٣٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الهند (حيدرآباد الدكن) - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٤ - ١٣٩٥هـ / ١٩٤٥ - ١٩٧٥م، الطبعة الثانية.
١١٥. المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد باقر البهبودي، بيروت - مؤسسة الوفاء ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، الطبعة الثانية.
١١٦. المزي: يوسف بن عبد الرحمن (٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، الطبعة الأولى.
١١٧. المسعودي: علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، قم المشرفة - دار الهجرة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م / ١٣٦٣ش.
١١٨. المظفر: محمدرضا بن محمد عبدالله (١٣٨٣هـ)، السقيفة، تحقيق: محمود المظفر، مؤسسة أنصاريان، ١٤١٥هـ.

١١٩. المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣هـ).
- الإختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، قم المشرفة - جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، بيروت - دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، الطبعة الثانية.
- الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم المشرفة - مؤسسة البعثة، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.
- الأمالي، تحقيق: الحسين أستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، قم المشرفة - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ.
١٢٠. المقدسي: المطهر بن طاهر (نحو ٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، بور سعيد - مكتبة الثقافة الدينية.
١٢١. المقرئ: أحمد بن علي بن عبد القادر (٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٢٢. الموفق الخوارزمي: الموفق بن أحمد بن محمد المكي (٥٦٨هـ)، المناقب، تحقيق: مالك الحمودي - مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، قم المشرفة - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١١هـ، الطبعة الثانية.
١٢٣. الهاشمي: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (١٣٦٢هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: يوسف الصميلي، بيروت - المكتبة العصرية.

١٢٤. الهيثمي: علي بن أبي بكر بن سليمان (٨٠٧هـ).
 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة - مكتبة
 القدسي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
 موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة، المطبعة
 السلفية ومكتبتها.
١٢٥. الواحدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (٤٦٨هـ)، أسباب نزول
 القرآن (أسباب النزول)، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام - دار
 الإصلاح، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، الطبعة الثانية.
١٢٦. بحشل: أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي (٢٩٢هـ)، تاريخ
 واسط، تحقيق: كوركيس عواد، بغداد - مطبعة المعارف، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
١٢٧. بكر أبوزيد: بكر بن عبدالله أبوزيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن
 يحيى بن غيهب بن محمد (١٤٢٩هـ)، طبقات النسابين، الرياض - دار الرشد،
 ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، الطبعة الأولى.
١٢٨. عبدالرحمن بن صالح: عبدالرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن
 تيمية من الأشاعرة، الرياض - مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.
١٢٩. عبدالرزاق الصنعاني: عبدالرزاق بن همام بن نافع (٢١١هـ)، المصنف، تحقيق:
 حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس الأعلمي، ١٣٩٠ - ١٣٩٢هـ /
 ١٩٧٠ - ١٩٧٢م، الطبعة الأولى.
١٣٠. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد
 عبدالقادر - محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

١٣١. محب الدين الطبري: أحمد بن عبدالله بن محمد (٦٩٤هـ)، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
١٣٢. مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار احياء التراث العربي.
١٣٣. وكيع: محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي (٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز مصطفى المراغي، مصر - المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، الطبعة الأولى.
١٣٤. ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (٦٢٦هـ). معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت - دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، الطبعة الأولى.
- معجم البلدان، بيروت - دار صادر، ١٩٩٥م، الطبعة الثانية.

الفهرس

٧	كلمة المركز
١٣	مقدمة الإعداد
١٣	أهمية الموضوع
١٤	خصائص وميزات كتاب «أحداث السقيفة»
١٥	عملية التحضير وتحقيق الكتاب
٢١	تمهيد

الفصل الأول

ما روي عن الصحابة في أحداث السقيفة/ ٢٥

٢٧	حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب
٢٨	عمر في آخر حجة
٣٠	رجوع عمر إلى المدينة وخطبته فيها
٣٤	رأي أبي حفص بالنسبة إلى بيعة أبي بكر
٣٥	وقفة قصيرة
٤٠	اجتماع الأنصار في السقيفة
٤٢	وقفة قصيرة
٤٢	تعبير «أهل الحل والعقد» ومكانة الخزرج في المدينة
٤٧	تحليل الأبيات الذي تمثل بها يزيد بن معاوية
٥٨	معنى قول عمر في مخالفة أمير المؤمنين ﷺ ومن معه لبيعة السقيفة
٦٧	نقطة هامة
٧٢	مجيء أبي بكر وعمر إلى السقيفة
٧٦	شواهد على حدة أبي بكر
٧٧	خطبة أبي بكر وتقديم عمر أو أبي عبيدة للبيعة
٩٢	اختلاف الأنصار بعد خطبة أبي بكر

- لزوم المشورة في البيعة في كلام أبي حفص ٩٥
- موضوع النزاع في السقيفة ٩٨
- إغتصاب لقب «أمير المؤمنين» ١٠٨
- إغتصاب لقب «الصدّيق والصدّيقة» ١١٠
- تداعيات النزاع والشجار الذي وقع بين الصحابة ١١٥
- أحاديث عائشة بنت أبي بكر ١٢١
- تمهيد ١٢١
- الحديث الأول ١٢٣
- مجيئ أبي بكر من السنج ودخوله على النبي ﷺ وهو مسجّى ١٢٣
- ما صنعه أبوبكر حينما رأى النبي ﷺ مسجّى ١٢٥
- خروج أبي بكر من عند النبي ﷺ ١٢٦
- إخبار أبي بكر بوفاة النبي ﷺ وانفعال الناس ١٢٧
- موقف عمر بعد تلاوة الآية من أبي بكر ١٢٨
- الحديث الثاني ١٢٩
- دخول ابن بابنوس وصاحبه على عائشة ١٢٩
- عائشة وموقفها من سؤال السائل ١٣٠
- رواية عائشة عن أيام مرض النبي ﷺ ١٣٣
- موقف عمر والمغيرة من وفاة النبي ﷺ ١٣٥
- مجيء أبي بكر وموقفه من وفاة النبي ﷺ ١٣٦
- الحديث الثالث ١٣٨
- موقف عمر والمغيرة من وفاة رسول الله ﷺ ١٣٨
- موقف أبي بكر من وفاة رسول الله ﷺ ١٤٠
- الحديث الرابع ١٤٢
- ما صنعه أبوبكر حينما رأى رسول الله ﷺ مسجّى ١٤٢
- مناقشة في الحديث ١٤٣
- الحديث الخامس ١٤٤

- ١٤٤..... موقف أبي بكر وعمر من وفاة النبي ﷺ
- ١٤٥..... اجتماع الأنصار في السقيفة وما جرى فيها
- ١٤٦..... تداعيات خطبة أبي بكر وعمر عن لسان عائشة
- ١٤٧..... مناقشة في الحديث
- ١٤٩..... الحديث السادس
- ١٤٩..... سؤال أبي بكر عن عهد النبي ﷺ وإجابة عمر
- ١٥٠..... حديث عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة
- ١٥٢..... نقاط حول السند
- ١٥٤..... اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة
- ١٥٥..... خطبة سعد بن عباد في السقيفة وموقف الأنصار
- ١٥٧..... إنفعال أبي بكر وعمر عند مجيء خبر السقيفة
- ١٥٩..... خطبة أبي بكر في السقيفة
- ١٦١..... وقفة قصيرة
- ١٦٧..... المشاجرة بين الحباب بن المنذر وعمر بعد خطبة أبي بكر
- ١٧١..... كلام بشير بن سعد بعد المشاجرة والانتهاج إلى بيعة أبي بكر
- ١٧٦..... موقف الأنصار بعد بيعة أبي بكر
- ١٨٠..... قبيلة أسلم وتأثيرها على البيعة
- ١٨١..... مبايعة الناس أبا بكر وموقف سعد بن عباد بعد البيعة
- ١٩٢..... أحاديث أنس بن مالك
- ١٩٢..... تمهيد
- ١٩٣..... الحديث الأول
- ١٩٣..... خطبة أبي حفص الآخرة
- ١٩٥..... البيعة العامة وإزعاج عمر أبا بكر لأخذ البيعة
- ١٩٦..... الحديث الثاني
- ١٩٦..... كلام عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ
- ١٩٧..... الحديث الثالث

- خطبة أبي حفص الآخرة وإزعاج أبي بكر لأخذ البيعة ١٩٧
- مناقشة في الحديث ١٩٨
- الحديث الرابع ٢٠١
- إزعاج عمر أبابكر بعد فوزه بالبيعة ٢٠١
- أحاديث أبي سعيد الخدري ٢٠٣
- الحديث الأول ٢٠٣
- كلام الأنصار حول الإمرة ٢٠٣
- موقف زيد بن ثابت من كلام الأنصار ٢٠٥
- ادّعاء مبايعة أمير المؤمنين ﷺ والزيير أبابكر ٢٠٥
- الحديث الثاني ٢٠٧
- موقف الأنصار وزيد بن ثابت حول الإمرة بعد وفاة رسول الله ﷺ ٢٠٧
- الحديث الثالث ٢٠٩
- موقف الأنصار حول الإمرة بعد رسول الله ﷺ ومبايعتهم أبابكر ٢٠٩
- ادّعاء مبايعة أمير المؤمنين ﷺ والزيير أبابكر ٢١٠
- الحديث الرابع ٢١١
- رأي أبي بكر بالنسبة إلى بيعته وادّعاء أخذ البيعة من أمير المؤمنين ﷺ والزيير ٢١١
- مناقشة في الحديث ٢١٢
- الحديث الخامس ٢١٦
- حجج أبي بكر لبيعته ٢١٦
- أحاديث رافع الطائي ٢١٧
- الحديث الأول ٢١٧
- عما قيل في بيعة أبي بكر ٢١٧
- الحديث الثاني ٢١٩
- سبب قبول أبي بكر البيعة ٢١٩
- الحديث الثالث ٢٢١
- دفاع أبي بكر عن بيعته واعتذاره لصاحبه ٢٢١

- ٢٢٥..... حديث أبي هريرة
- ٢٢٥..... تمهيد
- ٢٢٦..... موقف أبي حفص من وفاة النبي ﷺ
- ٢٢٩..... مجيء أبي بكر من السنع وموقفه
- ٢٣١..... موقف عمر بن الخطاب بعد كلام أبي بكر
- ٢٣٣..... أحاديث ابن عباس
- ٢٣٣..... الحديث الأول
- ٢٣٣..... مسامرة ابن عباس عمر في خلافته
- ٢٣٥..... السبب في المقالة التي قالها أبو حفص عند وفاة النبي ﷺ
- ٢٤٠..... الحديث الثاني
- ٢٤٠..... موقف أبي بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ
- ٢٤٢..... الحديث الثالث
- ٢٤٢..... موقف أبي بكر وعمر بن الخطاب بعد وفاة النبي ﷺ
- ٢٤٤..... الحديث الرابع
- ٢٤٤..... الرجلين الذين أخبرا أبا بكر وعمر باجتماع السقيفة
- ٢٤٥..... الحديث الخامس
- ٢٤٥..... قعود أمير المؤمنين ﷺ عن بيعة أبي بكر وموقفه
- ٢٤٨..... الحديث السادس
- ٢٤٨..... موقف العباس بن عبدالمطلب في مرض النبي ﷺ
- ٢٥٥..... الحديث السابع
- ٢٥٥..... اجتماع بني عبدالمطلب عند العباس وموقف أمير المؤمنين ﷺ من كلام العباس
- ٢٥٧..... حديث النعمان بن بشير الأنصاري
- ٢٥٧..... ادعاء وصية النبي ﷺ لأبي بن كعب في من يلي الأمر بعده
- ٢٥٨..... مناقشة في الحديث

- ٢٦٠.....حديثي البراء بن عازب
- ٢٦٠.....الحديث الأول
- ٢٦٠.....قصة حب البراء لبني هاشم
- ٢٦١.....خوف البراء من إخراج الخلافة عن بني هاشم ووقوع ما خاف منه
- ٢٦٣.....إخبار البراء لبني هاشم ببيعة أبي بكر وموقف العباس من ذلك
- ٢٦٥.....في معنى البيعة
- ٢٧٤.....العقد الابتدائي وارتباطه بالبحث
- ٢٧٧.....ما يُستدلّ على خلاف المعنى الذي ذُكر للبيعة
- ٢٨٧.....جعل نصيباً من الإمرة للعباس وولده لتحكيم أمر البيعة
- ٢٩٢.....الحديث الثاني
- ٢٩٢.....نفس الحديث السابق بإسناد وإضافات
- ٢٩٥.....حديث أبي الأسود
- ٢٩٥.....المهجوم على بيت فاطمة عليها السلام
- ٢٩٦.....كلام أبي بكر حول بيعته واعتذاره إلى الناس
- ٣٠٠.....حديثي سالم بن عبيد
- ٣٠٠.....الحديث الأول
- ٣٠٠.....صلاة أبي بكر في مرض النبي ﷺ
- ٣٠١.....موقف أبي بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ
- ٣٠٢.....الحجج التي صيغت لبيعة أبي بكر
- ٣٠٣.....الحديث الثاني
- ٣٠٣.....الحجج التي صيغت لبيعة أبي بكر
- ٣٠٥.....حديث سويد بن غفلة
- ٣٠٦.....تناول الشيعة أبا بكر وعمر
- ٣٠٧.....موقف أمير المؤمنين عليه السلام من كلام سويد بن غفلة كما يُدعى
- ٣١٤.....قصيدة النعمان بن عجلان

الفصل الثاني

ما روي عن التابعين وغيرهم في أحداث السقيفة / ٣٢٢

- ٣٢٤..... تمهيد
- ٣٢٦..... حديث محمد بن إسحاق
- ٣٢٦..... انحياز الأنصار والمهاجرين بعد وفاة رسول الله ﷺ
- ٣٢٦..... موقف أبي بكر وعمر من انحياز الأنصار
- ٣٢٨..... حديثي عروة بن الزبير
- ٣٢٨..... الحديث الأول
- ٣٢٨..... تعريف بالرجلين اللذين لقا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة
- ٣٣٢..... الحديث الثاني
- ٣٣٢..... الرجلين اللذين لقا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة
- ٣٣٣..... حديث إبراهيم [النخعي]
- ٣٣٣..... محيء أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ وموقفه
- ٣٣٥..... اجتماع الأنصار في السقيفة وموقف أبي بكر وعمر من ذلك
- ٣٣٧..... حديث إبراهيم التيمي
- ٣٣٧..... عرض البيعة على أبي عبيدة
- ٣٣٩..... حديث محمد بن عبد الرحمن الحميري
- ٣٣٩..... كلام حول سند الحديث
- ٣٤٠..... تَوَعَّد عمر الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ وموقف أبي بكر بعد مجيئه
- ٣٤١..... إخبار أبي بكر وأبي حفص باجتماع الأنصار وما جرى في السقيفة
- ٣٤٣..... أبو بكر وعمر، وترشيح كل منهما الآخر للبيعة
- ٣٤٣..... تخلف أمير المؤمنين ﷺ والزبير عن البيعة
- ٣٤٤..... حديث زياد بن كليب
- ٣٤٤..... الهجوم على بيت فاطمة ﷺ
- ٣٤٦..... حديث ابن الحر
- ٣٤٦..... كلام أبي سفيان حول إمرة أبي بكر وموقف أمير المؤمنين ﷺ من كلامه

- ٣٤٨..... حديث ثابت البناني
- ٣٤٨..... موقف أبي سفيان بعد استخلاف أبي بكر
- ٣٥٠..... حديث عوانة
- ٣٥٠..... موقف أبي سفيان من بيعة أبي بكر
- ٣٥١..... عرض البيعة على أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٥٣..... حديث أبي محمد القرشي
- ٣٥٣..... ممّا قاله أبو سفيان لأمر المؤمنين عليه السلام والعباس بعد بيعة أبي بكر
- ٣٥٤..... حديث فاطمة بنت الحسين عليه السلام
- ٣٥٤..... كلامٌ حول سند الحديث
- ٣٥٦..... عرض البيعة على أمير المؤمنين عليه السلام من قبل العباس
- ٣٥٨..... سبب إمتناع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة
- ٣٦١..... حديث البهيّ
- ٣٦١..... غياب أبي بكر عن المدينة حين وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله
- ٣٦٣..... حديث الحسن بن أبي الحسن البصري
- ٣٦٣..... ادعاء عدم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٣٦٥..... حديث زيد بن أسلم
- ٣٦٥..... سؤال العباس عن عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وإعلان وفاته
- ٣٦٧..... حديثي القاسم بن محمد بن أبي بكر
- ٣٦٧..... الحديث الأوّل
- ٣٦٧..... ما جرى بين الأنصار والفئة الخاصّة من المهاجرين في السقيفة
- ٣٦٨..... قَسَمَ أبي بكر بعد البيعة
- ٣٧٠..... الحديث الثاني
- ٣٧٠..... اختلاف الأنصار والمهاجرين الثلاثة في السقيفة
- ٣٧٣..... قَسَمَ أبي بكر للنساء بعد بيعته
- ٣٧٤..... تعليق ابن أبي الحديد
- ٣٧٩..... حديث القاسم بن محمد بن أبي بكر أو أمّ معاوية
- ٣٧٩..... الشك في وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وما صنّعتْ أسماء

- ٣٨١.....حديث المدائني
- ٣٨١.....أبو عبيدة وعرض البيعة على عمر وموقف أبي حفص
- ٣٨٣.....حديث أصحاب السيرة
- ٣٨٣.....عمر وادعاءه عدم وفاة النبي ﷺ
- ٣٨٤.....مجيء أبي بكر من السنج وموقفه بعد وفاة رسول الله ﷺ
- ٣٨٥.....حديث مالك بن دينار
- ٣٨٥.....رجوع أبي سفيان من جمع الصدقات وموقفه من بيعة أبي بكر
- ٣٨٧.....تطبيع أبي سفيان
- ٣٨٨.....أحاديث أبي بكر الجوهري
- ٣٨٨.....الحديث الأول
- ٣٨٨.....تهديد عمر بإحراق بيت الصديقة الطاهرة ﷺ
- ٣٩٠.....الحديث الثاني
- ٣٩٠.....موقف أبي سفيان بعد إمرة أبي بكر
- ٣٩١.....الحديث الثالث
- ٣٩١.....ثابت بن قيس من الجماعة التي هجمت على بيت فاطمة ﷺ
- ٣٩٢.....الحديث الرابع
- ٣٩٢.....محمد بن مسلمة من الجماعة التي هجمت على بيت فاطمة ﷺ
- ٣٩٣.....الحديث الخامس
- ٣٩٣.....المهجوم على بيت الصديقة الطاهرة ﷺ
- ٣٩٥.....حديث غسان بن عبد الحميد
- ٣٩٥.....اشتداد أبي بكر على أمير المؤمنين ﷺ في البيعة وموقف أم مسطح من ذلك
- ٣٩٧.....حديثي رجل من زُرُق
- ٣٩٧.....الحديث الأول
- ٣٩٧.....خطبة أبي بكر بعد بيعته
- ٣٩٩.....الحديث الثاني
- ٣٩٩.....الحجج التي صيغت للخلافة وترشيح المهاجرين الثلاثة للبيعة

- ٤٠١..... حديث سلمة بن عبد الرحمن
- ٤٠١..... تهديد عمر بإحراق بيت فاطمة ؓ
- ٤٠٣..... أحاديث الشعبي
- ٤٠٣..... الحديث الأول
- ٤٠٣..... الإغارة على بيت فاطمة ؓ
- ٤٠٦..... الحديث الثاني
- ٤٠٦..... الإغارة على بيت الصديقة الطاهرة ؓ
- ٤١١..... الحديث الثالث
- ٤١١..... العباس وعرض البيعة على أمير المؤمنين ؓ
- ٤١٣..... حديث سعيد بن كثير
- ٤١٣..... اجتماع الأنصار في السقيفة وخطبة سعد بن عبادة فيها
- ٤١٥..... تراذ الكلام بين الأنصار بعد خطبة سعد
- ٤١٦..... وصول خبر السقيفة إلى أبي بكر وعمر وذهابها إليها
- ٤١٧..... خطبة أبي بكر في السقيفة
- ٤١٨..... موقف الأنصار بعد خطبة أبي بكر وما قاله أبو بكر لهم
- ٤٢٢..... كلام الحباب بن المنذر وموقف عمر من كلامه
- ٤٢٤..... كلام بشير بن سعد وترشيح المهاجرين الثلاثة للبيعة
- ٤٢٥..... موقف سعد بن عبادة بعد بيعة أبي بكر
- ٤٢٧..... امتناع أمير المؤمنين ؓ من البيعة والهجوم على بيت فاطمة ؓ
- ٤٣٣..... حديث أبي جعفر ؓ
- ٤٣٣..... طلب أمير المؤمنين ؓ النصر من الأنصار
- ٤٣٦..... حديثي يعقوب بن شيبه
- ٤٣٦..... الحديث الأول
- ٤٣٦..... الحجج التي صيغت لبيعة أبي بكر
- ٤٣٧..... الحديث الثاني
- ٤٣٧..... تخلف أمير المؤمنين ؓ عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن

- ٤٤١..... حديث عيسى بن زيد
- ٤٤١..... موقف أبي سفيان من بيعة أبي بكر
- ٤٤٤..... حديثي عمر بن شبة
- ٤٤٤..... الحديث الأول
- ٤٤٤..... تحريض المغيرة أبابكر وعمر على البيعة
- ٤٤٧..... الحديث الثاني
- ٤٤٧..... هجوم عمر على بيت فاطمة عليها السلام
- ٤٤٩..... حديث ليث بن سعد
- ٤٤٩..... تخلف أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر
- ٤٥١..... حديثي ابن شهاب الزهري
- ٤٥١..... الحديث الأول
- ٤٥١..... الذين هجموا على بيت فاطمة عليها السلام
- ٤٥٤..... الحديث الثاني
- ٤٥٤..... إخبار أبي بكر وعمر باجتماع السقيفة وذهابهما إلى ذلك المكان
- ٤٥٥..... تراد الكلام بين أبي بكر والحباب بن المنذر ومبايعة أبي بكر
- ٤٥٨..... موقف أمير المؤمنين عليه السلام بعد بيعة أبي بكر
- ٤٦٠..... حديث النضر بن شميل
- ٤٦٠..... سيف الزبير بعد الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام
- ٤٦٢..... أحاديث الزبير بن بكار في الموفقيات
- ٤٦٢..... الحديث الأول
- ٤٦٢..... إفساد أمر سعد بن عباد وتعليق ابن أبي الحديد
- ٤٦٤..... الحديث الثاني
- ٤٦٤..... أول من بايع أبابكر
- ٤٦٤..... تعليق ابن أبي الحديد
- ٤٦٦..... الحديث الثالث
- ٤٦٦..... احتجاج الحارث بن هشام على الأنصار في السقيفة
- ٤٦٧..... الحديث الرابع
- ٤٦٧..... تعقيب حزن بن أبي وهب على كلام خالد بن الوليد

- ٤٦٨..... حديث محمد بن عمر الواقدي
- ٤٦٨..... موقف عثمان من وفاة رسول الله ﷺ
- ٤٧٠..... حديث أبي عمرو [أبي عمران] الجوني
- ٤٧٠..... موقف سلمان الفارسي من بيعة أبي بكر
- ٤٧٢..... أحاديث محمد بن سيرين
- ٤٧٢..... الحديث الأول
- ٤٧٢..... إمتناع أمير المؤمنين ﷺ عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن
- ٤٧٦..... الحديث الثاني
- ٤٧٦..... إمتناع أمير المؤمنين ﷺ عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن
- ٤٧٨..... الحديث الثالث
- ٤٧٨..... عرض البيعة على أبي عبيدة بعد وفاة النبي ﷺ
- ٤٨٠..... حديث عكرمة
- ٤٨٠..... إمتناع أمير المؤمنين ﷺ عن بيعة أبي بكر وجمعه القرآن
- ٤٨٢..... حديثي أسلم
- ٤٨٢..... الحديث الأول
- ٤٨٢..... تهديد عمر بإحراق بيت الصديقة الطاهرة ﷺ بعد بيعة أبي بكر
- ٤٨٤..... الحديث الثاني
- ٤٨٤..... توعد عمر بإحراق بيت فاطمة ﷺ بعد بيعة أبي بكر
- ٤٨٦..... حديث الإمام علي بن الحسين ﷺ
- ٤٨٦..... موقف أبي سفيان من بيعة أبي بكر
- ٤٨٧..... حديث أبي معشر عن المقبري
- ٤٨٨..... إخبار أبي بكر وعمر بإجتماع السقيفة وذهابها إليها وما جرى فيها
- ٤٩٠..... حديث مسلم
- ٤٩٠..... ترشيح أبي عبيدة للبيعة
- ٤٩٣..... المصادر